

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

البرزخ والمعاد

والقرآن والسنة والكتب السماوى

المجلد الاول



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين المعصومين والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وبعد: فهذا الكتاب فى التفسير الموضوعى يتمركز على حيويات فى الدنيا و البرزخ والآخرة تحليلاً عميقاً رقيقاً حول هذه الحيويات بموجباتها و نتائجها ولا سيما الحيات البرزخية والاخروية، نتحدث فيهما عن الآيات البينات فى مختلف احوال الحيات فيهما ولاسيما الحيات الاخروية، فى اصلهما وفصلهما و الثوابات والعقوبات، وانعكاسات الاعمال صورةً وصوتاً ومصيرَةً فيهما فى قول فصل وعلى الله قصد السبيل والسلام عليكم وعلينا وعلى جميع عبادالله الصالحين ورحمة الله وبركاته.

قم المقدسة محمد الصادقى الطهرانى

بين التفويت والاماتة والتوفى

فوارق

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ لَأَخْسِرُونَ﴾ (٣٤:٢٣)

حيث المماثل يجعل من يجعل من طاعته لمماثله ترجيحاً بلا مرجح، لأن الرجحان عندهم هو فقط في ميزات الحيوان، متغافلين عن انسانية الانسان. وترى اذا كانت طاعة المماثل في البشرية خساراً، فلماذا هم انفسهم يحملون طاعتهم على من دونهم؟ الأنهم - فقط - بشر وسواهم حيوان؟ أم هم مناقضون في قبيلاتهم الويلات، وذلك هو الملاحظ فيها عند كل حماقى الطغيان، ثم وهم بأتباعهم يعبدون احجاراً واخشاباً، وأين الجماد من الانسان؟ ومنهم من هم يحتجون على نكران رسالة البشر انهم واياهم في اصل البشرية سواء وفي فضلها المادى لا سواء ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ (٣١:٣٤) وهؤلاء اقل من اولاء خطأ مهما هم كلهم مخطئون.

ذلك! ومن ثم يحاولون إحالة رسالة هذا الرسول البشر لدعواه البعيدة عندهم كحجة أخرى على دحضه بمحضه:

﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿ (٣٦:٢٣)

﴿اذا متتم﴾ زوالاً للحياة ﴿وكنتم تراباً...﴾ زوالاً للجساد ﴿انكم مخرجون﴾ من أجدانكم بأرواحكم وأجسادكم، فيا له مُراماً ما أبعد هيهات هيهات ﴿بعيداً بعيداً لحد الإستحالة﴾ لما توعدون ﴿انكم مخرجون﴾ وهم بهذه الحجب الثلاث! عن واقع المرام وعن الحق المرام، هم مرتكسون ركسة الحيونة الرذيلة، منتكسون اليها عن كل فضيلة، وقد هدرت ميزات الانسانية فيهم فـ ﴿اولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾!

ثم هم بعد هذه الدعاية والدعوى يحصرون الحياة في حياتهم الدنيا ليست

الا:

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٣٧:٢٣)
 ذلك! وكما قال نظرائهم: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٩:٦)
 وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما
 لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴿(٢٤:٤٥).
 وعلَّ الآخريين - فقط - هم دهريون كما قد تشهد ما قبلها: ﴿افرأيت من
 اتخذ إلهه هواه...﴾ .

وتراهم حين يحصرون حياتهم في الحياة الدنيا، كيف يقدمون ﴿نموت﴾
 على ﴿نحیی﴾ والحياة بعد الموت هي الحياة الأخرى، تناقضاً صارحاً
 صارخاً ينقض دعواهم الأولى؟

قد تعنى ﴿نموت﴾ جماعةً مثلنا نحن الأحياء ثم لا نبعث ﴿ونحيا﴾
 جماعةً أخرى لما يحيون، وهم - كما نحن - يموتون ثم لا يبعثون، ويجمع
 عدم بعثهم أحياءً وأمواتاً ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ سواء الأحياء الحاضرون
 الذين يموتون، او الذين سوف يحبون ثم يموتون.

أم إن ﴿نموت﴾ تعنى ما تعنيه و﴿نحیی﴾ مقالة التناسخية، فكل من
 يموت عن جسده يحيى في آخر حتى تنتهي الحياة الدنيا ثم لا حياة بعدها.
 أم إنه بيان واقع حياتهم بعد موتهم خلاف زعمهم، إضافة إلى الأوليين،
 فأصبحت الآية تجمع بين هذه الثلاث، والمجموعة صالحة دلاليًا ومعنويًا
 لتعنيها، وما اجملها عبارة والطفها جمعاً بين الواجهات المعنية حقاً وزعماً.
 ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨:٢٣)
 وهنا أصبحوا وكلاء عن الله يذودون عن ساحته فريئة الرسالة التي هي
 قضية ربوبيته العادلة الرحيمية!

فهم - إذاً - لا يؤمنون بمدعى الرسالة قضية إيمانهم بالله، معاكسة هارعة
 رأساً على عقب، وكأنهم هم الصادقون في إيمانهم إذ لا يؤمنون بمن يفترى
 على الله كذباً، فليشكرهم الله على ذلك ويشكرهم الشاكرون!
 ولما وصلت حالتهم البئيسة التعيسة إلى هذه الهارفة النحيسة، حيث صمَّت
 آذان قلوبهم وعميت ابصارها.

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴾ (٣٩:٢٣)

نصرة كما نصير نوح على قومه الظالمين مهما اختلفت صورتها، فطمأنه ربه بالإجابة:

﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ (٤٠:٢٣)

وماذا تفيدهم الندامة والإيمان - لو آمنوا - عند رؤية بأسهم؟!

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤١:٢٣).

﴿ بالحق ﴾ هنا قد تعنى بسبب الوعد الحق، أو مصاحبة الحق الذى رفضوه، أو الحق الذى وعدوه، والصيحة هى التى جعلتهم كالريميم، حيث خلفت الريح العقيم ﴿ وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم. ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالريميم ﴾ (٤٢:٥١).

والغثاء هى هشيم الأوراق: ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر ﴾ (٣١:٥٤) فقد عاجلهم الله بهلاك الإستئصال فطاحوا كما يطيح الغثاء إذا سال به السيل الجارف، حيث الغثاء ما حملت السيول فى ممرها من أضغاث النبات وهشيمها، فكأنهم هلكوا ولم يحس لهم أثر كما لا يحس أثر ما طاع به السيل من غثاء، فجعلناهم كالغثاء الطافح فى سرعة انجفاله وهو ان فقد انه واضحلاله ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾؟

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ (٤٢:٢٣)

كنمود قوم صالح وسائر الفراعنة والتماردة المعرقة لمسير الرسالات.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ (٤٣:٢٣)

فان اجل العذاب المهدد بما يراه الله، ف ﴿ ما تسبق من أمة أجلها ﴾ المقدر لها أن يعجلها ﴿ وما يستأخرون ﴾ تأجيلاً لها، فإنها من الآجال المحتومة الأمامية حين تستحق العذاب ولات حين مآب.

وهذه سنة الله الجارية فى تاريخ الدعوات الرسالية، كل قرن يستوفى أجله ويمضى غثاء:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ

جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤٤:٢٣)

﴿ ثم ﴾ بعد نوح إلى موسى ﴿ أرسلنا رسلنا ﴾ من ولى عزم كإبراهيم أم

سواه كسواه ❁ تترى ❁ تلو بعض البعض ولصق بعض.

النوم توفُّ

برزخاً بين اليقظه والموت

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٠:٦)

التوفى هو الأخذ وافيأ، إما للروح كله وهو توفى الموت، أم للروح الإنسانى، والحيوانى باق فى البدن وهو توفى النوم، فالنوم - إذاً - أخ الموت، وإما توفى الروح والجسم دون فصال بينهما وهو الأخذ وافيأ عن مكان إلى آخر كما فى توفى السيد المسيح (ع).

وفى توفى النوم آيتان أخراهما: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (٣٩:٤٢).

وهنا ﴿يتوفاكم بالليل﴾ مسايرة مع أغلبية المنام وهى فى الليل، وأنه أصلح من نوم النهار كما هو المستفاد من آيات المنام.

والروح المتوفى فى المنام هو الروح الإنسانى دون استتصال للحياة بأسرها وكما يروى عن رسول الله (ص): ﴿مع كل إنسان ملك إذا نام يأخذ نفسه فإن أذن الله فى قبض روحه، وإلا رُدَّ إليه فذلك قوله: ﴿يتوفاكم بالليل﴾^١ فالنفس هى النفس الإنسانىة والروح هو الحيوانى، وهو يجابوب آيه الرمز ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ وفى ﴿يتوفاكم﴾ لمحمة باهرة، لأن أصل الإنسان هو النفس الإنسانىة، دون الروح الحيوانى فضلاً عن البدن، فإن ﴿كم﴾ خطاب لنا إنسانياً، والنفس الإنسانىة هى المتوفاه بكاملها حين النوم كما الموت والفارق بينهما الروح الحيوانى الباقي فى النوم والذاهب مع النفس فى الموت.

١ . راجع للإطلاع على فصل القول حول النوم والموت إلى الزمر: ٣٤٤ من الفرقان.

٢ . الدر المنثور ٣: ١٥ - اخرج أبو شيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): ...

فحين يطلق الإنسان على مثلث كيانه نفساً وروحاً وجسماً، فإنما المحور فيه هو النفس والآخِران على هامشها.
والواو في ﴿ يتوفّاكم ويعلم ﴾ حالية تعني: يتوفّاكم حال أنه يعلم ما جرحتم بالنهار.

وترى ﴿ جرحتم ﴾ تعني عملتم؟ وعبارتها الصالحة الفاصحة: عملتم - أو - كسبتم! ولم يأت الجرح في سائر القرآن لتطبيق العمل صالحاً وطالحاً، إنما هو العمل الطالح حيث يجرح كيان الإنسان، ويجرح كيان العبودية، ويجرح الحياة بأسرها - بالنتيجة - في النشاطين^١.

وليس ﴿ جرحتم ﴾ تعني: عملتم بالجراحة، حيث الجرح بالنهار تعم عمل الجراحة إلى عمل الجانحة عقيدةً ونبيّةً وإرادةً وسائر الطوية، والجرح الطالح يتبنى جراحة الجانحة قبل جراحة الجارحة، ولم تسم الأعضاء جوارح إلاّ لأنها الظاهرة في جرحها، لا أنها هي الجوارح دون سواها، أو أنها هي العاملة صالحةً وطالحةً دون سواها، فإنما الجارحة هي التي تجرح باطنيةً أم ظاهريّة، فلا تشمل - في الأصل - الصالحات.

ومن ثم فموقف الآيّة هو موقف التنديد بجوارح الأعمال والأحوال والأقوال، والعظة بذلك التمثيل الأمثل للنوم بالموت لكي يتحلل الإنسان عن غفلته وغفوته فلا يعود يعمل الجوارح بالنهار.

ثم ﴿ ما جرحتم ﴾ تعني كلا الموصولة والموصوفة، فهو يعلم جرحكم بالنهار ويعلم ما جرحتموه، ومما يؤيد الاحتمالين إضافةً إلى تحمل ﴿ ما ﴾ إياهما، عدم ذكر لضمير الموصول، فلا يتمحّض في الموصولية بل ومعها الموصوفية.

وها هي وفاة النوم حين يأخذنا النعاس، وفاةً في صورة من صورها، وسيرة

١ . والآيات في الجرح هي: ﴿ ام حسب الذين اجترحوا السيئات... ﴾ (٤٥: ٢١) «والجروح قد صاص» (٤٥: ٥) «و ما علمتم من الجوارح مكلبين» (٤: ٥).

من سيرها، إنقطاعاً عن الحيوية العقلية والإرادية والحسية، اللهم إلا نمواً كالنبات وحركات حيوية حيوانية بلا إرادة حالة السبات، والإنسان فيها على أقرب مشارف الموت، لا يستطيع الرجوع إلى حياة اليقظة إلا ببعث رباني كما توفى: ﴿ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى﴾ ١٠ بعثاً عن حدث النوم كما البعث عن جدت الموت، واين بعث من بعث؟
فها بعث ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ ١١ في مدرسة الحياة الدنيا، وهناك بعث ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ ١٢.

وترى ما هو هنا ﴿أجل مسمى﴾ ١٣؟ هل هو المحتوم؟ وكثير من الآجال معلّقة تحصل قبل المحتوم! أم والمعلق؟ وليس هو من المسمى!.
قد يعنى ﴿أجل مسمى﴾ ١٤ كليهما، مسمى محتوماً كأصل، ومسمى معلقاً على هامشه، مهما كان المسمى المحتوم أسمى وأفسح لمجال الإمتحان بالتكليف.

فليس الأجل المسمى - فقط - هو المقضى، بل والمعلق كذلك من المقضى مهما اختلف قضاء عن قضاء فـ ﴿هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده...﴾ (٢:٦) فالقصد هنا من ﴿أجل مسمى﴾ ١٥ هو الأجل المقضى محتوماً ومعلقاً، ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ ١٦ بعد قضاء الأجل، مرجع فى مثلث المراحل، برزخاً وحساباً ونتيجة.

﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ (٦١) ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحقّ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ (٦٢:٦)

وترى ﴿عباده﴾ ١٧ هنا تعنى خصوص المكلفين؟ فـ ﴿إن كل من فى السماوات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً﴾ (٩٣:١٩) قد تختصم بهم، كما وكل الآيات التى تحمل ﴿عبد﴾ ١٨ بكل صيغها تعنيهم.

ولكن العبودية تعم كافة الكائنات، فـ ﴿إن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (٤٤:١٧) وذلك التسبيح أياً كان هو عبادة مهما

كانت بأدنى إدراك وشعور، ثم الحفظ الرباني يعم كل شيء: ﴿إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ (٥٧:١١)، مهما كان المحور الأصيل في الحفظ العقلاء من عباده، كما ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١:١٣).

وحفظ الله تعالى بين رحمانى يعم كل شيء كما فى آية هود وأضرابها، ورحيمى يخص الصالحين، وهو بين حفظ للإيمان قدر القابلية والفاعلية، وحفظ للعصمة الربانية على درجاتها، ومن الرحيمى حفظ الأعمال ليوم الحساب ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ. كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (١١:٨٢).

وهنا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ حفظ ربانى رحمانى يعم كل عباد الله، ورحيمى حفظاً للأعمال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ بأمر الله، فليس الله - إذاً - حفيظاً عما يريد من أجل مسمى ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ فى دائرة توفى الأموات التى يرأسها ملك الموت ﴿وَهُمْ لَا يَفْرَطُونَ﴾ تقصيراً فى كمية الإماتة وكيفيتها، فإنهم ماضون بأمر الله دون تمييز بين الذين جاءهم الموت.

وترى ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ضماناً تاماً للحافظ علينا فلا علينا أن نحافظ على أنفسنا مما يصطدمنا فى حياتنا وحيوياتنا؟

أجل، إن علينا كل المحاولات الممكنة فى حفاظنا على نواميسنا الخمسة، فانه ضرورة عقلية ورسالية، إلا أن حفاظاتنا على نواميسنا ليست بالتى تكفيننا لولا أن الله يحفظنا ويرسل علينا حفظاً، فمهما ترك لنا الحرية لتتعرف، ومن العلم لتعرف، ومن القدرة بالواجب، ولكنها كلها محدودة بأقدارنا وقدراتنا، فنحن بحاجة ماسة الى حفظ الله، وهذه هى المعية الربانية المعنية بـ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤:٥٧).

ثم وليس حفظ الأعمال بتسجيلها من حفظنا، وإنما هو الحفظ على ما لا يخص به الله من سائر ما أمرنا بالحفاظ عليه من أمورنا الإختيارية الاختبارية.

ولأن الحفظ رحمانياً ورحيمياً يعم حفظ الروح إلى حفظ الجسد، فلا بد للحفظة بأمر الله من الإطلاع على موارد واجب الحفظ فيهما، والله هو الذى يُطلعهم على ما أرسلوا لحفظه.

وهل إن هؤلاء ❀ الحفظة ❶ هم رسل الموت أم سواهم؟ لا تدل الآية على خصوص أحدهما، وقد تلمح ❀ رسلنا ❷ دون ❀ حفظة ❸ - أو ❀ توفوهم ❹ إلى أنهم غيرهم، ويؤيده أن الملائكة العمال درجات، لكل طائفة منهم عملية كما يأمر الله، فلا خلط - إذاً - مبدئياً إلا أن يدل عليه دليل.

وكما أن الحفظ الربانى من الغيب كذلك توفيه لنا، فإذا جاءت اللحظة المرسومة المسماة، الموعودة لكل نفس وهى غافلة، أدّى رسول الموت مهمته وقام برسالته هذه بعدما أدى الحفظة رسالة حفظهم دون أى تناحر بين الرسالتين.

❀ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ❶ (٦٢:٦)
أتراهم بعد توفيتهم لهم مكوث حتى يردوا إلى الله مولاهم الحق؟ ❀ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ❷ قد ينحى ذلك الرد إلى يوم البعث، وأما البرزخ ففيه حكم وحساب مؤقت، ف ❀ ثم ❸ المراهيه لردهم لمحة إلى الحساب المتراخى يوم الحساب، ثم و ❀ هو أسرع الحاسبين ❹ على وفر العباد المحاسبين، وقد روى أنه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة، ولو شاء لأسرع من حلبه شاة.

(. مجمع البيان وروى . . . وروى عن امير المؤمنين (ع) أنه سئل كيف يحاسب الله سبحانه الخلق ولا يرونه؟ قال: كما رزقهم ولا يرونه .

الله

هو يتوفى الانفس

وملك الموت بأعوانه

هم عماله

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ

عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٩:٤٠)

﴿اعملوا﴾ ضدى وخلاف ما أوحى إلى وأرسلت به إليكم ﴿على

مكائتكم﴾: منزلتكم وإمكانيتكم.

﴿اعملوا..﴾ ف ﴿إني عامل﴾ على مكائتي، معاركةً صاحبة كل على

مكائته، رغم أنى واحد وأنتم كثرة، أنتم لكم أموال وليست لى أموال...

﴿فسوف تعلمون﴾ عين اليقين، وليس بعد الموت فحسب بل وفى الدنيا

﴿من يأتيه﴾ منا ﴿عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ هو عليه لزام

دون فكاك.

وهذه مباهلة عملية مع الذين لا تنفعهم الدعوة بأية حجاج إلا مزيد لججاج،

وهذه نهاية المطاف لداعية الحق حينما تبلغ الحجاج ذروته، ولا يتقبل المدعو

أية برهنة إلا رداً بقوله الزور، وانتفاضة الغرور.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا

يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١)

﴿أنزلنا﴾ إنزالاً ﴿بالحق﴾ عليك ﴿بالحق﴾ الكتاب ﴿بالحق﴾،

كتاب حق بإنزال حق على نبي حق ﴿فمن اهتدى﴾ بمثلث الحق

﴿فلنفسه﴾ دون أن ينتفع به الله ورسوله ﴿ومن ضلَّ فإنما يضلُّ عليها﴾ لا

١ . المكانة هي المنزلة وهي الإمكانية، وكلما كانت
المنزلة أقوى فالإمكانية أوسع، فهذا تحد ذو بعدين
أن كرسوا إمكانياتكم على مستوي منزلتكم علماً ومالاً
وقوة أماذا.

الله هو يتوفى الانفس وملك الموت بأعوانه هم عماله 15

على الكتاب الحق ورسول الحق والمرسل الحق ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾
تجرهم إلى الهدى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

و ﴿للناس﴾ هنا كما في غيرها دليل أنه ﴿هدى للناس﴾ فهم - إذا -
قادرون على تفهّمه ف ﴿للناس﴾ تعلّمه و ﴿للناس﴾ تطبيقه و ﴿للناس﴾
نشره، وأنت رسول الله إلى الناس بكتاب الله ﴿للناس﴾.

مراحل التوفى

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢:٣٩)

هذه هي الآية الأمّ دلالةً على حقيقة الموت والحياة البرزخية بعد الموت،
وتجاوبها بعض الشىء آية الأنعام: ﴿هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون﴾ (٦١).

أترى أن بينها وبين التى تجعل التوفى لملك الموت: ﴿قل يتوفاكم ملك
الموت الذى وكل بكم..﴾ (١١:٣٢) التى تجعله لسائر الملائكة الرسل:
﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ (٦١:٦) وأضرابها: ﴿الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ (٣٢:١٦) الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى
أنفسهم ﴿(٢٨:١٦) فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم
وآدبارهم﴾ (٢٧:٤٧).

هل إن بينها تهافتاً ثلاثياً؟ كلاً! فالمتوفى الأصيل للأنفس كلها طيباً وهو
الله، والموكّل لذلك كعامل بأمر الله هو ملك الموت حيث يدير شؤون
الأموات، ثم الموكّلون تحت إمرته بأمر الله هم رسل من الله! فلا محيى ولا
مميّت إلاّ الله دون واسطة، أم بوساطة كما فى المخلصين هو فى غنى عنها،

ولكن المتوفى لا يأهل أن يتوفاه الله دون وسيط.

فقد يتوفى الله دون وسيط من هو أرقى من ملك الموت وأعلى محتداً كالرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن حذى حذوه، وليس حضور ملك الموت بمحضه حين التوفى إلاّ تشريفاً والمتوفى هو الله: ﴿وَأَمَّا نُرَيِّتَكَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينِكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (١٠:٤٦).

﴿أما ملك الموت فإن الله يوكله بخاصته ممن يشاء من خلقه ويوكل رسله من يشاء من خاصته ممن يشاء من خلقه يدبر الأمر كيف يشاء، وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس لأن فيهم القوى والضعيف، ولأن منه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله إلاّ أن يسهّل الله له حمله وأعانه عليه من خاصة أوليائه وإنما يكفيك أن تعلم ان الله المحيي والمميت وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم﴾^١.

هنالك ثلاثية التوفى، ١ - من الله للرعيّل الاعلى، ٢ - ومن ملك الموت بإذن الله لمن يتلونهم الخاصة، ٣ - ومن سائر الملائكة بدرجاتهم لسائر الناس بدرجاتهم أو دركاتهم، وإن كان الله هو المتوفى فيها كلها!

ترى وكيف يصح هذا التقسيم وآية ملك الموت تخاطب ناكرى البعث: ﴿وقالوا ءإذا ضللنا فى الأرض إنا لفى خلق جديد. قل يتوفاكم ملك الموت..﴾ ؟ ولكنه يعنى التوفى بوسيط وليس إلاّ تحت رئاسة ملك الموت بأعوانه الملائكة الآخريّن ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ او ﴿ظالمى أنفسهم﴾ فانهما تفسران توفى الملك الموت أن ليس كله بيده دون وسيط،

١ . نورالثقلين ٤: ٤٨٩ ح ٦٥ فى كتاب التوحيد حديث طويل عن على (عليه السلام) يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات، واما قوله: - ثم ذكر الآيات المذكورة فى المتن - فان الله تبارك وتعالى يدبر الامر كيف يشاء ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء، واما ملك الموت... .

وكما تفسران مع سائر الآيات ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ أن ليس كل توفيه دون وسيط.

إذا فالتوفى لأطيب الطيبين هو الله، وللخصوص منهم بعدهم هو ملك الموت، ولسائر الطيبين سائر ملائكة الموت العالمين، وللظالمين انفسهم أدنى الملائكة مهما كانوا كلهم معصومين ف ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ (٧٥:٢٢).

ثم ما هو التوفى، والأنفس المتوفاه هنا؟

ليس التوفى هو الإمامة نفسها، بل هو أعم منها حيث هنا يطلق على الإمامة: ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ وفي أخرى على أخذ الروح والجسم دون إمامة ولا إمامة عن هذه الكرة الأرضية إلى غيرها: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا...﴾ (٥٥:٢٣) مع العلم أن المسيح حتى يرزق حتى الآن: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ (١٥٩:٤) وحتى الآن ما آمن به المسيحيون كلهم فضلاً عن أهل الكتاب كلهم، فليكن حياً حتى الآن.

فالتوفى في معنى جامع لهذه الثلاث هو الأخذ وافياً، مهما كان المأخوذ هو الإنسان بروحه وجسمه كما في المسيح (عليه السلام) أم بروحه ككل كما في الإمامة ﴿فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت﴾ (١٥:٤) والموت لا يميمت، بروحه بعضاً كما في الإمامة، فإيفاء الأخذ في كل بحسبه، إيفاء للمأخوذ كوناً وكياناً، أجراً وجزاءً، دونما إبقاء هنا أو هناك، وكذلك الله يتوفى وبعده، إيفاءً دون إبقاء.

والأنفس هنا ليست هي الأرواح بالاجساد، مهما كان المجموع نفساً، كما كل نفس، اللهم إلاً توفياً لهما بعد توفى الانفصال، فإنهما معاً في حفظ الله دون أن يضل منهما شيء: ﴿وقالوا ءإذا ضللنا في الأرض ءإنا لفي خلق جديد.. قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم﴾ (١١:٣٢) فلولا تعنى توفى الجسم مع الروح لما كانت إجابة عن إشكال: ﴿ضللنا في الأرض﴾ إذ يعنون ضلال

البدن بأجزاءه.

فهناك عند الإماتة توفيان متداخلان ف ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ إذ يفصل الروح بكامله عن البدن، ويحفظهما بكاملهما عن الضياع والضللال، وقد لا تعنى آية التوفى هذه إلاً الأول، ولا سيما أن النوم أيضاً هنا توفٍ ولا يؤخذ فيه الجسم.

إذاً فالأنفس فى توفى الإماتة هى الأرواح بكاملها دون إبقاء، من إنسانية وحيوانية ونباتية، فهى تموت بذلك التوفى ﴿حين موتها﴾ ولا يعنى موتها فوتها، وإنما انفصالها عن أجسادها وبطلان تصرفاتها فيها، وإلاً فهى أحيى مما كانت فى الحياة الدنيا، كما أن موت البدن - وهو ميت فى نفسه - يعنى انفصال الحياة عنه وبطلان انصرافه بتصرفات الروح، وأين موت من موت؟

النفس تذوق الموت لإنفصال ولا تموت ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (١٨:٣) فما موتها هنا وفى أمثالها: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلاً بإذن الله﴾ (١٤٥:٣) إلاً ذوقاً للموت، أو يعنى موت أبدانها اللهم إلاً هنا حيث ﴿يتوفى الأنفس﴾: الأرواح ﴿حين موتها﴾.

﴿والتي لم تمت فى منامها﴾ كذلك الله يتوفاهما، ولكنها ليست النفس الروح بتمامها، بل هى الروح الإنسانية المدبرة المدبرة لحياة اليقظة، ثم تبقى الحيوانية والنباتية إبقاءً لأصل الحياة نمواً وانهضاماً لغذاء وتنفساً دون تحسس، فمعنى توفى النفس النائمة - إذاً - هو اقتطاعها عن الأفعال التمييزية والحركات الإرادية كالعزوم والصعود وترتيب القيام والقعود وسائر الأفعال الإختيارية.

وبدمج النباتية فى الحيوانية، وهى لزامها - فلا أقل تقدير - لكل إنسان نفسان متحدتان متمازتان فى حياة، ثم تنفصل الإنسانية فى حياة النوم، برزخاً مؤقتاً حتى اليقظة، وتنفصلان عنه عند الموت فتعيشان دون هذا البدن فى الحياة البرزخية، وفى القيامة حياة أرق وأرقى! ثم بالنسبة لهذه التى لم تمت فى منامها ﴿فيمسك التى قضى عليها الموت

ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴿١﴾ يمسك النفس الإنسانية المتوفاه لكيلا تنجذب إلى الحيوانية المبقاة، حيث الإمساك يلمح إلى التجاذب بينهما للإلتحام، تداوماً للحياة الدنيوية، فلولا الإمساك لانجذبت الانسانية الى الحيوانية، وبالإمساك ينعكس الإنجذاب: ﴿٢﴾ ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴿٣﴾.

فالتلاحم بين نفسى الإنسان لزأماً حياتهما هنا وفى البرزخ، فلا تعيش الإنسانية دون الأخرى، كما لا تعيش الأخرى دون الأولى، ف ﴿٤﴾ ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه فى بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله فى قبض الأرواح أجابت الروح النفس وإن أذن الله فى رد الروح أجابت النفس الروح... ﴿٥﴾ وسبب كشعاع الشمس أحسن تعبير عن التجاذب بينهما على فصال، فضلاً عن حالة الإتصال!

فكما ﴿٦﴾ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴿٧﴾ بتمامها، كذلك يتوفى ﴿٨﴾ التى لم

١ . تفسير العياشي باسناده عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: ما من عبد... وهو قوله سبحانه: «الله يتوفى الانفس حين موتها...» فمهما رأت فى ملكوت السماء فهو مما له تاويل وما رأت بين السماء والأرض فهو مما يخدله الشيطان وليس له تاويل (البرهان ٤: ٧٧) وفى نور الثقلين ٤: ٤٨٩ ح ٦٤ عن كمال الدين وإتمام النعمة باسناده الي داود ابن القاسم الجعفرى عن محمد بن علي الثاني (عليه السلام) قال: اقبل امير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم ومعه الحسن بن علي (عليه السلام) وسلمان الفارسي وامير المؤمنين ميثك علي يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ اقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم علي امير المؤمنين فرد عليه السلام فجلس ثم قال يا امير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل ان اخبرتنى بهن علمت ان القوم ركبوا من امرك ما افضى عليهم انهم ليسوا بمؤمنين فى دنياهم ولا فى آخرتهم وان تكن الاخرى علمت انك وهم شرع سواء فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) سلني عما بدا لك قال: اخبرني عن الرجل اذا نام اين تذهب روحه فان اذن الله عزوجل يرد تلك الروح علي صاحبها جذبت تلك الروح وجذبت تلك الريح الهواء فرجعت الروح فاسكنت فى بدن صاحبها وان لم ياذن الله عزوجل يرد تلك الروح علي صاحبها جذب الهواء الريح وجذبت الريح الروح فلم ترد الي صاحبها الي وقت ما يبعث...

تمت في منامها ❶ لأولاها ❷ فيمسك التي قضى عليها الموت ❸ وحتى يتم الموت ❹ ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ❺ رجوعاً إلى الحياة، فقد يتحقق الموت في وصال للنفسين كحال اليقظة، أم في فصال لهما كحال الموت، يتوفى الأولى أولاً بالإقامة والثانية ثانياً بإمسك الأولى حتى تنجذب الثانية إليها.

إذاً ف (النوم أخ الموت) ومثل له يمثله كبراعة إستهلال، فانه توف كما هو، مهما افترقا بتوفى الروح كله أو بعضه ف ❶ هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمى.. ❷ (٦: ٦١) ❸ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ❹، فحين نفكر فى النوم والموت نجد بينهما تقارناً بفاصل يخص الموت، فالنوم - إذاً - آية حسيّة مكرورة طول الحياة تدل على إمكانية الحياة مع الموت وبعده، معه حيث النائم ميت فى نفسه حى فى روحه، حياتاً برزخية أولى، فلتكن فى الموت حياة برزخية ثانية بعده، وكما النائم يبعث باستيقاظ، كذلك الميت يبعث للحياة الاخرى بنفخ الصور.

وإرسال النفس بعد توفيتها فى المنام قضاءً لأجلها، آية إرسالها بعد موتها قضاءً لأجرها واليقظة بعد النوم آية أن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

وآية للرحمة المتواصلة الإلهية تقطع عن الإنسان معاذيره كيلا يقول ❶ إذا جاء أحدهم الموت رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت... ❷ .

وكما أن راحة النوم عن حركات التعب ونهضات النصب آية أخرى تُخجل الإنسان أمام ربه إذ يذكّرهما، فليراقب أعماله بعده، وكما ترى فى منامك رؤىآت صادقة لمكان تجرد أكثر مما فى اليقظة، وهناك تنفتح لك شعبة من الوحي فترى ما لا تراه فى اليقظة، كذلك - و بأحرى - بعد الموت حيث تتجرد أكثر من النوم، داخلاً فى عالم تمامه الصدق، فترى ما لم تكن تراه فى حياتك الدنيا يقظةً ونوماً، حيث تُكشّف عنك غطاءك كلها: ❶ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ❷ .. ❸ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ❹.

❶ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٩:٤٠﴾

﴿وقهم﴾ تعنى الذين آمنوا كلهم من أصول وفروع، وظرف الوقاية هنا اعم من الدنيا والآخرة ولكن الأهم هى الثانية: ﴿ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته﴾. والسيآت حين تُفرد دون مقابل تعنى المعاصى كلها صغيرة وكبيرة، فوقايتهم إياها يوم الدنيا تعم الرفع والدفع، رفعاً بالتوبة لمن ابتلى بها، ودفعاً بالتسديد عن هاجمت عليه و لَمَا يبتلى، وهذا يليق بأصول الإيمان وذلك يناسب فروعها. ثم إذا تَبَقَّتْ سيآت عُمِلت دون توبة عنها أم توبة من الله عليه لِعَظْمِهَا أماذا من مُنْعَةِ الوقاية، فبقيت لـ ﴿يومئذ﴾ القيامة الكبرى فـ ﴿ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته﴾ حين لا توبة هناك، وقاية بشفاعة أمأهيه، ووقاية السيئة ﴿يومئذ﴾ لاتعنى السدَّ عن اقترافها، وإنما صدها عن بروزها، حيث الجزاء هو السيئة بنفسها فـ ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ فالسيئة التى بقيت حتى (يومئذ) توقى وتمحى وذلك هو الفوز العظيم ﴿﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَ لَمْ يَأْتِ اللَّهُ بِآيَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١:٤٠﴾

المقت هو أشد الكره، فقد كرهوا أنفسهم بأشدها لما دُعوا إلى الإيمان بحججه ولصالحهم فى الدارين فكفروا، قد خيل إليهم أنهم غالبون أحرار فى شهواتهم، وكفتهم حظوة الحياة الدنيا أو خفاء، فليس يعنى عذاباً أكثر مما يُستحق، بل هو أكبر فى مظاهره بنصوعه وهم ماقتون أنفسهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً قصوراً عن تقصير. انتم تطلعون اليوم على مصيركم بكفركم دونما غفلة، وقد كنتم يوم الدنيا فى غفلة، وما أوجع ذلك التذكير فى التائب فى ذلك الموقف الرهيب العصيب!

ثم الجواب منهم ليس إلا كلمة التباب للذليل البائس اليأس ﴿ربنا﴾ وقد عاشوا نكران ربوبيته! انهم يستعطفون الرب بعطف ربوبيته، وقضيتها العذاب عدلاً للكافرين، كما أنها الثواب فضلاً للمؤمنين. ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين..﴾ وما هما الإماتتان والإحياتان؟

ترى الإمامة الأولى هي الموتة الكائنة قبل الحياة الدنيا، فالإحياء الأولى، هي إحيائها، ثم الإمامة الثانية هي عن الحياة الدنيا فالإحياء الثانية هي عن البرزخ إلى الحياة الأخرى: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (٢٨:٢)؟^١

والموتة الأولى ليست عن إمامة، وإنما خلقت الأجنة ميتات ثم أُحييت! ثم ليست لهم في هاتين الموتتين ذكرى يعترفون بها بذنوبهم، مهما كانت لهم في الإحياء الثانية فليكتفوا بها في اعتذارهم وذكرهم!

أم إن الأولى إمامة عن الحياة الدنيا ثم الإحياء للبرزخ ثم الإمامة عنه والإحياء للأخرى، ولم يذكروا الإحياء في الدنيا إذ لم تكن لهم فيها ذكرى وسبب للإيقان بالأخرى، حيث ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ تفرّع إعتراهم بإماتتين وإحيائتين في كلها هذه الذكرى؟

والحياة البرزخية لا تحتاج إلى إحياء آخر بعد الإحياء في الأولى، فانها استمرارية الحياة الدنيا، إذ لم يحصل بالموت إلا انفصال الروح ببدنه البرزخي عن بدن الدنيا! ثم ولا ذكرى في هذه الاماتة الأولى وقد كانوا معترفين بها ﴿ان هي الاموتتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾ (٤٤:٣٥) وانما هي في حياة بعدها، ثم موت و حياة اخرى للاخرى! ام ان الموتة الثانية هي عن إحياء الرجعة ثم الإحياء الثانية هي للاخرى، ولم تذكر الإحياء للحياة الدنيا إذ لم تكن فيها ذكرى؟ وليست الرجعة إلا لمن محض الايمان محضاً او محض الكفر محضاً، وليس الذين

١ . الدر المنثور ٥ : ٣٤٧ - اخرج الفريابي وعبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود في الآية قال: هي مثل التي في البقرة «كنتم امواتاً فاحياكم...» ومثله عن ابن عباس وقتادة.
٢ . المصدر ح ١٩ القمي قال الصادق (عليه السلام) ذلك في الرجعة وفي البرهان ٤ : ٩٣ ح ٢ رجعة المعاصر عن الحسن بن محبوب عن محمد بن سلام عن ابي جعفر (عليه السلام) في الآية قال هو خاص لاقوام في الرجعة بعد الموت فتجرى في القيامة فبعداً للقوم الظالمين.

كفروا كلهم محضين للكفر محضاً، وهذه المقالة تحكى عن حالة عامة لأهل النار، كما هي لأهل الجنة، مهما استثنى عن هؤلاء ❀ إلا من شاء الله ﷻ ولكنهم داخلون فيمن يرجع فموتتان ايضاً، او استثنى الإحياء يوم الصعقة، والمختصون منهم ايماناً او كفراً داخلون فيمن يرجع، فقليل هؤلاء الذين يموتون موتة واحدة وهم الأحياء يوم الصعقة، غير محضى الايمان او الكفر!

ام الاولى هي عن الحياة الدنيا، والثانية عن الحياة البرزخية، والإحياءة الاولى للأولى والأخرى عن الموتة البرزخية للحياة الأخرى، وفي مجموعها الذكرى إن لم تكن في كل منها، فقد جبروا نكرانهم ❀ ان هي إلا موتتنا الاولى ﷻ باعتراف ❀ امتنا اثنتين ﷻ ونكرانهم ❀ وما نحن بمنشرين ﷻ باعتراف ❀ واحييتنا اثنتين ﷻ.. ❀ فاعترفنا بذنوبها فهل الى خروج سبيل ﷻ؟

فآيات الصعقة في النفخة الأولى تعم ❀ من في السماوات ومن في الارض إلا من شاء الله ﷻ وهم ليسوا ممن شاء الله فتشملهم صعقة الموت مع من تشمل إلا من شاء الله، وإن كانت للأحياء يوم الصعقة موتة واحدة هي عنها إحياءة ثانية للأخرى، ولكننا الأكثرية الساحقة هم أهل البرزخ يوم الصعقة.

فمن الناس من له إماتات وأحياء آت ثلاث وهم ممن يرجعون يوم الرجعة وهم أموات يوم الصعقة وليسوا ممن شاء الله وقليل ما هم!
ومنهم من لهم إماتة واحدة وهم الأحياء يوم الصعقة من غير أهل الرجعة وليسوا ممن شاء الله، وقليل ما هم!

ومنهم من له إماتتان وإحيائتان، كسائر الناس و هم أهل البرزخ يوم الصعقة، فكثير منهم تأخذه الصعقة وهي إماتته الثانية، وقليل منهم هم ممن شاء الله، فموتتهم الثانية هي عن حياة الرجعة، وهل يوجد من هم أحياء يوم الصعقة وهم ممن شاء الله فلا يموتون بها، وما هم ممن يرجعون يوم الرجعة، فلا موتة لهم إلا إحياءة واحدة للحياة الدنيا وهي تستمر إلى الأخرى؟

كلاً! ف ❀ كل نفس ذائقة الموت ﷻ بين إماتة واحدة أمّا زادت، ف ❀ من شاء الله ﷻ كلهم ممن محض الإيمان محضاً فراجع يوم الرجعة ثم يموت، وما منهم من

يظل حياً إلى يوم الصعقة فهي تأخذ أحياءها كأقل موتة.

فالضابطة العامة هي الإمامتان والإحيائتان، مهما شذ عنها أقل منهما أو أكثر، وقد تزيد إلى أربع كالذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، إن لم يكن ممن شاء الله وهو من أهل الرجعة، فقد أميت عن الحياة الدنيا مرات ثلاث، ثم الرابعة يوم الصعقة، ولكننا الآية نتحدث عن الأغلبية الساحقة فإن لهم إمامتين اثنتين وإحيائتين، مهما كان موردها أهل النار، ﴿فهل إلى خروج﴾ أياً كان وأياناً ولو بعد ربح كثير من الزمن ﴿من سبيل﴾ أياً كان و على أية حال، فالمستدعى هناك سبيلٌ ما إلى خروجٍ ما خروجاً عن أبد النار: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نُعمركم ما يتذكر فيه من تذكروا وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ (٣٧:٣٥).

﴿بأنه إذا دُعيَ اللهُ وحده كفرتم وإن يُشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير﴾ (١٢:٤٠)

﴿ذلكم﴾ المقت الأكبر من الله ﴿بأنه إذا دُعيَ اللهُ وحده كفرتم﴾ بوحدته ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ بكثرتة ﴿فالحكم﴾ إذا في سبيل من خروج سلباً وإيجاباً ﴿الله العلي﴾ عن الشركاء ﴿الكبير﴾ عن الحاجة إلى الشركاء، وما حكمه إلا ﴿انكم ماكتون﴾!

ف ﴿إذا﴾ تحقّق موضوعه و ﴿دعى﴾ تضرب إلى عمق الماضي تلميحاً إلى أن التوحيد سابق محقق أصيل طول الزمن، فإنه قضية العقل والفطرة، ودعوة الرسالة الدائبة، ومدلوله سائر الآيات آفاقية وأنفسية.

ثم ﴿إن﴾ تُشكِكُ ﴿ويُشرك﴾ لطارىء المستقبل، لأن الشرك طارىءٌ مشككٌ في تناول من أهل الزمن! لا حجة له في أى حقل من الحقول، أم أى عقل من العقول، فيا لهم من حماقة معمّقة، وتناس لكل موهبات الإنسانية والحيوانية. أن يؤمنوا أن يُشرك ويكفروا إن يوحد!

التوفى

فقط

لايعنى الفوت بموت وسواه

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَحْتُ لَكَ الْبَابَ فَارْجِعْ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥٥:٣)

﴿ومكروا ومكر الله﴾ فالمكران هما متقارنان، وتوفيه (عليه السلام) ورفع همامن تنمة مكر الله حيث ﴿شبه لهم﴾ أولاً ورفعه أخيراً فنجاه من بأسهم وبؤسهم.

وترى ﴿إني متوفيك﴾ تعنى الموت؟ وهو حسب اللغة ومصطلح القرآن اعم من الموت! فهو لغوياً الأخذ وافياً، سواء كان توفياً يحلق على الإنسان إمامة: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١:٣٢) حيث يأخذ الأرواح والأجساد فى قبضة الصيانة فلا تضل عنه مهما ضلت عن سواه، ام إمامة: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (٤٢:٣٩). حيث تضم النوم الى خضم التوفى وهو اخذ الروح الانسانية عن البدن والروح الحيوانية باقية بقية للحياة، وهما يتشاركان فى اخذ الروح الانسانية عن البدن كاملة.

ذلك، ومن التوفى أخذ الإنسان بكلا جزئيه عن مسرح الحياة الارضية الى حياة سماوية دون إمامة موتاً ام نوماً، وهذا هو المستفاد من جماع الآيات بحق المسيح (عليه السلام)، فليس التوفى هو الإمامة بعينها مهما كانت منها حيث يتوفى الموت: ﴿فَأَمْسُكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتَ﴾ (١٥:٤) والموت لايميت وانما يأخذ الانسان وافياً طليقاً كما يأخذه النوم نسبياً غير طليق، وثالث يأخذه وافياً دون إمامة ولا إمامة.

فهنا ﴿ورافعك إلى﴾ تعنى مسرح الأمن عن بأس الكفار ﴿ومطهرك﴾ عن لعنة الصلب المختلفة بينهم، وقد يكفى رفعه الى سماءه تطهيراً له عن بأسه فى بُعدى

الصلب، قتلاً ولعنًا.. صحيح ان الله ليس له مكان حتى تعنى ﴿رافعك الى﴾ مكاناً لله، ولكنه قد يعنى ﴿مكاناً علياً﴾ (٥٧:١٩) وكما تعنيه - ايضاً - آيات الرجوع الى الله، والحياء عند الله ﴿بل هم احياء عند ربهم يرزقون﴾ والرحمة لدى الله، إذا فـ ﴿رافعك الى﴾ رفع له الى مكان الأمن ومكانة الرحمة غير الخليطة بأية زحمة، وكما وصفت ﴿وإن لك الا تجوع فيها ولا تعرى. وانك لا تظلماً فيها ولا تضحي﴾. ذلك، وتزيده وضوحاً آية النساء ﴿... ماقتلوه يقيناً﴾ (١٥٧) ﴿بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٥٨) ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩) ايماناً مؤكداً صالحاً غير طالح.

فلأن أهل الكتاب حتى المسيحيين منهم لم يؤمنوا به ايماناً صالحاً حتى الآن، فهو - إذاً - حتى إلى الآن وسوف يؤمنون به زمن القائم المهدي (عليه السلام) لما يرويه يصلى وراءه (عليه السلام)، وكما ﴿قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لليهود إن عيسى لم يميت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة﴾^١.

ثم التحوّل عن مسرح الحياة الأرضية لا يخرج عن خمس تحولات: قتلاً - صلباً - موتاً - نوماً - وانتقالاً الى حياة فوق الأرضية في جنّة من الكواكب^٢ قد تكون هي جنّة

١. الدر المنثور ٢ : ٣٦ قال الحسن قال رسول الله (ص) لليهود... وفي نورالثقلين ١ : ٥٧١ شهر بن حوشب يسأله الججاج يا شهر! آية في كتاب الله قد أعيتني، قال: أيها الأمير آية آية هي؟ فقال قوله: «وإن أهل الكتاب إلا ليؤمننن به قبل موته» والله إنني لأمر باليهودي والذصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعينني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت أصلح الله الأمير ليس علي ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودى ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلى خلف المهدي (ع) قال: ويدحك اني لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فقال جئت والله بها من عين صافية.

٢. البحار ١٤ : ٣٣٥ - لي: بإسناده عن حبيب بن عمر قال: لما توفي أمير المؤمنين (ع) قام الحسن خطيباً فقال: أيها الناس في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم عليهما السلام.

آدم وقد رفع اليها المسيح (عليه السلام).

والأولان منفيان بآية النساء: ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ وكل من النوم والموت له صيغته الخاصة، فلا يعنى رفعه اليه - كما هنا وفى آية النساء - إلا رفعه عن ذلك المسرح النكد البائس، تطهيراً لساحته عن مكر الذين كفروا، وذوداً عن سماحته لعنة الصلب، المزعومة لدى الكنسيين البولسيين، فقد توفاه الله اخذاً وافياً سليماً عن بأسهم، ثم رفعه اليه استمراراً لتوفيه.

فليس رفعه اليه تعالى تعالى - فقط - رفعاً معنوياً إذ كان رفيعاً فى معناه ومغزاه، كما لا يعنى رفعه عن الحياة، بل هو رفع عن الحياة الأرضية الى حياة سماوية سامية عاشها ابوانا الأولان سويعات، ويعيشها السيد المسيح (عليه السلام) قرناً طائفة حتى ينزل الى الأرض زمن المهدي (عليه السلام). تلك هى الميزة العيسوية، ومن ثم للذين اتبعوه:

﴿وجاعل الذين ابتعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة﴾ الفوقية هنا الى يوم

وفيه ٣٣٦ عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليهما السلام قال: إن عيسى وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم إثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً ثم خرج عليهم من عين فى زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال: إن الله أوحى إلى أنه رافعى إليه الساعة ومطهرى من اليهود... وفيه ٣٣٧ بسند عن جعفر عن أبيه عن النبي (ص) قال: لما اجتمعت اليهود على عيسى (ع) ليقتلوه بزعمهم أتاه جبرئيل (ع) فغشاه بجناحه وطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب فى جناح جبرئيل. «اللهم أنى أعودك بإسمك الواحد الأعز وأدعوك اللهم بإسمك الصمد وأدعوك اللهم بإسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم بإسمك الكبير المتعال الذى ثبت أركانك كلها أن تكشف عذى ما أصبحت وأمست فيه، فلما دعا به عيسى (ع) أوحى الله تعالى إلى جبرئيل: ارفعه عندي ثم قال رسول الله (ص) يا بنى عبدالمطلب سلوا ربكم بهؤلاء الكلمات، فوالذى نفسى بيده ما دعا بين عبد بإخلاص دينه إلا اهتزله العرش وإلا قال الله لملائكته: أشهدوا أنى استجبت له بهن وأعطيته سؤله فى عاجل دنياه وأجل آخرته، ثم قال لأصحابه: سلوا بها ولا تستبطنوا الإجابة. وفيه ٣٣٨ عن أبي عبدالله (ع) قال: رفع عيسى بن مريم عليهما السلام بمدرعة صوف من غزل مريم ومن نسج مريم ومن خياطة مريم عليها السلام فلما انتهى إلى السماء نودى: يا عيسى ألق عنك زنية الدنيا.

القيامة قد لا تشمل نفس القيامة فهي - إذاً - فوقيّة تناسب الحياة الدنيا تشريعاً وتكويناً، والأول يحلق على كافة الكرامات والاختصاصات في حقل الأحكام الشرعية، والثاني قد يعنى تفوقاً بالحجة، ثم تفوقاً زمنياً إن قاموا بشروط النصره الربانية.

و ﴿الذين اتبعوك﴾ هم المؤمنون به كما آمن الحواريون، فهم - إذاً - المسيحيون الحقيقيون المتبعون للسيد المسيح عقيدياً وخلقياً وعملياً على مختلف درجاتهم، مادامت رسالته وشرعته محكمة، ولما جاء رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) فهم المسلمون منهم ومن سواهم، حيث الايمان بشرعة القرآن هو من قضايا الايمان بشرعة الإنجيل، وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ﴿إنها لن تبرح عصابة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين على الناس حتى يأتي امر الله وهم على ذلك ثم قرأ هذه الآية﴾.

ذلك وقد تعنى هذه الفوقيّة - بما عنت - فوقيّة المسيحيين الملتزمين، على الكافرين بالمسيح (ع) مهما لم يسلموا، شرط ألا يعاندوا من آمن به المسيح (عليه السلام) وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولقد نرى تفوق المسيحيين على اليهود قبل الإسلام وبعده حتى الآن، مهما اختلقت دويلة العصابات الصهيونية منذ زمن قريب، فانها من عملاء الإستعمار المسيحي.

والنقطة الرئيسية في ذلك التفوق الموعود توفية اجور المؤمنين والعذاب الشديد للكافرين منذ الدنيا الى يوم الدين كما تبين الآيتان التاليتان، المفرعتان هذه التوفية على ذلك التفوق، بما انه من اهم درجاته واعظم مكرماته.

فهذه فوقيّة روحية مضمونة للذين آمنوا وخلافها على الذين كفروا على طول خط الحياة في الأولى والأخرى، وقد تجاويها الفوقيّة الزمنية إن قاموا بشرائط الايمان كمالاً

١ . الدر المنثور ٢ : ٣٧ - أخرج ابن عساكر عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله (ص) يقول: ..

ولم يتركوها هملًا وكما قال الله ﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَ إِن يُقَاتِلْكُمْ يُولَوْكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ حيث المخاطبون هم المعنويون بآيات سابقة في خطابات لتحقيق حيويّات الإيمان .

وأخيراً ف ﴿ العاقبة للمتقين ﴾ وهى الدولة العابة كل الدول بقيادة المهدي من آل محمد (عليهم السلام) كما تعدنا آيات وروايات متواترات.

ومن ناحية أخرى يقرر ربنا سوم العذاب على كفره اليهود على طول خط الحياة: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبِّكَ لِيُبَيِّنَنَّ عَلَيْنَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧:١٦٧).

ويقرر بالنهاية سحقا ماحقا لهم فى تلك الدولة الكريمة : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا ﴾ (٩:١٧).

وقد ﴿ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٣:١٠٩).

ذلك، ولدرجات الايمان مدخل عظيم فى ذلك التفوق فى الأولى والأخرى، فهؤلاء هم فوق الذين كفروا الى يوم القيامة فى ميزان الله، كما انهم كذلك فى واقع الحياة كلما واجهوا معسكر الكفر - بكل حقوله - بحقيقة الايمان، والذين يتبعون محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ مبعثه هم فى الوقت ذاته اتبعوا مواكب الرسل ومنهم المسيح (عليه السلام).

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَخْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٥٦) وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣:٥٧).

هنا الايمان والكفر طليقان، ايماناً بالمسيح وسواه وكفراً به وسواه، وإنما الاصل هو

١ . وهى ألا يطيعوا الكافرين ويعتصموا بالله ويتقوا الله حق تقاته ويعتصموا بحبل الله جميعاً دون تفرق ويكون فيهم أمة داعية إلى الخير أمة تاهية - أماهيه؟

الايمن وعمل الصالحات لتوفية الأجور في الأخرى، ثم الكفر لتوفية العذاب فيها.
 ﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (٥٨)
 ﴿ذَلِكَ﴾ العميق المدى الظاهرة الهدى ﴿تتلوهُ عَلَيْكَ﴾ يا رسول الهدى ﴿من﴾
 الآيات ﴿الباهرة﴾ من كتابات السماء ﴿والذكر الحكيم﴾ وهو القرآن العظيم.
 والآيات هنا تعم الآيات الرسولية والرسالية، تكوينية وتشريعية، ﴿والذكر﴾
 الحكيم ﴿خصوص بعد عموم﴾ يعنى القرآن الكريم فانه راية بين الآيات وهو غاية
 الغايات اذ تحمله خاتمة الرسالات.

الموت نسبياً لا الفوت المطلق

﴿ فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَ أَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ (٨٧:٥٦) ﴾

هل إن الله أقرب الى المحتضر أم أنتم؟ إنه ﴿ أقرب إليه منكم ﴾ بل ومنه أيضاً: قيوماً بحيطه العلم والقدرة ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾: لا رؤية البصر: أنتم ولا أى محتضر، فإن هذا القرب ليس من المبصر، ولا رؤية البصيرة اليقين إلا من المحتضر، آمن أو كفر، إذ يجد نفسه بين يدي من هو أقدر منه وأقرب إليه منه، وأما أنتم الناكرون، الناظرون الى المحتضر فلا تبصرون لا بالبصيرة ولا بالبصر، فهلاً تذكرون من المحتضر أنه على نفسه ليس أقدر من الله وسوف يأتي دوركم على سواء.

وإذ ليس الله أقرب إليه منكم، وأنتم أقرب إليه، وتحبّون حشره ورجعه! ﴿ فلولا... ﴾ ترجعونها ان كنتم صادقين ﴿ في نكران الدينونة الحساب؟

﴿ فلولا... ﴾ ترجعونها ﴿ الروح ﴾ ان كنتم صادقين ﴿ إذ بلغت الحلقوم ﴾: ﴿ إذ بلغت التراقي. وقيل من راق... ﴾ (٢٦:٧٥) ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ الى المحتضر يستغيث بلسان القال أو الحال، وهو ممن يخصصكم، أو ينفعكم رجعه الى الحياة لتجربوا أنكم أنتم السابقون لو تزعمون ﴿ فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾: غير محمولين على مكروه موتاً أو سواه، أو كنتم غير عابدين عاجزين، أو غير مجزيين بأعمالكم ﴿ لولا ﴾ ترجعونها ان كنتم صادقين ﴿: في هذه الدعاوى الزور، وفي عدم دينونة الحساب، فمن يدين بأنه مدين لا يدعى سبقه على رب العالمين في تقدير الموت، فلا يفكر ولا يحاول في رجوع أيا كان، ولكن الذي لا يدين بأنه مدين، لأنه ناكر سبق الله في الحياة والموت وفي تبديل الأمثال بعد الموت، فليدرء الموت وكل سوء عن نفسه وعمن يخصه:

١ . المفردات للراغب، يذكر هذه المعانى الثلاث للمدين.

﴿ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٦٨:٣) ﴿ فَلَوْ لَا تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾؟

فالله هو السابق فى الموت وفى الحياة، فى المبدء والمعاد، وعدله يفرض المعاد الحساب، والجزاء الوفاق.

أضواء فى طيات هذه الآيات:

١ - ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾: فى هذه اللحظة الحاسمة الجاسمة، إذ تولى الروح وراءها الدنيا و تستقبل الاخرى دون أن تملك من أمرها شيئاً إلا ما قدمت من صالحات وأخرت، وقد انفصلت عن حولها وما حولها من مالها ومالها!
٢ - بلوغ الروح التراقى والحلقوم دليل قاطع لامرد له على عدم تجرّدها عن مادة ما، فالمجرد عنها ليس له مكان لا خارج البدن ولا داخله، فأين الروح المجردة فى البدن حتى تبلغ الحلقوم ثم تخرج؟

٣ - يبتدئ خروج الروح من الرجل إلى الحلقوم ومن ثم تخرج، وليس كما يزعم انها تخرج من المخرج، وإلا لم يكن بلوغها الحلقوم حالة للاحتضار.

٤ - ان الله أقرب إلى المحتضر ممن سواه، وأقرب إليه منه نفسه ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (١٦:٥٠) واقع معقول وملموس، وفى حياتنا اليومية، فهو أقرب إلى الكائن - أياً كان - من نفسه: كياناً كوناً وقدرةً وعلماً و عزماً وتصميماً فـ ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ (١١:٥٦).

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤:٨) فإن كنت أنت أقرب إلى نفسك، أو غيرُ الله أياً كان فلماذا تُغلبون فى مصالحهم ولا تُغلبون، كلا! ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾ رغم البصائر المبصرة لكم فأنى تصرفون!

٥ - فالرجع كالبداء بيد الله، يقدر كيف يشاء ويميت ويحيى ثم إليه تُقَلَّبون: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها.. ﴾ (٢٩:٤٢).

حين تنقف قدرة الإنسان - أو أياً كان - وكل محاولاته، يقف علمه وينتهى دوره المختار، فتنفرد القدرة الإلهية وعلمه وأمره ويخلص الأمر كله لله وهنالک يخسر المبطلون ﴿ فَلَوْ لَا تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿ (٥٦:٩٣)

جولة ثانية تختصر الاولى، وتزيد عليها في الجزاء بين الموت والمعاد، فالاولى تستعرض الجزاء منذ القيامة الكبرى: ﴿ فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾.

في هذه الجولة نرى المقربين في مثلث الرحمة، عله الروح والريحان للبرزخ، وطبعاً جنة نعيم وهي الخلد للآخرة كما وان المكذبين الضالين في مثني: ﴿ نزل من حميم ﴾ عليها للبرزخ، و ﴿ تصلية جحيم ﴾ وليست إلا للآخرة ومن ثم لأصحاب اليمين وهم الامة الوسطى بينهما، واحد يعم سلام الإكرام والإنعام، منذ الموت إلى يوم القيام.

وترى ما هما الروح والريحان؟ إن الروح والروح من أصل واحد، ثم اختص الثاني بالنفس، والأول بالنفس المتنفس، يتنفسون بالموت عن خنق ما كانوا وحنقه، ثم يزيدهم رُوحاً وروحاً وريحاناً، وعل الروح هنا رحمة نفسانية روحانية، ونسمة من جنة الرضوان، ونفحة من معرفة الرحمان، ويا لها بوحدتها من روح وريحان، ثم الريحان عطر يعطر المشام، ويذهب بعفونة الأيام.

ثم وما هو ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾؟ عله يوحى بحالة مرضية لهم تطمئن النبي (ص) بسلام له منهم وسلوان، فلا يضطرب بما قد اقترفوه من آثام، فقد حوّلهم من لا سلام الى سلام، إذ كفر عنهم سيئاتهم وأدخلهم مدخلاً كريماً، وبدّل سيئاتهم حسنات فأصبحوا في سلام وسلوان، في رحمة وغفران، فمنهم لك سلام، عطاء من ربك وإنعام: ﴿ وَكَسُوفٌ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾.

١. أمالي الصدوق باسناده إلى موسى بن جعفر بن أبيه الصادق جعفر بن محمد (ع) في حديث: «فأما إن كان من المقربين فروح وريحان» يعني في قبره «وجنة نعيم» يعني في الآخرة.

٢. اصول الكافي وأمالي الصدوق بهذا الاسناد «وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم» يعني في القبر «وتصلية جحيم» يعني في الآخرة.

وترى لماذا ﴿سَلَامٌ﴾ وليس (السلام)؟ قد يكون تنكير السلام له منهم لإثبات أصل السلام، دون أن يناحره شيء من اللاسلام للأدنيين من أصحاب اليمين، الذين قد يذوقوه في فترة البرزخ، ولو زاد ففي بداية القيامة، أم لو زاد فمصيبرهم الأخير الجنة مهما ابتلوا هنا وهناك، إذاً فحالهم مرضية للرسول الشفيح الأمين، وبشفاعته وذويه يخرج غير المخلدين عن الجحيم، وهم أدنى أصحاب اليمين.

ثم الرعيل الأعلى منهم لهم السلام كل السلام دون عذاب ولا بلاء، ثم المتوسطون بين الأولين والآخريين لهم وسط من السلام ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ مهما اعتراهم من غير سلام.

كما وأن روح المقربين وريحانهم وجنتهم النعيم درجات حسب الدرجات، فلأفضل المقربين الرسول محمد(ص) فضله على سواه، لحدّ يحتاجه في الزلّفي من سواه. كما وأن المكذبين الضالين دركات في نُزُلٍ من حميم و تصليه جحيم (حتى انصرف المشيع ورجع المتفجع، اقعده في حفرة نجياً لهته السؤال وعشرة الإمتحان، وأعظم ما هنالك بليّة نزول الجحيم وفورات السعير و غورات الزفير، ولادعة مزيحة، ولاقوة حاجة، ولا موة ناجزة، ولاسنة مسلية بين أطوار الموتات وعذاب الساعات).

ثم تصليّة جحيم هي إيقادها بوقود أجسادهم وأرواحهم الجهنمية: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (١٠:٣) فسائر أهل النار وهم هوامش الضلالة يُحرقون بنارهم كما احترقوا يوم الدنيا، ثم ومنهم من ينجوامع الناجين فيلحق بأصحاب اليمين، ومنهم... ثم لا يبقى في النار إلا الوقود حتى يتم جزاءهم الوفاق، تم تخمد النار ويموت الوقود: المؤبدون، ثم لا يحيون.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٤:٥٦﴾

﴿وَأِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢:٦٩﴾ لا علم اليقين فقط

١ . نهج البلاغة السيد الرضى عن أميرال مؤمنين على (ع)

ولاعين اليقين، وإنما حق اليقين، الذى ليس فوقه يقين، و ﴿هَذَا﴾ هو الله، وهو كتاب الله، وهو يوم الله، لا ريب فى أى من هذا وذاك، فالمقربون لهم فى ذلك حق اليقين، وأصحاب اليمين لهم عين اليقين أو علم اليقين ﴿وَكَانَ لَهُمْ أَنْ يَرَوْهَا قَبْلَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين.

ومهما يتعرض علم اليقين وهو اليقين العلم، للخطأ أو الإهمال فى متطلبات اليقين، أو تخطأ عين اليقين أو تهمل مهما كان أقل خطأ وإهمالاً من علم اليقين، فليس حق اليقين و هو اليقين الحق، الثابت الصامد، مما يخطىء أو يهمل، لأنه واضح، وضح النار وأوضح.

كل من عليها فات

في مثلث الزمان

قبل الآن و الآن و بعد الآن

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَاِنَّ (٢٦) وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (٥٥:٢٨)

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا﴾: من ذوى العقول جنأ و إنساً أمّن ذا وماذا من حيوان و نبات و جماد؟ ﴿مَنْ عَلَيَّهَا﴾ ترى أنهم من على الجوار المسبق ذكرها؟ و الفناء يعمّهم و من لا يركب الجوار! اللهم إلا الأولوية بالفناء فى خصم البحر المتلاطم، إلا أن كلهم لا يفنون عليه إلا قلة، فلا تعنى الفناء هذه إلا عموم الفناء فلا تخص من على الجوار! أم من على الأرض؟^١ ولا يخص الفناء أهل الأرض، ف ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢٨:٨٨) ﴿وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (٣٩:٤٨)! اللهم إلا لأنهم هم المخاطبون، ولا سيما معشر الجن و الإنس، إلا أن خطابات القرآن، غير المختص بالإنس و الجن، تشمل كافة من يصلحون للخطاب من عقلاء الأرض و السماء، أم كل من على الدنيا، الجامعة للأرض و جواربها و مجاربها الجامعة لزيئاتها و شهواتها و رغباتها؟ ﴿وَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ و من ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا﴾ (١٠:٧) قد يكونون هم المعنيين أجمع، أو هم من المعنيين، فغيرهم من المتقين المتبنين الحياة على مرضاة الله، مطمئنين بالله لاسواه، عائشين مع الله لاسواه، إنهم باقون مع الله لا يفنون، و قد توحى له ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ لا ﴿رَبِّكَ﴾ ولا ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ ولا ﴿اللَّهُ﴾ فلا تعنى البقاء بين الفانين هنا ذات الله فقط، وإنما الربانيون أيضاً، المخصوصون بربوبيته و كرامته، و كما اضيف الرب الى أخصهم و أكرمهم ﴿رَبِّكَ﴾: فإنه الرسول الأقدس (ص) أول العابدين، و آخر المرسلين.

فأهل الله العارفون بالله، الباغون مرضاة الله، هؤلاء هم الباقون مابقى الدهر، أعيانهم

١ . القمى فى تفسيره قال قال من على وجه الأرض.

مفقودة و أمثالهم في القلوب موجودة، وأهل اللهو هم الفانون الهالكون، وهم أحياء يمشون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

فليس وجه الرب وجهاً عضوياً لذاته المقدسة، فلا أحد يقول به، ولا من المشبهة المجسمة، الذين يثبتون لله سبحانه أبعاضاً مؤلفة، وأعضاء مصرفة: أن وجه الله هكذا يبقى، وسائرته يبطل ويفنى، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ثم الوجه الجسد انى ليس ذا الجلال ولا الإكرام، لأنه دليل فان كسائر الأعضاء، ومهان دان كسائر من عليها!.

وإنما ﴿وجهِ رَبِّكَ﴾ جهة الربوبية ووجهتها، الظاهرة في الربوبين والربانيين، الباهرة في أولياء الله المكرمين، فإنها باقية بقاء الله وهم عند الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ (٢٠٦:٧) فالذين هم عند الله، وليسوا عند أنفسهم ورغباتهم، وإنما عند ربك، تحت ظلّه وفي رعايته، إنهم باقون قدر ما هم عند ربك، وفانون قدر ما هم عند أنفسهم: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (٩٦:١٦) ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦:٤٢) ﴿وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٢٠:٧٣).

فهنا آيتا الفناء والهلاک تتجاوبان، أن الفناء لمن عليها: ضمير تأنيث تضرر الكائنات كل الكائنات إلا وجه ربك، والهلاک يشمل كل شيء إلا وجهه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فلا باقى إلا وجه الله: ذاته بربوبيته: الكائنة من ذاته، والكامنة في البعض من مخلوقاته، ربوبية رحيمية روحانية، الذين يتوجه بهم إلى الله، وتتواجد فيهم مرضات الله وتربياته، لآذاته وصفاته! فهم - إذا - ﴿أَنْبِيَاءَهُ وَحُجَّجَهُ الَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى اللَّهِ عِزُّوهُ﴾ (١٠٠:١٠) ﴿إِذَا أُنْفِثَ الْبُيُوتُ إِلَى اللَّهِ عِزُّوهُ﴾ (١٠٠:١٠) ﴿إِذَا أُنْفِثَ الْبُيُوتُ إِلَى اللَّهِ عِزُّوهُ﴾ (١٠٠:١٠).

١ . عيون أخبار الرضا (ع) في باب ما جاء عن الرضا (ع) يسأل عن الخبر الذي رواه: أن ثواب لا إله إلا الله النظر الي وجه الله تعالى؟ فقال: من وصف الله عزوجل بوجهه كالوجه فقد كفر، ولكن وجهه الله أنبياءه... وقال عزوجل «كل من عليها فان». ويدقني وجه ربك ذوالجلال والاکرام» وقال عزوجل: «كل شيء هالك إلا وجهه» فالنظر الي أنبياء الله تعالى ورسوله

أفنى الصور والهجاء، لا ينقطع ولا يزال من لم يزل عالماً ﴿١﴾ بالله، عائشاً مع الله: ﴿٢﴾ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿٣﴾ (٦٨:٣٩) فهم ممن شاء الله بقاءهم، ولم يرضَ فناءهم لأنهم منه! ف (إنما يهلك من ليس منه).
فليس الفناء - إذاً - مستقبلاً: يوم القيامة، بل ﴿٤﴾ كل من عليها فان ﴿٥﴾ في أى زمان أو مكان وبأى كيان، منذ الخلق حتى الفناء ويوم الإحياء مرة أخرى لأنهم ليسوا منه، ﴿٦﴾ ويبقى وجه ربك ﴿٧﴾: ما يتوجه به إلى الله: ذوات قديسة ربانية، فهم باقون، لأنهم منه، وهم عند الله ﴿٨﴾ وما عند الله يبقى ﴿٩﴾!.

وفى وجهه تعالى وجوه عدة، معروفة من قرائنها المقرونة بها: من الوجهة سمتاً للاتجاه: ﴿١٠﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴿١١﴾ (٢٧٢:٢). ومن وجه الربوبية كما هنا، والوجه هو ما يواجه به الشيء ويواجه به الشيء، فإذا أصبح المتوجه إلى الله، يواجه معرفته ومرضاته بكيانه كله، أصبح كله وجهاً لله، وواجهه الله بخاصة رحماته ومكرماته، وجهاً بوجهه، فكما أنه أصبح وجهاً لله، يكون الله له وجهاً يواجهه برحمته وحنانه.

ووجه الرب هذا، هو ذوالجلال، لأنه من ذى الجلال، وهو ذو الأكرام، فانه تعالى يكرم المتوجهين إليه، العائشين مرضاته، فبقاء وجه الرب من أعظم آلاءه، وفناء سائر الوجوه على بعض الوجوه كذلك من آلاءه، ان كان فناء الكون، أو فناء الكيان، بصر أو باختيار، فلولا الفناء الموت لم تعرف قيمة الحياة، ولازاد الطائشون طيشاً، ولولا الفناء

وحججه (ع) فى درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبى (ص) «من أبغض أهل بيتى وعترتى لم يرنى ولم أره يوم القيامة»، وفى تفسير القمى عن على بن الحسين عليه السلام «نحن الوجه الذى يؤتى الله منه».

١ . الاحتجاج الطبرسى عن أمير المؤمنين (ع) حديث طويل وفيه: وأما قوله: «كل شيء هالك إلا وجهه» فالمراد: كل شيء هالك إلا دينه، لأن من المحال أن يهلك الله كل شيء ويبقى الوجه، هو أجل وأعظم من ذلك، وإنما يهلك من ليس منه، ألا ترى أنه قال: «كل من عليها فإن. ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام» ففصل بين خلقه ووجهه.

في الله لم يكن بقاء بالله، ولولا فناء مَنْ عليها، المطمئنين بالحياة الدنيا، الراضين عنها، لم يكن لبقاء وجه الله من جلال ولا إكرام، مهما كان الفناء الأخير من بلاءه دون آلاءه، ولكنها من وجهة أخرى من آلاءه، لمن جانبها، فالفناء دركات ودرجات، والبقاء بالله درجات ﴿فَبَأَى آلاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾؟!.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) ﴿فَبَأَى آلاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٣٠:٥٥).

السؤال هو الحاجة التي تحرص النفس عليها، فالسؤال التماسها ممن يستجيبها، سواء أكان بلسان الذات، فالممكنات كلها فقيرة الذات إلى الله، أم بلسان الصفات فكذلك الأمر، أم بلسان الحال، فكل تشهد أن كونها في مثلث الكيان دون سؤال، ودون إجابة، إنه من المحال، أم بلسان المقال، فقد يجاب إذا توفرت شروط الإجابة، وقد لا يجاب إذا لم تتوفر: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (٣٤:١٤) لا ﴿كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ فالأسئلة الحالية والذاتية والصفاتية مستجابة على أية حال، ولو لم يخطر للسائل ببال، كمن لا يعرفون الله، أو لا يوحدونه، أو الغافلون عنه، أو الذين قد يسألون ما يضرهم، وقد لا يسألون ما ينفعهم، فهو يعطيهم ما يصلحهم استجابة لمثلث السؤال بلا إراك للسائل فيه ولا مقال، فهو وحده المجيب، وسائله لا يخيب، وما سأل أحد غير الله، إلا حرم سؤله عند الله، وماذا يملك من دون الله، حتى يسألونهم من دون الله؟!.

﴿يسأله من﴾ فماذا يسألونه؟ ومتى؟ وما هو دليل الإجابة وليست في الآية؟ ومن هم السائلون؟

إن السؤال لا يختص كائناً دون سواه، إن كان يشمل كافة الطلبات والحاجات، وقد جرى هنا بـ ﴿مَنْ﴾ إما تدليلاً على أن الكائن أياً كان لا يخلوا عن شعور، كيف لاو: ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١٧:٤٤) أو أن ﴿مَنْ﴾ لتشريف الكائنات العاقلة - كالملائكة والإنس والجان - على سواها.

ثم وكلُّ يسأل ما يحتاجه ويصلحه هو أو سواه أيضاً، وإلا فلا إجابة. وقد يسأل أهل السماوات - فيما يسألون - لأهل الأرض، من الجنة والناس، وإلا

لم يكن في سؤالهم آلاء للانس والجان، فلم يصح عليهما فيه الامتنان، وممن نعرفهم في أهل السماوات، السائلين لأهل الأرض والملائكة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥:٤٢) ﴿...للذين آمنوا﴾ (٧٠:٤٠) ومن بين السائلين من لا يسأله أمراً سواه، فالعارف لا يسأله إلا إياه ليزداد معرفة بالله، فكل يسأل على حد شاكلته ومعرفته مناه: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وبما أن الأسئلة هذه منوطة بيوم الدنيا، فلا إجابة يوم الآخرة إلا بما قدمت كل نفس في الاولى، فهم يجازون هنالك دون سؤال، وإنما حسب الأقوال فالأحوال فالأعمال، فالسؤال إذاً يختص هنا: ﴿كل يوم هو في شأن﴾: شأن الإجابة وسواها من شؤون الربوبية للاولى دون الاخرى: ﴿من إحداث بديع لم يكن﴾^١ فإنه بديع في شأنه خلقاً وأفعالاً على غير مثال واحتذاء أمثال، إنما يبدع بدعاً: ﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١١٧:٢) دون حاجة إلى زمن، أو استعانة بمثال سابق. ثم ﴿ومن شأنه أن يعفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويوضع آخرين ويجيب داعياً﴾^٢ أو أن يفعل ما يشاء عدلاً أو فضلاً، ولا يشغله شأن عن شأن: شأن الرحمة الرحمانية والرحيمية.

﴿يسأله.. كل يوم..﴾ هل هو كل نهار؟ أم هو ليلته؟ أم ماذا؟

إنه كل آن: كل وحدة زمنية عن كل وحدة حركية، لأصغر ذرة من مادة، علها أقل بكثير من الوحدة الالكترونية ١/٥٠٠٠٠ ثانية في حسابنا، فكل يوم هنا هو كل وحدة زمنية لا تنقسم.^٣

١ . اصول الكافي عن أمير المؤمنين (ع) في خطبة له «الحمد لله الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه لأنه كل يوم في شأن من احداث بديع لم يكن.»
٢ . الدر المنثور ٦: ١٤٦، أخرجه الحفاظ عن أبي الدرداء عن النبي (ص) في آية الشأن.
٣ . لقد تجدثنا عن معني «يوم» في عدة مجالات، أنه الزمان أياً كان، ويتبع القرائن في تحديده، فشأن الخلق والتدبير يشمل أقل وحدة زمنية، لأنه من أمر الله «وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر» «أو هو أقرب» ومن الأقرب أدنى حركة لأصغر مادة، لم نعرفها حتى الآن.

ولا يعنى السؤال والإجابة في كل يوم، أن الله تعالى: المسؤول المجيب - هو أيضاً بذاته في كل يوم، وإنما الزمان والمكان ظرف فعله، لاذاته، فقد ﴿كان إذ لا كان﴾ ولا زمان ولا مكان، و يبقى ويكون إذ يفنى كل ﴿كان﴾ و كل زمان ومكان، وهو الآن كما سيكون وكما كان، خارجاً عن الزمان والمكان، فلا يشمله زمان ولا مكان، كما لا يشغله شأن عن شأن.

ثم السؤال هذا في موقف الإمتنان هو دليل الإجابة وإلا فلا إمتنان. وأخيراً للشأن هنا وجهتان: للأولى، كما ﴿يسأله﴾ (فيها) من في السماوات ومن في الأرض كل يوم هو في شأن... وللأخرى، أو هو أشمل هو شأن الربوبية الشاملة كل شيء، في أى زمان أو مكان، تجريداً للآخرى عن السؤال: ﴿كل يوم﴾ كما كان في الأولى، مع سؤال ﴿كل يوم﴾.

ف ﴿كل يوم﴾: أن هو واحد الزمان - فضلاً عما زاد - هو في شأن غير ما كان في غيره، فلا تكرر في فعله، ولا عادة ولا تقليد، ولا مسaire أو تسيير، وإنما اختياراً وإبداعاً، فليس الله ليبقى دون شأن، لا تنقطع رحمته ما كان هنا لك مرحوم، ﴿فقد كان إذ لا كان﴾ فكان شأنه إذ ذاك ما كان، ثم لا يخلوا أى يوم - منذ الخلقه - من شأنه أياً كان.

فلله تعالى، شأنه يوم الدنيا ويوم الدين، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يتبع أهواء خلقه في أى من شأنه ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (١٧:٢٣) وإنما يحكم ما يشاء كما يشاء و يفعل ما يريد كما يريد: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (٢٣:٢١).

ففى سماحهم لسؤاله تعالى آلاء، وإجابته ما يصلح من سؤال آلاء، ولرجوع الرحمتين إلى الانس والجان آلاء ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) ﴿فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢:٥٥)

إنه تعالى ليس له هكذا شأن في اليوم العصيب، والهول الرهيب، وإنما شأنه الفراغ للانس والجان، للمسائلة الحساب، ومن ثم الثواب والعقاب.

وترى إذا لم يفرغ للتقلين عن الحساب، أو يخطأ فى الحساب، ولا يشغله شأن عن

شأن؟

الجواب: أن فراغه للحساب حقيقة ومبالغة، حقيقة لأنه فرغ عن شأن النشأة الأولى لشأن الأخرى وليس إلا الحساب وما يخلفه، ومبالغة إذ يعنى: سنعيد لكم ونفعل فعل من يتفرغ للعمل من غير تفجيع فيه ولا اشتغال بغيره عنه، فالعامد لشيء مع غيره ربما قصر فيه أو أخطأ، والفارغ له لا يقصر ولا يخطأ، فقد دللنا هنا بذلك على المبالغة للمسائلة الحساب - دون عذوب عنه ولا نقصان أو نسيان - من الجهة التي نتعودها، ليقع الزجر بأبلغ الألفاظ وأدلّ الكلام على معنى الإيعاد تقريباً للتصور عن صورة مذهلة مزلزلة للعذاب، تسحق كيان مصورها سحقاً، وتمحقه محققاً، كيف أن الذى لا يشغله شأن عن شأن، سيفرغ لكم أيها الثقلان؟!

والثقلان هما الانس والجنان من الثقل: الثقل، مما يوحى أنهما الأفضلان وإن فى الأرض فقط، أو العبء فهما المثقلان الوزران فقط بين المكلفين^١ ولذلك يفرغ لهما لا سواهما، فالثقل والفراغ يوحيان أنهما اللذان يدور عليهما رحى التكليف، والحساب الثواب والعقاب، وإن كان معهما غيرهما من المكلفين المحشورين، من أعلاهم غير المعروفين، وأدناهم فيمن نعرف من سائر الدواب: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨:٤).

فحساب غير الثقلين ليس فى الفراغ، مهما كان لهم حساب، لتفاهة التكليف وخفته، أو خفة العصيان وقلته، وأما الثقلان فهما المثقلان تكليفاً ووبالاً، كما هما المثقلان ثواباً وكمالاً، ثم الفراغ للحساب الجزاء من آلاء الرب للمؤمنين إذ يُنتصر لهم يوم الدين من الظالمين، ويثابون هناك على ما عملوا يوم الدنيا، نعمتان لهم، ونقمتان لمن سواهم من

١ . ومما يشهد له ما تواتر عن الرسول (ص) «إني تارك فيكم الثقلين»: أي العظيمين «كتاب الله وعتري» فليكن الانس والجنان أيضاً ثقلين بين سائر الخليقة .
٢ . تفسير روح البيان ج ٩ ص ٣٠١ قال الصادق (ع) . .
لأنهما يتقلان بالذنوب .
٣ . راجع ج ١ من الجزء ٣٠ ص ١٤٣ - ١٤٦ فى حشر الحيوان .

الظالمين، فالفراغ للحساب لهم من الآلاء وللظالمين بلاء: (فبأى آلاء ربكما تكذبان).

قولة هرية في انحصار الحياة بالدنيا

و

قول فضل في لقاءات الله

﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢٩:٤)

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢٤:٤٥) - ﴿ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٣٧:٢٣).

لقد تحدثنا عن الآيتين الأخيرين في مجالتهما بما يحلق على الآيات الثلاث فلا نعيد، إلا أن آية الجاثية هي الوحيدة بين هذه الثلاث وبين سائر الآيات التي تتحدث عن حصر الحياة في هذه الأدنى، وحيدة في استعراض مذهب الماديين الناكرين لأصل المبدء، وهم أنحس وأركس من المشركين.

ذلك! ولكن الحياة في العقلية والتصور الإسلامي السامي تمتد طويلاً في الزمان وعرضاً في الآفاق وعمقاً في العوالم وتنوعاً في الحقيقة، دون أن تقف في حيوتها الدانية الفانية كما يتقوله الماديون والمشركون وأضرابهم.

صحيح أن المسلكين مشتركين في نكران المعاد، وبذلك هما مشتركين في نحوسة العقيدة ويوستها، ولكن الأكثرية الساحقة - في ثاني المسلكين في الطول التاريخي - التي جعلت مصب التنديد والاعتراض في كثير من الآيات هم المشركون.

أو يقال إن الإشراك بالله مع الإعتراف به هو - في واجهة - أنحس من نكران وجود الله، لأنه تسوية بين الله وخلق، بل وتفضيل له عليه تعالى في واقع الحياة العقيدية والعملية، مهما كان نكران جوده تعالى أنحس من واجهة أخرى.

ذلك، وفي الحق إن تصور اختصاص الحياة بهذه القصيرة الدانية، يستحيل أن تنشأ في ظل حياة إنسانية رفيعة كريمة.

فهذه الآفاق الضيقة في كل أمادها وأبعادها - هنا - التي تلصق الإنسان وتخلده إلى الأرض، اختصاصاً لتصوره بالمحسوس منها كالبهيمة المربوطة همها علفها أو

المرسلة شغلها تقممها، وهذه الرقعة الأرضية الضيقة زماناً ومكاناً التي تطلق السّعار البهيمي في النفس و التكالب على المُتَع المحدودة والعبودية لها، كما تطلق الشهوات من عقالها، تعربد وحدها بلا كايح ولا هدنة ولا أمل في تعريض، وهذه الأنظمة المادية الحيوانية التي تنشأ في الأرض منظوراً فيها إلى هذه الحياة القصيرة القاصرة الحيوانية، بتصارع الطبقات والأجناس، انطلاقاً في الغابة كالوحش والغيلان كما نشهده اليوم في الحياة الراقية المتحضرة للجاهلية الحاضرة.

هذه وتلك كان الله يعلمها كلها، ولذلك يؤكد مراراً وتكراراً على مستقبل الحياة الخالدة للإنسان كافة. ليأخذوا حذرهم عن الحياة الدنيا ومتاعهم منها للأخرى. هذه واجهتهم الجاهلة القاحلة في حياة الغفلة والنشوز، ومن ثم واجهت تضادهم يوم النشور:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠:٦)

هناك ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ﴾ في دار القرار بعدما استغفلوا عنها في دار الفرار، وهنا ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وقوفاً على حقه ربوبيته التي قضيتها الضرورية عدلاً وفضلاً ورحمةً منه إرسال الرسل وإنزال الكتب وإقامة يوم الحساب.

﴿وقفوا على ربهم﴾ شاءوا أم أبوا ولات حين فرار أو إنكار، بعد ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم الدنيا وهم منكرون، وأين وقوف من وقوف؟!.

والوقوف على الرب وقوفاً على ربوبيته هو من لقاء الله، فهو يوم الدنيا فرض هيباً الله أسبابه، ثم هو يوم الأخرى لامردّ عنه، ولكنه باستثناء القرب الزلفى، حيث الكافر - هناك - بعيد عن الله كما هنا، والمؤمن قريب إليه هناك كما هنا، وفيه مزيد و كما وعد ﴿ولدينا مزيد﴾.

﴿... أليس هذا بالحق﴾؟ وقد وقفتم الآن عليه، وكنتم واقفين من ذى قبل ولكنكم كذبتهم به جاحدين: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾.

﴿قالوا بلى وربنا﴾ الذي وقفنا عليه الآن مهما كنا به كافرين ﴿قال فذوقوا

العذاب بما كنتم تكفرون ﴿١﴾.

ذلك وليس الوقوف على الرب هنا أو هناك حيطة عليه علمية و معرفية فضلاً عن الحسية، إنما هو الوقوف على ربوبيته قدر المستطاع هناك، كما هو المفروض هنا، فمعرفة الله وعبادته والزلفى إليه كلها وقوف على الرب دون إيقاف على حيطة ما في أى حقل من حقولها، ف لا يحيطون به علماء ﴿٢﴾ و لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴿٣﴾.

ومهما كان الوقوف على الرب بربوية التكليف والجزاء هنا فى غطاء و غشاء، فليس للوقوف عليه هناك غشاء و غطاء ﴿٤﴾ فبصرک اليوم حديد ﴿٥﴾.

وهناك مصب الوقوف على ربهم هو ربوية الجزاء، كما تلمح لها ﴿٦﴾ أليس هذا بالحق ﴿٧﴾.

وترى كيف يكلمهم الله هناك: أليس هذا بالحق؟ ﴿٨﴾ لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴿٩﴾ (١٧٤:٢)؟!.

التكليم الربانى المنفى هو الذى فيه تزكية لهم ورحمة وهو من ثوابهم وزلفاهم، وأما تكليم التنديد وهو من عذابهم فهو وارد ورد العذاب الشديد.

﴿١٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿١١﴾ (٣١:٦)

هنا وفى عديده أخرى ﴿١٢﴾ لقاء الله ﴿١٣﴾ وهناك فى أخرى ﴿١٤﴾ لقاء الرب ﴿١٥﴾ وطبعاً كما هما مشتركان فى أصل المعنى من اللقاء قد يختلفان فى قسم من حواياه وزواياه وبينهما عموم مطلق.١

ومن الضروري فى هذا البين أن لقاء ذاته تعالى مسلوب على الإطلاق إذ لا حد له

١ . من لقاء الله الوقوف على الرب بربوبيته وقوفاً معرفياً قدر الامكان وكما تدل عليها الآيات آفاقية وأنفسية، وقد يلاقي الله بألوهيته دون ربوبيته ولكن لقاء ربوبيته يلزم لقاء ألوهيته من ذى قبل.

ولا زمان ولا مكان ولا حلول ولا اتحاد في الذات، فلقاءه لنا معرفياً بمعنى إدراكه والحيطة العلمية أو المعرفية به، إنه مستحيل حيث المحدود لن يحيط باللاً محدود بأية حيطة.

ثم اللقاء الممكن والمفروض هو بين لقاءنا إياه و لقاءه إيانا، وقد يتحملهما لقاء الله و لقاء الرب في وجهي الإضافة إلى المفعول والفاعل، أننا نلاقيه وهو يلاقينا. فلقاءه خلقه ككل في واجهة العلم والقدرة والرحمة الرحمانية العامة هو لزام الخلق وهو معكم في هذا المثلث أينما كنتم ولا يعني لقاءهم بذاته في زمان أو امكان أو أيّاً كان حيث لا يحويه زمان ولا مكان، فالمعية في لقاءه خلقه لاتعنى إلا القيومية بكل قواماتها.

ولقاء خلقه إياه في كل ما لديهم فقراً ذاتياً وأفعالياً وصفاتياً إليه - كذلك - لزام كيانا، فإنهم متعلقون بالله تعلق اللاشي بكل شيء، فلنا أن نلاقيه معرفياً فعبودياً فزلفى فتواباً آجلاً وعاجلاً، فطرياً وعقلياً وعلمياً وشرعياً.

ثم هناك لقاء له إيانا بربوبية التكليف هنا في شرائعه، وبربوبية الجزاء هناك بالحساب والثواب والعقاب، و لقاء لنا إياه فيهما حيث نرّبى بهما.

ولقاء له آخر - على ضوء ربوبية التكليف - إيانا، أن يقربنا إليه زلفى معرفياً وعبودياً، ثم جزاء لنا وفاق ولديه هناك معرفياً وثواباً، وهذا على قدر لقاءنا إياه وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

والتكذيب بلقاء الله يعم كل هذه اللقاءات في مثلث النشآت، فمن مكذب بلقاء الله، نكراناً لألوهيته كما الدهريون، أو مكذب بلقاء الرب نكراناً لربوبيته الوحيدة تكليفاً وجزاءً وهم المشركون، وثالث يكذب بأن عبادته وحده على معرفته ومعرفته على عبادته تسبب لقاءه معرفياً هنا زلفى، وثواباً في كل جنباته في الأخرى.

فهذه قيلة عليلة أن معرفة الله مستحيلة، فالإقرار به مستحيل فضلاً عن عبوديته، فكيف يصدق من لا يعرف، وكيف يُعبد من لا يصدق بما لا يُعرف؟

حيث المعرفة المنفية هي المنهية المفوضة، والمعرفة المثبة الممكنة للخلق على

مراتبهم، هي مفروضة، ولا نصيب لنا في معرفته إلا جانب السلب مع إثبات الأصل أنه: موجود لا كوجوداتنا، قادر لا كقدراتنا...

ثم ﴿لقاء الله﴾ هو لقاءه إيانا ولقاءنا إياه في ألوهيته، و ﴿لقاء الرب﴾ هو اللقاء في ربوبيته، ولأن ألوهيته وربوبيته فرقدان لا يتفاصلان، فنكران كل هو كنكران الآخر، فالناكر لربوبيته ناكر لألوهيته، كما الناكر لألوهيته هو - طبعاً و بأولى - ناكر لربوبيته.

تقوى الله هنا سبب صالح للقاءه تعالى برحمته الخاصة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢:٢٢٣) لقاء في الدارين: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١:١٨).

وآيات لقاء الله ولقاء الرب - التي تعنى كأصل لقاء يوم الله ويوم الرب، مهما عنت اللقاء بضمنه - كثيرة منبئة في سائر القرآن سيراً أدبياً مزيجاً، ومن أبرزها: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ (٥:٢٩).

وليس رجاء ذلك اللقاء إلا بواقع اللقاء يوم الدنيا في كل حلقاته المستطاعة، وبين اللقائين عقيدياً عموم مطلق، فالراجي لقاء الله في الأخرى محقق لقاءه في الأولى، وليس كل محقق لقاءه في الأولى راجياً لقاءه في الأخرى، كالذين لا يؤمنون باليوم الآخر من موحدین ومشرکین، فإنما اللقاء الصالح هنا يخلف رجاء اللقاء قدره هناك. فمن حظى حظوة لقاءه تعالى رباً في الأولى فقد رجاى لقاءه رباً في الأخرى ولكن ملاقيه إلهاً - فقط - لا رباً كما يحق، قد لا يرجوا لقاءه هناك رباً وهؤلاء كثير: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (٨:٣٠) - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (٥٤:٤١) إنما لقاءه تعالى في الأخرى هو قدر لقاءه في الأولى اللهم إلا في الثواب فإنه قضية فضل الله.

ف ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ في أية دركة من دركات تكذيبهم، ولا سيما لقاء ربوبيته يوم الجزاء مهما اعتقدوا في وحدته إلهياً وربوبياً، فضلاً عما أنكروه

من ملحدين ومشركين ❀ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً ۖ إِذِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ (١٨٧:٧) ولكن اين بغتة عامة تحلق على فريقى الإيمان والكفر، وبغتة خاصة لمن ينكرونها، فهي - إذا - لهم مباغتة مضاعفة.

ذلك فغير المؤمنين ككل يشملهم التنديد المديد فى ❀ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ۗ فالمادى ناكر لقاءه نكراناً لكونه، إستبدالاً للمادة بالله، والمشرك ناكر لقاءه كما هو واحد لا شريك له، كما هما ناكران لوحيه الرسالى وليوم الجزاء، والكتابى المنحرف عن توحيده أو وحيه أو جزاءه هو ثالث ثلاثة، فنكران كل لقاء لله وللرب فيما يجب أو يجوز خسران، وتصديقه نفع وإيمان، والمحور الأصيل الذى ليس له بديل فى واجب اللقاء هو حياة الحساب يوم الحساب.

❀ قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ۗ تقصيراً فى الإعتقاد بها فقصرنا - إذا - فى سائر عقائدنا وأعمالنا، وقدير جمع ضمير التأنيث - إضافة إلى الساعة - إلى الدنيا حيث فرطوا فيها بجنب الله، إذ لم يتزودوا فى ساعة الدنيا لساعة لقاء الله برزخاً وللأخرى.

❀ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ۗ أنفسهم حيث ❀ لا تزر وازرة وزر أخرى ۗ ❀ ألا ساء ما يزرون ۗ تقصيراً فى يوم لقاء الله، وهم فى حملهم أوزارهم كالدواب الموقرة بالأحمال وأضل سبيلاً، فإن حمل الدواب هو لصالحتها وصالح أصحابها، وحمل هؤلاء طالح لطالح حالهم ومآلهم.

وهنا ❀ يا حسرتنا ۗ بما يرون من منازل الثواب والعقاب، لاسيما على حد المروى عن الرسول (ص): ❀ الحسرة أن يرى أهل النار منازلهم من الجنة فى الجنة فتلك الحسرة ۗ!

ذلك والحسرة يومئذٍ تحيط بأهلها لحد سمي ذلك اليوم يوم الحسرة: ❀ وَأَنْذَرُكُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ (٣٩:١٩) - ❀ وَاتَّبِعُوا

١ . الدر المنثور ٣ : ٩ - اخرج جماعة بسند صحيح عن ابى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ص) : ...

أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)
 أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾
 (٥٦:٣٩) ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾
 (١٦٧:٢) وترى ﴿لقاء الله﴾ هنا هو فقط لقاء الآخرة؟ فماذا تعنى ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ وهم لا يكذبون به فى البرزخ!

إنه لقاء الله يومى الجزاء، فـ ﴿حتى﴾ لمن هو حى عند قيام الساعة هى منتهى الغاية لتكذيبهم أولاً، ولمن هو ميت قبله فالموت هو منتهى غايتهم. فقد ﴿كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ ساعة الموت وساعة القيامة.

ولكن الحسرة الحاسرة الأصيلة الحاصرة هى التى تحصل لأهلها يوم الآخرة حيث ﴿يجزاه الجزاء الأوفى﴾ ذلك!:
 ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢٣:٦)

﴿وما الحياة الدنيا﴾ - وهى الدانية دنيئة ودنواً - حياة ﴿إلا لعب﴾ هو للطفولة ﴿ولهو﴾ هو لأشبه الطفولة وأضل سبيلاً حيث يلتهون بها عما يعنى إنسانياً وإيمانياً ﴿والدار الآخرة خير﴾ من الدنيا، لمن؟ ﴿للذين يتقون﴾ دون الذين يطغون، فان الدنيا خير لهم من الآخرة، فالدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر ﴿أفلا تعقلون﴾ أخذاً لهذه الحقائق المعقولة، لأن عقولكم معقولة بعقالات الهوى.

وترى الحياة الدنيا - وهى مدرسة الصالحين ومبعثة المرسلين - هى - فقط - لعب ولهو، فأين يحصل - إذاً - ثواب الله ليوم الآخرة لولا الحياة الدنيا؟. هذه الحياة لها واجهتان اثنتان، دنى دنيئة هى للذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، ودنى عالية هى للمطمئنة نفوسهم بالله، فالدنيا لهم مدرسة ومكرسة ومزرعة للآخرة، فالمؤمن دنياه آخرة لأنها مزرعة الآخرة، والكافر آخرته دنياً، لأن دنياه مزرعة الآخرة.

إذا فدنيا المتقين هى الحياة الأدنى دنوا إليهم، وهى نفس الوقت لهم حياة عالية تتلوها أخرى هى العليا، ودنيا الطاغين هى الحياة الدنيا إذ يخسرون فيها أنفسهم ويخسرون الآخرة وهى لهم أخرى.

ذلك ولأن النتيجة الحسنى خير من الأعمال المنتجة لها، ف ﴿لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ و ﴿خَيْرٌ﴾ هنا - كضابطة - أفعال تفضيل، فلو لم تكن الحياة الدنيا لهم فضيلة لم كانت الآخرة لهم الفضلى.

فإن ﴿أهل الدنيا ركبتهم وعبدهم فتدللوا لسلطانهم فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، ولكن أهل الآخرة ركبوا الدنيا وعبدها فتذلت لسلطانهم استعبدت لهم فربحوا الدنيا والآخرة:﴾ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ (١٠٤:١٨).

فالدنيا - إذا - محظورة ومحبورة، من أبصر بها بصرتة، ومن أبصر إليها أعمته.^٢ فقد يسمع الامام على (ع) رجلاً يذم الدنيا، فيقول له: (أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغتر بالدنيا ثم تذمها؟ أنت المتجرم عليها أم هى المتجرمة عليك؟ متى إستهوتك أم متى غرتك؟ أمصارع آباءك من البلى، أم مضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك؟ وكم مرضت بيديك؟ تبغى لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، غداة لا يغنى عنهم دواؤك، ولا يجدى لهم بكاءك، لم ينفع أحدهم إشفاقك، ولم تسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع عنه بقوتك، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك).

﴿إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحبب الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحى الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها، ونادت بفرافها، ونعت نفسها وأهلها، فمثلت لهم ببلاءها البلاء، وشوقتهم بسرورها

١ . نهج البلاغة ١٣١ ج / ٥٩٠ .
٢ . هذا من كلمات الامام على أمير المؤمنين (ع) .

إلى السرور، راحت بعافية، وابتكرت بفجيعة، ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمها رجال غداة الندامة، وحمدوا آخرون يوم القيامة، ذكّرتهم فتذكروا، وحدثتهم فصدقوا، ووعظتهم فاتعظوا ﴿٢١٤﴾.

وله من ذمّ الدنيا بما يعاملها أهلها قوله عليه السلام: ﴿٢١٤﴾ أما بعد فإنني أحذركم الدنيا فانها حلوة خَضِرَةٌ، حفت بالشهوات، وتحببت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزينت بالغرور، لا تدوم حَبْرُتُهَا، ولا تؤتمن فجعتها، غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكالة غوالة، لا تعدوا إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله تعالى سبحانه: ﴿٢١٤﴾ كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴿٢١٤﴾ لم يكن امرءٌ منها في حيرةٍ إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق في سرائها بطناً إلا منحته من ضراءها ظهراً، ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هتنت عليه مُزنة بلاء، وحرى إذا أصبحت له متنصرة ان تسمى له متنكرة، وإن جانب منها إعدوذب واحلولى امرءٌ منها جانب فأوبى، لا ينال امرؤٌ من غضارتها رغباً إلا أرهفته من نوائبها تعباً، ولا يُمسي منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف، غرارة غرورٌ ما فيها، فانية فان من عليها، لاخير في شيء من أزوادها إلا التقوى، من أقل منها استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته، وذى طمأنينة إليها قد صرعته، وذى أبهة قد جعلته حقيراً، وذى نخوة قد رده ذليلاً، سلطانها دُولٌ، وعيشتها رَتَقٌ، وعذبها أجاج، وحلوها صر، وغذائها سهام، وأسبابها رمام، حيثها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وموقورها منكوب، وجارها محروب ﴿٢١٤﴾ (الخطبة ١٠٩ / ٢١٤).

﴿٢١٤﴾ أيها الناس إنما انتم في هذه الدنيا غرض تنتصل فيه المنايا، مع كل جُرعة شَرَق، وفي كل أكلة غَصص، لاتنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر معمر منكم يوماً من عُمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد وله زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يُحيا له أثر إلا مات له أثر، ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له

جديد، ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة، وقد مضت أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ﴿ (الخطبة ١٤٣/٢٥٦) .

وحين يقال له: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ يقول: ﴿ كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمته ﴿ (٥٨٦/٦١٥) .

و ﴿ لا ينبغي للعبد أن يتق بخصلتين: العافية والغنى، بينا تراه معافاً إذ سقم وبيننا تراه غنياً إذا افتقر ﴿ (٤٥٣/٢٤٢٦) .

﴿ ولبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، ومما لك عند الله عوضاً ﴿ (الخطبة ٨٦/٣٢) .

﴿ فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ وقراظة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم ﴿ (الخطبة ٨٧/٣٢) .

﴿ والدنيا دار مئى لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهى حلوة خضراء، وقد عجلت للطالب، والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ ﴿ (الخطبة ١٠٣/٤٥) .

﴿ فإن الدنيا ريق مشربها، ردغ مشرعها، يونق منظرها، ويوبق منظرها، غرور حائل، وضوء آفل، وظل زائل، وسناد مائل، حتى إذا انس نافرها، وطمان ناکرها، قد وطئت بأرجلها وقنصت بأحبلها، وأقصدت بأسهمها، وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع، ومعاينة المحل، وثواب العمل، وكذلك الخلف يعقب السلف، لا تطلع المنية اختراماً، ولا يرعوى الباقون اجتراماً، يحتذون مثلاً، ويمضون أرسالاً، إلى غاية الإنتهاء، وصيور الفناء ﴿ (الخطبة ١٣٧/١٨١) .

﴿ ما اصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاته، ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بصرتة، ومن أبصر إليها اعمته ﴿ (الخطبة ١٣٥/٨٠) .

﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين

ب آياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣:٦﴾

﴿قد نعلم﴾ محققاً دون ريب ﴿إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ من تكذيبك في رسالتك وفيما أرسلت به، تكديباً واستهزاءً، ولكنك لست أنت كمحمد مصباً تكذبيهم، إنما أنت المكذب كرسول، فالله هو المكذب ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآياتِ الله﴾ وأنت برسالتك منها ﴿يجحدون﴾، ولكن ﴿لا يستطيعون إبطال قومك﴾، حيث الحق يملك من البراهين ما لا يستطيع أحد تكذيبه بحجة، فإنما ﴿جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾.

فتكذيب رسول الله تكذيب بآيات الله، والتكذيب بآيات الله تكذيب بالله فهم - إذا - في ثلوث من التكذيب.

وتراه (ص) هنا يُنهي عن أن يحزن بما يقولون ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ حتى تحزن على نفسك ﴿ولكن...﴾! لكن الحزن على تكذيب آيات الله أحزن للرسول من حزنه على نفسه! فكيف التفاصل بينهما؟!.

ولكنه لم يُنه عن حزنه كأصل، بل المنهى عنه هنا هو حزن المظلوم المغلوب في

١ . الدر المنثور ٣: ١٠ - اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابي ميسر قال: مر رسول الله (ص) على ابي جهل فقال والله يا محمد ما تكذبك انك عندنا لصادق ولكننا كنا نكذب بالذي جئت به فأنزل الله: «فانهم لا يكذبونك...»، وفيه اخرج ابن جرير عن ابي صالح في الآية قال: جاء جبرائيل الي النبي (ص) وهو جالس حزين فقال له: ما يحزنك؟ فقال: كذبتني هؤلاء فقال له جبرائيل: «انهم لا يكذبونك انهم ليعلمون انك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون». ٢ . نور الثقلين ١: ٧١٢ في تفسير العياشي عن الحسين بن منذر عن ابي عبد الله (ع) في قوله: «فانهم لا يكذبونك» وفي تفسير الفخر الرازي ١٢: ٢٠٥ - أن الجرح بن عامر من قريش قال: «يا محمد والله ما كذبتنا ولكننا إن اتبعناك نتخطف من ارضنا فنحن لانؤمن بك لهذا السبب» وفيه روي أن الأحنس بن شريق قال لأبي جهل: يا ابا الحكم أخبرني عن محمد (ص) اصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا؟ فقال له: والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابه والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية .

أمره، فإذا كان المكذب آيات الله والله لا يُظلم وهو ناصر لآياته رسولية ورسالية وسواها، ثم ولا مبدل لكلماته عن دلالاتها وتحققاتها فلماذا الحزن - إذأة على ذلك التكذيب: ﴿وَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧٠:٢٧).

فالحزن منه محظور كأن يحزن الرسول على تكذيبه لأنه هو، أو يحزن على تكذيب الله خوفاً على انتقاص من سماحته وانتقاص من ساحته، أو يحزن عليهم بما يوعدون، فكل ذلك محظور، تدل على حظره آيتنا وآية النمل.

ومنه محبور كأن يحزن حامل الرسالة على أن الله يُعصى، فمن قضايا الإيمان فضلاً عن رسالة الإيمان، أن يحب الرسول تحقيق رسالة الله ويبغض ويحزن على تكذيبها، وهنا ﴿ليحزنك...﴾ تسلياً لخاطر الخطير ألا يشتغل بذلك الحزن عن كامل البلاغ لرسالته أو يستمل عنه.

ثم لست أنت بدعاً من الرسل في ذلك التكذيب التعذيب بل هو طبيعه الحال في رسالات الله كلها:

﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُنَّ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ (٣٥:٤٤)

..عرض لقليلة شائنة عن شأن الموت والحياة لغير الموحدين من مشركين وملحدين، القلية التي سوف يستنكرونها يوم الدين إذ يعترفون بمرور الموت والحياة مرتين مرتين: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (١١:٤٠) وهم كانوا بها كافرين؛ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟ (٢٨:٢).

ف ﴿إِنْ هِيَ﴾ العاقبة او النهاية أو - وبأحرى - الموتة ﴿إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ﴾ فلا ثانية لها: أن نموت عن حياة برزخية هي بعد الموتة الأولى ﴿وما نحن بمنشرين﴾ عن الموتة الثانية.

١ . راجع تفسير الآية من سورة المؤمن ستجد بحثه المفصل.

فقد ينكر هؤلاء الناكرون أية حياة بعد الأولى ❁ إن هي إلا حياؤها الدنيا نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين ❁ (٣٧:٢٣) رغم أنهما إحياءان!.. أو ينكرون أية إماتة بعد الأولى ❁ وما نحن بمنشرين ❁ كما هنا.

فنكران الموتة الثانية نكران للحياة البرزخية بعد الموت، حيث الموتة الثانية تستلزم حياة بين الموتين، ثم ❁ وما نحن بمنشرين ❁ نكران للحياة الآخرة بعد الموتة الثانية.

ف ❁ إن هي إلا موتتنا الأولى و ما نحن بمنشرين ❁ نكران للحياتين بعد الموت، والحياة البرزخية ضرورة كما الحياة الأخرى فهناك إماتتان وإحياءان، إحياء أول للحياة الدنيا ثم أماتة عنها فحياة برزخية، ثم إماتة ثانية ومن ثم إحياء ثان للأخرى، هم يعترفون بهما يوم الدين، وهم أولاء ينكرونها يوم الدنيا.

هم هكذا يدعون دون برهنة على دعواهم، ولا يصدقون أية برهنة إلا أن يؤتى

بآياتهم:

❁ فأتوا بآياتنا إن كنتم صادقين ❁ (٣٦:٤٤)

أفإتياناً بهم أحياء لكي تثبت نشرة بعد موته؟ فلماذا آباؤهم وهم لا يعرفونهم عياناً! وهم بمشهد متواتر من حياة بعد موت نباتية وحيوانية، ثم النشرة ليست إلا في الأخرى جماهيرية، وفي الرجعة جمهرات خاصة، وليس صدق القول في النشرة يُحصر في نشر الآباء، ثم ولا يثبت نشرهم إلى الحياة الدنيا نشرهم إلى الأخرى إلا إمكانية بالمماثلة، وهي حاصلة عملياً وواقعياً!

أم أتياناً بهم ليسألوهم هل هناك نشرة بعد الموتة، وهم كأمثالهم في نكرانها! وحتى إذا صدقوها كيف هم يُصدِّقو وحمة الوحي يكذبون، وإذا تُكذَّبون وحمة الوحي بآياتهم المعجزات وأنتم تعرفونهم فأنتم أولى تكذيباً لآبائكم وأنتم لا تعرفونهم، ولو عرفتموهم فلا حجة في أقوالهم إلا أنهم آباؤكم، تقليداً أعمى، وتقديماً لقولة الموتى!

وهذه خرافة تتكرر وشريطة تعاد على ألسن الناكرين ليوم الدين: من الذي مات ثم رجع حتى يخبرنا عن الحياة الأخرى؟ يسألونه كأن لاجوتاب لهم إلا نكرانها، وليس

تصديقها محصوراً فى أخبار الموتى، وإنما تتبع أدلتها العقلية والواقعية الأخرى فى إمكانية الحياء الحساب وضرورتها دون أن يثبتها قولات الموتى، أو تنفيها هى أم أموراً أخرى.

فإن هى إلا طنطنات وشنشونات يهرها الخارفون وينكروها العارفون، فان لكل مدلول دليلاً يخصه دون ما يتعنته الناكرون.

إنهم يغفلون أو يتغافلون عن حكمة النشرة الحساب، أنها للوصول بالصالحين إلى النهاية الكريمة التى تهيئوا وتأهلوا لها فى الرحلة الدنيا، والوصول بالطالحين إلى النهاية الحقيرة الذليلة التى قدّموا لها من حياتهم الرذيلة، وخطواتهم المرتكسة فى الحماة القذرة.

إذا فدور البعث والنشور ليس إلا بعد انقضاء الحياء الأرضية كلها، دون أن تكون لعبة تتم حسب أية رغبة أو نزوة وتهوسة لفرد أو جماعة، كى يصدقوا بالحياء الآخرة ولن يصدقوها مهما غرقوا فى واقع الأدلة.

هنا وقبل توجيههم إلى أدلة قاطعة على ضرورة الحياء الحساب، يلمس قلوبهم المقلوبة بلمسة ضريعة سريعة عن مصارع مسارع لمن قبلهم كقوم تبع:

﴿أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (٣٧:٤٤)

تبع هذا هو أسعد الحميرى من الملوك الحميريين باليمن، لانجد له ذمماً فى القرآن إلا لقومه، مما يلمح إلى إسلامه وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم﴾^١ (وهو أول من كسا الكعبة).

١ . الدر المنثور ٦ : ٣١ - اخرج احمد والطبرانى وابن ابي حاتم وابن مردويه عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تسبوا...، و اخرج ابن المنذر وابن عساكر ووهب بن منبه قال نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن سب أسعد وهو تبع قيل وما كان اسعد؟ قال: كان علي دين ابراهيم .

فهنا قوم تبع، وفي (ق) ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِعَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ (١٤).

قوم تبع كانوا خيراً منهم قائداً فتخلفوا عنه، وأكثر منهم نعمة فبدّلوها نعمة ونقمة فاستحلوا دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار، ومن قبل ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مجرمين﴾ فلا سبيل لكم إلا الهلاك.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِينَ﴾ (٣٨:٤٤)

توجيه بعد تهديد إلى برهان لضرورة الحياة الأخرى، أن لولاها لكان خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ولعبة، ولكننا الإله الحق لا يأتي إلا بالحق، وحق الخلق لزامه حق الحياة الحساب.

إن خلقها لعباً لهو في الخلق، وضلالٌ بعيد عن غاية الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِينَ﴾ (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨:٢١).

إذا فالخلق دون الحياة الحساب لعب وهو لهو بالخلق، مستحيل على الله في بعدين لو أراد - ولن - ! لاتخذه من لدنه دون خلقه، حيث اللهو بهم ظلم في ظلم وما الله بظلام للعبيد!

أترى لماذا اللعب للهو في خلقهما لولا الحياة الحساب؟ لأن الخلق فيهما، بينهم ظلمات وتعدييات، وتخلفات عن شرعة الحق، وبينهم استكبارات واستضعافات، وفيهم من يعدل وما أقلهم، والخلق الحق والخالقية الحق العادلة تقتضى الجزاء الوفاق

١ . المصدر اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تسبوا اسعد الحميري وقال هو اول من كسا الكعبه، وروي في الجمع عن الوليد بن صبيح عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: ان تبعا قال للأوس والخزرج: كونوا هيهنا حتي يخرج هذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اما ان لو ادركته لخدمته وخرجت معه.

لكل كما يعمل، فإنه قدير عليم وعدل حكيم، فإذا لا نرى الجزاء الحساب هنا فلتكن حياة أخرى بعدها لتُجزى فيها كل نفس بما تسعى، ولولاها لكان الخلق لعبه ولهواً وعبثاً:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥:٢٣).

ولأن الخالق هادف غير لاهٍ أو لاعب أو عابث، وأن القصد والتصميم لائح من الخلق، وأنه عدل حكيم، فلتكن هناك حياة أخرى بعد الأولى إذ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾:

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩:٤٤)

أكثرية ساحقة من ناس هم في الحق نسناس لا يعلمون أن لهذا المطاف نهاية، أترى أن هذه الرحلة القصيرة على هذه الكوكبة الصغيرة للإنسان أم أياً كان من الخليقة، في هذا الكون الشاسع الواسع المستخدم لتكامله، كل ذلك تصيح هباءً خواء، دون أية نهاية مقصودة؟

إن الخلق الحق، البعيد عن أى باطل، كيف يحمل باطل اللعب واللهو العبث، في اتساعةٍ دونما حاجة في هذه القصيرة، وفي عدم الحياة الحساب في النهاية. ﴿وما خلقناها إلا بالحق﴾ سبباً وملايسةً وغاية، فالخلق إذاً في مثلث الحق، فلو لم يكن حساب أصبح في مثلث الباطل ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. لا يعلمون ﴿الحق الذي خُلِقْنَا به، لاجهلاً ذاتياً قاصراً فهم معذورون، فإنما تجاهلاً وتغافلاً مقصراً فهم مسئولون!﴾

لا يخفى على ذى حجبى أن الفعل من العالم الحكيم هادف قاصد؟ فهل الله يخلق ثم يهرج ويمرج بين خلقه دونما شرعة تضبطهم هنا، وحياة أخرى للحساب يجازيهم فيها هناك؟

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ (٤١:٤٤)

إنه يوم الفصل بين المحشورين بانفصال العقائد والأعمال، رغم أنه يوم الوصل بين

المحشورين فإنه ميقاتهم أجمعين من الأوّلين والآخريين والخيرين والشّريرين.
فالولاية الواصلة يوم الدنيا في غير الله هي الفاصلة يوم الدين حيث لا يغني مولى
عن مولى شيئاً، اللهم إلا ولاية الله بين من يتولاه فهي قد تغني شفاعته بإذن الله لمن
يشاء ويرضى.

فلا ولاية ولا نصرة هناك إلا من الله وبإذنه و ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ
عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (١٨٧:١٩) فهناك يُنصرون دون إغناء، فإنه الإستقلال وليس إلا
الله، والنصرة دون استقلال فهي حاصلة بشفاعة صالحة.

والمولى هنا هو الذي يلي أمر صاحبه وهو صاحبه الذي يتولى أمره، فالأول هو
الأول والثاني هو الثاني، ولماذا لا إغناء هناك ولا نصرة؟ إذ ﴿ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴾ (١٦٦:٢) ولا هم ينصرون ﴿: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤٨:٢).

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢:٤٤) فمن رحمه الله يغنيه الله
وهو المؤمن و ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ ومن رحمه الله ينصره المولى في الله شفاعته
بإذن الله ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ (٣:١٠).

ف ﴿ إلا ﴾ هنا إستثناء عن ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ دون ﴿ لا يغني ﴾ ف
﴿ شيئاً ﴾ في سياق نفى الغنى ينفي كل غنى في كل شيء فلا يُستثنى، ﴿ ولا هم
ينصرون ﴾ دون شيئاً، يقبل إستثناء لمولى في شيء كما يشاء الله ويرضى، فالنصرة
المساعدة هي موضع الشفاعته على شروطها، دون الغنى المستقلة لمن ليست له أية
أهلية للرحمة الإلهية، فالشفيع لا يغني ولا يكفي وإنما ينصر، فإنه تعالى هو الكافي
المغني لاسواه ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ الله إلا غنى بالله كما يروى عن الصادق
(عليه السلام) وفي النجم تصديقه: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ

١ . نورالثقين ٤ : ٦٢٩ ج ٣٩ في اصول الكافي احمد بن مهراڤ عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى عن على بن اسباط عن ابراهيم بن عبدالحميد عن زيد الشحام قال قال لى ابو عبدالله (عليه السلام) «إلا من رحم الله» نحن

شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٥٣:٣٦﴾ فلا يغني أحدٌ إلا بالله
وحتى رسول الله: ﴿وما أغنى عنكم من الله من شيءٍ إن الحكمُ إلا لله عليه توكلتُ
وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ ﴿١٢:٤٧﴾.

﴿إنه هو العزيز﴾ ﴿الغالب فلا مغنى سواه - و ﴿الرحيم﴾ ﴿قد ينصر سواه بإذنه
دون أن يغنيه، فالعزة تُحصر فيه حسراً عن سواه، والرحمة قد تكون بإذنه وهى
الشفاعة لالسواه.

أجل وفي يوم الفصل يتجرد وينفصل الناس من كل سناد لهم فى الأرض، من كل
قراية وولاية وآصرة، عاندين إلى ربهم فرادى كما خلقوا أول مرة، اللهم إلا شفعا
برحمة الله لا سواه ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾!

﴿إلا من رحم الله﴾ ﴿تعم المولى الناصر الشافع والمصور المشفع له، حيث
المستثنى منه يعهما ﴿مولى عن مولى﴾.

﴿إن شجرة الزقوم﴾ (٤٣) طعام الأتيم (٤٤) كالمهل يغلى فى البطن (٤٥) كغلى
الحميم ﴿٤٤:٤٦﴾

﴿أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم﴾ (٤٢) إنا جعلناها فتنة للظالمين (٤٣) إنها شجرة
تخرج فى أصل الجحيم (٤٤) طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴿٣٧:٤٥﴾ - ﴿ثم إنكم﴾

والله الذى استثنى الله فكننا نغذى عنهم، اقول: يعنى
الغنى بالله وهى الشفاعة النصرة دونما استقلال. والمصدر ح ٤٠ عن ابى عبد الله (عليه السلام) انه قال
لابى بصير يا ابا محمد والله ما استثنى الله عن ذكره
باحد من اوصياء الانبياء ولا اتباعهم ما خلا
امير المؤمنين وشيعته فقال فى كتابه وقوله الحق
«يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من
رحم الله» يعنى بذلك عليا وشيعته اقول: فعلى واضرا به
من المعصومين هم المولى الشافع والشيعه هم المولى
الثانى.

١ . نورالثقلين ٤ : ٦٣٠ ح ٤١ فى تفسير القمى فى
الآية قال: من والى غير اولياء الله لا يغذى بعضهم عن
بعض ثم استثنى من والى آل محمد فقال: «إلا من رحم
الله انه هو العزيز الرحيم» ثم قال: ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم، نزلت فى ابى جهل بن هشام وقوله عزوجل:
قال: المهمل الصفر المذاب، يغلى فى البطن كغلى
الحميم، هو الذى قد حمى وبلغ المنتهى.

أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَا لُونُ مِنْهَا
الْبَطُونُ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٥) هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ
الدِّينِ ﴿٥٦﴾ (٥٦:٥٦).

إن الأثماء الظالمين الضالين المكذبين، نُزِّلَهُمُ الطَّعَامَ زَقُّومَ يَوْمَ الدِّينِ، زَقُّومَ يَأْكُلُ
زَقُّومًا وَذَلِكَ عَذَابٌ مُهِينٌ!.

وإنها من الشجرة الملعونة في القرآن يوم الدين، هي أكلٌ للشجرة الملعونة في
القرآن يوم الدنيا، ملعونة بملعونة وزقوم في زقوم، وما أدرك ما زقوم!

إن جرس اللفظ يلمح بجرس المعنى، فكما اللفظ كأنه خنقة الحُلوق كذلك الواقع
خنقاً للحلوق وغلياً في البطون ﴿﴾ طلعتها كأنه رؤوس الشياطين ﴿﴾ فإنها تطلع كخلفية
لرؤوس الشياطين، فهي إذاً طعام لرؤوس الشياطين، رؤوس للشياطين ولرؤوس
الشياطين: حملة رايات الشيطانات من الجنة والناس أجمعين.

فهناك مثلث من الزقوم: إسماء في جرس اللفظ، وسمه في شاكلة الواقع، وومصة
في فاعلية تنطبق حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة على مثلث الشيطانات أسماء وسمات
وووصمات.

والزقم هو الكريه في المنظر والمطعم والريح، فالزقوم هو المبالغ في ذلك، فلا
طعام في النار أكره من الزقوم، كما ليس في النار أكره من ذلك الأثيم!

وإنه ﴿﴾ كالمهل ﴿﴾ المذاب من النحاس والرصاص أو دُردى الزيت ﴿﴾ يغلى في
البطون ﴿﴾ فأحرى به أن يُغلى فيصبح منه البطون غلياً على غلى ﴿﴾ كغلى الحميم ﴿﴾
البالغ في الحمة١ مما يحمُّ، وإذا ﴿﴾ سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَفَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿﴾ (١٥:٤٧) فماذا

١ . نورالثقلين ٤ : ٦٣٠ ح ٤١ في تفسير القمي في
الآية قال: من والي غير أولياء الله لا يغدي بعضهم عن
بعض ثم استثنى من والي آل محمد فقال: «لا من رحم الله
أنه هو العزيز الرحيم» ثم قال: إن شجرة الزقوم
طعام الأثيم، نزلت في أبي جهل بن هشام وقوله
عز وجل: كالمهل: قال: المهل الصفر المذاب، «يغلى في
البطون كغدي الحميم» وهو الذي قد حمي وبلغ
المنتهي.

يصنع حميم الزقوم؟!

﴿ خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ﴾ (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمثرون ﴿ (٥٠:٤٤) .
 أمر صارم من الجبار الحكيم، الى زبانية الجحيم، باعتقال جبار لثيم وهو فى زعمه العزيز الكريم ﴿ خذوه ﴾ أخذ الإعتقال، وشدوه فى كل إهانة ومهانة على أية حال، وهو فى حالة الفرار ولات حين فرار ﴿ فاعتلوه ﴾ خذوه بمجامعه وجروه بقهر ﴿ إلى سواء الجحيم ﴾: وسطه وعمقه وكأنه دركه الأسفل المحيط به سائر الجحيم؛ ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ (٤٩:٨) فإن الجحيم طبقات متداخلة كروية أماهيم، بعضها فوق بعض، مما يزيد كل تالية عذاباً حتى الدرك الاسفل فى المركز الرئيسى منه، كما الكرة الأرضية ذات الحرارة فى أعماقها، حيث الأسفل منها مركزها وهى أحر من سائر أطبقها.

ولأن أصل الحرارة: الجحيم هو فى أصل الجحيم، فأهل الأصل هم صلاءه والباقون بهم يسطلون: ﴿ خذوه فغلوه ﴾ (٣٠) ثم الجحيم صلوه ﴿ (٣١:٦٩) اجعلوه صلاءة الوقود، ثم ماذا بعد الأخذ القتل والجذب والدفع؟

﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ ﴿ (٤٨:٤٤) كما هم صبوا فوق رؤوس المستضعفين من عذاب الحميم، إستكباراً عليهم وإستخفافاً واستحماراً لهم فأصبحت رؤوسهم حاوية عن الهدى حاوية لكل ردى، ومن ثم تأنيب وترذيل: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ ﴿ (٤٩:٤٤) كلمة تقال له حين العذاب، عذاباً فوق العذاب، حيث كنت يوم الدنيا تراك عزيزاً: تتغلب على من سواك - كريماً: كأنك المنعم على من سواك لا سواك، وحتى إذا كانت قيامة فأنت لك الحسنى دون من سواك: ﴿ وما أظن الساعة قائمةً ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى ﴾

١ . فى جوامع الجامع روى ان ابا جهل قال لرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بين جبلية أعز ولا أكر منى .

(٥٠:٤١) ❀ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ❀
 (٣٦:١٨): ولما ❀ ذق ❀ يصلك العذاب الحساب، وإنما ذوق العذاب! وهذا من جزاء
 العزيز دونما عزة، والكريم دونما كرامة، وإنما ذلة وثأمة بلا هوادة!
 ❀ إن هذا ما كنتم به تمترون ❀ (٥٠:٤٤) وتترددون في تكلف النكران، حيث
 البنات من كل الصنوف واضحة الدلالة على ضرورة الحياة الحساب وضح النهار،
 ولكنكم ❀ كنتم تمترون ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم
 من الطيبات وفضلناهم على العالمين ❀ تحميلاً على فطركم وعقولكم وعقولكم حيث
 لا تتحمل مثل ذلك النكران إلا تكلفاً، والإفعال تكلف للفعل!
 هذا مصير الأثماء ورووس الشياطين، فماذا مصير المتقين؟
 ❀ إن المتقين في مقام أمين ❀ ❀ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
 بالنهار ثم يبعثكم فيه ❀ (٥١:٤٤).

فكما الطغوى تجعل أهلها في اضطراب مهين، كذلك التقوى تجعل أهلها في مقام
 أمين، يوم الدنيا ويوم الدين، حيث العقبات السوء من الآثمين يوم الدنيا تترى
 دوائرهم بالمتقين، لا تحسب اضطرابات لهم أمام الآمن، الأمين لهم يوم الدين، ومن
 قبل وهم في الدنيا لهم الأمن في ضمائرهم ❀ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ❀ إلا
 المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً
 (٢٨:١٣) ❀ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ❀
 ❀ كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ❀ (٨٢:٦) فإنه في
 ❀ حزب الله بالتقوى من كل بليّة ❀ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ❀ ومن
 ثم لهم كمال الأمن في الدولة الاخيرة المهديّة: ❀ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً
 يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ❀ ❀ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقيّ و
 سعيد (١٠٥) فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (١٠٦) خالدين فيها ما
 دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١٠٧) وأما
 الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك

عطاءً غيرَ مجذوذٍ ﴿١٠٨:٢٤﴾

أمنٌ بعد أمنٍ هنا وثالث يوم الدين:

﴿ في جناتٍ و عيون (٥٢) يلبسون من سندسٍ و استبرقٍ متقابلين (٥٣) كذلك و زوجناهم بحور عين (٥٤) يدعون فيها بكل فاكهة آمنين (٥٥) إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا و ارحمنا و أنت خير الراحمين (١٠٩) فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري و كنتم منهم تضحكون ﴾ (١١٠)

﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ (٥٥:٤٤)

﴿ جنات أفسستنم أنما خلقناكم عبثاً و أنكم إلينا لا ترجعون تجري من تحتها الأنهار ﴾ ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ إضافة إلى الأنهار ﴿ يلبسون من سندسٍ ﴾ ﴿ إن إلينا إيمانهم ﴾ (٢٥) ثم إن علينا حسابهم (٢٦) الحريرة الرقاق ﴿ و ﴾ من ﴿ استبرق ﴾ الحريرة السماك، يلبسونها متقابلين و يجلسون متقابلين، إخوة متقين متقابلين لإخوة متقين، ثم وهم مع أزواجهم متقابلين.

﴿ كذلك ﴾ المقام الأمين - ثم ﴿ و زوجناهم بحور عين ﴾ رجالاً لهم منهن زوجات كما لهم من المؤمنات زوجات، و هن أفضل من الحوريات ﴿ يدعون ﴾ المتقون رجالاً و نساء ﴿ بكل فاكهة ﴾ من الفاكهة و الفاكهة ﴿ آمنين ﴾ بكل أمن دونما اضطراب، و يأمنون أضرارها.

﴿ لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى و قاهم عذاب الجحيم (٥٦) فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٥٧:٤٤)

أترى أن الموتة الأولى - وهي عن الدنيا إلى البرزخ - هم ذاقوها في الجنة؟ فلا يدوقون فيها موتة ثانية! ولا موت في الجنة فضلاً عن الأولى التي هي قبل البرزخ

١ . ولئن سألت سائل هب ان اهل البرزخ يصعدون موتة كما الكافرون او غشية كما المؤمنون، فما للاحياء الذين يموتون موتتهم الاولى بهذه الغشية؟ فالجواب ان المؤمنين وهم الاكثرية الساحقة لايموتون إلا مرة واحدة، و سواهم قد تكرر موتتهم فالاولى بهذه الصعقة و الثانية باماتة خاصة بين الصعقتين.

والجنة!

إنه إستثناء منقطع يستأصل عن الجنة أية موتة فيها فإنها دار الخلود، وما أجملته تأكيداً لاستئصاله استثناءً ما مضى عما قد يظن أنه يلحق، فهو إذاً تأكيد ذو بعدين. وترى هل الموتة واحدة قبل الجنة هي الأولى؟ فلماذا الأولى وهي تلمح لغير الأولى؟ وإذا كانت واحدة فلتكن ❀ إلا الموتة عن الدنيا ❀ لا الأولى.

ثم هي مرتان كما حملتها الآيتان، واحدة تنذر بمن يحصرها في الألى ❀ إن هؤلاء ليقولون. إن هي إلا موتتنا الأولى.. ❀ (٣٥:٤٤) والأخرى تثبت الموتة الثانية ❀ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ❀ (١١:٤٠) إذا فكيف لا يذوقون فيها إلا الموتة الأولى؟

عل الثانية - وهي عن الحياة البرزخية إلى الأخرى - تخص غير المؤمنين كما الآيتان لا تدلانها إلا لهم دون المؤمنين، فالصعقة العامة بالنفخة الأولى هي للكافرين موتة ثانية، وللمؤمنين دون موتة صعقة، ولمن شاء الله لا صعقة ولا موتة: ❀ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ❀ (٦٨:٣٩).

أو علّ ذوق الموت يعنى ذوق ألمه، فالكفر يذوقه في الموتة الثانية كالألى، والمؤمن لا يذوقه في الثانية لأنه في رحمة الله مهما مات ثانية، رغم ذوقه في الأولى،

(الدر المنثور ٦ : ٣٤ - اخرج ابن مردويه عن انس (رضي الله عنه) عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) قال: يجرى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيعرفه هؤلاء ويعرفه هؤلاء فيقول أهل النار اللهم سلط علينا ويقول أهل الجنة اللهم إنك قضيت ان لا نذوق فيها الموت الا الموتة الاولى فيذبح بينهما فيياس أهل النار من الموت ويأمن أهل الجنة من الموت، أقول يأس أهل النار هو من الموت فيها وهي باقية تخفيفاً عن العذاب واما الموت المطلق بعد تكملة العذاب فواقع قضية عدل الله، ثم قوله (صلي الله عليه وآله وسلم) وبقول أهل الجنة.. دليل علي اختصاص.. لا يذوقون..» بأهل الجنة - فقد يذوقه أهل النار كما بيناه..

حيث الدنيا دار بلاء وعناء.

وعل ﴿﴾ فضلاً من ربك ﴿﴾ يعنى فضل الجنة، وفضلاً قبلها أنهم لم يذوقوا الموتة الثانية، حيث لم يموتوا ثانية أو لم يذوقوا ألمها و ﴿﴾ ذلك هو الفوز العظيم ﴿﴾. مما لا يريبه شك أن ﴿﴾ من شاء الله ﴿﴾ وهم أكرم الأكرمين على الله، هم لا يذوقون الموتة الثانية، ثم من دونهم من المؤمنين بالله قد لا يموتون وإن صعقوا، وقد يموتون دون ذوق لألمه.

ولأن ﴿﴾ لا يذوقون... ﴿﴾ من ميّزات أهل الجنة وكما فى الصادقى (وأحياء لا يموتون)١ فليذوق أهل النار موتة ثانية أمأهيه بعد الأولى، منها الموتة الثانية وهى عن البرزخ، ومنها موتاتهم المستمرة فى حياتهم الجهنمية.. ﴿﴾ ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴿﴾ (١٣:٨٧) فرغم أنهم لا يموتون فى النار فوتاً - اللهم إلا مع النار - فحياتهم لا تشبه الحياة، وإنما أشر من الموت، حيث يذوقون دونما انفصال أخطر بواعث الموت. إذاً فللكافر بعد الموتة الأولى موتات: عن الحياة البرزخية ن إلى الأخرى، ثم

١ . نورالثقلين: ٤ : ٦٣٣ ح ٥٧ فى اصول الكافي عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال حاكياً عن القرآن يأتى الرجل من شيعتنا الذى كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول ما تعرفني؟ فينظر اليه الرجل فيقول ما اعرفك يا عبدالله! قال: فيرجع فى صورته التى كانت فى الخلق الاول فيقول ما تعرفني؟ فيقول: نعم - فيقول القرآن: انا الذى اسهرت ليلتك وانصبت عيشك وقد سمعت الاذى ورجمت بالقول فى الاوان كل تاجر قد استوفى تجارته وانا وراؤك اليوم، قال: فينطلق به الي رب العزة تبارك وتعالى فيقول: يا رب عبدك وانت اعلم به قد كان نصيباً فى مواظباً على عبادي لسببي ويحب فى ويغض، فيقول الله عزوجل: ادخلوا عبيدى جندي واكسوه حلة من حلل الجنة وتوجه به بتاج، فاذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صنع بوليك؟ فيقول: يا رب انى استقل هذا له فزده مزيد الخير كله فيقول عزوجل: وعزتي وجلالى وعلوى وارتفاع مكاني لانحلن له اليوم خمسة اشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته، الا انهم شباب لا يهرمون واصحاء لا يسقمون واغنياء لا يفتقرون وفرحون لا يحزنون واحياء لا يموتون، ثم تلا هذه الآية «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى». «

لا يموت فيها ولا يحيى ومن ثم الموت المطلق مع النار حيث تموت النار بمن فيها كما حققناه فى مباحث الخلود فى النار.

وهللاً يكون فى الجنة نومٌ كما ليس فيها موت، قد يكون رياحاً، وقد لا يكون لأنه أخ الموت، ولأنه من ذوق الموت، فالموتة الأولى والثانية معهما موتات النوم، والجنة ليس فيها موت ولا نوم^١.

ولكن قد تدلنا على نومهم الراحة آية المقييل: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤:٤٥) فانه نوم نصف النهار، ولكنهما تعنى مقييل البرزخ قبل القيامة بدليل التالية لها: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (٢٥) ثم اللهم ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾.

﴿فَاتِمَّا يَسِرَّنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨:٤٤)

هل إن تسير القرآن بلسانه تسهيل لتفهّمه على ضوء اللغة العربية؟ وقد تكون صعبة لا ميسرة! وحتى إذا كان القرآن ميسراً بالعربية فـ ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لا تختص بالعرب و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿﴾ (٢٨:٨١) ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (١٧:٥٤)!

والحل أن اللسان غير اللغة، فمهما كانت لغته عربية وهى خير اللغات وأيسرها تفهّمًا، ولكننا اللسان الرسالى المحمدى (صلى الله عليه وآله وسلم) له موقعه الخاص فى ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ﴿فَاتِمَّا يَسْرَنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٩٧:١٩) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (٤:١٤) وقوم أولى العزم من الرسل هم العالمون أجمع، فلا بد لكل من لسان يفهمه العالمون أجمعون، فليست إذا هى اللغة.

١ . الدر المنثور ٦ : ٣٤ - اخرج البزار والطبرانى فى الاوسط وابن مردويه والبيهقى فى الدعوى بسند صحيح عن جابر (رضي الله عنه) قال: قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! أينام اهل الجنة؟ قال: لا - النوم اخ الموت واهل الجنة لايموتون ولا ينامون.

فقد تكون اللغة صعبة واللسان ميسر، أو اللسان صعباً واللغة ميسرة، والقرآن ميسر في البعدين لساناً ولغة، حتى إذا لا تعرف اللغة فلتعرف اللسان الذى يترجم اللغة، وهكذا القرآن.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٥٩:٤٤)

ماذا يرتقب الرسول وماذا يرتقبون؟ إنه يرتقب خلفية رسالته ومفعوليتها، وهم مرتقبون به دوائر السوء.

وارتقب رحمة ربك وما وعد المتقين من مقام أمين، إنهم مرتقبون لك خلافه من الموت الفوت وفى الحق يرتقبون شجرة الزقوم.

وارتقب عاقبة أمرك اليسر وهم مرتقبون عاقبة أمرهم الإمر العسر ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ. مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (٩٣:١١).

﴿وارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ ﴿إنهم مرتقبون﴾ وهنالک فليخسر المبطلون.

فكل يرتقب نتائج أعماله شاء ام لم يشاء، يوم الدنيا ويوم الدين، وما عليك إلا البلاغ المبين.

قولة ثالثة للدهريين

❖ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤:٤٥﴾
هذه أطول قولة تنقل عن الماديين، لامثيل لها في سائر القرآن إلا في نكران المعاد
❖ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧:٢٣﴾ ❖ وَقَالُوا
إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩:٦﴾ وقد سبق البحث فيهما.
فتلك إذاً آية وحيدة في نسبة الإهلاك إلى الدهر، تزيد كفراً على نكران المعاد،
تتحدث عن الناكرين للمبدء والمعاد، وهم قلة قليلة طول التاريخ، وعلى غرارها لا
تحملها إلا آية واحدة.

لقد حصروا الحياة بالدنيا وحسروها عما بعدها من وسطى وعليها، وحسروا
إهلاكهم بالدهر، مما يدل على إحياءهم في زعمهم كذلك بالدهر، دونما علم أو أثارة
من علم به يسندون في نكران المبدء والمعاد، إلا ظناً وحساباً باتباع الهوى: ❖ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴿٢٣:٥٣﴾.

ولماذا ❖ نموت ونحيا ❖ معاكسة التعبير عن ترتيب الواقع ❖ نحيا ونموت ❖؟
علّه تعبير عن مواصلة الموت والحياة للمجموعة حيث يموت بعض ويحيى آخرون
فيستمر النسل، فـ ❖ نموت ❖ جماعة ❖ ونحيا ❖ جماعة أخرى، ينتقل الموت
والحياة هنا دونما نقلة بالموت إلى حياة أخرى، أو ❖ نموت ❖ نحن الأحياء ثم لا
نحيا لحياة أخرى حقيقية وإنما بما يحيى أولادنا، كسخرية تقابل الحياة الأخرى،
فنحن المجموعة - إذاً - بين موت واحد وحياة واحدة وليست هنالك بعدهما حياة
ولا موتة أخرى، وهو خلاف الحق الذي جاء به الرسل فيصدقونها يوم الدين ❖ قالوا
رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ... ﴿٢٠﴾ !.

وفي ❖ نموت ونحيا ❖ دون سناد لمن يميئتهم ويحييهم تلميحاً إلى نكران

١ . فـ «نموت ونحيا» للدهريين يعنى الاول وللمشركين يعنىهما .

المحيى المميت اللهم إلا الدهر المحيى المميت! وليس إلا من جنسهم.
فهم يظنون ألا تمتد إليهم يد بالموت والحياة، إنما هي الأيام تمضى والدهر ينطوى
وبطياته إذا هم أحياء ومن ثم هم أموات ❀ وما يهلكنا إلا الدهر ❀ وكيف يصلح
الدهر مفسراً للموت وهو أمر منتظم مقصود وليس الدهر الطبيعة قاصداً، فالأطفال
يموتون كما الشيوخ، والأصحاء يموتون كما المرضى، والأقوياء كما الضعفاء، فالتفسير
الحى للحياة والموت أنهما على نظم وقصد دونما صدفة عمياء، أو فاعلية دهرية
طخياء!

هب إن الهلاك هو بالدهر، فما هو سبب الحياة، هل هو كذلك الدهر، ومختلف
الفاعليات دليل القصد والحياة فى الفاعل، أم إن الحياة مما فوق الدهر فهو الله، أم
الحياة وهى ارقى ليس لها سبب وإنما الهلاك؟ تلك إذا قسمة ضيزى!
ولأن جماعة من المشركين يعتقدون تناسخ الأرواح فى الحياة الدنيا، أن روح كل
ميت ينتقل إلى حى فيعيش فى غير بدنه، والآية فى احتمال أوسع تشمل قبيلى
الملحدين والمشركين، ف ❀ نموت ونحيى ❀ لجمع من المشركين قد تعنى المعنيين،
فكما يموت بعض ويحيى بعض، كذلك نموت من بدن ونحيى فى بدن آخر! وما

١ . نورالثقلين ٥ : ٢ ح ٩ _ القمى فى الآية : ثم عطف
على الدهرية : نزلت هذه الآية فى الدهرية وجرت فى
الدين فعلوا، ما فعلوا بعد رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) ..
وفيه عن اصول الكافى عن ابي عمرو الزبيرى عن ابي
عبدالله (عليه السلام) قال قلت له : اخبرنى عن وجوه
الكفر فى كتاب الله عزوجل؟ قال : الكفر فى كتاب الله على
خمسة اوجه فمنها الجحود على وجهين، فالكفر بترك
ما امر الله وكفر البراءة وكفر النعم، فاما كفر
الجحود بالربوبية وهو قول من يقول لارب ولا جنة ولا
نار، وهو قول صنفيين من الزنادقة يقال لهم الدهرية
وهما لذين يقولون : وما يهلكنا إلا الدهر وهو دين
ووضعوه لانفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبت منهم
ولا تحقيق لشيء مما يقولون يقول عزوجل «إن هم إلا
يظنون» ان ذلك كما يقولون.
وفى نهج البلاغة : فانظر الي الشمس والقمر والنبات
والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار
وتفجر هذه الأنهار ووكثرة هذه الجبال وطول هذه
الاتلال، وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات فالويل

الإهلاك النسبي هذا ولا الإهلاك القاطع إلاَّ حسبَ الدهريين، ام والبعض من المشركين القائلين بربوبية الدهر الطبيعة أمّاذا؟

وهل الدهر في زعمهم هو الزمان، ففي تصرّمه لحدّ ما هلاك من يهلك، أو أنه الطبيعة، فكما خلقتنا كذلك أهلكتنا؟ وما الدهر إلاَّ بأمر خالق الدهر طبيعةً أو زماناً أو اياً كان من ﴿كان﴾ فهو المحيي وهو المميت ﴿وما لهم بذلك﴾ الذي يهرفون ﴿من علم﴾: اى علم أو أية شائبة من علم، ف ﴿من﴾ تلمح كتصريحه ألاَّ علم لهم اطلاقاً في حصرهم الحياة بالدنيا، وموتهم بالدهر وتناسخ لأرواحهم، أمّاذا من هرطقات وأساطير الجهالات.

فالقول بغير علم جهل عميق وحمق عريق قد يعبر عنه بالظن، وكيف الظن وهو اعتقاد راجح؟:

حالات العقل بين احتمال وشك وظن وعلم، ويقين بمراتبها، فإذا كانت مستندة إلى حجة مقبولة كانت ممدوحة:

أمّا إذا لم تستند إلى وثاق وإنما بما تهوى الأنفس فهي كلها مطرودة ولو كانت يقيناً وهؤلاء يظنون ما يتقولون دونما حجة لهذه الرجاحة الظنية: ﴿إن يتبعون إلاَّ الظن وما تهوى الأنفس﴾ فهو أردء من احتمال مرجوح يملك برهانه.

وقد يعبر عن يقينهم - الخاوى عن حجة - بالظن، تزييفاً لموقفه و تنزيلاً إلى الظنّ المتهوّسة التي لا تملك أية حجة في أية رجاحة لما يظن.

وعلى أية حال فمن حالات النفس مقدسة وإن كانت شكاً في الحق إذا كان عن حجة ولمّا تصله حجة الحق وهو يتحرّأها، ومنها مدنسة وإن كان يقيناً حين لا تملك حجة إلاَّ على خلافها كظنون الدهريين والمشركين وأضرابهم من الناكبين المقصّرين عن صراط الحق.

فإذا كانت من هدى العقل متحرية عن الحق صحّت، أو كات من هوى النفس متجرئة على الحق سقمت، وماذا بعد الحق إلاَّ الضلال فأنى تصرفون!:

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ

لمن جحد المقدر وانكر المدير، زعموا انهم كالنبات، ما لهم من زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجئوا الي حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما ادعوا وهل يكون بناء من غير بان او جناية من غير جان.

صَادِقِينَ ﴿٢٥:٤٥﴾

وَأَبَاؤُهُمْ كَأَمْثَلِهِمْ ﴿٢٥:٤٥﴾ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴿٢٥:٤٥﴾ وهل اللاّ دليل لمن ليس له دليل دليل، لأنّه من القدامى الماضين؟ ولو أتوا بدليل فهل يربوا على آيات الله البيّنات؟ فهل يأتى الآباء المشركون بأفضل مما أرسل به المرسلون، أم لهم حجج على ما يدّعون، ﴿٢٥:٤٥﴾ وما كانت حجّتهم ﴿٢٥:٤٥﴾ على ممر التاريخ الرسالى ﴿٢٥:٤٥﴾ إلاّ أن قالوا اتّوا بأبائنا إن كنتم صادقين ﴿٢٥:٤٥﴾.

﴿٢٦:٤٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦:٤٥﴾

إنها لا صدفة للحياة والموت ولا فاعلية مستقلة من هذا الكون فى إحياء وإماتة، فإنما الله، والله فقط ﴿٢٦:٤٥﴾ يحييكم ﴿٢٦:٤٥﴾ للحياة الدنيا ﴿٢٦:٤٥﴾ ثم يميتكم ﴿٢٦:٤٥﴾ عنها ﴿٢٦:٤٥﴾ ثم يجمعكم ﴿٢٦:٤٥﴾ فى حياة أخرى ﴿٢٦:٤٥﴾ إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴿٢٦:٤٥﴾ فى مثلث الإحياء والإماتة والجمع ليوم القيامة ﴿٢٦:٤٥﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦:٤٥﴾.

مختلف الأفعال المنتظمة دليل على فاعلية إلهية حكيمة عليمّة للحياة والموت، والألوهية الحكيمة العادلة لزامها الجمع إلى يوم الجمع، فالآية إذا برهان إجمالى لإثبات المبدء والمعاد.

الله يحييكم كما أحيى الدهر، ثم يميتكم كما يميت الدهر، فالحياء والموت تلو بعض مشهودان لكل حيبى فى مشهد الدنيا، فماذا يُجديكم أن يؤتى بأبائكم؟ ثم الذى يحيى أول مرة ويميت هو أجدر أن يحيى ثانى مرة ويميت وهو أهون عليه، كما يجمع الجميع للموت يوم الجمع الإماتة، ثم للحياة فى الجمع الإحياء.

﴿٢٧:٤٥﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْسِرُ الْمُبْطِلِينَ ﴿٢٧:٤٥﴾

﴿٢٧:٤٥﴾ لا سواه ﴿٢٧:٤٥﴾ ملك السماوات والأرض ﴿٢٧:٤٥﴾ تعبيراً عن الكون كله، ملك لا يزول ولا يتنقل ﴿٢٧:٤٥﴾ ويوم تقوم الساعة ﴿٢٧:٤٥﴾ القيامة ﴿٢٧:٤٥﴾ يخسر المبطلون ﴿٢٧:٤٥﴾ فى واقع أعمالهم وأفكارهم الظاهرة هناك يحقائتها الباطلة، مهما لم يظهر خسارهم يوم الدنيا كما يجب، رغم أنهم فى خسار وبوار، ومعيشة ضنك ﴿٢٧:٤٥﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى.. ﴿٢٧:٤٥﴾ !

ايام الله

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤:٤٥)

أيام الله وما هي أيام الله؟ أليست كل الأيام لله حتى تقتسم الأيام بما لله وما لغير الله؟ وكل مكان وزمان لله!

أجل الأيام كلها من الله والله، ولكن - الظاهر فيها حكم الله، والحاكم فيها سمات الله وبصماته لاسواه - ليست هي كل الأيام، فكما أنه مالك يوم الدين وإن كان مالكا ليوم الدنيا، كذلك في الدهر أيام خاصة بالله لا دور فيها لسواه، كيوم الرجعة ويوم البرزخ ويوم القيامة، فالأول رغم كونه في الأولى هو من أيام الله حيث الحاكم فيه بقیة الله عليه سلام الله، والآخران هما الله إذ تقطعت الأسباب فلا حكم إلا لله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

ليس يخص أيام الله بالأخرى فإنه يوم لا أيام، ولا هو مع البرزخ الوسطى فإنهما يومان لا أيام، وأقل الجمع ثلاث، فالقدر الثابت من أيام الله ثلاث، وقد تكون هي الأصلية وأيام أخرى - كسائر أيام دولة الحق - على هامشها!

لأنجد أيام الله في سائر القرآن إلا هنا وفي إبراهيم: ﴿ولقد أرسلنا موسى إلى قومه أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكّرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (٥:١).

في الدنيا لله أيام مركزها الرئيسي يوم الرجعة والقائم، ثم وعلى ضوئه كل يوم يغلب فيه حكم الله، فهو إذاً يوم واحد، تجمع به بركات الله على أوليائه، ومنذ الموت

١. هنا روايات ثلاث إحداهما ما رواه العياشي عن أبي عبدالله (عليه السلام) في الآية «وذكرهم بأيام الله» قال: بالآء الله يعني بنعمته، والثانية في كتاب الخصال عن مثني الجنّاط قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: أيام الله يوم القائم ويوم الكرة ويوم القيامة، والثالثة ما أورده القمي في تفسيره في الآية قال: أيام الله ثلاثة: يوم القائم (عليه السلام) ويوم الموت ويوم القيامة.

حتى القيامة يوم، واليومان محدودان، ومن ثم القيامة الكبرى دون حدٍّ إلا ما يحدده عدل الله في أهل الجحيم حيث يفنون أخيراً بفناء الجحيم.

والذين لا يرجون أيام الله هم الناكرون والمترددون في هذه الأيام، دولة عالمية، ثم برزخ، ثم قيامة، وبصيغة أخرى: قيامة صغرى ثم وسطى ثم كبرى - هي أيام الله - التي لا يرجوها إلا أهل الله.

من حق أيام الله أن تُرجى إذ تعنى هذه الثلاث، أو تُخاف كأيام العذاب الإستتصال، والثانية لمن لا يرجو الأولى.

وترى كيف يؤمر الذين آمنوا أن يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهم خطر وشرر على الكتلة المؤمنة؟ ثم وكيف يغفرون، وليس الغفر إلا بيد الله، وهو أيضاً لا يغفر حيث غفرهم يعني: ❀ ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون ❀!؟

الغفر وهو الستر والإغماض، قد يعنى غفراً إلهياً لا يتكفله غير الله ولا سيما فيما الله واعدٍ فيه العذاب كما هنا، أم غفراً بشرياً فيما يحق له الانتقام ولا يسطع أم لا تناسبه الظروف كما في العهد المكي فليُغفر حتى يأتي الله بأمره كما في العهد المدني، أم غفراً في الدعوة غير الناتجة لمن كُتب عليه العذاب حيث الإنذار وسواه عليه سواء، فليُغفر الإنذار إعراضاً عن الدعوة ليدوقوا وبال أمرهم ❀ ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون ❀ وهذا الغفر يستمر في كافة العهود الرسالية للذين آمنوا.

إذاً فآية الغفر ليست منسوخة بآيات القتال المكية حيث الغفر الأخير مستمر في ممرات الدعوة، والثاني مستمر في ظروفه طوال الدعوة، مهما كان العهد المكي من أبرز مصاديقه، فللمسلمين عهود تختلف، ولكل ظرف عهده من قيام وعود وحرب وصلاح، ومن الغفر للذين لا يرجون أيام الله ترك الدعوة حين لا تؤثر إلا مزيد الطغيان فحرب وإبادة، كما منه تركهما إذ لا يسطع المحاربة، وكل يتطلب ظرفه المناسب له، والظرفان مشتركان في استحقاق العقوبة ❀ ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون ❀.

فالغفر - إذاً - قد يكون رحمةً من الله أو من أهل الله كسائر موارد التسامح عن المذنبين، وقد يكون نقمةً كما في ترك الدعوة مقاطعةً لإقامة الحجّة للذين ❀ سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ❀ وهذه المقاطعة تزيد المقطوع عنه

طغياناً وكفراً فعذاباً فوق العذاب، أم في ترك الإنتقام إذ لا تسطع فإلى الله المصير فيما لا تسطع ❁ ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون ❁.

كما ومن الغفر واجب ومنه راجح ومنه محرم، ولا يؤمر الذين آمنوا إلا بغير المحرم، فترك ملاحقة الكفار والمفسدين عند المُكْنَةُ محرم، وترك الأمر والنهي في ظروفها المتطلبَةُ لهما محرم، وترك الدعوة فيما تؤثر أو تزيد حجةً محرمٌ، فمثلت الغفر محرم لاتعنية آية الغفر هذه كما لاتعنى الغفر المستحيل وهو السماح عن الذنوب الخاص بالله. ❁ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ❁ (١٥:٤٥). فكل من العمل الصالح والطالح يرجع بلزام آثاره إلى عامله، مهما أثر في الآخرين، فمن سنَّ سنةً حسنةً كان له مثل اجر من عمل بها الى يوم القيامة ولا ينقص اولئك من اجورهم، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر من عمل بها الى يوم القيامة ولا ينقص اولئك من اوزارهم شيئاً، جزاءً من ربك عطاءً حساباً وعقاباً وفاقاً.

❁ وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ❁ (١٦:٤٥).

ذلك بيت اسرائيل، أوتى مثلثاً من الرحمة: الكتاب والحكم والنبوة، فى الرعيل الأعلى منهم، ومن ثم رحمة عامة : ❁ ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ❁.

فقد جُمعت لهذا البيت المفضل على العالمين مجامع الرسالة، من رسول

١ . نور الثقلين ٣ : ١ ج ٦ عن تفسير القمي فى الآية قالك يقول لأئمة الحق لاتدعون على ائمة الجور حتى يكون الله الذى يعاقبهم فى قوله «ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون» حدثنا ابوالقاسم قال حدثنا محمد بن عباس قال حدثنا عبدالله بنم موسى قال حدثني عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى قال حدثنا عمر بن رشيد عن داود بن كثير عن ابي عبدالله (عليه السلام) فى الآية : «قل للذين مننا عليهم بمعرفتنا ان يعرفوا الذين لايعلمون فاذا عرفوهم فقد غفروا لهم» أقول ليست معرفتهم غفراناً لهم الا فى تاركة الدعوة حيث أيسوا بما عرفوهم من هداهم .

جمعت له ﷻ الكتاب والحكم والنبوة ٥ كموسى والمسيح (عليهما السلام) كتاب مستقل وحكم رسالى مستقل ونبوة ورفعة فى الحكم الكتاب. ومنهم من أوتى كتاباً برسالة دون حكم ولا نبوة، اللهم إلا حكماً ملكياً كداود وسليمان، أم حكماً على هامش ولى العزم كسائر الحكم فى سائر المرسلين، وأما النبوة المطلقة وهى رفعة فى الحكم الرسالة فهى لولى العزم خاصة، فكل نبي رسول وليس كل رسول نبياً ف ﷻ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ٥.

ومنهم من أوتى حكماً دون كتاب ولا نبوة كطالوت ملك اسرائيل، حكماً على ضوء الرسالة وليس حاكمه من الرسل فما أوتى كتاباً فضلاً عن نبوة. ثم الذين لم يؤتوا كتاباً ولا حكماً ولا نبوة فى أنفسهم، عاشوا مثلث هذه الرحمة، حيث كانت لهم وإليهم كراس الزاوية الرسالية.

الحياة البرزخية للذين قتلوا في سبيل

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢: ١٥٣)

الصبر كاستقامة سلبية حفاظاً على كيان الإيمان هو الناحية السلبية من كلة التوحيد، كما الصلاة قوامة إيجابية: تداوم التكامل لحاصل الإيمان، هو الناحية الإيجابية لكلمة التوحيد، فالصبر ككلّ يعني الشطر الأوّل لهذه الكلمة، والصلاة ككلّ للشطر الثاني، و ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ تأكيد للمرحلة الأولى فإنها أهم من الثانية، وهذه المعية الربانية للصابرين كافلة لصالح المرحتين.

هنا تُرَجَّح ميزانية الصبر حيث المسرح يستقبل حكم الجهاد بملاقات الأهوال و مقارعة الأبطال، فالإهتمام بالصبر فيه أهم، وهناك في أخرى ﴿ وَإِنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٢: ٤٥) تُرَجَّح ميزانية الصلاة لأنها كأصل وضابطة خير موضوع وهي عمود الدين، ونظراً إلى احتمال ثانٍ ﴿ إِنهَا ﴾ تعنى الإستعانة بالصبر والصلاة كليهما، فهما إذاً ردف بعض ولصق بعض في حظيرة الإيمان، مهما اختلفت مجالاته في تأثير أهم لأحدهما صبراً او صلاةً، وقد فصلنا القول فيهما على ضوء آية الخاشعين، وأن من الصبر ممدوح مأثور به، ومنه مقبوح منهي عنه كالصبر على الظلم والظيم.

والإستعانة بالصبر والصلاة في كل المجالات لها دور عظيم عميم لإدارة الشؤون الحيوية الإيمانية، فردية وجماعية في كل الحقول، ولاسيما في حقل الجهاد، فانه للمسلمين حياض ومهاد وسداد، فعلى الأنفس المؤمنة أن تكون مشدودة الأعصاب، شديدة الإعتصاب، مجتدة القوى، يقظة للمداخل والمخارج، وللدخل والدخيل والخارج، والزاد الألى في كل ذلك هو الصبر، صبراً عن المعاصي وعلى الطاعات، وعلى جهاد المشاقين الله، والكائدين بشرعة الله، وصبراً على بظء النصر، وعلى بُعد الشقة وعلى كل مشقة في هذه السبيل الشاقة الطويلة، وعلى انتفاش الباطل وقلّة الناصر، وعلى التواء النفوس وضلال القلوب وثقله العناد ومضاضة الأغراض، ومن استقبل البلايا بالرحب

وصبر على سكينته ووقار فهو من الخاص ونصيبه ما قال الله عزوجل: ﴿ان الله مع الصابرين﴾^١ وحين يقل الصبر أو يكلُ فالصلاة، وإنها المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد، تُجدد الطاقة الكليّة، وتزود القلوب العليّة فيمتد - إذاً - حبلُ الصبر دونما انقطاع، ف ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ومن الصبر في المقال بعد الصبر في الحال والفعال:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤:٢)

هذه من الآيات الدالات على الحياة البرزخية، تختص هنا بمن يقتل في سبيل الله لمناسبة المسرح والموقف، ف ﴿أموات﴾ هنا يعني موت الفوت الذي ليس فيه ولا بعده حياة، فهو الموت المطلق، لا مطلق الموت الذي قد تصاحبه حياة تعنيها ﴿بل أحياء﴾ فهم أحياء بعد موتهم ﴿ولكن لا تشعرون﴾ حسياً أنهم أحياء، فاشعروا معرفياً بما يعرفكم الله أنهم ﴿أحياء﴾.

وإنها ليست - فقط - حياة الذكر بعد الموت، فما هي الفائدة للميت دون أية حياة أن تكون له حياة الذكر وهو لا يشعرها، ثم الثانية النظرية لها، الشارحة لحياتها أكثر منها ﴿عند ربهم يرزقون. فرحين.. ويستبشرون ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (١٩٦:٣) تصريحات لا حولَ عنها لواقع الحياة بعد الموت دون حياة التخيلات، وسوف نأتي على تفصيل القول عند تفسيرها.

١ . نورالثقلين ١ : ١٤١ عن مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) . . . وفيه عن تفسير العياشي عن الفضيل عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال: يا فضيل! بلغ من لقيت من موالينا عنا الإسلام وقل لهم إنني أقول: إنني لأغني عنكم من الله شيئاً إلا بورع فاحفظوا ألسنتكم وكفوا أيديكم، عليكم بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين.

إنهم يعيشون بعد موتهم ﴿ في الجنة على صور أبدانهم ﴾^١ ﴿ في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا ﴾^٢، وفي صيغة ثالثة ﴿ إن الأرواح في صفة الأجساد ﴾^٣. وما أقبحها فرية على رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) انهم ﴿ في صوره طير بيض تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش ﴾^٤.

فلو أنها - فقط - حياة الذكر، فكيف ﴿ لا يشعرون ﴾؟ وحتى الماديين الناكرين للحشر يمشون وراء حياة الذكر، رغم انها لهم خيال على خيال، فان حياة الذكر إنما يشعرها ويعمل على تحصيلها من له حياة بعد الموت حتى يلتذ بحياة الذكر فيها.

وان حب حياة الذكر - الفطرى - هو من الأدلة الفطرية لاستمرارية الحياة بعد الموت، وهو من الحجج الدامغة على ناكري الحياة بعد الموت، إذ لو لم يكن بعد الموت حياة، فأى دافع لمن يُبطل حياته لبقاء آخرين، وإن يُحرم

١ . المصدر فى المجمع عن ابى بصير قال: سألت عبدالله (عليه السلام) عن ارواح المؤمنين؟ فقال: فى الجنة على صور ابدانهم لو رأيتهم لقلت فلان.
٢ . المصدر عن المجمع عن يونس بن ظبيان قال كنت عند ابى عبدالله (عليه السلام) جالسا فقال: ما يقول الناس فى ارواح المؤمنين؟ قلت: يقولون: فى حواصل طير خضر فى قناديل تحت العرش، فقال ابو عبدالله (عليه السلام): سبحان الله! المؤمن أكرم على الله أن يجعل جعل روحه فى حوصلة طائر أخضر، يا يونس! المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه فى قالب كقالبه فى الدنيا فيأكلون...».

٣ . فى الكافى عن الصادق (عليه السلام):... فى شجر من الجنة تعارف وتساءلٌ فاذا قدمت الروح على الارواح تقول دعوها فانها قد اقبلت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان، فان قالت لهم: تركه حياً ارتجوه، وان قالت لهم: قد هلك قالوا: قد هوي هوي.

٤ . الدر المنثور ١ : ١٥٥، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) فى صورة...، وفيه عن كعب بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ان ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة او شجر الجنة.

على نفسه لذتها ليتمتع آخرون، حيث العاقل - أيًا كان - لا يعطى إلا استعطاءً
بديلًا ما يعطى، إما هنا أم في الحياة الأخرى، وليست حياة الذكر لها دور إلا
لمن هو حي بعد موته عن الحياة الدنيا حتى يشعر تلك الحياة، وإذا لحياء فلا
شعور للذكر حتى يجهد في تحصيله!.

وقيلة القائل: ان الخطاب في ﴿لا تقولوا﴾ موجه الى المؤمنين الذين
يعتقدون في الحياة بعد الموت كأصل ثالث من الدين، فكيف ينهاتهم عن قالتهم
هذه وهم مؤمنون؟ فلتكن ﴿بل أحياء﴾ حياة الذكر!.

إنها مردودة عليهم، بأن الحياة البرزخية لم تكن باهرة لهم كحياة القيامة،
وهذه هي الثالثة من أصول الدين، وأما البرزخية التي يشك فيها حتى الآن
جماعة من المسلمين - منهم قائل هذه القليلة - فلم تكن بذلك الظهور، فلتذكر
لهم بمثل هذه الذكريات التي تحملها الآيات البرزخية الباهضة، الناهضة لما
فوق العشرين!.

ثم وحياة الذكر أيضاً - إضافة إلى أنها لائحة حتى للماديين - هي كذلك
تطلب حياة بعد الموت تُدرك فيها كلذة من ملاذها! وإذا لا تُدرك إذ لحياء
بين الدنيا والآخرة فكيف يرغب القرآن المؤمنين إلى حياة تخيلية لا واقع
لها؟!.

فالقول إن ﴿بل هم أحياء﴾ قد تعنى الحياة الأخرى، يردده ان الاعتقاد
فيها هو من اوليات العقائد الإسلامية التي ابتداء الإسلام بها، ثم العبارة الصالحة
لخصوصها ﴿بل هم يحيون﴾ دون ﴿أحياء﴾ الدالة على استمرارية الحياة
دون فوت، فلنستعن بالله صبراً - فيما نستعين - بالصبر على أمثال هذه
الأقاويل، والرد عليها بنصوص من القرآن كهذه وأضرابها.
وهنا احتمالات أخرى لا تحتملها هذه الآية وأضرابها الصريحة في الحياة

البرزخية... وترى الآية - بعد - مختصة بحياة الشهداء، نافية لحياة غيرهم من السعداء والأشقياء؟ كلا! فان هذه الحياة الخاصة رزقاً عند ربهم، هي للنبيين أخص، وليسوا كلهم ولا جُلهم من الشهداء، كما وفي غيرهم من هو أفضل من بعض الشهداء، فلماذا تختص هذه الكرامة - فقط - بالشهداء! ثم وإثبات الحياة البرزخية للشهداء، ليس لينفيها عن غير الشهداء، لاسيما وأن المجال هنا مجال الترغيب للقتال في سبيل الله، وجبر خواطر أهلهم أن افتقدوهم، فلكل مجالٍ قال، كما لكل مجال.

ومن ثم فعشرات من الآيات الدالة على الحياة البرزخية لكافة المكلفين، مؤمنين وكافرين، إنها تدلنا دلالة قاطعة لامحيد عنها على شمولية الحياة البرزخية دونما استثناء!

ثم وفي رجعة ثانية إلى الآية ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ نهي عن قوله الممات للشهداء، وطبعاً في حقل ﴿مات وفات﴾ ثم لاهية بعد ما مات أبداً، ولا يقوله مسلم، أم لا حياة في البرزخ بين حياتي الأولى والأخرى كما كان يظنه المسلمون فيمن سواهم ولما يبين لهم برزخ الحياة، فهذا من البيان: ﴿لا تقولوا - هم - أموات﴾ بل ﴿قولوا﴾ ﴿أحياء﴾ وان لم تشعرُوا تلك الحياة، وقد يشعركم إياها حالة النوم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا..﴾ (٤٢:٣٩) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ..﴾ (٤٠:٦).

انهم قتلوا في ظاهر الجسد الدنيوي، وما يشعركم أنهم - كذلك - قتلوا في الروح وفي جسد آخر هما غير محسوسين، فحين يخبرنا ربنا ﴿بل هم أحياء﴾ نصدقه كما نصدق الحياة المحسوسة وأخرى، حيث الوحي أحرى بالتصديق من الحسن وأقوى. أجل! ﴿أحياء﴾ أحياء من قسم كثير من الأحياء في البرزخ، ولذلك لا يغسلون

١ . أخرجه مالك والشيخان عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، فالغسل تطهير للجسد الميت وهم لا يحكم عليهم بقتلهم حكم الميت، فثيابهم بعد قتلهم هي ثيابهم قبله! رمزاً الى حياة لهم قوية فائقة.

وقد وردت في شأن الشهداء آيات وروايات، فتراهم يقرنون بالنبیین والصدیقین قبل الصالحین: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٤:٦٩) ومن الشهداء هم القتلى في سبيل الله، لا سواه.

وفي حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿ما أحد يدخل الجنة يجب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة﴾^١.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٢:١٥٥)

في ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ تأكيدات ثلاث في تحقيق ذلك البلاء، ثالثها جمعية الصفات الربانية المستفادة من صيغة المتكلم مع الغير، فلا بد في مسرح الإيمان من مصرع البلاء بشتى الألوان، نفسياً: ﴿من الخوف﴾ و﴿بدنياً﴾: ﴿والجوع﴾ ومالياً: ﴿ونقص من الأموال﴾ ونفسياً لكم ومن هو مثلكم: ﴿والأنفس﴾ وكضابطة تشمل كل نفس ونفيس من غال ورخيص: ﴿والثمرات﴾.

فـ ﴿الثمرات﴾ نعم ثمرات العقول والعلوم والقلوب، ومن الثالثة الأولاد الصالحون الذين هم من أعلى ثمرات الحياة، مهما شملت ثمرات الزرع والزرع، حيث الثمرات النفسية أنفس وأعلى من ثمرات الجسم.

﴿وبشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على هذه البلايا المحلقة على المؤمنين فيما لهم من حيويات روحية ومادية: ﴿الم﴾ (١) أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

١ . عن نهج البلاغة عن الامام امير المؤمنين على (عليه السلام).

يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٩﴾ (١: ٣-٢٩).

أجل و ﴿٢٩﴾ ان الله يبتلى عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات والبركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويتذكر متذكر ﴿٢٩﴾، ثم و ﴿٢٩﴾ كذلك نبلوهم بما كانوا يسفقون ﴿٧: ١٦٣﴾ كما يبتليهم وهم صالحون، مخلصون ومخلصون: ﴿٢٩﴾ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴿٢: ١٢٤﴾.

وكضابطة عامة: ﴿٢٩﴾ وَ نَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِنَّا نَرْجِعُونَ ﴿٢١: ٣٥﴾ ﴿٢٩﴾ وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧: ١٦٨﴾.

لا فحسب - بل والشرعة الإلهية بتتابعها في مختلف طقوسها بأدوارها بلاء: ﴿٢٩﴾ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِنَبَلُّوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴿٥: ٤٨﴾ ﴿٢٩﴾ وَ رَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِنَبَلُّوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴿٦: ١٦٥﴾

بل والموت والحياة كلُّ بلاء: ﴿٢٩﴾ وَ رَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِنَبَلُّوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴿٦: ١٦٥﴾.

بل والموت والحياة كلُّ بلاء: ﴿٢٩﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِنَبَلُّوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٦٧: ٢﴾.

ثم ﴿٢٩﴾ إن أشد الناس بلاءً النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يُبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحَّ دينه وصحَّ عمله إشتد بلاءه وذلك أن الله عزوجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر، ومن سخر دينه وضعف عمله فقد قل بلاءه، والبلاء أسرع إلى المؤمن المتقى من المطر إلى قرار الأرض ﴿٢٩﴾.

وحيثما نرى أصحاب الغايات الدنيوية الدانية يتحملون مختلف ألوان البلاء من

١ . عن نهج البلاغة عن الامام اميرالمؤمنين على (عليه السلام).

٢ . نورالثقلين ١: ١٤٣ في العلل باسناده الي سماعة بن مهران عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: ان في كتاب على (عليه السلام): ...

أجل الحصول عليها، فبأحرى لأصحاب الغايات الأخروية أن يتحملوا خلفياتها وأعباءها.

كما ولا يدرك الآخرون قيمة الإيمان إلا حين يرون ابتلاء أهله وصرهم على شديد بلاءه، وعندئذٍ قد ينقلب المعارضون لعقيدة الإيمان باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها.

فالشدائد تشجيش مكنونات القوى، ومذخورات الطاقات، فاتحة في القلوب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد، فـ ﴿عند تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال﴾.

﴿وبشر الصابرين﴾ على البلايا والرزايا ﴿فمن سترها ولم يشكُ إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستر فهو من هؤلاء ونصيبه﴾ مما قال الله ﴿وبشر الصابرين﴾. وإن أبلى البلاء للمؤمنين هو في الغيبة الكبرى لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو أصدق مصاديق آية البلاء.^٢

ومن هم الصابرين - ككل - حتى نعرفهم بأجمعهم في صيغة مختصرة؟:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦:٢)

١ . مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل: ...
٢ . نورالثقلين ١: ١٤٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الي محمد بن مسلم قال سمعت ابا عبدالله (عليه السلام) يقول: ان لقيام القائم (عليه السلام) علامات يكون من الله عز وجل للمؤمنين، قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال: ذلك قول الله عز وجل «ولنبونكم» يعني المؤمنين قبل خروج القائم (عليه السلام) «بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانس والثمار وبشر الصابرين» قال «نبونكم بشيء من الخوف» من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم «والجوع» بغلاء اسعارهم، «ونقص من الاموال» قال: كساد التجارات وقلة الفضل «ونقص من الانفس» قال: موت ذريع «ونقص من الثمرات» ت لقلة ريع، بزرع «وبشر الصابرين» عند ذلك بتعجيل الفرج، ثم قال يا مجمل! هذا تأويله، ان الله عزوجل يقول «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم».

❁ مصيبة ❶ هي صفة لـ ❁ رمية ❷ وأصلها ❁ رمية مصيبة ❸ فتشمل كل رمية من أي رام تصيب الإنسان، في نفسه أو ماله، أمّا له على أية حال، وهي تأتي لخير قليلاً ولشر كثيراً، ومن مصيبة الخير إقبال الدنيا على المؤمن بماله وماله ورئاسته، فإنها بلاءٌ يصعب على المبتلى بها ان يتخلص عن أوزارها وأضرارها، ولكن ❁ إذا أصابهم مصيبتهم ❹ قد تختصها بمصيبة الشر، أو يقال إن الحياة العادية بين اقبال الدنيا وادبارها هي قليلة البلاء أو خفيفتها، فإنما المهم ❁ نيلوكم بالشر والخير فتنه... ❺ فالعوان بينهما خارج عن تلك البلية.

والمصيبة - وهي - في الأكثر - التي توجع الإنسان قل أو كثر - قد تكون بما قدمت أيدي المصاب: ❁ فكيف إذا أصابتكم مصيبتهم بما قدمت أيديهم ❶ (٤:٤٢) - ❁ فأصابتهم سيئات ما عملوا ❷ (١٦:٣٤) - وأخرى بما كسبت أيدي الناس ظلماً: ❁ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ❸ (٣:١٤٦)، حيث تجب فيها الدفاع حسب المستطاع: ❁ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ❹ (٤٢:٣٩)، ويجمعهما ❁ ما كسبت أيديكم ❶ أنفُسكم أو سواكم: ❁ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ❷ (٤٢:٣٠).

والمصيبة ان كانت حسنة فمن الله وان كانت سيئة فمن نفسك وكل من عند الله، حيث يأذن له تكوينياً مهما كانت غير مأذونة تشريعياً: ❁ ما أصاب من مصيبة إلا بأذن الله ❶ ❁ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا ❷ (٥:٤٩)، وهي تعم كتابة الجزاء هنا، وكتابة تمشية الإختيار ممن يظلم بما يصيب سواه، وكتهاية الإمتحان لمن يرتقى بما يُصاب صابراً عليه فـ ❁ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ❸ (٥٧:٢٣)، وعلى أية حال ❁ قل كل من عند الله ❹ صدوراً بأذنه أي كان: ❁ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَوْ لَأَنَّ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا. ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة

فَمِنْ نَفْسِكَ.. ﴿٧٩:٤﴾.

فإذا كانت المصيبة السيئة من عند الله بما كسبت أيديكم أم بما كسبت أيدي الناس أم وابتلاءً من الله، ففضيلة الإيمان بالله أن تقول عندها ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ﴿١﴾ مهما وجبت عليك الدفاع والانتصار، فإنها لا تطارد كلمة الإسترجاع. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه) ﴿٢﴾ و ﴿وما من نعمة وإن تقادم عهداً فيجدد لها العبد الحمد إلا جدّد الهل له ثوابها، وما من مصيبته وإن تقادم عهداً فيجدد لها العبد الإسترجاع إلا جدّد الله له ثوابها﴾ و ﴿إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم - فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمد واسترجع، فيقول الله: إبنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد﴾ ﴿٣﴾.

و (ان للموت فرعاً فإذا أتى أحدكم وفاة أخية فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون: وإنا إلى ربنا لمنقلبون...) وليس فحسب مصيبة الموت التي يحق لها الإسترجاع، بل و (إذا انقطع شسع أحدكم فليسترجع فإنها من المصائب) وقد (طفى سراج النبی (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون فليل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمصيبته هي؟ قال: نعم و كل ما يؤذى المومن فهو مصيبته له وأجر) و على الجملة (قسّم الله العقل على ثلاثة أجزاء فمن كنّ فيه فهو العاقل ومن لم يكنّ فيه فلا عقل له، حسن المعرفة بالله و حسن الطاعة لله و حسن الصبر لله).^١

١ . الدر لمنثور ١: ١٥٦ - ١٥٩ - أخرج كلاً جماعة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها ما أخرجه الديلمي عن عائشة قالت أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد لدغته شوكة في إبهامه فجعل يسترجع منها ويمسحها فلما سمعت استرجاعه دنوت منه فنظرت فإذا أثر حقيير فضحكت، فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا أباي أنت وامى أكل هذا الإسترجاع من أجل هذه الشوكة؟ فتبسم ثم ضرب علي منكبي فقال: يا عائشة إن الله عزوجل إذا أراد أن يجعل الصغير كبيراً جعله، وإذا أراد أن يجعل الكبير صغيراً جعله.

هذا! ثم و ﴿قَالُوا﴾ هنا تلك المهمة الكبرى التي يبشّر الله فيها، ليست هي - فقط - لفظة القول، كما الصبر - أيضاً - ليس من هذه المقولة، فإنما ﴿قَالُوا﴾ باللسان إخباراً عن حالة واقعة في الجنان، فألسنتهم قائلة وأعمالهم - عند المصيبة - عما في القلب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

أم ﴿قَالُوا﴾ بلسان قائلهم وحالهم وأعمالهم، فهم - إذاً - بكل كياناتهم استرجاع لربهم عند مصائبهم. ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ ككل، في ذواتنا وصفاتنا وأفعالنا وإدراكاتنا، فكل ما لنا ومنا وإلينا، ممالك لله دون أية حرية طليقة عن مشيئة الله، فحين تصيبنا مصيبته لسنا نتضايق أبداً ولا تساءل، لأنها ليست إلاّ باذن الله، ثم ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ كيفما كنا وأين وأنى.

ترى ما ذلك الرجوع؟ أرجوع إليه عما كنا عنده؟ ﴿وهو معكم وإنما كنتم﴾ دون انفصال علمه وقدرته وإرادته!.

أم رجوع إلى عالمه الأخير في الدار الآخرة؟ ولم نكن فيها حتى نرجع إليها! ثم الرجوع إليها ليس - بالتمام - رجوعاً إليه حتى وإن كنا من قبل فيها!.

قد يعنى ﴿إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ رجوعنا الى ما كنا في ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ ولكن أين؟ فهل رجوعاً الى ما نحن الآن من ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ وهو تحصيل للحاصل؟!.

علّه رجوع الى ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ قبل الإختيار والتكليف إذ كنا أجنّة في بطون أمهاتنا لانعلم شيئاً حتى نعمل شيئاً فكنا ﴿لِلَّهِ﴾ لا لأنفسنا، إذ لم نكن نستطع على شيء من أمرنا، فكذلك نرجع إليه بنفس الحالة، حيث الحياة البرزخية ثم الأخرى، لاخيرة للأحياء فيها: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١:٣٠). ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢١:٤١) فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اعتراف باختيار ما اختار الله لنا يوم الدنيا، وكما كنا مسيرين فسوف نرجع إليه كما بدأنا.

أم ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ عن كلا المرحلتين من ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ حيث الرجوع وان اقتضى البدء، فالأولى بدءه، ثم الثانية تنتهي اليه مصيراً للمسير، فقولنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اقرار

على أنفسنا بالملك، وإنا إليه راجعون، إقرار بالهلك... فإذ نحن في البدء ﷻ الله ﷻ اختياراً ودون اختيار، ثم في المصير ليس لنا اختيار، فأحرى لنا ان نختار في عالم التكليف والإختيار ما هو يختار، تصبراً على المصاب، وقولاً بالصواب: ﷻ إنا لله وإنا إليه راجعون ﷻ - ﷻ والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﷻ (٢: ٢٤٥).

فعلى مَ تأسف وتجزع أيها الإنسان عند المصاب ولا يملك إلا رب الأرباب، ثم وإليه المصير! فلا حول لك ولا طول في المصاب الذي ليس لك فيه ذهاب ولا إياب، اللهم إلا الذي يأتيك جزاءً ليس لك عنه محيد.

ذلك! ولكن الصبر على المصاب حيث أصاب، لا يعنى الصبر على كل ظلم وضميم، فان واجب الدفاع عنده يحرض على كل محاولة مستطاعة لدفع الظلم، فإنما الصبر على ما وقع منه دون جزع او تساءل على الله، ثم العمل الجاد على دفع الإصابة المشرفة، وإزالة البقية من الواقعة.

ﷻ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﷻ (٢: ١٥٧) وعل هذه الثلاث - وأنعم بها وأبشر - هي المبشر بها في ﷻ وبشر الصابرين ﷻ:

ف ﷻ صلوات من ربهم ﷻ هي رحمت عدة، يرفعهم الله بها إلى المشاركة في نصيب نبية حيث يصلى عليه هو وملائكته، فهي صلوات زيادة على عامة الصلوات في ﷻ هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ﷻ (٣٣: ٤٣)، ثم ﷻ ورحمة ﷻ خاصة مع هذه الصلوات الرحمت ﷻ وأولئك هم ﷻ وكأنه لاسواهم ﷻ المهتدون ﷻ، فهناك صلوات تعم المؤمنين، ثم خاصة تخص الشهداء منهم و الصابرين، ومن ثم أخص تخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهله المعصومين (عليهم السلام)، و كما أمرنا نصلى عليهم لما نصلى عليه.

وقد تعنى ﷻ صلوات ﷻ هنا لقرنها بـ ﷻ رحمة ﷻ إنعطافات ربانية عليهم تخلف

١ . نورالثقلين ١ : ١٤٤ عن اصول الكافي ونهج البلاغة عن الامام على (عليه السلام) .

رحمة عظيمة تلمح لها التنكير في ﴿رحمة﴾ وقد يدل عليه ﴿يصلى عليكم ليخرجكم﴾ حيث الإخراج من الظلمات إلى النور هو الرحمة، إذا فـ ﴿يصلى عليكم﴾ إنعطاف لذلك الإخراج عن ورطة الإخراج، وكما أن ﴿صلوات﴾ تخلف ﴿رحمة﴾ كذلك الرحمة تخلف الهداية، ثلاثة ردف بعض، كلُّ تنتج الأخرى، مهما كانت كلُّ صلاة من الله ورحمةً وهدايةً، إلا أن الإختلاف هو في الدرجة.

٢

الحياة البرزخية

للذين قتلوا في سبيل الله

❖ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ ﴿١٦٩:٣﴾

❖ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴿١٦٩﴾ خطاب لكل الحاسبين ذلك الحسبان الجاهل القاحل، والعائشين في جوه بتلك الدعاية المجددة للطاقت الحربية، فلا تشمل رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنما هو خطاب لأهله على الأبدال، دون من لا يخلد او لن يخلد بخلده ذلك الحسبان المناحر للإيمان، حيث الحياة البرزخية كأصل، ثم حياه الشهداء المفضلة على كل الأحياء، في البرزخ، إنها من معاريف الإيمان بفضل الشهادة وأصل الحياة بعد الموت، مهما كان الشهداء درجات كما أن سائر الصالحين درجات.

١. الدر المنثور ٢: ٩٦ - ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ان الشهداء ثلاثة فأدني الشهداء عند الله منزلة رجل خرج منبوءاً بنفسه وماله لا يريد ان يقتل ولا يقتل اتاه سهم فأصابه فأول فطرة تقطر من مه يغفر له ما تقدم من ذنبه ثم... وفيه (٩٨) اخرج البزاز والبيهقي والاصبهاني في ترغيبه عن انس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشهداء ثلاثة رجل خرج بنفسه وماله محتسباً في سبيل الله لا يريد ان يقتل ولا يقتل يكثر سواد المؤمنين فان مات او قتل غفرت له ذنوبه كلها واجير من عذاب القبر وأومن من الفرع وزوج من الحور العين وحلت عليه حلة الكرامة ووضع علي رأسه تاج الوقار والخلد، والثاني رجل خرج بنفسه وماله محتسباً يريد ان يقتل ولا يقتل فان مات او قتلت كانت ركبته مع ركبة ابراهيم خليل الرحمن بين يدي الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والثالث رجل خرج بنفسه وماله ومحتسباً يريد ان يقتل ويقتل فان مات او قتل جاء يوم القيامة شاهراً سيفه واضعه علي عاتقه والناس جاثون علي الركب يقول: ألا افسحوا لنا مرتين فاننا قد بذلنا دماءنا واموالنا لله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي نفسي بيده لولا قال ذلك لابراهيم خليل الرحمن او لنبي من الانبياء لتذجي لهم عن الطريق لما يري من واجب حقهم حتي يأتوا منابر من نور عن يمين العرش فيجلسون فينظرون كيف يقضى بين الناس لا يجدون غم

و ﴿أمواتاً﴾ هنا المسلوبة عن ساحة الشهداء بثةً، لاتعنى - بطبيعة الحال - الموت الذى بعده حياة، بل هو موت الفوت، حيث خيّل إلى ناكرى الحياة بعد الموت ككل، وناكرى الحياة البرزخية وحياة الشهادة المتميزة فيها.

إذاً ف ﴿ولا تحسبن﴾ تحلّق النهى عن ذلك الحسبان على كل حقله كجو الشبهة المختلقة ضد القتال، فالأول يجعل الموت بإذن الله إمرأً لا بد منه، والثانى بين القتل فى سبيل الله والدعايات ضده أنه فوت، وكيف يقدم العاقل على فناء حياته قائلاً: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

ليس فحسب أنهم ﴿أحياء﴾ كما كانوا قبل استشهادهم، بل هم كانوا قبله فى حياة بعيدة عن حضرة الربوبية خليطة بكل شقاء ثم الآن ﴿عند ربهم﴾ عندية الزلفى والكرامة المتميزة ﴿يرزقون﴾ رزقاً من عنده، فهى - إذاً - حياة عند يرزقون، بعد أن كانوا أحياء بحياة بعيدة خليطة بموات وظلمات.

أترى ﴿أحياء﴾ تعنى - فقط - الحياة الآخرة؟ و ﴿أمواتاً﴾ تحلق على كل حلقات الموت بعد الشهادة، فلو كانوا أمواتاً فى البرزخ بين الحياتين لصدق أنهم اموات؟ مهما أحيوا يوم القيامة، ثم ولا تصدق ﴿أحياء﴾ على الذين يُحيون يوم الدين وهم أموات فى البرزخ، وانما صيغته الصالحة ﴿بل يحيون يوم الدين﴾ ثم الخطاب ليس لناكرى الحياة يوم الدين فقط مهما كانوا ضمنه فى طليق الخطاب! فليس لناكرى الحياة البرزخية من محيص ولا محيد عنها وجاه هذه الآية المصرحة بها

الموت ولا يغتمون فى البرزخ ولا تفرغهم الصيحة ولا يهتمهم الحساب ولا الميزان ولا الصراط ينظرون كيف يقضى بين الناس ولا يسألون شيئاً إلا أعطوا ولا يشفعون فى شيء إلا شفّعوا ويعطون من الجنة ما أحبوا وينزلون من الجنة حيث أحبوا.

وفى نورالثقلين ١: ٤٠٩ فى تفسير العياشى عن جابر عن ابي جعفر (عليهما السلام) قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إنى راغب نشط فى الجهاد قال: فجاهد فى سبيل الله فإنك ان تقتل كنت حياً عند الله يرزق وان مت فقد وقع أجرك على الله وان رجعت خرجت من الذنوب الى الله، هذا تفسير «وال تحسبن...».

في بنود عدة.

ذلك وبأحرى لاتعنى ❁ أحياء❁ حياة الذكر ولا واقع لها ولا موقع إلا الخيال، ثم إذا لاحياء في البرزخ فأين - إذا - ذلك الخيال، اللهم إلا خيالاً هنا على خيال، فكيف إذا - بل هم أحياء عند ربهم يرزقون...❁ ! ثم وكيف هم ❁ فرحين - يستبشرون..❁ أما ذا من حالات مرضية بعد الموت؟.

ويا لها من حياة الزلفى المنقطعة النظير: حياة الشهداء في سبيل الله، أن يكونوا ❁ عند ربهم يرزقون❁ كما المقربون والسابقون: ❁ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ❁ (٢٠٦:٧).

ولاتعنى عندية الرب مكاناً ولا زماناً، وانما هي مكانة ربانية قدر مساعيهم ودرجاتهم، من الزلفى والمعرفة يجنب الله.

ذلك ولأنهم انقطعوا عن النفس والنفيس إلى الله، فأصبحوا وهم ليسوا عند انفسهم ونفائسهم، فإنما هم عند ربهم حيث ضحوا في سبيل ربهم، فهم - إذا - أحياء عند ربهم، فالمتفانى في سبيل هو محسوب على ذلك السبيل، سبيل الله ولا سمح الله، او سبيل الله رزقنا الله اياه.

فالمستشهدون في سبيل الله - في صيغة سائغة لهم - لهم خرجوا من عند انفسهم فخرجوا الى معراج ❁ عند ربهم❁ فما لم يخرج السالك من عند نفسه لم يعرج الى ❁ عند ربه❁ كما وكل تحلية بحاجة الى تخلية قبلها يناسبها، والمستشهد في سبيل الله يتخلى عن كلما يملكه في سبيل الله، فيتخلى بالزلفى عند الله، فطوبى له وحسن مآب.

وكما العندية في حياتهم الدنيا ذات درجات كذلك خلفيتها يوم البرزخ وبأحرى الأخرى ذات درجات ❁ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى❁.

و ❁ عند ربهم❁ هي زمر لكل مواصلة ربانية عن كل مفاصلة، إذ انقطع الشهيد عن كل ما لديه الى الله، فلم يبق له ولا عنده إلا سبيل الله، فأصبح بنفسه من سبيل الله: ❁ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ

أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣:١٧﴾

﴿فرحين﴾ حال لهم لمثلث الأحوال ﴿أحياء﴾ - عند ربهم - يرزقون ﴿فرحين أحياء﴾ وفرحين عند ربهم وفرحين يرزقون، أتراهم - بعدُ - أمواتاً عن تلك الحياء، والميت الفئت ليس يشعر حتى يفرح او يترح!

و ﴿ما آتاهم الله من فضله﴾ هو انهم ﴿أحياء﴾ عند ربهم يرزقون ﴿ولا فضل أفضل منه او يساويه ام يساميه، مهما كانت﴾ عند ربهم ﴿درجات حسب درجات الزلفى للنبیین والصدیقین والشهداء والصالحین فإنهم كلهم - على درجاتهم -﴾

النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٤:٦٩﴾. ﴿ويستبشرون﴾ هل تعنى يبشرون؟ وصيغتها هي صيغتها؟ ثم لا دور - إذا - للباء في ﴿بالذين...﴾.

الإستبشار هو طلب السرور بالبشرى، وهو ﴿بالذين لم يلحقوا بهم﴾ يعنى بسببهم ومصابحتهم فهم يطلبون البشرى فى حياتهم البرزخية بسبب الذين لم يلحقوا بهم، طلباً لبشراهم انفسهم باستمرار القتال فى سبيل الله، سواء فى نومهم او يقظتهم او بما اخبر الله من حالهم وقالهم، فمثلث الاستبشار معنى بـ ﴿يستبشرون﴾ كما و ﴿يستبشرون﴾ فيما بينهم.

ومادة البشرى هي ﴿ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فهي بشراهم لأنفسهم، وهي بشراهم للذين لم يلحقوا بهم، و ﴿هم﴾ فى ﴿عليهم﴾ و ﴿ولا هم﴾ يعمهم والذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، فقد يلمح ذلك الاستبشار انهم مطلعون على أحوال الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وانهم يوصلون هذه البشارة اليهم فى الرؤيا واليقظة أماهية، وإنما ﴿لاخوف عليهم﴾ دون ﴿لا يخافون﴾ كما ﴿لا يحزنون﴾ حيث الخوف يعم نفسه وخارجيه، والحزن يخص النفسى لما مضى.

و ﴿الذين لم يلحقوا بهم﴾ هم الذين يجاهدون على أشرف اللحوق بهم، لحقوا

بهم بالشهادة أم بالموت حيث الأصل هو قضاء النحب في سبيل الله شهادةً أو موتاً^١.
 ❊ يستبشرون.. ألا خوف عليهم ❊ أنفسهم وإياهم ❊ ولا هم يحزنون ❊ أنفسهم
 هؤلاء، لا خوف مما يحصل ولا حزن مما حصل، حيث الحصلة الأصلية من الحياة
 كللٌ حاصلٌ عندهم إذ ❊ هم أحياءٌ عند ربهم يرزقون ❊ فلماذا الخوف إذاً ولماذا
 يحزنون^٢.

وحين نتأمل في أغوار ❊ لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ❊ نجدتها تزيل عنهم كل
 أسى ونقصان في مثلت الزمان، فكما أن مستقبلهم مأمون عن كل خوف، كذلك

١ . نورالثقلين ١ : ٤٠٩ في روضة الكافي ابن محبوب
 عن الحارث بن النعمان عن بريد العجلي قال سألت
 ابا جعفر (عليهما السلام) عن قول الله عز ذكره
 «ويستبشرون...» قال: هم والله شيعتنا حين صارت
 ارواحهم في الجنة واستقبلوا الكرامة من الله عز وجل
 واستيقنوا انهم كانوا علي الحق وعلي دين الله عز
 ذكره فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من اخوانهم من
 خلفهم من المؤمنين الا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
 ٢ . الدر المنثور ٢ : ٩٥ - اخرج الترمذي وحسنة
 وابن ماجه وابن ابي عاصم في السنة وابن خزيمة
 والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في
 الدلائل عن جابر عبدالله قال لقيت رسول الله (صلي الله
 عليه وآله وسلم) فقال يا جابر مالي اراك منكسراً؟
 قلت يا رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) استشهد ابي
 وترك عيالا ودينا فقال: ألا أبشرك بما لقي الله به
 اباك؟ قال: بلى، قال: ما كلم الله احداً قط الا من
 وراء حجاب وأحياء اباك فكلمه كفاحاً وقال: يا عبي
 تمن علي أعطك قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال
 الرب تعالي قد سبق مني انهم لا يرجعون قال: اي رب
 فابلغ من ورائي فأنزل الله هذه الآية.
 ونبع الإيمان نبع النفاق معه فأتى الي رسول الله (صلي
 الله عليه وآله وسلم) رجال فقالوا يا رسول الله: لولا
 اننا نخاف هؤلاء القوم يعذبونا ويفعلون ويفعلون
 لأسلمنا ولكننا نشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله،
 فكانوا يقولون ذلك فلما كان يوم بدر قام المشركون
 فقالوا: لا يختلف احد إلا هدمنا داره وأستبحنا ماله
 فخرج أولئك الذين كانوا يقولون ذلك القول للنبي
 (صلي الله عليه وآله وسلم) معهم فقتلت طائفة منهم
 وأسرت طائفة، فأما الذين قتلوا فيهم الذين قال الله:
 «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...» ثم عذر
 الله أهل الصدق فقال: «إلا المستضعفين...».

ماضيهم مأمون عن كل حزن، فلا يحزنون على ما فات منهم وجاء ما وجدوه، فلهم فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم فيما ما يدعون، نزلاً من غفور رحيم.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^١

(١٧١:٣)

﴿يستبشرون﴾ كما استبشروا ﴿بنعمة من الله﴾ ما أنعمها وأعظمها ﴿وفضل﴾ على تلك النعمة فـ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ - ﴿و﴾ بـ ﴿أن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ وهنا الإستبشار يعمهم والذين لم يلحقوا بهم، طلب البشرى لأنفسهم وإياهم ﴿بنعمة من الله وفصل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين﴾.

وهنا ﴿أجر المؤمنين﴾ دون خصوص الشهداء مما يعمم الحياة البرزخية السعيدة لكافة المؤمنين، وكما الحياة البرزخية الشقية للآخرين حسب آيات أم بصورة مطمئنة له، فقد يستضعف لضعف إيمانه، وعليه الهجرة بدينه حفاظاً عليه إلا ألا يجد حيلة ولا يهتدى سبيلاً.

وقد يروى عن الصادق (عليه السلام) قوله سناداً الى هذه الآية (بعد أن أمر بالكلام بما ينفع ولا يضر فإن لم تجد السبيل إليه فالإنقلاب والسفر من بلد الى بلد وطرح النفس في بوادي التلف بسير صاف وقلب خاشع وبدن صابر قال الله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم..﴾^٢ .

(وقد نزلت ﴿إن الذين توفاهم الملائكة..﴾ فيمن تخلفوا عن مهجر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأكثروا سواد المشركين على رسول الله فقتلوا في الحرب)^٣

١ . مصباح الشريعة عن الإمام الصادق (عليه السلام).
 ٢ . الدر المنثور ٢: ٢٥٠) عن ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سواد المشركين على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فيأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله هذه الآية وفيه عنه قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم وقتل بعض فقال المسلمون قد كان أصحابنا هؤلاء مسلمين فاستغفروا لهم فنزلت هذه الآية قال: فكتب الي من بقى بمكة من المسلمين

مما يؤكد أن المقام في مقام الكفر الذي يضعف ساعد الإيمان ويقوى ساعد الكفر مما لا يساعده الإيمان ولا يسامح عنه، فحكمه حكم الكفر، وكما تجب محاربة المسلمين الذين تترس بهم الكفار وهم بإمكانهم الهجرة عنهم.

وترى المتخلفين عن الهجرة المكثرين سواد المشركين على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما يتوفوا، إنهم لا توبة لهم؟ النص يفرض لهم جهنم المأوى وسوء المصير إذا توفوا بحالتهم البئيسة:

❖ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ❖ فالذين يتوفون وهم تائبون ليسوا من أصحاب الجحيم، وهكذا يعالج القرآن نفوساً بشرية طائشة، هادفاً الى استجاشة عناصر خيرة تتحرى الحق وهم جاهلوه، مطارداً عوامل التناقل عن الهدى.

ومشهد الإحتضار مما ترجف له النفس، إحتفازاً لتصور ما فيه وما يحويه والملائكة يتوفونها وهي ظالمة.

والتوفى هو الأخذ وافياً، دون أن يتفلت منهم روح ولا جسم رداً على تقوّل القائل: ❖ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ❖ (١٠:٢٣) وترى ❖ تتوفاهم ❖ ماضية تختص بمن توفاهم من ذى قبل؟ ولا يختص ذلك التوفى بزمن دون زمن!

❖ تتوفاهم ❖ هي مخففة عن ❖ تتوفاهم ❖ ولو كانت ماضية لكان الأصح ❖ توفتهم ❖ كما ❖ توفتهم رسلنا وهم لا يفرطون ❖ (٦:٦١)، فكيف ❖ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم.. ❖ (٢٧:٤٧).

بهذه الآية وأنه لا عذر لهم فخرجوا فليحقهم المشركون فأعطوهم إلفتنة فأنزلت فيهم هذه الآية «ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤدى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله..» فكتب المسلمون إليهم بذلك فحزنوا وأيسوا من كل خير فنزلت فيهم «ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم» فكتبوا إليهم بذلك أن الله قد جعل لكم مخرجاً فأخرجوا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل.

ثم ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ (٢٨:١٦) و ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾ (٣٢:١٦) قرينةً سالحةً هي الأخرى ترجح مضارعة الصيغة، حيث تعنى تداوم المُصاغ له، وهو ذلك التوفى على مدار الزمن. و ﴿ظالمي أنفسهم﴾ تعم كل ظلم حيث الظلم بالغير يعود الى نفس الظالم بتبعته، فهم هنا أعم ممن ترك المهاجرة فظل ضالاً بالإستضعاف، أم وأضل من سواه ف ﴿لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً﴾ (٤٥:٧). ومن لطائف اللوحات فى ﴿ظالمي أنفسهم﴾ أنها تخرج التائبين حال التوفى إذا كانوا صادقين، فليس التائب عن ذنبه أياً كان وأيان من ﴿ظالمي أنفسهم﴾ حيث التوبة فرض وخلافها ظلم على ظلم.

ولو قال ﴿ظالمي غيرهم﴾ لم يشمل إلا الظالم غيره حال توفيه، ولكنه يعم كل ظالم نفسه حال توفيه وهو غير التائب، حيث التوبة رحمة واجبة على نفس الظالم أياً كان، إذا - فصالح التعبير هو ﴿ظالمي أنفسهم﴾ كما هنا دون ﴿الظالمين﴾ أو (ظالمي غيرهم) حيث القصد عدم حالة التوبة الصالحة حال التوفى.

ففى اللحظة الأخيرة من حياة التكليف ولات حين مناص وقد فات يوم خلاص، والملائكة يتوفونهم ظالمي أنفسهم باستجواب حاسم قاصم ﴿قالوا فيم كنتم﴾ وأنتم ظالمون لا تفيقون عن الغفوة ولا تستيقظون عن الغفلة، ﴿فيم كنتم﴾ من مكان ومكانة ومكنة لإصلاح أنفسكم وقد كنتم تعلمون أن أمامكم عقبة كعردة لا بد من الورود عليها.

ذلك وقد كانوا فى ميوعة وضياع، يخيل إليهم أنهم كانوا يحسنون صنعا أو يُعذرون حيث هم مستضعفون:

﴿قالوا كنا مستضعفين فى الأرض﴾ و ﴿جدونا ضعفاء لا أنصار لنا يناصرونا، فتحكموا علينا بضعفنا إذ لم نكن نملك من أمرنا شيئاً، فاضطرونا لإكتار سوادهم بنا على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يحررونا لكى نلتحق بسائر المسلمين، فنحن إذاً معذورون.

وهنا نتأكد أن ﴿ فيم ﴾ تشمل المكانة الى المكان والحالة الروحية والعملية، حيث ﴿ كنا مستضعفين في الأرض ﴾ تشملها.

﴿ قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها.. ﴾ وقد كان لكم أن تهاجروا دار الظالمين المستكبرين فلم تفعلوا، وأتأقلمتم الى الأرض تقديماً لأموالكم ومصالحكم الوطنية، وإبتعاداً عن مضاعفات الهجرة الى الله وملايساتها.

و ﴿ فيها ﴾ هنا دون ﴿ منها ﴾ إذ لا معنى للمهاجرة من ﴿ أرض الله ﴾ ككل، لسكنة الأرض، إذا فنطاق المهاجرة إنما هو ﴿ فيها ﴾: بضمنها، وقضيتها لكل ساكن في كنف من أكنافها مضطهداً في إيمانه، أن يهاجر منها الى كنف آخر لا إضطهاد فيه أو يقل، إذا فليست المهاجرة إلا ضمن ﴿ أرض الله ﴾ من هنا الى هناك.

أجل، فقد سلمتم أنفسكم تحت أنيار الإستضعاف وكانت لكم فسحة الهجرة الى سائر أرض الله الواسعة حتى توفاكم الملائكة ظالمي أنفسكم ﴿ فأولئك ما أوهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ وهل ترى أن تلك المحادثة الإستجواب هي قبل الموت بلحظة؟ والملائكة لا تكلم المكلف في حياة التكليف ولا سيما الظالم نفسه! ثم ﴿ فيم كنتم ﴾ تنحى كينونة التكليف الماضي، إذا فهي منذ لحظة اللاتكليف، كما ﴿ كنا ﴾ تؤيدها، ولو أنهما كانت في أخريات لحظات حياة التكليف لكانت التوبة واردة لمن يتوب توبة واقعية كما في قسم من آيات التوبة.

إذا فتلك المحادثة هي بعد توفيقهم مما يدل على الحياة البرزخية، وتلك هي من مسائلات القبر يعنى بعد الموت، لا - فقط - القبر التراب.

فقد تبده المسائلة منذ اللحظة الأولى بعد الموت، دون تأجيل لها الى مواراته في القبر، فقد يُحرق المكلف أو يُحرق أو لا يُدفن فليس له قبر، أو ليس له سؤال القبر!.
هنا ﴿ أرض الله واسعة ﴾ وكما في ثانية: ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة ﴾ (١٠:٣٩) وثالثة: ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ (٥٢:٢٩).

هذه الثلاث تؤكد لنا سعة أرض الله لتقوى الله فراراً عن طغواه، فليهاجر المؤمن

المستضعف فراراً بإيمانه وقراراً لإيقانه.

فالمستضعف المقصر غير معذور على أية حال فلا يعذر بلغة الإستضعاف بحال كما ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم قوماً مجرمين﴾ (٣٢) ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ (٣٣:٣٤).

ذلك هو المستضعف المقصر وقد يعبر عنه القرآن بالضعيف في نفسه حتى تمكن المستكبر من استضعافه: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (٤٨:٤٠) - ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٢١:١٤)

فالمستضعف الضعيف في نفسه مقصراً هو المحكوم عليه بما قصر، دون القاصر مهما كان له تقصيرٌ ما أم لم يكن له تقصير:

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (٩٨:٤).

فالمكلفون من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً للمهاجرة عن دار المستكبرين هم ليسوا من الموعودين بالعذاب.

وعلى الإستثناء هنا منقطع حيث الماضون ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ ولم يكونوا في الحق مستضعفين، بل كانوا ضعفاء في أنفسهم مقصرين في ضعفهم. أم هو متصل حيث المستضعف بين مقصراً في إستضعافه وقاصر، فالأولون هم المقصرون والآخرون قاصرون.

ثم ﴿لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ هما متوافقان في عذر القصور، ومتفارقان في أن ﴿حيلة﴾ هي العملية السرية للفرار عن دار المستكبرين، فإنها من

أصل الحيلولة بين أمرين وغلب استعمالها في الحيلولة الخفية. فهم لا يستطيعون حيلة للحيلولة بينهم وبين أنفسهم، فراراً إلى أرض أخرى، أم قراراً في أرض المستكبرين، بعيدين عنهم مستخفين حتى لا يصل إليهم كيدهم وميدهم. ثم ❀ ولا يهتدون سبيلاً ❀ إِمَّا سَبِيلًا لِلْفِرَارِ طَرِيقًا مَسْلُوكَةً مَعْرُوفَةً، أم طريقة نفسية تحجز عنهم كل دعاية كافرة بقوة الإيمان ثقافية وعقيدية.

والجامع بين الأمرين عدم الإستطاعة للخروج عن نير الإستضعاف العقيدى والعملى على أية حال و ❀ لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ❀ (٢: ٢٨٦) وهم ليس في وسعهم الهجرة بأية صورة لأنهم قاصرون.

والإستضعاف يعم العملى إلى العقيدى، ولكننا الثانى أخف وطأً وعذاباً، و ❀ ما وأهم جهنم ❀ قد يختص بالأولين، أم هو أعم من الخلود أبدياً وسواه. ❀ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ❀ (٤: ٩٩)

ترى وما هو دور ❀ عسى ❀ الرجاء، وهم أولاء قاصرون لا يكلفون حيث لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً؟ ثم الولدان غير المكلفين - فى الأصل - وهم مستضعفون كيف يعفى عنهم وبعساه دون تحتم حين لا تكليف عليهم ولا عقاب حيث لم يجر عليهم قلم التكليف؟

❀ عسى ❀ هنا تجوز العفو وسواه، مستأهلة هؤلاء الثلاث، وهم بصيغة أخرى: ❀ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ❀ (٩: ١٠٦).

ذلك لأن هؤلاء المستثنين ليسوا على سواء، فمنهم من عاش طليق القصور ذاتياً والإستضعاف طارئاً بنفس القصور، فهم المعفو عنهم دونما استثناء.

ومنهم من هم على تقصير فى أمرهم أدخلهم فى مآزق القصور، كمن ظلوا فى دار الإستكبار وكانت الهجرة لهم ميسورة، ثم زال عنهم الإختيار فضلوا بما استضعفوا.

ومنهم من خيل إليه انه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً، حيث أثاقل إلى أرض الوطن. فضاقت عليه الأرض بما رحبت فرجع - إذاً - القرار على الفرار.

ومنهم الناشئة غير الناضجة في الإيمان، فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وقد يعنى سلب الإستطاعة والإهتداء - فيما يعنى - عدم استطاعة الكفر ولا اهتداء سبيل الإيمان 'لأنه من البُله غير المكلفين أصحاب العقول الناضجة. فهم أولاء ليسوا سواء في العفو عنهم، وكلمة ❁ عسى ﴿الرجاء تجمعهم، وحتى الذين قد يعذبون فهم دون السابقين الموعودين بالنار حسب اختلاف مراحل التقصير، فإن من التقصير ما هو قصير يستأهل العفو، ومنه غير قصير قد لا يستأهله. وعلّ ❁ الولدان ﴿ هنا هم - فقط - هؤلاء الناشئة التي بلغت الحلم ولما تبلغ مبلغ

١ . نورالثقلين ١ : ٥٣٧ في كتاب معاني الأخبار عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزوجل «إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان» فقال: هو الذي لا يستطيع الكفر فيكفر ولا يهتدى سبيل الإيمان فيؤمن والصبيان ومن كان من الرجال والنساء علي مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم . وفيه بإسناده الي سالم بن مكرم الجمال عن أبي عبدالله (عليه السلام) عن الآية فقال «لا يستطيعون حيلة الي الذنب فيذنبون ولا يهتدون سبيلاً الي الحق فيدخلون فيه و هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عزوجل عنها ولا ينالون منازل الأبرار». وفيه عن حمران قال سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل «إلا المستضعفين» قال هم أهل الولاية، قلت وأي ولاية؟ فقال: أما إنها ليست بولاية في الدين لكنها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفار وهم المرجون لأمر الله. وفي تفسير الفخر الرازي ١١ : ١٣ روي أن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بعث بهذه الآية الي مسلمي مكة فقال جنذب بن ضمرة لينيه: إحملوني فإني لست من المستضعفين ولا أني لا أهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه علي سرير متوجها الي المدينة وكان شيخاً كبيراً فمات في الطريق. وفي الدر المنثور ٢ : ٢٠٧ عن أبي ضمرة بن العيص الزرقى كان مصاب البصر وكان بمكة فلما نزلت «إلا المستضعفين...» فقال: إنني لغني وإني لذو حيلة فتجهز يريد النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) فأدركه الموت بالتنعيم فنزلت هذه الآية «ومن يخرج من بيته مهاجراً الي الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره علي الله» .

الرشد والرجولة حتى تكافح الإستضعاف، وقد تكفى ❁ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ❁ سبيلاً إلى عدم رشدهم كما الرجال والنساء المردفون بهما في خط القصور. فمثنى الضعف الذاتى والطارىء بالإستضعاف جعلهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وليس الضعف الأوّل من ناحية الصغر وكما فى الرجال والنساء، بل هو ضعف مع بلوغ الحلم وما فوقه من رجولة وأنوثة، فلا بد لهؤلاء الثلاث من بلوغ مستضعف من ناحيتين: الضعف الذاتى بقصوره رغم بلوغ التكليف، والضعف الطارىء من قبل المستكبرين.

ولو استطاع هؤلاء حيلة ولا يهتدون سبيلاً، أو اهتدوا سبيلاً ولا يستطيعون حيلة، فهم إذاً خارجون عن الإستثناء الجامع بينهما.

ويمضى ذلك الحكم قدماً محلّقاً على المكلفين طول الزمان وعرض المكان، متخبطاً تلك البيئة المعنية من واجب الهجرة إلى سائر البيئات، فيلحق كل مسلم تناله أية فتنة فى دينه عقيدياً أو عملياً، فردياً أو جماعياً حيث تُفرض عليه الهجرة المستطاعة من أسوء إلى سيىء إلى حسن وإلى أحسن، فى نفسه وسواه من المسلمين، والمؤمن دوماً فى مثلث من المهاجرة: من هواجس نفسه و تخلفات من حوله، ومن جوّ العصيان إلى سواه، والمهاجرة عن الوطن فى سبيل الله ليس إلا كأبرز مصاديقها، حيث الوطن - ولا سيما بالنسبة للمتتقلين إليه - يجذب الإنسان إلى نفسه كما تجذبه نفسه إلى نفسه.

فانما الوطن المتوطن للمسلم ما يوطن فيه إيمانه بكل أبعاده، ويمكنه من تحقيق قضايا الإيمان، فراراً عن رزايا اللإيمان، اللهم إلا المسلم العالم الذى بإمكانه الدعوة الصالحة فى بلاد التخلف والفساد، دعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وجدالاً بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلمن بالمهتدين. وهنا ترغيب رغيب للمهاجرة فى سبيل الله يجعل المؤمن مهاجراً على أية حال، دون اختصاص بالمهاجرة عن أرض الوطن، إنما هى مهاجرة البيئات المناخرة للإيمان، المصطدمة إياه:

❁ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾ (١٠٠:٤).

ولأن المهاجرة فيها مخاوف وأخطار قد تمنع المؤمن عن الإقدام عليها لحد قد يعذر نفسه عنها كأنه لا يجد لها حيلة ولا يستطيع سبيلاً، لذلك نجد الله هنا يسكب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى من ضمانات الله تعالى في الآخرة والأولى.
ذلك! شرط أن تعنى المهاجرة سبيل الله، فليست هي هجرة للشراء والبواء والخروج عن العناء، فانما هي ❁ سبيل الله ﴿٤﴾ بكل طرح وفرح.

الحياة البرزخية

لكافة الاموات

٣

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨:٢)

سؤال استنكار وتقييح بمن يكفرون بالله، وهذه التقلبات المقصودة من موت الى حياة ثم موت وثم حياة تدل على فاعل عليم حكيم، فكل تطوّر بحاجة الى مطوّر، فاذا كان مقصوداً حكيماً فليكن المطوّر قاصداً حكيماً، وهكذا تطورات الموت والحياة منذ البدء حتى الختام.

فهما انكر الكفار الحياة بعد الموت، لم يهد لهم نكران الموت الاول ثم الاحياء عنه ثم الاماتة، مما يكفى دليلاً على وجود قدرة عليمه خلاقه حكيمه واحده، وان له الاحياء مرة اخرى كما احيى في الاولى، فحجة الاستنكار هنا تشمل كافة المكلفين: ماديين ومشركين، وكتابين وموحدين: الناكرين منهم ليوم الدين!

ولأن الخطاب هنا موجّه الى الناس الأحياء، فليكن الموت فيه قبل الاحياء، لا موتاً عما هم فيه من الحياة الإنسانية ولا أئمة حياة، فقد كنا أمواتاً إذ كنا أجنة في بطون أمهاتنا، وقبل خلق الروح الإنسانية فينا مهما كنا أحياء بالروح النباتية، وبعض من الحيوانية، حتى أتى دور الحياة الإنسانية بما أنشأ الله فينا خلقاً آخر: ﴿ فأحياكم ﴾ للحياة الدنيا دون فصل، بعدما تهيأ الجنين لتقبّل الروح الإنسانى وكما توحيه ﴿ فـ ﴾ حيث تلمح بعدم الفصل.

﴿ ثم يميتكم ﴾ بعد فصل فيه تعمرون، يميتكم عن الحياة الدنيا وثم ماذا؟، ﴿ ثم يحييكم ﴾ فهل للحياة البرزخية، حيث بعدها: ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾؟ فإن الرجوع الى الله هو الحياة الأخرى! عله نعم: لمكان الرجوع هنا، وللآية الأخرى: ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتان فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ (١١:٤٠) حيث الاحياء الأول هو - فقط - عن الموت الاول كما هنا، فالاحياء الثانى هو عن

الموت الثاني نتيجة الإمامة الأولى، ثم لا معنى للإماتة الثانية إلا أنها عن حياة ثانية تتوسط الحياتين: الأولى والأخرى، وهى الحياة البرزخية، فكما الإمامة الأولى إفاءة للحياة الأولى فلتكن الثانية أيضاً إفاءة عن حياة ما ثم الإحياء الثانى هو للحياة الأخرى.

وهذا اعتراف من جماعة أهل النار بإماتين وإحيائين وهم فى النار، بعد إذ كانوا لكل منهما ناكرين: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ (٣٥:٤٤) إذ حصروا الموت بما عن الحياة الدنيا كما حصروا الحياة بها، فلا حياة بعدها وكما لاموت بعد الموت الأولى! واعتراف أهل النار وهم فى النار، بما أنكروه يوم الدنيا، دونما ردّ عليهم، إنه مصدق كواقع، حيث المتناقضان لا يجتمعان والقرآن بيان دون اجمال او تقرير لضلال!

والترتيب الواقعى بين الإمامتين والإحيائين؛ احياء عن الموت الاول، ثم إماتة عنها، ثم إماتة عن حياة تعيش هذه الإمامة، فأحياء الى الحياة الأخرى، فلولا الحياة البرزخية لم تكن هناك إماتة ثانية.

فحالة الحياة البرزخية هى موت عن الحياة الدنيا - وليست موتاً مطلقاً - بل هى حياة ما - تقبل الإمامة ثم الإحياء للحياة الأخرى.

ثم وعلة لا! حيث الحياة البرزخية لا تحتاج الى إحياء، فانها حاصلة فى الحياة الدنيا وفى الموت عنها، وهى بقاء الروح فى البدن المثالى البرزخى، فلا تعنى الإمامة عن الحياة الدنيا إلا انفصال الروح ببدنه المثالى عن هذا البدن نهائياً، فتبقى ما تبقى من اصل الحياة برزخياً دونما حاجة الى إحياء.

لذلك لا تجد مصارحة قرآنية بإحياء برزخى، وإنما الحياة والحياة فقط دونما إحياء!

ثم إن الرجوع الى الله بعد الإحياء الثانى لا يخص الحياة الأخرى بعد الموت، حتى يخص هذا الإحياء بما بين الاولى والأخرى، بل هو يعمها وما بعدها من رجوع الحساب فالثواب والعقاب: كما ﴿الله الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون﴾ (١١:٣٠)

﴿والموتى يبعثهم الله يبدء ثم اليه يرجعون﴾ (٣٦:٤) فهل الإعادة والبعث هما فى البرزخ؟! وليس فيه إلا استمرار الحياة الدنيا. مهما نجد آيات اخرى هنا تعنى من الرجوع الى الله الحياة الأخرى، ولكنه بعد هاتين ليس إلا ما يعم الحياة الأخرى والإنتقال الى حياة الحساب، ولا حجة فى آياتنا: ﴿كيف تكفرون.. ثم إليه ترجعون﴾ أنه الإحياء للأخرى، واستعمال العام وقصد الخاص دون دليل، خارج عن مذهب الفصاحة فضلاً عن القرآن البالغ اعلى القمم فيها.

ومن ثم ف ﴿ثم﴾ قبل: يحييكم - الدالة على تراخى الإحياء عن الإماتة تدلنا دلالة رابعة أنها الحياة الاخروية النائبة عن الموت كثيراً، لا الحياة البرزخية التى لاتنفصل عن الموت.

فعلى ضوء هذه الدلالة المربعة، ننتقل من: عله نعم او لا، الى التأكد من عدم دلالة الآية على حياة برزخية، فهل إذا تدل على نفيها؟ لمكان: ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ ولا إحياء إلا عن الموت، فليس هناك قبل الحياة إلا الموت؟

فى الحق إنه لا دلالة على نفيها كما لاتدل على إثباتها، حيث الحياة البرزخية موت بالنسبة للحياة الأخرى - كما الحياة الدنيا موت بالنسبة لها - فكما يصح الإحياء عن الموت المطلق الذى لاحياة فيه - وهنا نفى للبرزخ - كذلك يصح عن الموت النسبى: - البرزخى - وهو أحيى من الحياة الدنيا - وهنا إثبات للبرزخ - :

فعلى ضوء الآية الأخرى: ﴿أمتنا وأحييتنا﴾ حيث تثبت الحياة البرزخية، نفسر آيتنا هكذا: ﴿وكنتم أمواتاً﴾ أجنه فى بطون أمهاتكم قبل إنشاء الخلق الآخر ﴿فأحياكم﴾ بالحياة الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عن الحياة الدنيا فصلاً للروح ببدنه المثالى عن هذا البدن ﴿ثم يحييكم﴾ لحياة أخرى هى أرقى، أحياء عن الحياة البرزخية التى هى موت وجاه الأخرى، او إحياء بعد الإماتة عن الحياة البرزخية - وهو احق وأحرى - وكما تدل الآية الأخرى: ﴿امتنا اثنتين﴾ حيث الإماتة الأولى إماتة عن الحياة الدنيا، فلتكن الثانية اماتة عن حياة أخرى الى الحياة الأخرى، فلولا أن هناك حياةً وسطى: بين الدنيا والاخرى، لم يكن للإماتة عنها معنى!.

فالفرق بين الآيتين أن آيتنا لا تحمل إلا إمامة واحدة، وموتاً قبل الحياة الدنيا، وفي الأخرى إمامتان، وحاصل جمعهما أن كلاً من الموت والحياة ثلاث: موت قبل الحياة الأولى دون إمامة وهو الموت المطلق، وموت بالإمامة عن الحياة الأولى، وموت بالإمامة عن الحياة البرزخية.

ثم: حياة بعد الموت الأول، وحياة بعد الإمامة عنها، وحياة بعد الإمامة عن الثانية: الحياة الأولى ثم الوسطى ثم الأخرى، وآيتنا هنا لا تتكفل إلا ببيان الحياة الأخرى، إذ تواجه الناكرين لها، لا البرزخية التي هي على هامشها، تثبت بعدما تثبت هي الأخرى. فقيلة الناكرين للحياة البرزخية أن آيتنا تنكرها كما الآية الأخرى - وهي مثلها - لا تثبتتها، حيث تشملان الموتين والحياتين، إنها قوله فارغة هراء، حيث البون بين بينهما، وأنها موت وإمامة دون الأخرى: إمامتين، دلالة قاطعة هنا عليها، وسكوت هناك عنها!

فالقرآن يثبت الحياة البرزخية في قرابة عشرين آية نبحث عنها في طياتها، دون تصريح أو تلويح بإحياء فيها فانها استمرارية للحياة الأولى بعد انفصال البدن عنها، طالما يصرح في مئات الآيات بالإحيائين دنيئاً وأخرى، وتصرح آية وحيدة بإمامتين: تلويحة كتصريحه أن في البرزخ حياة، وإلا فالإمامة الثانية عماذا؟!

هذا ولأن الإمامة الثانية لا تزجج الصالحين لا يأتون في الأخرى بذكرها إلا تلميحاً: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٥٩:٣٧) استثناء منقطع يعني أن لا موت في الآخرة، اللهم إلا الموتة الأولى في الأولى، فلولاً الموتة الثانية لم تكن لصيغة الأولى من معنى.

واما الكفار فتهمهم الموتة الثانية وأكثر من الأولى، فانها تنقلهم الى دار البوار، جهنم يصلونها فيبس القرار، ولذلك يصرحون بها دون المؤمنين، وفي تصريحه يوم الدين حجة عليهم، وحجة للمؤمنين يوم الدنيا تدليلاً على حياة برزخية بين الحياتين.

ثم هذا الخطاب العام: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يعني الحالة العامة السائرة لسائر الناس، لا الذين لهم حياة ثانية وإمامة أخرى في الحياة الدنيا: ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ.. فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ و ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ﴿فَاخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَأَحْيَاءَ أُمَّمَاتٍ وَإِمَاتَاتٍ﴾

أخرى لبعض الناس، تدليلاً حسيّاً على أن وعد الله حق! وترى كيف تحتج آيتنا على منكرى المبدء والوحي بنكران المعاد؟ لأنها تحمل دليل التطور بعدما ثبت المبدء والوحي بما مضى، قرن الدليل الحسى الى العقلى، إذاً ف ❀ كيف تكفرون بالله ❀!؟

ثم الموت هنا ❀ وكنتم امواتاً ❀ من باب العدم والملكة لا عدم الملكة، فكما يصدق على من مات عن حياة، كذلك الموت البدائي الذى تلحقه حياة، فلا يقال لما لا يقبل الحياة ميّت، وإنما لما يقبلها كما هنا، او ما يستقبلها كما فى الموت بعد الحياة، و ❀ امواتاً ❀ هنا تعنى الموت الثانى حيث الاول تخصُّ لفظة الإماتة دون ❀ كنتم امواتاً ❀.

ثم الرجوع الى الله له درجات يتدرجها الراجعون، ابتداءً من الموت فى حياة برزخية فيها ثواب وعقاب مؤقت نظرة الأخرى، ثم الحياة الأخرى، ثم الى موقف الحساب الختامى فالجزاء، فنحن إذاً فى مثلث الرجوع الى الله، وكما آيات تشملها أحياناً: ❀ يحيى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ❀ (٥٦:١٠) وبعضٌ منها بعضاً كما آيتنا و ❀ يحيى اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ❀ (١١:٣٠) ❀ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ❀ (٣٦:٦) حيث تدل على قاعدة مثلث الرجوع: موقف الحساب، ومن ثم لانجد تصريحة فى الرجوع الثانى فحسب اللهم إلا لمحات: ❀ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ❀ (٦٤:٢٤) حيث الإنباء بما عملوا بعد الرجوع الى الله هو رجوع الحساب بعد رجوع الحياة ❀ أ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ ❀ (٣:٥٠) وعلها صريحة فى الثانى.

وترى ان الرجوع الثالث بعيد عن الثانى ولذلك يعطف عليه بتفريع البعيد ❀ ثم إليه ترجعون ❀؟

اقول: نعم: ❀ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❀ (٦٠:٦) وطبعاً هو بُعد زمنى بالنسبة لنا، وأما الله فلا: ❀ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❀ (١٠٥:٥) فلا مناخرة بين (ف و ثم) لاختلاف المقامين، ثم لانجد ❀ ثم ❀ إلا فى تتين بين إحدى عشر آية مما يؤكد القرب إلهياً، مهما كان بعيداً عندنا.

١ . العشرة الاخرى هي: ٣ : ٥٥ - ٥ : ٤٨ - ٥ : ١٠٥ -
٦ : ١٦٤ - ١٠ : ٤٣ - ٢٩ - ٨ - ٣١ : ١٥ - ٣٩ : ٧ -
٦ : ١٠٨ - ٣١ : ٢٣ .

ثم الثانية المذكورة فيها «ثم» «متاع في الدنيا
ثم بينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد»
(٧٠:١٠).

٤

الحياة البرزخية لكافة الاموات

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (١٠١:١١)

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ فيما عذبناهم ﴿ وَلَكِنْ ﴾ هم الذين ﴿ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ إذ كذبوا بآياتنا فعذبوا كما كذبوا، فقد ظلموا هم أنفسهم دوننا، حيث العذاب المستحق هو العدل وتركه ظلم.

﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي ﴾ ألهمتهم حيث ﴿ يدعون ﴾ ها ﴿ من دون الله ﴾ عن عذاب الله ﴿ لما جاء أمر ربك ﴾ بذلك العذاب ﴿ وما زادوهم ﴾ هؤلاء الآلهة ﴿ غير تتبيب ﴾: وتقطع عن رحمت الله، بدلاً من أن توصلهم إليها كما كانوا يزعمون ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ ﴿ وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾!.

أجل: ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (١١٨:١٦) ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ (٧٦:٤٣).

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٠٢:١١)

﴿ وكذلك ﴾ الشديد الشديد ﴿ أخذ ربك ﴾ الذي رباك: هؤلاء الذين يكذبونك بما رباك ﴿ إذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴾ في دركات الظلم المستحق وفقها دركات العذاب ﴿ إن أخذه أليم شديد ﴾ لا قبل به ولا مرد له، و (إن الله سبحانه ليملئ للظالم حتى إذا إخذه لم يقلته..)

ومن أظلم الظلم التكذيب بآيات الله: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١١:٣) ﴿ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ (٥٢:٨)

١ . الدر المنثور ٣: ٣٤٩ عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): إن الله... ثم قرأ: «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد».

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ (١٠:٦٩).
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ (١٠٤:١١).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ (١٠٤:١١) الأبناء المقصوفة عليك، وذلك الأخذ الأليم الشديد
 ﴿لَآيَةً﴾ باهرة على صادق الحق مبدءاً ومعاداً ورسالةً بينهما ﴿لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ فأما غير الخائف عذابها مهما كان موحداً معتقداً فيها، فليس في ذلك له آية، وإنما يصد أكثر الناس عن التبعض خوف عذاب الآخرة، فإنهم عبيد يتعبدون خوف العذاب، ثم بغية الأجر للأجراء وهم أقل، ثم طاعة الله وترك معصيته لأنه الله، لاخوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته وهم الأحرار وهم أقل من الأقل.

﴿ذَلِكَ﴾ اليوم العظيم هو ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ فهو - إذا - الآخرة الأخيرة دون البرزخ، فإنه الآخرة الأولى بعد الدنيا ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ في الأولى بشهادة الفطرة والعقل والعدل الرباني وكتابات الوحي، وفي الأخرى هو مشهود لمجموع الناس، ومشهود بشهادات الشهود فإنه ﴿يَوْمٌ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١:٤٠).

صحيح أن الحياة الدنيا هي يوم مجموع له ناس بقرون متتالية، ومثلها البرزخ، ولكن أين مجموع الآخرة منهما، حيث الجمع فيها يحلّق على الكل دون إبقاء، لزمان واحد بمحشر واحد، ثم إن كلاً مكشوف للآخرين كما هو مكشوف لنفسه، لا تخفى منهم خافية، فإنه يوم العرض الأكبر، على الله وعلى ملائكة الله ورسله، وعلى عباد الله بعضهم لبعض.

والبرزخ يوم عظيم في برزخه بين يوم الدنيا ويوم الدين ﴿وَإِعْلَمْ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا عَظِيمٌ وَأَوْجَعٌ لِلْقُلُوبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (يجمع الله فيه الأولين والآخرين)!

١ . نورالثقلين ٢ : ٣٩٥ في روضة الكافي كلام لعلي بن الحسين (عليهما السلام) في الوعظ والزهد في الدين.

إنه يوم مشهود لذلك الجمع، شاهدين بعضهم بعضاً وبعضهم لبعض أم على بعض، مكشوف لأهل الحشر كلهم دون أى ستار وغطاء على المحشورين وأعمالهم وأحوالهم، لا تخفى منهم خافية.

❁ وما نؤخره❁: ذلك اليوم الآخر المجموع له الناس، المشهود للشهداء والناس ❁ إلا لأجل معدود❁ عندنا، المجهول بعده وحدّه عند من سوانا، فإنه من الغيب الطليق الذى لا يُظهر الله عليه أحداً.

❁ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ❁ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ❁ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ❁ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ❁ (١٠٨:١١) وترى ما هو ذلك اليوم؟ هل هو يوم القيامة الكبرى كما عنته الآية السالفة؟ وتعلقت بها ❁ يوم❁ ظرفاً بيانياً؟ وأين فيه السماوات والأرض وقد تفتطرتا! ثم الخالدون فى جنتها غير خارجين عنها، وهنا ❁ إلا ما شاء ربك❁ قد تستثنى عن خلودهم فيها!.

أم هو يوم البرزخ؟ لمكان السماوات والأرض، و ❁ إلا ما شاء ربك❁ لأهل الجنة والنار حيث يخرجون من الجنة البرزخية أو نارها إلى الحشر ثم إلى جنة الأخرى أو نارها؟ وليس يوماً واحداً كما تعنيه ❁ يوم❁ فلكل ميت يومه فهو - إذاً - أيام! وليس مجموعاً له الناس وقد عنته الآية السالفة!.

قد يعنى ❁ يوم❁ هنا يومى البرزخ والقيامة الكبرى، فإن لكل وجهه الوجيه: فأما القيامة، فالسماوات والأرض فيها هما غير التى انفطرت حيث تبنى فى الأخرى سماوات وأرض أخرى\ وكما يقول الله: ❁ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات

١ . الدر المنثور ٣: ٣٥٠ - أخرج ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن الحسن فى قوله: ما دامت السماوات والأرض، قال: تبدل سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه الأرض، فما دامت تلك السماء وتلك الأرض.

وبرزوا لله الواحد القهار ﴿٤٨:١٤﴾ و ﴿الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض
تنبؤاً من الجنة حيث نشاء﴾ ﴿٧٤:٣٩﴾ إذاً ففي القيامة أرض وسماوات غير هذه حيث
تبدلان بهما، ثم لاندري هل هما فقط لأهل الحشر؟ أو ولمن قد يخلقهم الله بعد القيامة
الكبرى؟ فأما خلود الذين شقوا فى النار إلا ما شاء ربك؟:

فقد يعنى خروج البعض من أهل النار حيث لا يستحقون الخلود ما دامت
السموات والأرض، فهم من الخارجين قبل خرابهما وكما فى حديث الرسول (صلى
الله عليه وآله وسلم) ومنهم الباقون بعد خرابهما مادامت النار، قبل إنتهاء سموات
القيامة وأرضها، ولا نهاية لهما، وأما الأبدية اللانهائية للنار فهى فريضة على العدل
الحكيم، و ﴿ما ربك بظلام للعبيد﴾ فقد تؤكد ﴿إلا فهى فريضة على العدل الحكيم،
و ﴿ما ربك بظلام للعبيد﴾ فقد تؤكد ﴿إلا ما شاء ربك﴾ عدم الأبدية الطليقة
لأهل النار، قضية مضى الفعل الدال على حتميته، فليس الإستثناء بالمشيئة هنا بياناً
لطبيق القدرة، بل الأصل فيه واقع العدالة.

وأما خلود الذين سعدوا فى الجنة مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك،
فهو استثناء لما مضى من مكوث بعض أهل الجنة فى النار قبل أن يخرجوا منها إلى
الجنة^١ وأما البرزخ، فـ ﴿يوم﴾ هنا بحسابه منفصل عن ﴿يوم مجموع له الناس﴾

١ . الدر المنثور ٣: ٣٥٠ - أخرج ابن جرير وأبو
الشيخ وابن مردويه عن قتادة أنه تلا هذه الآية:
«فأما الذين شقوا...» فقال: حدثنا أنس أن رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يخرج قوم من النار
ولا نقول كما قال، أهل حروراء، وفيه أخرج ابن
مردويه عن جابر قال: قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم): فأما الذين شقوا - إلى قوله - إلا ما شاء
ربك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن شاء
الله أن يخرج اناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم
الجنة فعل.

٢ : المصدر أخرج ابن جرير عن الضحاك فى قوله:
«وأما الذين سعدوا...» قال: هو فى الذين يخرجون
من النار فيدخلون الجنة، يقول: «خالد بن في الجنة
مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك» يقول: ذل
ما مكثوا فى النار حتى ادخلوا الجنة.

في الآية السالفة، ثم هو جنس اليوم لجنس الموتى فهو - إذا - أيام، وهنا
 ✽ السماوات والأرض ✽ هما قبل القيامة الكبرى، فالنار والجنة إذاً هما البرزخيتان.
 فالذين شقوا هم خالدون في ناره ما دامت السماوات والأرض؛ إلا من توفى
 عذابه المستحق فخرج من ناره، ثم يدخل الجنة البرزخية، ثم إلى جنة الأخرى.
 وأما الذين سعدوا فهم خالدون في جنته غير خارجين عنها إلا خروجاً لدخول
 الجنة الأخرى بفصل الساعة وعرضتها أم بدخول النار البرزخية في البداية، وهنا
 ✽ عطاءً غير مجدود ✽ تعنى أنهم مستمرين في جنة الله بلا إنقطاع، حيث ينتقلون
 إلى جنة الأخرى بعد خروجهم عن الجنة البرزخية.
 ذلك، ولكن ✽ يوم ✽ منصوبة، فظرفاً بياناً لـ ✽ يوم مجموع له الناس ويوم
 مشهود ✽ قد ترجح أنه يوم القيامة الكبرى، مهما صحت عناية البرزخ منها ضمناً
 دون دلالة مستقيمة لـ ✽ يوم ✽ عليه.

اللهم إلا أن يؤول ✽ مجموع له الناس ✽ أنه يجمع في نفسه كل الناس لوقت ما
 وليس هكذا الدنيا، فهو كما ✽ إنك ميت وإنهم ميتون ✽ تحليفاً ليوم الموت على
 المجموع لاو جمعهم لوقت ما، وهكذا هو ✽ يوم مشهود ✽ بكل معاني الشهادة
 الماضية، ثم وقد تتعلق يوم بـ ✽ فمنهم شقى وسعيد ✽ كما يصح تعلقه بما قبل.
 فقد تتحمل ✽ يوم ✽ كلا اليومين دون أى تحميل اللهم إلا تحمّل جميل، مهما
 كان الأظهر هو يوم القيامة الكبرى، فإن ✽ الفاء ✽ في ✽ فمنهم شقى وسعيد ✽ تبعد
 تعلق ✽ يوم ✽ بهما.

وترى ✽ فمنهم شقى وسعيد ✽ تعنى الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من
 سعد فى بطن أمه فـ ✽ على مَ نعمل؟ على شىء قد فرغ منه؟ أو على شىء لم يفرغ
 منه؟ ✽ كما سأل عمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أجابه (صلى الله

١. قد رواه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) الثعلبى فى تفسيره الكيف والبيان ص ٢٤٠ بقوله: وروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من سعد فى بطن أمه.

عليه وآله وسلم): ﴿بل على شيء فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له﴾: ﴿كما﴾ ثم السبيل يسره ﴿٢٠:٨٠﴾ ﴿وهديناه النجدين﴾ (١٠:٩٠).

أجل فرغ من شقاء من يشقى ومن سعادة من يسعد في علم الله دون تسيير، بل هو تسيير، فـ (كل ميسر لما خلق له) من شقاء وسعادة كما ﴿وهديناه النجدين﴾ فـ (الشقى من علم الله عزوجل وهو في بطن أمه أنه سيعمل عمل الأتقياء والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل عمل السعداء)٢.

هذا، وفي نظرة أخرى إلى هذه الآيات نجد فوارق بين الجنة والنار في البرزخ والأخرى: فالداخل في الجنة غير خارج عنها برزخاً وأخرى ﴿مادامت السماوات والأرض﴾ في كل منهما، لمكان ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ اللهم إلا في الفاصل بين الجنتين وهو عرصات المحشر، فالخروج عن الجنة أم فناءها بأهلها لا يناسب ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ ولا تعنى ﴿إلا ما شاء ربك﴾ هنا إلا الخروج عن الجنة البرزخية ثم الدخول إلى جنة الأخرى.

وأما الداخل في النار برزخاً وأخرى فقد لا يُخلد فيها، بخروجه عنها قبل فناءها،

١ . الدر المنثور ٣: ٣٤٩ - أخرج جماعة عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت: فمنهم شقى وسعيد قلت يا رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) فعلي م... وعن صحيح البخاري عن عمران بن الحصين قال قلت يا رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): فيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له، وفيه أيضاً عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أنه كان في جنازة فأخذ عوداً فجعل ينكت في الأرض فقال: ما منكم أحد إلا كتب مقعده من الجنة أو من النار قالوا: إلا ننكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقرأ: «فأما من أعطي واتقى فنيسه لليسري وأما من بخل واستغنى فنيسه للعسري».

٢ . نور الثقلين ٢: ٣٩٦ - التوحيد بسند متصل عن محمد بن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن معني قول رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): الشقى من شقى... فقال: الشقى في علم الله... علم الله...

كالذين لا يستحقون خلودها، أم يخلد ولا يوبد فيها حيث لا يستحقه، أم يوبد

١ . نورالثقلين ٢ : ٣٩٩ عن تفسير العياشي سئل أبو جعفر الباقر (عليهما السلام) عن قول الله - في أهل النار - : «الذين فيها ما دامت السماوات والأرض»؟ فقال: هذه في الذين يخرجون من النار، أقول: إنهم من المعذنين من الآية وليدسوا كلهم، وهذا تفسير بمصداق مجهول بياناً.

وفيه عن معاني الأخبار بسند متصل عن الحسن بن علي التاصر عن أبيه عن محمد بن علي الرضا (عليه السلام) عن أبيه - ثم ذكر آباءه إلي الحسين (عليهم السلام) قال قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام): صف لنا الموت فقال علي (عليه السلام): علي الخبير سقطتم، فهو أحد أمور ثلاثة يرد عليها، إما بشاراة بنعيم أبدأ وإما بشاراة بعذاب أبدأ، وأما تخويف وتهويل وأمر مبهم لا يدري من أي الفريقين هو، فأما ولينا المطيع لأمرنا فهو المباشر بنعيم الأبد وأما عدونا المخالف علينا فهو المباشر بعذاب الأبد، وأما المسرف أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف علي نفسه لا يدري ما يؤل إليه حاله يأتيه الخير مبهماً محزناً ثم لن يسويه الله عزوجل بأعدائنا لكن يخرجهم من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تنكروا ولا تستصغروا عقوبة الله عزوجل فإن من المسرفين من لا يلحق شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة. وفي تفسير البرهان عن ابن مسلم قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الجهنميين فقال: كان أبو جعفر (عليهما السلام) يقول: يخرجون منها فينتهي بهم إلي عين عند باب الجنة تسمى عين الحيوان فينضح عليهم من ماء ها فينبتون كما ينبت الزرع تنبت لحومهم وجلودهم وشعورهم، ورواه بإسناده عن عمر بن أبان عنه (عليه السلام) مثله.

وفيه عنه بإسناده عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر (عليهما السلام) يقول: إن أناساً يخرجون من النار حتى إذا صاروا حمماً أدركتهم الشفاعة قال: فينطلق بهم إلي نهر يخرج من مرشح أهل الجنة فيغتسلون فيه فتذبت لحومهم ود ماء هم ويذهب عنهم قسفة النار ويدخلون الجنة يقولون - أهل الجنة - الجهنميين فينادون بأجمعهم: اللهم اذهب عنا هذا الاسم، قال: فيذهب عنهم، ثم قال: يا أبا بصير إن أعداء علي هم المخلدون في النار ولا تدركهم الشفاعة. وفيه عنه بإسناده عن عمر بن أبان قال: سمعت عبد الله صالحاً يقول في الجهنميين: إنهم يدخلون النار بذنوبهم ويخرجون بعفو الله.

وفيه عنه بإسناده عن حمزان قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) إنهم يقولون: لاتعجبون من قوم يزعمون الله يخرج قوماً من النار ليجعلهم من أهل الجنة مع أولياء الله؟ فقال: أما يقرءون قول الله تبارك وتعالى

باستحقاقه الأبد ولكنه أبد محدّد، وهذه الثلاث معنيّة بـ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّي﴾ لأهل النار، فتالفة المشيئة الربانية هي إفناء النار بمن فيها ﴿إِنْ رَبِّي فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾ من حكمة عادلة، وحيث لا يريد ظمناً بالعباد فليس فعلاً له ولا فاعلاً، فلا يؤبّد أهل النار فيها لغير حدّ محدود، إنما هو فعّال لما يريد من حكمة عادلة، ومنها في حقل النار ألاّ يخلّدهم مادامت السماوات والأرض، حيث الشقاء بآثارها محدّد محدود، ولا نهائية النار لا تناسب محدودية الكفر والعصيان فـ ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ و ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ و ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ ولا مماثلة بين المحدود واللامحدود!

وهنا ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّي﴾ مضيّاً محققاً للمشيئة الربانية القاطعة، مؤكدة بـ ﴿إِنْ رَبِّي فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾ إنه - قطعاً - يريد ما شاءه لوقته، وفعال لما يريده من مشيئته، فمثلث المشيئة المرادة الفعالة هنا واردة على مثلث ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشِهيقٌ﴾ - خالدين فيها - مادامت السماوات والأرض.

والمحور المتعيّن في هذه المحاور للإستثناء هو الأخير: ﴿مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ وصفاً لأمد الخلود، فسواء أكانت السماوات والأرض دائمتين يوم القيامة دون زوال، أم هما زائلتان - ولا دليل قبل ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ على دوامهما - فالمعلوم في هذا البين أن ﴿الَّذِينَ شَقُوا﴾ - وأظهروهم مدلولاً هم المؤبّدون في النار - أنهم داخلون في مشيئة الرب القاطعة قطعاً لعذابهم كما ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاءُهُمُ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبِّي عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٢٨:٦) فـ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ﴾ هنا في تحقيق المشيئة الماضية، هي كـ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّي﴾ هناك في نفس التحقيق الحقيقي بأهل النار. فأين إذاً

«ومن دونهما جنتان» انها جنة دون جنة ونار دون نار، أنهم لا يساكنون أولياء الله فقال: بينهما والله منزله ولكن لا يستطيع أن أتكلم، إن أمرهم لأضيق من الحلقة، إن القائم إذا قالم بدء بهؤلاء.

اللانهاية الحقيقية لخلود النار؟.

فقد برزت هذه الآية صارحة صارحة في هذه الإذاعة القرآنية - إلى جنب سائر البراهين المتجاوبة معها - أن الخلود اللانهاية للآبدن في النار هو خرافة جارفة ظالمة، مهما زُخرفت بفلسفات و عرفانيات أم وروايات، إذ هي كلها بما أشبهها من توجيهاتها تطارد ذلك النص الباهر!.

ولأن ❀ ما دامت السماوات والأرض ❀ لا تدل بنفسها على لانهايتهما، فليس ❀ إلا ما شاء ربك ❀ استثناء عن نص اللانهاية، بل هي تطارد زعمها بالنسبة لأهل النار، ثم ❀ عطاء غير مجذوذ ❀ تثبتها لأهل الجنة.

ذلك، وأما الإستثناء عن خلود أهل الجنة فقد يعنى أكثر من دوام السماوات والأرض وهو اللانهاية قضية ❀ عطاء غير مجذوذ ❀ وهناك قاطعة البراهين الدالة على أمد النار وأن ليس للجنة أمد، إنها تؤيد الفارق بين خلود الجنة والنار.

ذلك، وقد تعنى ❀ ادامت السماوات والأرض ❀ على أن لهما أمداً مهما كان أطول من دوامهما يوم الدنيا، فلأهل النار الخلود مادامتا ❀ إلا ما شاء ربك ❀ فهم خارجون عنها قبل خرابهما، ولأهل الجنة الخلود ما دامت، إقطاعاً بانقطاعهما ❀ إلا ما شاء ربك ❀ من عدم إقطاعها عنهم بانقطاعها قضية ❀ عطاء غير مجذوذ ❀.

ف ❀ دام ❀ بنفسها لا تدل على اللانهاية، فضلاً عن ❀ مادامت ❀ فان ❀ ما ❀ تحدد ذلك الدوام وإن كان يعنى اللانهاية، ولا يعنيها، فقد تكون ❀ مادامت ❀ نصاً في نهايتهما، ثم لا دليل على لا نهائية سماوات القيامة وأرضها اللهم إلا ❀ عطاء غير مجذوذ ❀ الدالة على بقاء الجنة بعد خرابهما! فبعد أن لم يكن أمد الجنة دليلاً على لانهايتها، نجد ❀ عطاء غير مجذوذ ❀ تفسره باللانهاية.

إذا ف ❀ مادامت ❀ إشارة لطيفة إلى إنتهاء سماوات القيامة وأرضها، كانقطاعهما يوم الدنيا، إلا أن مشيئة الله تقصّر عذاب أهل النار عطفاً منه ورحمة، قضية أن ❀ رحمتي وسعت كل شيء ❀ رحمة بعد العدل، ثم مشيئته الأخرى تطوّل رحمة أهل الجنة فضلاً منه وإحساناً، قضية ❀ عطاء غير مجذوذ ❀.

فـ ﴿مادامت..﴾ تحدد - كأصل - أمد السماوات، أمداً للسماوات والأرض يوم القيامة، وأبداً لانهائياً لأهل الجنة، وأمداً قبل انتهاء السماوات والأرض لأهل النار! ففى الحق قد يصح القول - كما يروى عن الباقر[△] - : ﴿فى ذكر أهل النار استثناءً وليس فى ذكر أهل الجنة استثناءً﴾!

ذلك لأن ظاهر الإستثناء هو عن موجب هو التقصير، وأما التطويل فغير داخل فيه، إلاً بدليل قاطع وهو هنا ﴿عطاءً غير مجذوذ﴾.

ذلك، ومن الداخل فى تقصير الإستثناء هو ﴿زفير وشهيق﴾ و ﴿خالدين فيها﴾ فقد لا يخلد فى النار شقى حيث يذوق وبال أمره فيخرج منها إلى الجنة دون زفير وشهيق، أم بعد زفير وشهيق، ثم الأشقون يؤبدون ما هم أحياء ثم ينفون بفناء النار قبل فناء السماوات والأرض، ويظل أهل الجنة فى الجنة وهم عند سدرة المنتهى وهى فوق السماء السابعة، فلا يضرهم، ولا جنتهم تفطر السماوات والأرض، كما لم يضر تفطرها يوم الدنيا فإنها ﴿جنة المأوى﴾. عند سدرة المنتهى ﴿ولا دليل على زوال الكون عن بكرته، إلا تفطر السماوات والأرض، وجنة المأوى خارجة عنهما﴾.

ثم ﴿يوم مجموع له الناس﴾ فى وجه القيامة وهو الأوجه، قد تعنى ﴿له﴾ لصالح الحساب الجمعى، حيث الأعمال لها واجهتان إئتتان ثانيتهما هى الواجهة الجمعية، فليجمع الناس كلهم لذلك اليوم حتى يعتمهم السؤال والحساب: ﴿فلنساءن الذين راسل إليهم ولنساءن المرسلين﴾ (٦:٧) حيث ﴿نكتب ما قدموا وآثارهم﴾ (١٢:٣٦) فمكتوبات الأعمال بالأحوال والأقوال - ما قدموها بآثارها - تجمع يوم الجمع، حيث يقوم الأشهاد والمشهود عليهم أولهم يوم الميعاد.

وهنا أسئلة مطروحة على بساط البحث حول هذه الآيات الأربع فعرضها بأجوبة تناسبها كما تستفاد منها ومن الآيات المناسبة لها:

١ . كيف ﴿ما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ فالتأخير عماذا يكون؟ هل هو عن

١ . نورالثقلين ٢ : ٣٩٩ فى تفسير العياشى عن أبى بصير عن أبى جعفر (عليهما السلام) قال: ...

الأجل المحتوم؟ وهو الأجل المحدود! أم عن الأجل المعلق؟ ولا تعلق لأجل القيامة، ف لا يجليها لوقتها إلا هو ﴿٥٠﴾ و ﴿٥٦﴾ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴿٥٠:٥٦﴾!.

المعنى من التأخير هنا هو التأخير عما يُستعجل منه تهكماً أو تعتناً وكما نسمعه من كافرين ناكرين ليوم الدين.

٢ . كيف يكون تقسيم أهل الحشر حاصراً كما يقول: فمنهم شقى وسعيد وهناك الفرقة الثانية لا هي شقية ولا سعيدة كالأطفال والمجانين وسائر المستضعفين القاصرين، فإن كلاً من السعادة والشقاء هي خلفية لعقائد وأعمال سعيدة أو شقية وهما يختصان بالمكلفين الماكنين عقلياً من حمل المسؤوليات وتطبيقها.

وثالثة هي سعيدة وشقية، جامعة بينهما عقيدياً أو عملياً أو فيهما؟

إن السعيد هنا هو الذى يدخل الجنة برحمة الله دون استحقاق لعذاب، سواء أكان مستحقاً لثواب بعمله، أم لا يستحق ثواباً، ولا عقاباً لعدم تكليفه، فكما أن مستحق الثواب سعيد بعمله وفضل الله، كذلك الذى لا يستحق ثواباً و لا عقاباً هو سعيد مهما كان فقط بفضل الله، ولو أن فضله تعالى بحق الأشقياء لم يخالف عدله لشملهم عن بكرتهم، فالأصل منه هو الفضل لمن يستحقه بعمل أم دون عمل حين لا يستحق العذاب، وإنما فريق السعير هم الظالمون، وفريق الجنة هم من سواهم، عادلين وسواهم من غير الظالمين: ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير﴾ ﴿٨:٤٢﴾.

ثم المستضعفون ومنهم ﴿مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله حلیم حكيم﴾ ﴿١٠٦:٩﴾ وهم الذين جمعوا بين قصور وتقصير، فإن يعذبهم فهم من الذين شقوا، وإن يتب عليهم فهم من الذين سعدوا، ولكن الذين يعذبهم ليس ليخذلهم فى النار فى فهم - إذاً - من الخارجين عن النار، جامعين بين سعادة الجنة وشقاء النار، فهم - إذاً - من السعداء.

وأما الذين ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم﴾ ﴿٥٠﴾

(١٠٢:٩) ففساهم من السعداء، بل هم منهم وإن عذبوا بما أساءوا. وهكذا سائر ﴿المستضعفين﴾ - ﴿من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكما الله عفواً غفوراً﴾ (٩٩:٤).

فما روى من أن المجانبيين والصغار يُمتحنون هناك فيما إلى جنة وإما إلى نار، لا تصدق حيث (اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل) (الخطبة ٤٢) وكما تظافرت به آيات الكتاب وروايات السنة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من آل الرسول (عليهم السلام).

ذلك، وقد يعنى ﴿فمنهم شقى وسعيد﴾ - إضافة إلى خالص السعادة لفريق وخالص الشقاوة لآخر - يعنى: خليطاً منهما للجامع بينهما، ومنهم الذين ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ و ﴿مرجون لأمر الله﴾.

ولكن الآية إنما قد تتكفل مصير الفرقين الأولين، دون الآخرين حيث تتكلف مصيرهم آيات أخرى كـ ﴿خلطوا...﴾ و ﴿مرجون﴾ وما أشبه.

ولكن ﴿سعدوا﴾ مجهولة قد تشمل إلى من مات سعيداً خليطاً دون خليص، تشمل معه من يُسعد بعدما ذاق عذاب شقوته في النار البرزخية أو الأخروية، وهنا ﴿إلا ما شاء ربك﴾ تعنى - فيما تعنى - مسبق عذابه حيث شاء جزاءً وفاقاً. إذاً فـ ﴿سعدوا﴾ قد تشمل إلى الأولين، من سُعد بعد عذابه، أم سُعد دون عذاب ولا استحقاق ثواب ولا عقاب كالقاصرين.

٣. هل تعنى ﴿فمنهم شقى وسعيد﴾ أن كلاً موصوف بما وُصف منذ خلقه فى

١. وهى: «أيها الناس إن أ خوف ما أ خاف عليكم إثنان أتباع الهوى وطول الأمل، فأما أتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة، إلا وإن الدنيا قد ولت حذاء، فلم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الأناء ا صطبها صابحاً، إلا وأن الآخرة قد أقبلت. ولكل منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة، وإن اليوم...».

بطن أمه؟ أم منذ ولادته؟ أم منذ بلوغه الحلم؟ أو القصد - فقط - إلى زمن القيامة؟
 إنه حكم منه تعالى بكل من الحاليتين ليوم القيامة لمكان ❊ يوم لا تكلم نفس إلاً
 بإذنه فمنهم شقى وسعيد ❊ حيث فرغت الحالتان على ❊ يوم لا تكلم ❊ فلا صلة
 لذلك الحكم بالشقاء والسعادة قبل ذلك اليوم، وإنما نعرف أن الشقاء هناك هو خلفية
 عادلة للشقاء بالعمل المختار هنا، ثم السعادة هناك هي خلفية عدم الشقاء هنا، ولكن
 ❊ شقوا وسعدوا ❊ - ماضيتين - تعيان سابق الشقاوة والسعادة، المنعكستين منذ
 الموت حتى القيامة.

إذاً فهما ليسا من حكم الله تعالى تكويناً حتى يصبحا مسيرين لا يتخلفان، بل هما
 من حكم الجزاء الوفاق لكل كما يستحقه بفضل الله أو عدله.

ذلك، ومن ثم فعلمه تعالى بما سيحصل من سعادة وشقاء ليس علة تامة ولا ناقصة
 لأحدهما، بل هو كشف قاطع عن حصول كل بسببه الخاص، وليس عدم تخلفه عن
 علمه تعالى إلاً لعدم تخلفه عن سببه المختار لصاحب السعادة والشقاء، فلو أنه إختار
 غير ما إختار لكان في علم الله غير ما إختار، فالعلم بعمل ما لا يستوجب بطلان
 الإختيار، وإنما هو علم كاشف عما سيحصل أم حصل، فكما أن العلم بما حصل لا
 يجعله مسيراً، كذلك العلم بما يحصل، إن مسيراً فمسير وإن مخيراً فمخيراً، وإنما
 الإرادة هي المسيرة، دون العلم بما حصل أو سيحصل، إذاً ف ❊ كل مسير لما خلق
 له ❊ - وكما في حديث الرسول (صلى الله على وآله وسلم) وليس مسيراً ❊ فمن
 شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ❊!

١ . فلا مجال هنا لتقول إمام المشككين في تفسيره
 ١٨ : ٦١ بقوله : أعلم أنه تعالى حكم الآن علي بعض
 أهل القيامة بأنه سعيد وعلي بعضهم بأنه شقى ومن
 حكم الله عليه بحكم وعلم منه ذلك الأمر إمتنع كونه
 بخلافه والألزام أن يصير خبر الله تعالى كذباً وعلمه
 جهلاً وذلك محال، فثبت أن السعيد لا ينقلب شقياً وأن
 الشقى لا ينقلب سعيداً - ثم ينقل رواية عمر ويقول -
 : قلنا : الدليل القاطع لا يدفع بهذه الروايات
 وأيضاً فلا نزاع أنه إنما شقى بعمله وإنما سعد
 بعمله ولكن لما كان ذلك العمل حاصلًا بقضاء الله وقدره
 كان الدين ذكرناه باقياً .

أجل، ما لم تنظم الإرادة الفعالة إلى العمل فلا تأثير في واقع المعلوم، والإرادة تؤثر دون علم.

٤. كون المعنى من ﴿السموات والأرض﴾ هما للقيامة في وجه كون المعنى من الجنة والنار هما ليوم القيامة، ذلك إحالة إلى مجهول حيث لا نعرف عن سماوات القيامة وأرضها شيئاً إلا ما تلمح به ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض و السماوات﴾ فلتكونا هما هذه السماوات والأرض، فالمتعين عناية الجنة البرزخية ونارها؟ والجواب أن المعروف بدقة وهمامة وسعة نظر كلا السماوات والأرض في الأولى والأخرى، والجنة والنار برزخياً وفي الأخرى، فهما معاً معنيتان. ثم من ذا الذي يدرى زمن انفطارهما في الأولى، فكذلك الأخرى وبأحرى، فإن جنتها لا نهاية لها قضية: ﴿عطاءً غير مجدود﴾ مهما كان لتارها حد محدود فـ ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾.

أقول: هذا دليل خاطيء لا قاطع، حيث أخبر الله بعلمه بما سيكون ولم يحكم قضاءً مبرماً بشقاء هنا وسعادة، فقد بدل الأخبار بالحكم، كما بدله عما يحصل يوم القيامة بما حصل يوم الدنيا، ولو أنه كان حكماً فليس يعنى إلا الحكم بالشقاء والسعادة بما عملها أهلها يوم الدنيا ميسرين لأميرين. فالله يعلم أن فريقاً يشقون وفريقاً يسعدون كل بما يسره فاختاره هو من شقاء وسعادة، ثم يحكم كما يعلم بشقاء أو سعادة يوم القيامة، فأين الجبر إذاً. وليست تعميمة الشقاء والسعادة بما علم الله منهما فحكم به ليوم القيامة، إنما هي بما يختار أهلها إذا «كل ميسر لما خلق الله».

أترى العمل الميسر كما الميسر أليس مما يعلمه الله ويحكم خلفياته؟ فمجرد العلم بعمل ما والحكم بنتيجته لا يلتزم كونه مسيراً فالعلم إنما كشف عن الواقع الحاصل بسببه وليس هو سبباً لحصوله، وقد حصل هذا الحوار بين عمر الخيام، والخوارجة نصير الدين الطوسي حيث اعترض عمر أن الله يعلم أني أشرب الخمر، فأنا إذا مسير في شربها إذ لو لم أشربها لكان علمه تعالى جهلاً، فأجاب به الطوسي بأن كون العلم الأزلي علة للعصيان، أنه جهل عند العقلاء حيث العلم كاشف عما سيحصل بأسبابه، سواء أكانت مسيرة أم سواها.

أم وعلّ القصد طول أمد الجنة والنار، ولا أطول فيما نعرف إلاّ أمد السماوات والأرض، ولكن الجنة لانهاية لها قضية ❁ عطاءً غير مجذوذ ❁ والنار لها نهاية قضية عدل الله، فـ ❁ إلاّ ما شار بك ❁ ليست لتستثنى فقط قصراً لهما، بل هو بين تقصير وتطويل، فالجنة لأهلها في الأخرى أطول أمداً من هذه السماوات والأرض قضية الفضل، والنار لأهلها هي بين أقصر وأطول من أمدها أم قدرهما قضية العدل في ذلك المثلث، فلها - إذاً - حدكما لأي عصيان.

فأهل الجنة البرزخية خالدون فيها ما دامت هذه السماوات والأرض ❁ إلاّ ما شاء الله ❁ أن يخلدوا أكثر هو في الجنة الأخرى ❁ عطاءً غير مجذوذ ❁. وأهل النار البرزخية خالدون فيها مادامت السماوات والأرض إلاّ ما ❁ شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ❁ تقصيراً بخروج عنها إلى جنتها ثم إلى جنة الأخرى، أم قدرهما أمّا زاد ثقلاً إلى الأخرى مادامت هي مشتعلة أم قبل إنخمادها حسب مختلف الإستحقاقات ❁ إن ربك فعال لما يريد ❁.

ثم أهل جنة الأخرى خالدون فيها مادامت هذه السماوات والأرض، أم تلك التي في الأخرى إلاّ ما شاء ربك تطويلاً دن تقصير ❁ عطاءً غير مجذوذ ❁. وأهل النار في الأخرى خالدون فيها مادامت هذه السماوات والأرض إلاّ ما شاء ربك من تقصير أو تطويل، أم تلك التي في الأخرى لنارها ❁ إلاّ ما شاء ربك ❁ من تقصير ❁ إن ربك فعال لما يريد ❁. ومن الداخل في الإستثناء ❁ لهم فيها زفير و شهيق ❁ إذ ليسوا كلهم يستحقونها قضية اختلاف دركات العقائد والأعمال.

كما و من الداخل فيه لأهل النار محدودية عذابهم ككل، حيث الآخرون الذين لا يستحقون الجنة أبداً، يقضى عليهم بالأخير بقضاء النار وسماوات الآخرة وأرضها بعد قائمتان.

ولأن ❁ إلاّ ما شاء ❁ دون شرط لا تناسب شرطية الإستثناء وإمكانية تركه، فلا تعنى - إذاً - ❁ إن شاء - أم - لو شاء ❁ إستثناءً بالمشيئة الممكنة، عناية إلى تطبيق

مشيئته، وأنها غير محدودة بشيء أو محجوزة به.

إنما هي المشيئة الحتمية الماضية في علمه وتقديره أنه يشاء عدم خلود النار لأهلها مادامت السماوات والأرض، ثم الإستثناء في أهل الجنة يفسر بـ ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ بمعنى أن ربك شاء عدلاً عدم خلود أهل الجنة. فيها بزوالها، ولكنه شاء فضلاً بخلودهم فيها ببقاءها.

ذلك، ولقد أشرنا من ذي قبل أن الأظهر الأجل في هذه الآيات أن الجنة والنار هما الأخريان، لا سيما وأن النار البرزخية ليست إلا معرضاً في فترات دون خلود مستمر كما يدل عليها مثل قوله تعالى: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (٤٦:٤٠). ومهما دلت آيات أخرى على الدخول في النار البرزخية، ولكنه دخول غير مستمر العذاب، فهو عرض آخر لذلك العرض: ﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ (١٠:٦٦) فالأمر موجه إلى امرأتى نوح ولوط حين موتهما، فهي - إذا - النار البرزخية مهما تبعتهما نار الأخرى، وهكذا: ﴿... جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أيّن ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين. قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها...﴾ (٣٨:٧).

وقد تعنى ﴿السماوات والأرض﴾ للآخرة في حقل المشيئة انهم قضية عطاء غير مجذوذ لا يخرجون عن الجنة وإن تفترتا، وخلقت سماوات وأرض أخرى أم لم تخلق.

٥. لماذا بالنسبة لأهل النار ﴿شقوا﴾ معلوماً، ثم لأهل الجنة ﴿سعدوا﴾ مجهولاً؟ وهو لازم!

ذلك لأن الشقاء ككل هو من فعال أهل النار، ولكننا السعادة أكثرها من الله حيث يوفق أهل طاعته فيها ولا يوفق أهل معصية فيها، وكما في الحديث القدسي (يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني) ولأنه بيده الخير و ليس الشر إلا

مننا، ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ (٢١:٢٤).
 صحيح أن الله يضل الظالمين كما يهدي الصالحين، ولكن إضلاله الظالمين يعنى
 إنقطاع توفيقه عنهم، وحين يختم على قلوبهم فهو جزاء وفاق هنا قبل الأخرى، فى
 حين أن هداه يعنى مزيد التوفيق، إذاً فنصيب ربنا فى الخير لنا أوفر من نصيب الشر،
 وقضيته فى أهل الخير ﴿سعدوا﴾ مجهولاً إذ هو فاعله الأصيل، وفى أهل الشر
 ﴿شقوا﴾ معلوماً إذ هم الأصلا فيه، وليس من الله إلا سلب التوفيق، أم والجزاء
 الوفاق بالختم على القلوب.

وأما لزوم ﴿سعدوا﴾ فكيف يصاغ منه مجهول، فهذه جهالة من القول، فإن القرآن
 هو أصل الأدب ومنتهى الإرب دون سائر اللغة الأدب كمنتهى الإرب وما أشبهه، فكما
 أن ﴿رجع﴾ مستعمل متعدياً كـ ﴿رجعه الله﴾ كما يستعمل لازماً ﴿رجعنا إلى
 المدينة﴾ كذلك ﴿سعد﴾ يستعمل لازماً ومتعدياً، وكما يصاغ من الثانى
 ﴿مسعود﴾!

... وهكذا يرتسم لنا يوم مجموع له الناس ويوم مشهود أنه ﴿يوم لا تكلم نفس
 إلا بإذنه﴾ فالصمت الهائل شامل إلا لمن أذن له، ثم تبدأ عملية التوزيع ﴿فمنهم
 شقى وسعيد﴾ بما شقوا يوم الدنيا أم سعدوا، فتشهد الذين شقوا فى النار - ولات
 حين فرار - مكرويين مغلوبين بين زفيرها وشهيقها حراً وضيقاً وكتمة، حيث الزفير ما
 يجتمع فى الصدر من النفس عند البطء - الشديد - فينقطع النفس والشهيق هو الذى
 يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما حصل به صعقة، فلهم من زفيرها زفرة، ومن
 شهيقها شهقة وصعقة، ونشهد ﴿الذين سعدوا فى الجنة﴾ لهم فيها عطاءً غير مجذوذ،
 و ﴿إلا ما شاء ربك﴾ تعنى لهم فيما عنت طليق المشيئة الربانية التى لا تُحدُّ بأى
 حد، حيث لا تتقيد بأية سنة، إذا السنة ليست هى نفسها إلا بالمشيئة الربانية، ثم وتعنى
 لأهل النار واقعها فى زاويتين أخريتين من مثلثها هما إخراج بعض منهم قبل خراب
 السماوات والأرض أو قدره، أم إخراج بعض آخرين لخلود أكثر من أمدهما.
 ذلك، ومن مواصفات الجنة والنار، موافقات لأهل الجنة والنار جزاءً وفاقاً وعطاءً

غير مجذوذ حساباً، ما يروى عن أمير المؤمنين علي Δ من قوله:
(فأما أهل الطاعة فأثابهم الله بجواره، وخلصهم في داره حيث لا يظعن النزال، ولا
تتغير بهم الحال ولا تنوبهم الأفراع، ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار، ولا
تُشخصهم الأسفار.

وأما أهل المعصية فأنزلهم شر دار، وغلّ الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي
بالأقدام، وألبسهم سراويل القطران، ومقطعات النيران، في عذاب قد اشتد حره، وباب
قد أطبق على أهله في نار لها كلب ولجّب، ولهب ساطع، وقصيف هائل، لا يظعن
مقيمها، ولا يفادي أسيرها، ولا تُفصم كبولها)(١٠٧).

(فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها - الجنة - لعزفت نفسك عن بدايع
ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها، وزخارف مناظرها، ولذّهلت بالكفر في
اصطفاق أشجار غُيّبت عروقها، في كُثبان المسك على سواحل أنهارها، وفي تعليق
كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها - عضونها - وأفنانها، وطلوع تلك الثمار مختلفة
في غُلف أكمامها، تُجنى من غير تكلف فتأتى على منية مجتنيها، ويطاف على نزلها
في أفنية قصورها بالأعسال المصفقة، والخمور المروّقة، قوم لم تزل الكرامة تتماذى
بهم حتى حلّوا دار القرار، وأمنوا نقله الأسفار -

فلو شغلت قلبك أيها لمستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر
المونّقة. لزهقت نفسك شوقاً إليها ولتحملت من مجلس هذا إلى مجاورة أهل القبور
استعجالاً بها \odot جعلنا الله وإياكم ممن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته)(١٦٣).

فأين ذلك الموقف المرهف من موقف النار المرجف؟.

(في موقف ظنك المقام، وأمور مشتبهة عظام، ونار شديدة كلبها، عال لجبها، ساطع
لهبها، متغيّظ زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خمودها، ذاك وقودها، مخوف وعيدها، عم
قرارها، مظلمة أقطارها، حامية قدورها، فطبيعة أمورها \odot وسبق الذين اتقوا ربهم إلى
الجنة زمراً \odot قد أمن العذاب، وانقطع العتاب، وزحزحوا عن النار، واطمأنت بهم الدار،
ورضوا المثوى والقرار، الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية، وأعينهم باكية، وكان ليلهم

في دنياهم نهاراً، تخشعاً وإستغفاراً، و كان نهارهم ليلاً، توحشاً وانقطاعاً، فجعل الله لهم الجنة مآباً، والجزاء ثواباً، وكانوا أحق بها وأهلها، في ملكٍ دائمٍ، ونعيمٍ قائمٍ ﴿١٨٨﴾. ﴿فمن أقرب إلى الجنة من عاملها، ومن أقرب إلى النار من عاملها، وأنتم تُرداء الموت إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من خلفكم، فاحذروا ناراً أقرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تُسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كُرْبَةٌ﴾ ﴿٢٦٦﴾ -

﴿واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً، المُخَفُّ فيها أحسن حالاً من المُثْقِل، والمبْطِئ عليها أقبح حالاً من المُسْرِع، وأن مهبطك بها لا محالة، إما على جنة أو على نار، فارتد لنفسك قبل نزولك، ووطئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعْتَب، ولا إلى النار منصرفٌ﴾ ﴿٢٧٠﴾ -

ف (ما خير بخير بعده النار، وما شر بشر بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة فهو محقور، وكل بلاء دون النار عافية) (٣٨٧ ح).

الحياة البرزخية لكافة المكلفين

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨:١٦)

تعريف جامع للكافرين الناكرين لتوحيد الله ويوم الدين ﴿ ظالمي انفسهم ﴾ حال أن تتوفاهم الملائكة ﴿ تاركين حياة التكليف ظالمي انفسهم دونما توبة. وكيف ظالمي انفسهم ﴾ وهم قد ظلموا كثيراً من المستضعفين، وظلموا النبيين وكل حق ناصع قاطع من رب العالمين؛ ومن يظلم نفسه دون سواه هو في أهون الظلم وأدناه وقد تشمله المغفرة!.

إن الظلم أياً كان يرجع بضره وشره إلى نفس الظالم في مثلث الحياة، ولاسيما منذ الموت، وسابق التعريف بهؤلاء الظالمين يكفيننا دليلاً أنهم أظلم الظالمين ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ (٥٧:٢) وهم الذين اتخذوا العجل من قوم موسى، ظلم الشرك.

فليس الله يُظلم كما لا يظلم، ثم سواء يظلمون أو يُظلمون أم يُظلمون ويظلمون، و﴿ ظالمي انفسهم ﴾ هم - فقط - الظالمون، ولانه راجع اليهم على أية حال، فهم ﴿ ظالمي انفسهم ﴾ كسراً لشوكتهم مهما خيل اليهم انهم ﴿ ظالمي غيرهم ﴾ لا يصلهم من ذلك شيء.

﴿ فآلَقُوا السَّلَامَ ﴾ الذي ما كانوا يلقونه يوم الدنيا بل كانوا يُلعنونه، ولكنهم ساعة الإحتضار يستسلمون ولا يفيدهم بعد انقضاء التكليف، اذ لا حول لهم ولا قوة ولا حيلة إلا أن يلقوا السَّلَمَ، فالقاء السَّلَمِ هنا بعد إلغاءه هناك هو طلب المسامحة عن ذل واستكانة، والتماس شفاعته، ام هو الإستسلام لحكم الله، فهم كمن طرح آلة المقارعة، ونزع سِلَّةِ المحاربة، فهي إذاً نظيرة ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ اى لاتستسلموا لها.

وعلى اية حال ﴿ فآلَقُوا السَّلَامَ ﴾ ماكرين منافقين حيث مقالهم تبرئة لهم ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾!.

وهم في ذلك الكذب الماكر يدعون العصمة في اعمالهم، فان ❀ من سوء ❀ المدعى نية يستغرق كل سوء قصوراً او تقصيراً، ويا له من كذب كاذب!
وكيف يسمح لهم بغير الصواب. ❀ ولا يتكلمون إلا من اذن له الرحمان وقال صواباً ❀ (٣٨:٧٨) ❀ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ❀ (٣٦:٧٧)؟

ان ذلك مخصوص ببعض المواقف يوم القيامة، وهذا حين الإحتضار، وهم بين نشأتى الحياة الدنيا والبرزخية، وهم من شدة خوفهم يلقون ذلك السلم الماكر، زعماً منهم متعوداً ان يفيدهم، والله يأذن لهم لكي يفضحهم فاذا هم مفضوحون بتكذيب صارح صارخ: ❀ بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ❀!

فكما ان عدم الأذن في كلام - فضلاً عن الكذب هناك - ليس إلا هتكاً وعذاباً، كذلك الاذن فيه احياناً هتك وعذاب قضية الجواب كلاماً وغير كلام، وعلى أية حال ليس ليفيدهم هناك صدق ولا كذب، فلن ينفعوا انفسهم على اية حال كما لن يضرروا الله شيئاً بحال.

ثم وكيف ❀ تتوفاهم الملائكة ❀ هنا ثم ❀ والذين تتوفاهم الملائكة طبيين ❀ بعد، وفي ثالثة ❀ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ❀ (١١:٣٣) وفي رابعة ❀ الله يتوفى الأنفس حين موتها ❀ (٤٢:٣٩).

الله هو المحيى والمميت لاسواه، ولكنه يرسل ملك الموت لقبض الأرواح، وملك الموت يبعث جماعة من أعوانه لقبض ارواح المؤمنين وآخرين للكافرين باذن الله، وقد يتولى الله قبض لأرواح المقدسة دون وسيط كالسابقين مثل الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمحمديين طول الخط الرسالى فهو المميت اياهم لا سواه كما هو المحيى لاسواه، وانما الملائكة وسائل ظاهرية للإماتة كما للإحياء، كما الإلقاء بالنفس من شاهق من أسبابها (فهو تبارك وتعالى اجل واعظم من ان يتولى ذلك

١ . ملحقات احقاق الحق ٦: ١٣٩ و ٥: ١٦ من قول عزرائيل للنبي (ص) ليلة المعراج: «قد وكلنى الله بقبض ارواح الخلائق؟؟ روحك وروح ابن عمك علي بن ابي طالب فان الله يتوفا كما بمشيئته - كيف يشاء ويختار» اخرجه تسعة من اعلام اخواننا السنة.

بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بامرهم يعملون. فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرةً بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ فلمن كان من اهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، وم كان من اهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت اعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن امره و فعلهم، فعله وكل ما يأتونه منسوب اليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله، لانه يتوفى الأنفس على يد من يشاء ويعطى ويمنع ويثيب و يعاقب على يد من يشاء وان فعل أمناه فعله كما قال ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩:٦)

﴿ابواب جهنم﴾ هي طبقاتها السبع، بأبوابها السبع، والابواب الأسباب لدخولها وهي الرذائل السبع، دون السبع الثانية الى عرصة واحدة، حيث التعبير الصالح لها ﴿فادخلوا من ابواب جهنم﴾ دون ﴿ابواب جهنم﴾ فانها مدخل لا مُدخل، ثم ﴿خالدين فيها﴾ تخلدهم في تلكم الابواب، ولا خلود لأى داخل من باب فى

١ . نورالثقلين ٣: ٥١ عن الاحتجاج للطبرسى عن اميرالمؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول يقول مجيباً لبعض الزنادقة وقد قال اجد الله تعالى يقول «يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم» و «الله يتوفى الانفس حين موتها» و «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين» و ما اشبه ذلك، فمرة يجعل الفعل لنفسه ومرة لملك الموت ومرة للملائكة؟ -
فما قول الله عزوجل «الله يتوفى الانفس حين موتها» و «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين» و ما اشبه ذلك، فمرة يجعل الفعل لنفسه ومرة لملك الموت ومرة للملائكة، فاما قول الله عزوجل: «الله يتوفى الانفس حين موتها» وقوله «يتوفاكم ملك الموت» و «توفته رسلنا» و توفاهم الملائكة طيبين» و «الذين تتوفاهم الملائكة ظالمة انفسهم» فهو تبارك وتعالى اجل واعظم من ان يتولى ذلك بنفسه... اقول اجل انهن اجل من ذلك، وهذا يلحق بانه يتولى بنفسه قبض ارواح الاجلاء من خلقه، ثم من دونهم ملك الموت ثم ملائكة الرحمة، ثم للكفار ملائكة العذاب.

الأبواب!.

وهل انها ❁ ابواب جهنم ❁ في الحياة البرزخية كما هي قضية الحال لحال الإحتضار، ولمّا تقم القيامة حتى يدخلوا أبواب جحيمها؟ وليس هنالك خلود حيث تنتهى حين تقوم القيامة الكبرى!.

ام انها ❁ ابواب جهنم ❁ الآخرة، امراً في الحال، بياناً للمآل، وتطبيقاً في الإستقبال؟ وجهنم البرزخ أقرب للدخول، وأحرى من الآخرة أمراً بالدخول، والخلود هو البقاء مدة طويلة، والحياة البرزخية طويلة أمام الدنيا، مهما كانت قصيرة أمام الآخرة!.

أم انهما معاً معنيان، امراً استمرارياً بدخول ابواب جهنم برزخاً وفي الآخرة، وذلك أحرى، ❁ فلبس مثنوى المتكبرين ❁ في الآخرة والاولى، والآخرة لهم أنكى وأبقى. ذلك بما هنالك للضفة الجهنمية، ثم الى ضفة الجنة واصحابها حرفاً بحرف و أين حرف من حرف؟

❁ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ❁ (١٦: ٣٠)

❁ خيراً ❁ هنا هي خير تلخيص لما انزل ربك، وقد يعم كل نازل من مقام الربوبية تكويناً و تشريعاً، ومن كتابات الدعوة والرسل الداعية، وما سهّل الرب لهم حتى تسهّل لهم قبول الدعوة، كل ذلك تعنيها ❁ خيراً ❁!.

فـ ❁ خيراً ❁ هنا وجاه ما هناك ❁ أساطير الأولين ❁ ثم ❁ للذين أحسنوا... ❁ هنا وجاه ما هناك ❁ ليحملوا - إلى - مثنوى المتكبرين ❁ اذ لو كانت هذه من مقالتهم بعد ❁ خيراً ❁ لكانت قضية الحال فصاحةً وبلاغةً (لنا في هذه الدنيا حسنة.. ولدار الآخرة خير لنا) ❁ فإنهم هم المتقون أنفسهم، كما و ❁ جنات عدن يدخلونها.. ❁ دون ❁ ندخلها ❁ قرينة أخرى على أنها مقالة الرحمة جواباً عن قولهم ❁ خيراً ❁. فـ ❁ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ❁: أحسنوا في هذه الدنيا عقيدة وعملاً

١ . راجع الي تفسير الآية «لها سبعة ابواب...» فى الحجر.

صالحاً، لهم ﴿حسنة﴾ في كل النشآت، كما لهم ﴿حسنة﴾ في هذه الدنيا حسنة ﴿والأصل تعلق ﴿في هذه ﴿بـ ﴿احسنوا﴾ وتعلقه فقط بـ ﴿حسنة﴾ تختص الحسنة بهذه الدنيا وهو خلاف الضرورة، اللهم إلا تعلقاً هامشياً أن لهم حسنة في هذه الدنيا كما في الآخرة، وكما يتطلبون في دعائهم: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (٢: ٢٠١).

ومن حسنة الدنيا للذين احسنوا في هذه الدنيا نصر الله الموعود لهم: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (٥١: ٤٠) وكما منها حياتهم فيها بحذافيرها وظلماتها وظلاماتها وشهواتها، فانهم يجتازونها سالمين وكما يروى عن رسول الهدى (ص): جزناها وهي خامدة!.

لكن ﴿ولدار الآخرة خير﴾ حسنة من الدنيا للذين احسنوا فيها ﴿ولنعلم دار المتقين﴾ أهى الدار الآخرة، حيث الدنيا لهم مدرسة ودار مجاز، لادار مقام، مهما كانت هي - أيضاً - كذريعة وعلى هامش الآخرة نعم الدار حيث المتقون دنياهم آخرة لانها مزرعة الآخرة؟ ام هي الدنيا لقرن ﴿دار المتقين﴾ بالآخرة، أم هي دورهم كله في النشآت الثلاث ثابتيها دار البرزخ، فلأنهم يتقون محاظيرهم، فلنعم دارهم حيثما دار، تقوى في الاولى، ونتيجة التقوى في الاخرين، مهما كانت الآخرة أنعم واحسن الحسينيين.

ف ﴿لنعم دار المتقين﴾ حيثما دار في النشآت الثلاث وأوسطها البرزخ، مهما كانت الآخرة انعم وارقي، وهي:

﴿جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣١: ١٦).

فهما كانت لهم الحياة الدنيا الإيمانية، ﴿جنات﴾ ومن وراءها في البرزخ جنات،

١ . نورالثقلين ٣ : ٥٢ عن تفسير العياشي عن ابن مسكان عن ابي جعفر (عليه السلام) في قوله: ولنعم دار المتقين - قال: الدنيا - أقول وهذا تفسير بالمصداق الأدنى فأوسطه البرزخ واعلاه الآخرة.

ولكنها غير عدن مهما كانت البرزخ أطول من الدنيا، وفي النشأة الثالثة والأخيرة لهم ﴿جنات عدن﴾ واستقرار لا موت فيها ولا خروج عنها لأنها عطاء غير مجذوذ، فهي هي دار المتقين مهما كانت لهم في الأولى والثانية دار حيات وعيشة حسنة. ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ في قيامة الإحياء، بعدما كانوا في جنات برزخية، ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ وبطبيعة الحال لا يشاءون فيها إلا كما يناسب ظروف الجنة وأهلها المتقين ﴿كذلك﴾ العظيم الرحيم العليم ﴿يجزي الله المتقين﴾: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢:١٦)

وهذه الجنة - وهي عندما يتوفون - هي البرزخية، وليست هي العدن التي لا يدخلونها إلا في الآخرة، فهذه - إذن - من الآيات الدالة على الحياة البرزخية. و﴿طيبين﴾ هنا مقابل ﴿ظالمين﴾ هناك هم الطيبون من الظلم ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (٨٢:٦) من أظلم الظلم وهو الشرك، ثم سائر الظلم، فهم - إذاً - من ليست له حين يتوفى إلا الجنة، كما الأولون هم من ليست لهم إلا النار، وبينهما عوان يجمع لهم بين العذاب والثواب، لم يذكروا هنا وهناك.

ثم الطيب هو ما يستطاب كما هو ما يستطيب، والطيبون عند توفيتهم تستطاب اقوالهم ونياتهم واعمالهم، وهم عند الله مرضيون يستطابون، فأول ما يقال لهم ﴿سلام عليكم﴾ قولاً وفعلاً وحالاً، ومن سلامهم فعلاً: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ على ضوء الايمان والطيب.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٢:١٦)

﴿هل ينظرون﴾ وينتظرون حماقي الطغيان، اصحاب القلوب المقلوبة المنكرة المستكبرة، الكافرة المضلة، ﴿هل ينظرون إلا أن...؟﴾ هنا، وفي البقرة ﴿... إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الامور﴾ ٢١٠ ثم في الانعام: ﴿... إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم

يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانهم خيراً قل انتظروا إنا منتظرون ﴿١٥٨﴾: انتظارات مبكرة لما يأتي في وقته المقرر له، هنا ام عند الموت ام يوم القيامة، ام مستحيلة كإتيان الله مع الملائكة، فهل ينظرون إلا سنة الأولين (٤٣:٣٥)؟ ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ - ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦:١٦) ﴿وما ظلمهم الله﴾ في ذلك العذاب الماكر الباكر ﴿ولكن انفسهم يظلمون﴾ حيث تطلبوه مبكراً واستحقوه من قبل بما عملوا، وأولى لهم حين تطلبوه. ونظرتهم ان تأتيهم الملائكة، علها إتيانهم لهم بالوحي، ام بتصديق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يدعى الوحي، أم بالعذاب الموعود لهم إن لم يؤمنوا وهم مستمرين في التكذيب والتأنيب والتضليل، واللفظ وقضية الحال يناسبان ثلوث الإنتظار الإحتضار.

﴿او يأتي امر ربك﴾ عله هو امر الله فلا تستعجلوه، سواء أكان أمر انتصار الحق، هنا وفي الآخرة، هزء، اذ ما كانوا به يؤمنون، ام امر استئصالهم، ام امر القيامة حتى يصدقوها بالمشاهدة فكذلك الأمر، وهنا ﴿ربك﴾ تلمح بانه انتظار لما ينكرونه تعنتاً، لأنه من اختصاصات وحي الرسالة.

وعجب من أمر هؤلاء - الإمر - فانهم يرون ويسمعون ما حل بمن قبلهم، ممن سلكوا مسلكهم، ثم هم من بعدهم يظنون سادرين ما سادروا، ضالين كما ضلوا، غافلين عن سنة الله في الغارين، وإنها لن تحابيهم ولا تتوقف إزاءهم وقفة عن أذاهم إذا هم سادرون كما هم، كانهم أقوى منهم! فما اغفلهم واغواهم عن مصيرهم بمسيرهم:

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٤)

عمل السوء سيئة، وأثره بطبيعة الحال سيئة، في الدنيا وفي الآخرة، وهنا ﴿اصابهم سيئات ما عملوا﴾ عليها هي الاعمال نفسها، حيث ظهرت بشيء من حقائقها يوم الدنيا عذاباً يمثل الأخرى، وقد عبر عنه بـ ﴿سيئات ما عملوا﴾ دون ما عملوا، فان للاعمال الخاطئة نشآت ثلاث، يوم الدنيا حيث تظهر بشيء من حقائقها كما تناسب

الدنيا وليست هي دار جزاء، ثم تظهر بشيء اوفر في البرزخ، ثم في الاخرى يجزاه الجزاء الأوفى: ❀ وان ليس للإنسان إلا ما سعى، وان سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الاوفى ❀ (٤:٥٣).

فلان السيئة وجه الكبيرة هي القليلة وجه الكثيره، ف ❀ سيآت ما عملوا ❀ هي قليلة من كثيرة، فان ❀ ما عملوا ❀ كباثر ما أكبرها، وما أصابهم ليس إلا شطر قليل من حقائقها الجهنمية.

ولأن ❀ ما عملوا ❀ ليست إلا خطايا، ف ❀ سيآت ما عملوا ❀ ليست اضافة تقتسم ما عملوا الى سيآت وسواها، ولا اضافة الصفة الى موصوفها، اذ تشمل كل خطاياهم وما اصابهم إلا سيآتها هنا، بل هي اضافة الجزء الى الكل، فلم يصيبهم كل ما عملوا لانه مؤجل الى الآجلة، وانما بعضٌ مما عملوا قليل، فانه للعاجلة، كما البرزخ بينهما للبرزخ بينهما، هذا، مهما كان هناك ❀ سيآت ما عملوا ❀ الظهور التام لاعمالهم يوم القيامة، اضافة الصفة الى موصوفها، حينما تقوم قرينة: ❀ وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحقاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ❀ (٤٨:٣٩) فانها بعد ذكرى من سوء العذاب يوم القيامة، واما هنا فهو يوم الدنيا.

❀ وحقاق بهم ❀ حيطة مُزْمَجرة مدمرة هنا ❀ ما كانوا به يستهزؤون ❀ من عذاب الإستئصال، وكما كانوا ينظرون ❀ امر ربك ❀ نظرة الهزاء، المتعنتة.

جنة برزخية لاهل الجنة

❖ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٩﴾ (٤٢:١٩)

ليس فيها لغو حتى يسمعون، إلا سلاماً، استثناء منقطع يجب اي لغو فيها ويقطعه ويخص مسموعها بـ ❖ سلاماً ❖ ويلقون فيها تحيةً وسلاماً ❖ (٧٥:٢٥) ❖ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً. إلا قِيلاً سلاماً سلاماً ❖ (٢٦:٥٦) ولأن ❖ تحيتهم يوم يلقونه سلاماً ❖ (٤٤:٣٣) فـ ❖ تحيةً ❖ هنا سلام وليكن سلاماً غير التحية من قول سلام فحسب؛ فإن المسموع فيها كله سلامٌ إخباراً ودعاءً اماذا، لا إلا كلامَ فيها إلا سلام، فهم إذاً خرس عن أى كلام إلا السلام! وانما كلامهم لا يعد واكلاماً سلاماً من تحية أم اي سلام!.

❖ ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا ❖ وهل فى جنات عدن بكرةً وعشيًّا؟ ولزامهما

شمس طالعةً وغاربةً! والشمس مكورةً عند قيام الساعة!

هذه الشمس تكور ثم تخلق شمس اخرى يستظل اهل الجنة بضلالها عنها:

❖ أكلها دائم وظلها ❖ (٣٥:١٣) ولا ظل إلا عن ضوء و ❖ لا يرون فيها شمساً ولا

زمهريراً ❖ (١٣:٧٦) فلتكن فى الآخرة شمس و زمهرير لا يرونهما، كميّزة لأهل

الجنة عن أهل النار، فلو لم تكن هناك شمس ولا زمهرير فاهل الجنة والنار على

سواء فى ❖ لا يرون ❖!

وإذا كانت هناك شمس فلتكن طالعةً وغاربةً وأهل الجنة لا يرونها فان ❖ ظلها

دائم ❖ ❖ ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا ❖ كأصول الأوقات الصالحة للأكل وان كان

فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين و ❖ أكلها دائم ❖ ياكلون متى شاءوا ولا سيما

بكرةً وعشيًّا، او قد يعنى: دوام الأكل كما يقال: اكل الجنة صباحَ مساءً، يعنى انها

مستمرةً فى الاوقات كلها.

ودلالة آية الغدو والعشى وآية المقيبل بقريئة قاطعة فيها على البرزخ^١ لا تقتضى
دلالة آية البكرة والعشى عل ما دلنا، وهى محفوفة بقريئة من قبل ❀ عدن ❀ ومن بعد
❀ نورث ❀ تدل على القيامة.

جنة البرزخ مؤقنة مادامت الدنيا فليست عدناً ولا سيما للداخلين فيها قبيل
الساعة، ووراثه جنة عدن تعنى البقاء فيها من بعدين، اذا فهى جنة الآخرة، و
❀ لا يرون فيها شمساً ❀ دليل وجود الشمس فيها مستورة، و ❀ بكرة وعشياً ❀ دليل
كونها طالعة غاربة، اللهم إلا أن يدل ❀ أكلها دائم وظلها ❀ على دوام النهار فليس
فيها - اذاً - بكرة وعشى، ولكنهما نص على شمس طالعة وغاربة، فليقيد دوام ظلها
باوقات النهار^٢ فالرواية المنسوبة الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^٣ تؤوّل! أو

١ . كقوله تعالى «و حاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب» (٤٠:٤٦) وقوله تعالى «اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلاً. ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً» (٢٥:٢٨).

٢ . فكما ان دوام الأكل يعنى دوام الأكل وانما تهيب الأكل، كذلك دوام الظل لايعنى الا الاشجار الملتفة التي تمنع من اصابة الشمس، فقد يكون ظل غير دائم كالاطلال المؤقتة المتحركة كالشمسيات او السحاب او السقف الثابتة ولكنها ظل ما دمت تحدها، ولكنما الاشجار الملتفة هي دائمة الظل.

٣ . الدر المنثور ٤ : ٢٧٨ - اخرج الحكيم الترمذي في نواذر الاصول من طريق أبان عن الحسن وابي قلابة قال قال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! هل فى الجنة من ليل؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وما هيجك على هذا؟ قال: سمعت الله يذكر فى الكتاب «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» فقلت: الدليل من البكرة والعشى! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ليس هناك ليل وانما هو ضوء نور يرد الغدو على الرواح والرماح على الغد وتأتيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلوات التي كانوا يصلون فيها فى الدنيا وتسلم عليهم الملائكة، و اخرج ابن ابي حاتم عن ابي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما من غداوة من غداوات الجنة وكل الجنة غداوات الا انه يرف الي ولى الله تعالى فيها زوجه من الجحور العين ادناهن التي خلقت من زعفران.

يقال يكفى في كونها عدناً مواصلة الجنتين لحد يعبر عنها بعباءٍ غير مجدوذ في جنة البرزخ ❀ وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجدوذ❀ (١٠٨:١١) ثم الغدو والعشى عليهما يختصان بالجنة البرزخية، ثم لا غدو وعشى في جنة الآخرة، وانما شمس طالعة دون غروب ❀ ظلها دائم❀ في دوام الطلوع!

ثم ورزق البكرة والعشى خير الرزق فـ ❀ تغدَّ وتعش ولا تأكل بينهما شيئاً فان فيه فساد البدن❀!

❀ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ❀ (١٩:٦٣)

هل هي ميراث من الله لأهل الله؟ ❀ والله ميراث السماوات والأرض❀! ولا يموت أو ينزل عن ملكه حتى يورث! أم هي ميراث ممن أدخل النار إضافة الى ما يملكه أهل الجنة؟ ولم يكن لأهل النار نصيب من الجنة!

إنه (ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمن منزله في النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة)^٢ ❀ وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون❀ (٤٣:٧٢)

فقد كان منها منازل للذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ثم لم يتوبوا فاورثها الله من كان تقياً، فليست الجنة - اذاً - وراثه النسب إذ تنقطع هنالك الأنساب وتنقطع الاسباب، اللهم إلا سبب التقوى حيث يورث أهلها منازل أهل الطغوى الذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات!

❀ وَ مَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَ مَا خَلْفَنَا وَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَ مَا كَانَ

١ . نورالثقلين ٣: ٣٥١ ح ١٢٠ في محاسن البرقى عن ابن اخى شهاب بن عبد ربه قال: شكوت الى ابي عبدالله (عليه السلام) ما القى من الالوجاع والتخيم فقال: تغدو.. اما سمعت قول الله عزوجل يقول: «لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» ورواه في كتاب طب الائمة عن محمد بن عبدالله العسقلانى عنه (عليه السلام).

٢ . الدر المنثور ٦: ٢٣ - اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي هريرة ان رسول

رَبِّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٩﴾ (٦٥)

هاتان الآيتان تلمحان أنهما معترضتان بين آي السورة، ترى انهما من كلام الله؟ وهو لا يتنزل! وليس له رب! ولا له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك! ام من كلام أهل الجنة؟ وليس دخلوها تنزلاً إليها فانه تصاعد وتعال، ولا يخرجون تنزلاً عنها، ثم ولا يناسبهم بقية القول، اذا فهما من كلام ملائكة الوحي أم أولاهما، كأن هناك سؤالاً، لماذا ذلك التباطؤ في التنزيل بالوحي ام قلته والجواب ❁ وما تنزل.. ❁ والواو فيها لمحة إلى معطوف عليه محذوف ك ❁ ما تباطئنا من أنفسنا أم تقللنا ولا قليناك او نسيناك.. بل.. وما تنزل إلا بامر ربك.. ❁ ليس تنزلنا بالوحي إلا لتربيتك، فانت الأصل الرسولي ونحن الفروع الرساليين، وهو يعلم كيف ومتى وبماذا ينزلنا، ف

١ . وفيه اخرج ابن مردويه عن انس قال سئل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) اي البقاع اجب الي الله وايها ابغض الي الله؟ قال: ما ادري حتي اسأل جبرئيل وكان قد ابطأ عليه فقال: لقد ابطأت علي حتي ظننت ان بربي علي موجدة فقال: وما نتنزل...
واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن عكرمة قال: ابطأ جبرئيل علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) اربعين يوماً نزل فقال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ما نزلت حتي اشتقت اليك فقال له جبرئيل انا كنت اليك اشوق ولكني مأمور قاوحي لله الي جبرئيل ان قل له: و ما نتنزل الا بامر بك... واخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال: احتبس جبرئيل عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بامر بك... واخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال: احتبس جبرئيل عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بامر بك... واخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال: احتبس جبرئيل عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بامر بك... واخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال: احتبس جبرئيل عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بامر بك...
واخرج ابن جرير عن مجاهد قال لبث جبرئيل عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) اثنى عشرة ليلة فلما جاءه قال: لقد رثت حتي ظن المشركون كل ظن فنزلت الآية..

وفيه اخرج احمد والبخاري ومسلم وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) لجبرئيل (عليه السلام): ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا؟ فنزلت الآية.

❁ ربك ❁ لا ❁ ربنا ❁ ولا ❁ رب العالمين ❁ يُؤصل ذلك الوحي إليه من الله حيث يريه التربية القمه بذلك الوحي المجيد.

❁ وما تنزل ❁ بالوحي ❁ أماذا ❁ إلا ❁ بأمر ربك ❁ ليس لنا من الأمر شيء كما ❁ ليس لك من الأمر شيء ❁ وكياننا نحن وأنت وجه ربك: ❁ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ❁ وهو يشمل الكون أجمع اياً كان وأيان! -: ❁ ف ❁ ما بين أيدينا ❁ ما نستقبله من زمان ومكان او كائن فيهما اياً كان ❁ وما خلفنا ❁ ما نستدبره كذلك - ❁ وما بين ذلك ❁ من انفسنا واياك، وما نحمله من وحي من أو إلى - كل ذلك له لا لنا ولا لك ولا لسوانا، ومما بين ايدنا وما خلفنا وما بين ذلك ما تنزل به من وحي، فليس استنزاله لك ولا التنزل به لنا ❁ إلا ❁ بأمر ربك ❁، كما وان القول ❁ وما تنزل.. ❁ ايضاً ليس ❁ إلا ❁ بأمر ربك ❁ فلسنا نحن إذاً مقصرين في تباطؤ الوحي عليك واحتباسه عنك.

وأما ربك فلا ينزلنا بالوحي إلا بحكمة الربوبية ❁ وما كان ربك نسياً ❁ يودعك نسياً او يفلاك تناسياً: ❁ والضحي، والليل اذا سجي. ما ودعك ربك وما قلى ❁!.

ف ❁ ما تنزل ❁ نفى عنهم التقصير ❁ وما كان ربك نسياً ❁ نفاه عن الرب وعن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا بد من حكمة خفية في البين، فلا هو نسي ينى مقصراً، ولا أنه نسي يتناسك غضباً، ويتمثل ❁ ما كان نسياً ❁ في ❁ ما ودعك ربك وما قلى ❁ حيث التوديع نسيان، والقلى تناس غضباً، ولقد كان حقاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يستوحش من إبطاء الوحي لاشتياق نفسه للإتصال الحبيب بوحي الحبيب.

ثم و ❁ رب السماوات والأرض وما بينهما ❁ عبارة أخرى عن ❁ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ❁ وعله من كلام الله ❁ فاعبده ❁ تفرغ لتوحيد العبودية على توحيد الربوبية ❁ اصطر لعبادته ❁ أمر باستقامة العبادة ومنها تنزل الوحي عليه رسولياً ورسالياً، فعليه الإصطبار مهما احتبس عنه لفترة قصيرة أم

طويلة ❁ هل تعلم له سميًّا ❁ من الاسم لـ ❁ الرب ❁ او ❁ الله ❁ فهل تعلم له ربًّا
سواه لكل شيء، ليس له شريك في اسم الرب فضلاً عن حقيقته وسمته، والربوبية
المطلقة الوحيدة لساحته المقدسة تقتضي عبادته وحده، والإصطبار لعبادته وحده!

❁ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ❁ (٢٥) وهل المخاطبون هنا هم الرسل، يُظهر لهم
إيمانه بمعرض الناكرين، ليشهدوا له عند الله؟ وكانوا شاهدين إيمانه منذ جاء من
أقصى المدينة! والله هو شاهد الإيمان دون شهادة! أم هم الناكرون فليسمعوا إيمانه
بحججه ليتبعوه أو يزيدهم حجة إذ ينكرون؟ ويناسبه ❁ بربي ❁ أو ❁ رب
العالمين ❁ لا ❁ بربكم ❁ إذ كانوا يعبدون أرباباً من دون الله! اللهم إلا أن يعنى الرب
الفاطر الذى هم به مؤمنون.

قد يعنيهما جميعاً بين الأمرين، و ❁ بربكم ❁ دون ❁ أربابكم ❁ يختصه بالله
الواحد، ولأن رب المرسلين هو ربه ورب المكذبين، وقد برهن لربوبيته الوحيدة فى
حجابه، فأحسن الصيغ هنا ❁ ربكم ❁ مما سرَّ المرسلين وأغاظ الناكرين لحدِّ قتلوه
فور قوله الجاهر القاهر، إذ كانت شهادته بالتوحيد - وهو رجل من أقصى المدينة -
تجاسراً على أصحاب المدينة.

❁ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بما غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ❁
(٢٨:٣٣)

فأمره بدخول الجنة وتحسُّره على جهل قومه، وغفران ربه له، وجعله من
المكرمين، و ❁ من بعده ❁ لمحات خمس أنهم قتلوه فور قوله: ❁ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ

١ . نورالثقلين ٣ : ٣٥٢ ح ١٢٥ فى كتاب التوحيد عن
اميرالمؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه
لرجل سأله عما اشتبه عليه من آيات الكتاب، وأما
قوله: وما كان ربك نسياً - فان ربنا تبارك وتعالى
علواً كبيراً ليس بالذى ينسى ولا يغفل بل هو الحفيظ
العليم... وما قوله: هل تعلم له سميًّا فان
تأويله: هل يعلم احد اسمه الله غير الله تبارك
وتعالى...».

فاسمعون ﴿١﴾!

والجنة هنا هي البرزخية حيث يدخلها المؤمن فور ارتحاله إلى رحمة ربه، فإن الجنة الأخرى ليست إلا للقيامة الكبرى، وإلا لشيء أصيل من هذا البدن قليل، والبدن الآن بكامله تحت التراب أماذا؟ ولما تات القيامة الكبرى، فهذه من الايات الدالات على الحياة البرزخية بعد الموت دون فصل، فان ﴿٢﴾ قيل ﴿٣﴾ هنا و ﴿٤﴾ قال ﴿٥﴾ تدلان على استمرارية حياة الميت بعد الموت، فلا يعنى الموت إلا فصل الروح ببدنه البرزخى عن هذا البدن، ولا يعنى موت الروح وفوته وكما تفصله الآيات البرزخية الأخرى.

ولما ﴿٦﴾ قيل ادخل الجنة ﴿٧﴾ قال مبتهجا لنفسه، متحسرا على قومه ﴿٨﴾ يا ليت قومى يعلمون ﴿٩﴾ أمرين خفيا عنهما:

١ - ﴿١٠﴾ بما غفر لى ربي ﴿١١﴾ أن أذهب عنى سيأتى رفعا، ودفع عنى التى كانت تهاجمنى، ولا فحسب الغفران بل، ٢ - ﴿١٢﴾ وجعلنى من المكرمين ﴿١٣﴾ وهم بين الملائكة: ﴿١٤﴾ بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿١٥﴾ (٢٧:٢١) وبين سائر المؤمنين من مخلصين ﴿١٦﴾ إلا عباد الله المخلصين.. وهم مكرمون ﴿١٧﴾ (٤٢:٣٧) ومن مخلصين: ﴿١٨﴾ اولئك فى جنات مكرمون ﴿١٩﴾ (٣٥:٧٠) وهم مشتركون - على درجاتهم - فى أنهم لا يعذبون ولا يؤنَّبون، ولذلك نرى الرجل يُستقبل فور موته بـ ﴿٢٠﴾ قيل ادخل الجنة ﴿٢١﴾.

وكما الله أكرم ذلك الرجل الناصر للمرسلين، كذلك أهان قاتليه المكذبين أن اخمد ثأرتهم بصيحة واحدة دون أن ينزل عليهم من جند من السماء ﴿٢٢﴾ وما كنا منزلين ﴿٢٣﴾ جند السماء على مرده الأرض، واستصغاراً لموقفهم واستضعافاً.

﴿٢٤﴾ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴿٢٥﴾ (٢٩:٣٣) صيحة واحدة أخذت جمعهم المحتشدة المتكاثفة المتكاثفة، التى كانت كنيران مسعرة على الرسالات ﴿٢٦﴾ فإذا هم خامدون ﴿٢٧﴾ خاملون دون حراك فى أى عراك، ويكأنهم لم تسبق لهم حياة! صرعى سبات مهانين مصغرين، وقد سُدل الستار سراعاً على مشهدهم البائس

المهين.

وترى كيف كانت معهم عاقبة المرسلين، فهل قتلوا مع صاحب يس؟ و ❁ قيل
ادخل الجنة ❁ لا تشملهم! أم هم نجوا من هذه المعركة الدموية الصاخبة، وقتل مؤمن
واحد لا يخلف صيحة تخدمهم جميعاً! الأمر الواضح في هذا البين أن الرجل الأقصى
قتل وأن أصحاب القرية خمدوا بصيحة واحدة، ولو أن الرسل قتلوا لأشير إلى قتلهم
كما الإشارات إلى قتل المناصر.

والصيحة التي اخمدتهم كذلك تُخدم الرواية القائلة أن السلطان آمن وأهل مملكته

١ . نورالثقلين ٤ : ٣٧٩ ج ٣٠ القمي حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن مالك بن عطية عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن تفسير هذه الآية فقال: بعث الله عزوجل رجلين الي اهل مدينة انطاكية فجاءهم بما لا يعرفون فغلظوا عليهما فاخذوهما وحبسوهما في بيت الاصنام فبعث الله الثالث فدخل المدينة فقال ارشدوني الي باب الملك قال فلما وقف علي الباب قال انا رجل كنت اتعبد في فلاة من الارض وقد اجبت ان اعبد إله الملك فابلغوه كلمة الملك، فقال ادخلوه الي بيت الالهة فادخلوه فمكث سنة مع صاحبيه فقال لهما بهذا ينقل قوم من دين الي دين بالخرق أفلا رفقتما؟ ثم قال لهما لا تقران بمعرفتي، ثم ادخل علي الملك فقال له الملك بلغني انك كنت تعبد الهى فلم ازل وانت اخي فسلني حاجتك فقال: مالي من حاجة ايها الملك ولكن رأيت رجلين في بيت الالهة فما حالهما؟ قال الملك: هذان رجلان أتياني ببطلان ديني ويدعواني الي إله سماوي فقال ايها الملك مناظرة جميلة فان يكن الحق لهما ابتنعناهما وان يكن الحق لنا دخلا معنا في ديننا وكان لهما ما لنا وعليهما ما علينا. قال: فبعث الملك اليهما فدخلوا اليه قال لهما صاحبهما: ما الذي جئتما به؟ قالوا: جئنا ندعوه الي عبادة الله الذي خلق السماوات والارض ويخلق في الارحام ما يشاء ويصور كيف يشاء وانبت الاشجار والثمار وانزل القطر من السماء، قال: فقال لهما إلهكما هذا الذي تدعوان اليه والي عبادته ان جئنا باعمي يقدر ان يردّه صحيحاً؟ قالوا: اذا سألناه ان يفعل فيعمل ان شاء قالل ايها الملك على باعمي لم يبصر شيئاً قط، قال: نأتى به، فقال لهما ادعوا إلهكما ان يرد بصر هذا فقاما وصليا ركعتين فاذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر الي السماء فقال: ايها الملك على باعمي اخر فاتي به قال: فسجد سجدة ثم رفع رأسه فاذا الاعمي بصير فقال: ايها الملك حجة بحجة على بمقعد فأتى به

فلو أن هناك مؤمنين ولا سيما السلطان وجماهير من أتباعه فلماذا الصيحة والقتلة الجماهيرية؟

❖ يا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢:٣٣﴾

❖ يا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴿٣٢﴾ وهم عباد الله تكويناً وتشريعاً، كيف أصبحوا عباد الشيطان، فـ ❖ ما يأتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ طول التاريخ الرسالي، وهم المترفون المفرطون في تكذيب الرسالات، وأتباعهم الضعفاء. ❖ أَلَمْ يَرَوْا ﴿٣٠﴾ رؤية في أعماق التاريخ، وأصدق ما يقصه القرآن ❖ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ ﴿٣١﴾ الطائفة

فقال لهما: مثل ذلك فصليا ودعيا الله فاذا المقعد قد إطلقت رجلاه وقام يمشي فقال: ايها الملك علي المقعد آخر فاتي به فصنع به كما صنع أول مرة فأنطلق المقعد فقال: ايها الملك قد أتينا بحجتين وأتينا بمثلهما ولكن بقي شيء واحد فان هما فعلاه دخلت معهما في دينهما ثم قال: ايها الملك بلغني أنه كان للملك ابن واحد ومات فان أحياه إلهما دخلت معهما في دينهما فقال له الملك: وأنا أيضا معك، ثم قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة قد مات ابن الملك فادعوا إلهكما ان يحييه قال فخراساجدين لله عزوجل وأطالا السجود ثم رفعاً رؤسهما وقال للملك ابعث الي قبر ابنك تجده قد قام من قبره ان شاء الله، قال: فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض راسه من التراب قال: فاتي به الي الملك فغرف أنه ابنه فقال له: ما حالك يا بني؟ قال: كنت ميتاً فرايت رجلين بين يدي ربي الساعة ساجدين يسألانه ان يحييني قال: يا بني تعرفهما اذا رايتهما؟ قال: نعم قال: فخرج الناس جملة الي الصحراء فكان يمر عليه رجل رجل فيقول له ابوه انظر فيقول لا ثم مروا عليه باحدهما بعد جمع كثير فقال: هذا احدهما وأشار بيده اليه ثم مروا ايضا بقوم كثيرين حتي راى صاحبه الآخر فقال: وهذا الآخر قال: فقال النبي صاحب الرجلين اما انا فقد أمنت بالهكما وعلمت ان ما جئتما به هو الحق قال: فثقال الملك وانا ايضا وأمن اهل مملكته كلهم. أقول وفي المجمع عن وهب بن منبه ذكر القصة باختلاف يسير، وهذه القصة تخالف الآيات من جهات عدة فهي اذاً مختلفة مردودة لمخالفة القرآن.

﴿أنهم﴾ بعد هلاكهم ﴿إليهم لا يرجعون﴾ فهل ينتظرونهم لكي يخبروهم بصدق الحياة الحساب بعد الموت أم كذبه؟ أم ينتظرونهم أن يرجعوا فيصلحوا أعمالهم، ولات حين مناص، إذ فات يوم خلاص!.

إن الهلكى وسواهم ﴿إن كل﴾ دونما استثناء ﴿لما﴾ إلا ﴿جميع لدينا محضرون﴾ إحضاراً للحساب فالثواب أو العقاب، كسائر المؤمنين، أم ثواباً دون حساب ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾. إلا أصحاب اليمين ﴿.

حياة برزخية

لأهل الجنة والنار

❦ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦:٧﴾

والخلود - كما مر مراراً ويمر - هو البقاء مدة طائلة، دون غائلة الأبدية اللانهائية التي افتريت على الله بتعليلات عليلة، وهل العقوبة اللانهائية هي جزاء وفاق للعصيان المحدود لزمان محدود بأثر محدود؟ -

❦ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾.

فممن افترى على الله كذباً وكذب بآياته هؤلاء الذين يؤبدون المكذبين بآيات الله المستكبرين عنها، أبد اللانهائية، فهم - إذاً - معهم فيما يزعمون، اللهم إلا القاصرين منهم التابعين للقائلين به الغائلين.

❦ أولئك لهم نصيبهم من الكتاب ﴿ قبل الموت، لمكان ﴾ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم.. ﴿ فما هو ذلك الكتاب؟ إنه بطبيعة الحال كتاب الأعمال لسبق ذكر الأجل، مما يؤيد أن ﴾ لكل أمة أجل ﴿ تشمل أمم المؤمنين وكافرين، فكما ﴾ لكل أمة أجل ﴿ كذلك ﴾ لكل أجل كتاب ﴿ وكذلك كتاب الأعمال لسبق ذكر الأجل، مما يؤيد أن ﴾ لكل أمة أجل ﴿ تشمل أمم المؤمنين وكافرين، فكما ﴾ لكل أمة أجل ﴿ كذلك ﴾ لكل أجل كتاب ﴿ وكذلك كتاب الأعمال وما كتب الله عليهم بها من العقاب في كتابه حسب كتاب الأعمال، وقد عبر - مراراً - عن مثبتة الأعمال في سجلاتها بالكتاب: ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴿ (٢٩:٤٥)، ﴿ إقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿ (١٤:١٧) فالكتابان - إذاً - هما معنيان بفارق أن نيل نصيب كتاب الأجل يختص

بالدنيا بنفسه، ثم نصيب كتاب العمل يشمل النشآت الثلاث. والمعنى منها هنا نصيب الدنيا بآثار الأعمال السيئة.

صحيح أن هنا عملاً دون حساب وهناك حساب دون عمل، ولكن ❀ نصيب من الكتاب ❀ هو خليفة حاضرة لا مرد عنها مما لا بد منها، فان للأعمال آثاراً في الحياة كمالها في الأخرى مهما كان كمالها في الأخرى.

ثم ومن ❀ الكتاب ❀ ما كتبه الله من أعمار وأرزاق للعباد، فكما للصالحين نصيب كذلك للطالحين، إذ ❀ كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ❀ (٢٠:١٧).

فكما ❀ لهم نصيبهم من الكتاب ❀ رزقاً في الحياة الدنيا وأجلاً فيها فان ❀ لكل أجل كتاب ❀ (٣٨:١٣) كذلك ❀ لهم نصيبهم من الكتاب ❀ الذي كتبوه بأعمالهم، فهم عاثون بين الكتابين ولا يظلمون فتيلاً.

ذلك، وان لهم انصبه من الكتاب أولها في الأولى، وأخراها في الأخرى، وأوسطها بينهما حيث ❀ من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ❀، ومن الوسطى: ❀ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ❀ وهم الرسل الملائكية الغلاظ الشداد: ❀ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ❀ (٨:٥٠).
والتوفى هو الأخذ واقياً دون تفلت لشيء من كيان الإنسان، المفروض حشره للحساب نفساً وبدناً: ❀ وقالوا إذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون. قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ❀ (١١:٣٢).

ومن مقالهم معهم ❀ قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ❀ أنهم آلهه مع الله، دلوتنا عليهم لنراهم ما هم ومن هم؟ ❀ قالوا ضلوا عنا ❀ ضلالاً عن كيان الألوهية، لا عن كونها كسائر الكائنات حيث تحشر حاسرة عما تلبست من كبرياء الألوهية: ❀ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاءنا الذين كنا ندعوا من دونك فآلقوا إليهم السلم إنكم لكاذبون. وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما

كانوا يفترون ﴿٨٨:١٦﴾ - ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي أم هم ضلوا السبيل. قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ﴿١٨:٢٥﴾. ذلك، وقد تعنى ﴿صلوا عنا﴾ إلى ما عنت، ضلالاً عند الموت، ثم ﴿إذ رأى﴾

رؤية عند الحشر، وعلى أية حال ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾. ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أداركوا فيها جميعاً قالت أخرجهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ (٣٨:٧)

هنا ﴿قال ادخلوا في أمم..﴾ دون فصل عن ﴿يتوفونهم﴾ - بقالتهم المؤنبة إياهم - دليل أن ﴿النار﴾ هنا هي البرزخية، ثم ﴿إذا اداركوا فيها جميعاً﴾ قد تلمح أنها نار الآخرة، حيث الجمع لأهل النار في النار ليس إلا فيها، وأما النار البرزخية فهم يدخلونها تبعاً حتى قيامة الإماتة الصعقة، فقد لا يكون للأحياء عندها برزخ؟!.

ولكن الجمع في البرزخ كائن في آخر الأمر، فالأموات قبل القيامة الأولى أخذوا مواقعهم فيه، ثم الذين يلونهم في القيامة الأولى يدخلون فيما هم داخلون وهنا ﴿اداركوا فيها جميعاً﴾.

وأما الصعقة الشاملة ﴿إلا من شاء الله﴾ في القيامة الأولى، فلا تنافي حياة برزخية بعدها فيها يثابون أو يعذبون.

وقد تعم ﴿أدخلوا﴾ إلى مدخل البرزخ مدخل القيامة الكبرى ﴿حتى إذا أداركوا فيها جميعاً..﴾ فـ ﴿ادخلوا﴾ للبرزخ أمر حاضر دون فصل، وللأخرى أمر حاذر للمستقبل ببرزخ الفصل.

ثم ﴿الجن﴾ الداخلون مع ﴿الإنس﴾ في النار هم شياطين من الجن وفسقة يستحقون النار البرزخية مما يدل على أن الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم لا يشمل كل شياطين الجن، فقد يشمل مع الشيطان الأول الشياطين الأول من صناديدهم كما هو

قضية ❁ إنك من المنظرين ❁ فهنا شياطين الشيطنة، مع الشيطان الأول، وهم - بطبيعة الحال - أضرابه من رؤساء الشيطنة، أم يشمل كل شياطين الجن لمكان ❁ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً ❁ فدون الصالحين منهم هم قدد الشيطنة، المنظرون مع هذا الشيطان.

وعلى أيه حال فهناك مُنظرون من الشياطين هم كلهم أم بعضهم دون فسقة الجن، فانهم كما الإنس غير منظرين.

وترى كيف ❁ كلما دخلت أمة لعنت أختها ❁ وأمم النار أصدقاء مرافقون موافقون في أسباب النار واستحقاقاتها؟.

إن الملاعنة هناك هي قضية ظهور الملكوت، ف ❁ الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ❁ (٤٣:٦٧) ثم المواده بينهم كانت قشريئة على الأهواء الطائشة، وقد مضت وأدبرت، ثم ظهرت فاسدة كاسده فقضت بما قضت، فكل تعاون بين هؤلاء الأخلاء في الفسوق تكون هناك مادة العداء الظاهرة، وقد كانت مستورة أم متغافلاً عنها: ❁ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ❁ (٥٠:٢٢) - ❁ يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ❁ (٢١:٩٧).

أجل و ❁ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ❁ (٣٨:٦٤) ثالوث من التخاصم بسالوس الإضلال والضلال والإدغال، فقد يخاصم المظللون مضلليهم وعكساً، كما يخاصم كل منهم قرينه في الضلال والتضليل، واللعة الأُممية هي ضابطة اللعة الثابتة ❁ أمة ❁ بمن فيها من المضللين والمضللين والقُرناء في كل منهما، فكل لاحقة تلعن أختها السابقة عليها، ولأنها لحقتها في ضلالها، إذ كانت تقلدها وتتبع آثارها، ولعنت أختها اللاحقة بها، سواءً أكانت أختها مضللة لها أم مضللة بها، حيث الأخوة في الكفر لا تعرف دركة دون أخرى ولا زمناً دون آخر.

ثم ❁ أمة ❁ هنا هي أمة الموت، وقد تعنيها ❁ لكل أمة أجل ❁ ولكنها أمة الضلالة، وتقابل أمة الهدى.

ولماذا ❁ اداركوا فيها ❁ دون ❁ دخلوا - أو حضروا ❁؟ حيث القصد إلى تداركهم

فيها بحساب واستحقاق، وإدراكهم بعضهم بعضاً ظاهراً وباطناً، وعندئذ:

❖ قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا ❖ حيث اللاحقة هي تابعة السابقة، أم - كأوضح أخراهم في الضلالة التابعة لأولاهم فيها وهم أئمة الجور^١، فالفريقان - إذاً - هما المتعاشيان إن في زمن واحد أم عديد، فهما على أية حال المضللون باتباعهم للمضللين، سواء أكان في تعايش زمني، أم في تقليد أخراهم لأولاهم دون تعايش حيث يظللون بآثارهم.

وبصيغة أخرى قد تعنى ❖ أخراهم ❖ وجاه ❖ أولاهم ❖ كل أخرى لكل أولى، في سلسلة متواصلة بحقول الإضلال والضلال، أم ❖ أخراهم ❖ هم المضللون و ❖ أولاهم ❖ المضللون فإنهم الأولى في حقل الضلال وأولئك هم الأخرى، مع كون كل من الأخرى هي أيضاً أولى لمن يضلله.

إذاً فالقصد من ❖ قالت أخراهم لأولاهم ❖ هو قبيلة كل أمة مضللة لكل أمة مضللة، والأمة هنا كما بينا هي أمة الموت في الكفار الذين هم أهل النار.

ذلك، ولأن الضلال منه حاضر في تعايش الضلال والمضللين، ومنه غير حاضر بمضليله لمكان ضلالهم الغابر، العابر مر الزمن، فقد يشمل الإضلال كليهما، فان ❖ من سن سنة سيئة كان عليه وزر من عمل بها إلى يوم القيامة ولا يُنقص أولئك من أوزارهم ❖ مهما كان الإضلال الحي أقوى وأغوى من الإضلال الميت.

إذاً ف ❖ قالت أخراهم ❖ تشمل كل مضلل و ❖ لأولاهم ❖ تشمل كل مضلل حياً وميتاً مادام في ضلاله تأثير الإضلال بأي أثر باق باغ في حقل الضلال، إذاً فليست ❖ أخراهم ❖ هي المتأخرة موتاً إذ قد يكون هي المتقدمة إضلالاً.

❖ ربنا هؤلاء أضلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار ❖ لضلالهم أنفسهم وإضلالهم إيانا ❖ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ❖ فانكم كما هم ظلتم وأضلتم، فان في الدخول إلى رعب الضلالة إضلالاً للبسطاء، ثم ❖ لا تعلمون ❖ ضعفكم عن ضعفهم،

١ . تفسير البرهان ٢ : ١٤ - الطبرسي قال الصادق (عليه السلام) في الآية يعني أئمة الجور.

فان لكلّ عذاباً قدر سعيه في الضلال والإضلال.

ذلك، فلا تعنى ❀ لكلّ ضعف ❀ تماثل الضعفين عدة وعدّة، بل هو التماثل لبعدي الضلالة مهما اختلفت العدة والعدة، فقد يقوى ضعف الأولين ويضعف ضعف الآخرين، حسب القوة والضعف في الضلالة والإضلال، وكما أن كلا من الفريقين دركات في كلا الضلال والإضلال، ثم والضعف في العدد كما العدد لا ينحصر في اثنين حيث قد يتجاوزهما إلى أضعاف حسب أضعاف الإستحقاقات^١.

❀ وَ قَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ❀ (٣٩:٧)

وترى الفضل المنفى في بُعد العذاب هو الفضل في عدة العذاب وعدّته، أن الفريقين يتساويان فيهما؟ وهذا غير وارد في كل فريق بين أفرادهم فضلاً عن الفريقين مع بعضهما البعض! فقد يعنى فضل الضعف في العدد، لا والعُدّة.

وعلى أية حال ❀ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ❀ فعلى قدر مكاسب السوء نجازى وتجازون.

وقد يعنى ❀ ولكن لا تعلمون ❀ مدى الضعف مضللين ومضللين، فلذلك ليس ❀ فما كان لكم علينا من فضل ❀ إلا جهلاً بمدى ❀ لكل ضعف ❀ وهذا الجهل عذاب فوق العذاب.

ثم وقد تكون ❀ فذوقوا.. ❀ من كلام الله دون كلام أولاهم، كضابطة عامة تعم أولاهم وأخراهم أن ذوق العذاب على أية حال ليس إلا بمكاسب السوء قدرها، من مضلل كان أم مضلل، على قدر ضلاله وإضلاله أم تقبله للضلال ❀ ولكن لا

١ . قال الأزهرى «الضعف» في كلام العرب الممثل الي ما زاد وليس بمقصود علي المثليين وجائز في كلام العرب أن تقول: هذا ضعفه أي مثله وثلاثة أمثاله، لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة كما «فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا» إذ ليست تعدي ضعف المستحق، بل هو كثرة الثواب حسب كثرة الطاعات وأقل الضعف لهم عشرة أضعاف فـ «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها».

تعلمون ﴿٤٠﴾.

إذا فهي تقد على ﴿٣٩﴾ ما كان لكم علينا من فضل ﴿٤٠﴾ أم هو كلامهم وكذلك الأمر حيث أجابوا أنفسهم بأنفسهم. وحصيلة الضعف هنا وهناك أن لكل كثرة العذاب عدداً وعداداً حسب عديد العصيان وعداده، وليس يعني ﴿٣٩﴾ فما كان لكم علينا من فضل ﴿٤٠﴾ إلا فضلاً من الله يختص بالمضللين لأنهم أتباع، فهو العدل المحكم بين الفريقين، وقد يربوا المضلل على المضلل في ضعف العذاب قدر ضعف العصيان، وإنما الفضل يختص بكتلة الإيمان، أن يزدادوا ثواباً عما يستحقون، وأما الكفار فلا زيادة في عذابهم ولا نقصان عن المستحق بقسطاس مستقيم.

ولأن ﴿٣٩﴾ الضعف ﴿٤٠﴾ لا يختص بالمتلين كما ﴿٣٩﴾ فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في العرفات آمنون ﴿٣٤:٣٧﴾ وأقل الضعف هو عشرة لمكان ﴿٣٩﴾ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴿٤٠﴾ وهذا لأدنى المؤمنين، وهنا ﴿٣٩﴾ جزاء الضعف ﴿٤٠﴾ لأفاضلهم. إذا فمطالبة ضعف العذاب للمضللين - فقط - لأنهم أضلوا، خاوية عن العدل المرام يوم الحساب، والجواب كلمة واحدة ﴿٣٩﴾ لكل ضعف ﴿٤٠﴾ من العذاب وهو كثرته قدر المستحق، فقد يكون ضعف المضلل أضعف من ضعف المضلل، وآخر يعاكسه، وضعف كل ليس إلا بميزان العدل، ثم لا ضعف كما يشتهوتن ﴿٣٩﴾ ولكن لا تعلمون ﴿٤٠﴾ أن لكل ضعفاً كما ﴿٣٩﴾ لا تعلمون ﴿٤٠﴾ قدر الضعف لكل حيث الأعمال معروفة عند الله، مجهولة عن من سواه.

فهنا ﴿٣٩﴾ لكل ضعف ﴿٤٠﴾ تعنى عذاباً لضلاله وعذاباً لإضلاله، وكل ضعف إنما هو قدر المستحق عدداً وعداداً ولا يظلمون فتياً.

﴿٣٩﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴿٧:٤٠﴾ هنا ﴿٣٩﴾ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴿٤٠﴾ قد تعنى أبواب السماء الرحمة الرحيمية دنيوية وأخروية وبينهما، ومن الأولى ألا تفتح لهم أبواب لتصعد أعمالهم وأدعيتهم إليها، حيث ﴿٣٩﴾ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴿٣٥:١٠﴾ كما لا تفتح عليهم

بركاتهما: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (٩٦:٧)، ومن الأخرى عدم صعودهم إلى الجنة المأوى عند سدره المنتهى، كما أن مما بينهما عدم صعود أرواحهم لدى الموت إلى سماء الرحمة^١. ذلك، و ﴿أما أقفال السماوات فالشرك بالله، ومفاتيحها قول ﴿لا إله إلا الله﴾، إذا فأبواب سماء الرحمة مادية ومعنوية لا تفتح لهم في أية نشأة من النشآت الثلاث. إذا فللسماء أبواب: ﴿فان استطعت أن تتبغى نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتهم بآية﴾ (٣٥:٦)، ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ (١٤:١٥) ﴿فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع﴾ (١٥:٢٢).

و ﴿حتى يلج الجمل﴾ (تمثيل بما يستحيل حيث يحيل دخولهم الجنة، فهل هو الجمل الإبل؟ فضلاً عن جمل أصحاب الجمل^٢ ولا صلة لذلك الجمل بسّم الخياط، ولا أن أصحاب الجمل من ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ لاسيما وهم بمثل طلحة والزبير

١ . الدر المنثور ٣ : ٨٣ - أخرج أحمد والذسائي وابن ماجه وابن جرير وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ألميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قال: أخرجني أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجني حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض عنى وغضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة فإذا كان الرجل السوء قال: أخرجني أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجني ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانها لا تفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر. وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قبض روح الكافر: فإذا أوتى بروحه إلى السماء الدنيا أغلقت منه أبواب السماء وذلك قوله: «لا تفتح لهم أبواب السماء» يقول الله: ردها عليه فمذها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى.

٢ . نورالثقلين ٢ : ٣٠ تفسير العياشي عن منصور بن يونس عن رجل عن أبي عبدالله (عليه السلام) في الآية نزلت في طلحة والزبير والجمل جملهم .

كانوا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصالحين عند نزول الآية، فكيف تنزل آية كفرهم الذى يحيل دخولهم الجنة؟!

وهنا ﴿بآياتنا﴾ جمعاً محلى باللام تحلق على كافة الآيات الأنفسية والآفاقية: رسولية ورسالية، وهو الكفر المطلق المطبق، البعيد عنه الذين يكذبون ببعض ويصدقون ببعض، فلهم بعض الإيمان، فقد يأتى يوم هم يخرجون فيه من النار إلى الجنة قضية إيمان، بعد ما ذاقوا وبال أمرهم فى تكذيب.

فهذه الآية تبين مصير المؤبدين فى النار الذين ينخدون - بعدما ذاقوا وبال أمرهم - مع انخماذ النار، فلا نار - إذاً - ولا أهل نار.

ثم ﴿الجملة﴾ أمام ﴿سم الخياط﴾ تناسب الخيط الغليظ الذى يجريه الجمل، ولأنه حبال جمعت وجملت فأصبحت حبالاً واحداً يصلح لجر الجمل، وأين جمل من جمل؟

فهنا ﴿لا تفتح﴾ تعم كل تفتح لبركات السماء معنوياً ومادياً فى النشآت الثلاث، كما تعم التفتح لصعود أعمالهم إليها يوم الدنيا، وصعود أرواحهم فيها بعد الموت، وصعود أنفسهم يوم القيامة الكبرى، حيث تفتح أبواب جنّة الخلد عند سدرة المنتهى لأهلها، وكذلك نزول بركات من السماء مادية ومعنوية عليهم فى هذه النشآت، فهذه الأبواب كلها مغلقة على هؤلاء ﴿الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ كما أغلقوا على أنفسهم أبواب الهدى، جزاءً وفاقاً.

أجل تفتح لهؤلاء الأنكاد أبواب الرحمة بدليله عن أبواب الرحمة، حيث السماء تشملهما مادياً ومعنوياً، ولا تعنى ﴿بركات من السماء﴾ لأهل الرحمة فى المادية منها ما تصل إلى غير الصالحين من رحمتها، فانها تبدل عندهم بزحمت حيث يبدلون نعمة الله نعمة ونقمة، إضافة إلى رحمت خاصة أخرى مادية لهؤلاء دون أولاء.

ذلك، وأبواب السماء فى صعود الأعمال والأدعية ونزول الفرقان والرحمة على أهلها، هذه هى أبواب السماء الرحمة الروحية، المتحللة عن العلو المادى، ف﴿إليه

يصعد الكلم الطيب ﴿١٠﴾ لا تعنى إلى مكان عال إلا جنة المأوى، أم إلى رضوان من الله الذى لا مكان له، كما ونزول الرحمة المعنوية يعنى فيما يعنيه نزولاً روحياً دون مكان عل.

والأجمل هنا فى ﴿١١﴾ الجمل ﴿١٢﴾ الجمع بنى جمل الجمل والجمل الذى يُجر به الجمل، فلو أمكن ولوج الجمل ابتداءً بحبله الجمل فى سم الحياط لأمكن دخول هؤلاء الجنة، ومما يناسب ذلك الجمع أن الخيط الغليظ الذى يصعب ولوجه فى سم الخياط يربط برقيق سهل الولوج فليحىء به صعبه، وفى ولوج الإبل بجمله الفتل الغليظ استحالتان إثنتان، مما يجعل الممثل به تضاعف الإستحالة، وعل من الوجه فى صيغة ﴿١٣﴾ الجمل ﴿١٤﴾ هنا دون الإبل، جمعها لجملى: الجمل وحبل الجمل، دون الإبل، جمعاً بين الإستحالتين، فدونك قف أمام ذلك المشهد الرائع الشهيد، مشهد الجمل بحبله تجاه سم الخياط، فلو انفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير بجمله القصير، فقد تنفتح الجنة لأولئك المكذبين بآيات الله المستكبرين، ولكن:

﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧:٤١﴾

هناك لهم ﴿١٦﴾ مهاد ﴿١٧﴾ مهدوها فى الحياة الدنيا، حيث الآخرة بحذافيرها هى مثال الدنيا المخلفة - بما وعد الله - هى عنها، ف ﴿١٨﴾ لهم من جهنم ﴿١٩﴾ من تحتهم فراشا ﴿٢٠﴾ مهاد ﴿٢١﴾ أمهده مفترشة ممهدة لهم بكل ألوان العذاب التحتية، ثم ﴿٢٢﴾ ومن فوقهم غواش ﴿٢٣﴾ جمع الغاشية فهى أغشية مشتملة؛ وهى العذابات الساترة لهم، المحيطة بهم من جوانبهم كلها، فيكون استظلالهم بحرهما كاستقرارهم على جمرها، ف ﴿٢٤﴾ هل أتاك حديث الغاشية. وجوه يومئذٍ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية. تسقى من عين آنية. ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغمى من جوع ﴿٢٥﴾ (٨٨: ١ - ٨).

فالغاشية هى التى تغشاهم مهاداً من تحتهم وسائر الغاشية من فوقهم: ﴿٢٦﴾ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴿٢٧﴾ (٥٥: ٢٩)، وعلى حد المروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): عند تلاوته هذه الآية: هى طبقات من فوقه وطبقات من تحته لا يدري ما فوقه أكثر أو ما تحته غير انه

ترفعه الطبقات السفلى وتضعه الطبقات العليا و يضيق فيما بينهما حتى يكون بمنزلة الزجاج في القدح، فقد جعل لهم من النار أمهدة مفترشة تحتهم وأغشية مشتملة عليهم، فيكون استظلالهم بحرهما كاستقرارهم على جمرها أعاذنا الله منها، فتلك هي ضفة التكذيب والإستكبار، ثم إلى ضفة التصديق والإقرار:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤٢) وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣:٧﴾

هنا ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تحدّد واجب الإيمان وعمل الصالحات دون إحراج ولا اعسار فيها، ف ﴿أُولَئِكَ﴾ على درجاتهم بمساعيهم ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هم فيها خالدون ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ﴾، دون واجب الإستغراق الظاهر من ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إزالة لليأس عن هؤلاء الذين لم يطبقوا كل الصالحات، فما لم يكن في الوسع من فعل المفروض أو ترك المرفوض فلا يطالب به المكلف، ثم وما قصر فيه وهو يسعه أن يطبقه فبوسعه أن يجبره فهو مطالب بجبره، اللهم إلا السيئات المكفرة بترك الكبائر، ف ﴿لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تبشير بوسع رحمة الله كضابطة ثم هناك مزيد فيما قصر من تكفير وتوبة وشفاعة أمأهيه.

ذلك، ومتصورات التكليف المستحيل والممكن والواجب كالتالية:

١ التكليف بالمستحيل ذاتياً ٢ أو حالياً، ٣ والتكليف المحرج نوعياً أم ٤ شخصياً ٥ والتكليف الشاق المعسر نوعياً أو ٦ شخصياً، ٧ والتكليف الموسع شخصياً ٨ أو نوعياً. فالأولان مستحيلان في محكمة العقل والعدل فضلاً عن التكليف الفضل، ثم المحرج بشقيّه غير وارد في الشرع لمكان نفى الحرج بآياته ك ﴿مَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وكذلك الشاق الذي يكلف كافة قوات المكلف بنوعيه، إلا قليلاً لمكان نفى العسر بآياته ك ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ فيبقى الثامن وهو واسع التكليف الذي لا يكلف المكلف إلا واسعاً في طاقته.

وكما أن واسع التكليف شرط في أصله لكافة المكلفين، كذلك هو في كل منهم، فإذا كانت الموانع لفعل المفروض أو الجوازب لفعل المفروض، كانت أقوى من طاقة المكلف أم يساويها، أم هي أقل منها بقليل لا يعباً به، إذاً فهذا التكليف خارج عن وسع المكلف فلا يكلف به، اللهم إلا إذا عدم الوسع بسوء اختيار، وإذاً فليس التكليف الخارج عن وسعه إلا بوسعه قضية سوء اختياره في ترك الوسع.

هذا، فقد يقدر التكليف بالطاقة الموسعة امام المكلف به وإلا فلا تكليف إلا فيما استثنى.

فالمفروض تركه أو فعله الذي هو بحاجة إلى عصمة ربانية خارج عن الفرض لمن دون المعصومين، كما حصل ليوسف (عليه السلام) في قصة امرأة العزيز، فـ ﴿لقد همّت به وهم بها لولا أن رأى برهان به﴾ (٢٤:١٢) - فلو لم يدركه (عليه السلام) برهان ربه وهو العصمة الربانية لهم بها على عصمته البشرية التي هي فوق العدالة العادية ودون العصمة الربانية، فإن وقع غير المعصوم في نفس المأزق الذي وقع فيه يوسف (عليه السلام) لكان في همه بها أم وفعله فيها معذوراً إذ لم يكن تركها في ذلك الظرف الحاسم العارم في وسع الطاقة غير المعصومة.

وهكذا الأمر في كل طاقة قاصرة عن مكافئة أو مكافحة العصيان، إلا إذا كانت قاصرة عن تقصير، كالذي يسافر إلى بلدة يعلم اضطرابه فيها إلى اقتراح محرم أو ترك واجب، حيث اضطرابه المقصر - إذاً - غير عاذر، فليس الإضطراب أو الإكراه أو سلب الطاقة عاذراً للمضطرين والمكرهين ومسلوبي الطاقة إلا إذا كانت هذه الحالات دون فعلهم القاصد وإرادتهم.

لذلك نجد آيات الإضطراب تعبّر عنه بصيغة المجهول كـ ﴿فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد﴾ لا ﴿فمن اضطر﴾ فالإضطراب المباغت هو الموضوع للعذر، دون أي اضطراب وان كان باختيار.

ذلك، و ﴿نفساً﴾ هنا هي عبارة أخرى عن ﴿روحاً﴾ فلأن الله هو الذي خلق الأرواح بوسعها، فهو الذي يعرف وسعها، خلاف ما ظن قوم من الملحدين الغفلة

الجهال أن الله لا يعرف النفوس، فقد يكلفها فوق وسعها، وكما تقولوه في ﴿ويسألونك عن الروح من أمر ربي﴾ (٨٥:١٧) أن الجواب لم يحصل عما سُئِلَ، إمتناعاً منه لفقد العلمها به، ف ﴿ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ تبيحت وتقرّيع لم يقعا موقعهما، بل هو على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب، ولقد فصلنا البحث حول آية الروح، وأن فيها الإجابة عن كافة الأسئلة حول الأرواح كلها، فراجع.

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ إذ ما كانوا يستطيعون نزعه عنها وهو المستمر فيها نكال في الجنة، فقد ﴿نزعناه﴾ نزعاً لما كان يحدد الإيمان وعمل الصالحات، وهو في الجنة يكدر طبيعة العيشة والعشرة مع الإخوان.

أجل ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ (٤٧:١٥) وكما كانوا يتطلبونه هنا ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (١٠:٥٩).

فقد يكون غلُّ الصدور بما يخيل إلى ذوات الصدور من تقصير لإخوان وهو قصور أم تقصير منا قاصر بحقهم فنطلب أن يزيل ذلك الغلُّ وألاً يجعله في صدورنا، أو يكون غلاً بحق اعتداءً بمثل حيث ظلمك أخ لك في الدين، فقد يرجح زوال ذلك الغل عن الصدور سماحاً عما حصل، ثم إذا لم يزل الغل في صدورنا فالله هو الذي يزيله عنها في الجنة تحقيقاً رقيقاً للتعايش السلمي في دار الكرامة والرحمة حتى لا تحول — كما في الأولى — زحمة.

أم إنه غلُّ بحق لا يحق زواله لأنه بغض في الله، فالله قد يزيله في الآخرة حيث يزيل سببه بعقاب أم غفران بحق، فلأن غل المؤمن في صدر المؤمن عذاب، لذلك فليُنزع تخفيفاً خفيفاً عن صدور المؤمنين، ولكن بحق لايزداده غلاً بعد غله.

وقد تعنى ﴿نزعنا﴾ إلى نزع في الأخرى نزعاً في الأولى كما في بعض الصالحين، وإذا لم ينزعه هنا فقد ينزعه هناك رحمة من الرحيم الرحمان ﴿فبأى آء ربكما تكذبان﴾.

وفالغلُّ هو العداء والضغن، لا يخلو عن لمم منه إلا المخلصون، ونزع الغل هو بطبيعة

الحال قبل دخولهم الجنة وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ﴿يحبس أهل الجنة بعدما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلماتهم في الدنيا ويدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غلٌ﴾^١.

ترى وإذا كان غل يحق فكيف يكون نزعه أيضاً حقاً وهو ضغط على صاحب الحق؟ ذلك، لأن الله لا ينزع الغل المستحق إلا بجزاء وفاق على المستحق عليه قبل الجنة أم بمعاملة تهاطريه بين الأخوة المتغلغل بينهم الغل، ثم ينزع ذلك الغل نزعاً بعدل ورحمة، فحين يجازى المستحق عليه في غل أم تُجبر مادة الغل بسبب آخر فبقاءه - إذاً - غل آخر دون مبرر، فنزعه - إذاً - رحمة بعد زحمة، ثم الغل الخاطيء الذي لم يكن له أصل، إنه ينزع هناك رحمة للجانبين، إكراماً لهما قضية إيمانهما، ف ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ (٤٣:٤٧).

فقد نزع الله ما في صدورهم من الغل - أي كان من حق أو باطل - بإنساءهم إياه، وإحداث أبدال له تشغل أماكنه من قلوبهم، وتشفع مواقعته من صدورهم، فلا يحقد بعضهم بعضاً ولا يحسد على علو المنزلة فيها والبلوغ إلى مشارف رتبها، والغل هو كل ضيق من حسد أو غبطة أو عداوة أمأهيه مما يغل ويغلق مفاتيح القلوب إلى أهل الجنة.

أجل، ولأنهم - على أية حال - بشر، يعيشون بشراً، وقد يثور بينهم في العشرة الحيوية غيظ يكظمونونه، أو يغور غل يغالبونه فيغلبونه ولكن تبقى في صدورهم منه آثار وآصار، أم يبقى دون كظم كضيم أم غلب هضيم، ثم الله إكراماً لهم وراحة إياهم في ساحة الجنة ينزعه عنهم، وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (الغل على

١ . الدر المنثور ٤: ١٠١ - أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بلغنى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ...

وأخرجه مثله ابن جرير و ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن قتادة قال حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا وثقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدي لمنزله في الجنة من منزله كان في الدنيا.

أبواب الجنة كمبارك الإبل قد نزع الله من قلوب المؤمنين ﴿١﴾، ﴿٢﴾ وقالوا الحمد لله لذي هدانا لهذا ﴿٣﴾ إلى الحق المبين والشرع المتين، وهدانا لنزع هذا الغل من صدورنا، ثم لهذه الجنة ﴿٤﴾ وما كنا لنهتدي ﴿٥﴾ إلى ما اهتدينا ﴿٦﴾ لولا أن هدانا الله ﴿٧﴾ وقد هدانا حيث ﴿٨﴾ لقد جاءت رسلنا بالحق ﴿٩﴾ جاء مجيئاً.

بالحق، وجاءت بسبب الحق ومصاحبة الحق وغاية الحق ﴿١٠﴾ ونودوا أن تلکم الجنة أورتهموها بما كنتم تعملون ﴿١١﴾ إرثاً عن أهل النار حيث تركوا أمكنتهم لنا، وإرثاً تركه الله لنا بما قدمناه من صالحات.

فهناك توارث بين أهل الجنة والنار ف ﴿١٢﴾ كل أهل النار يرى منزله في الجنة يقول لو هدانا الله فيكون حسرة عليهم، وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول: لولا أن هدانا

١ . القرطبي في تفسيره أحكام القرآن، وفي الدر المنثور ٣: ٨٥ - أخرج ابن جرير عن أبي نضرة قال: يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقتص لبعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنة يدخلونها ولا يطلب أحد أحداً! بقلامه ظفر ظلمها إياه، ويحبس أهل النار دون النار حتى يقتص لبعضهم من بعض فيدخلون النار حيث يدخلونها ولا يطلب أحد أحداً بقلامه ظفر إياه.

٢ . مجمع البيان عن عاصم بن حمزة عن علي (عليه السلام) أنه ذكر أهل الجنة فقال: يحيون ويدخلون فإذا أساس بيوتهم من جندل اللؤلؤ وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة...

ولولا أن الله تعالى قدرها لهم لا لتمعت أبصارهم لما يرون ويعانقون الأزواج ويقعدون على السرر ويقولون: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ونور الثقلين ٢: ٣١ في أصول الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال: إذا كان يوم القيامة دعي بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وبأمير المؤمنين وبالآئمة من ولده (عليهم السلام) فينصبون للناس فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. يعنى هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين والآئمة من ولده (عليهم السلام)، وفيه عن الإحتجاج للطبرسي عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبة الغدير: معاشر الناس سلموا علي عدي بأمرة المؤمنين وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الله ﷻ!

أجل و (نودوا أن صحوا فلا تسقموا، وأنعموا فلا تبأسوا، وشبوا فلا تهرموا، واخلدوا فلا تموتوا)٢.

ذلك، وفي رجعة أخرى إلى ﷻ من غل ﷻ نقول: إن الغل في صدور المؤمنين بعضهم على بعض ليس ليكون عداءً لذوات المؤمنين، إنما هو غلٌ - فيما هو حق - لأعمالهم الكليئة العليئة بالنسبة لبعضهم البعض، فحين تغل صدور لذوات الآخرين فحق أن ينزع ذلك الغل عن الصدور المغللة.

ثم الغل الصالح الذي يعنى بغض مؤمن يستحق الغل لعمله، ذلك لا يفيد إلا كمرتبته من مراتب النهى عن المنكر وهو ليس لينزع يوم الدنيا، ولكنه مع سائر الغل ينزع يوم الأخرى، تخليصاً لصاحب الغل عن غلّه، وتقليصاً لمورد الغل عن ذلك الغل بعذاب أم تكفير أمّا هو؟ من نزع لسبب الغل، ولكي يكونوا في الجنة إخواناً على سرر متقابلين.

هذا ﷻ وقالوا ﷻ هؤلاء الأكارم بعدما دخلوا الجنة ﷻ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﷻ: الدخول والخلود في الجنة، ولهذا النزع للغل من صدورنا، ولهذا الجرى من تحتنا الأنهار، والجمع بينها لهذا المصير بذلك المسير حيث ﷻ هدانا ﷻ نعم هدى الأولى إلى الأخرى، فإن هدى الأولى هي التي تهدي إلى هدى الأخرى الميراث العظيم ﷻ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﷻ بسبب الحق ومصاحبين الحق وحاملين الحق ﷻ ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﷻ.

١ . المصدر ٣ : ٨٥ - أخرج النسائي وابن أبي الدنيا وابن جرير في ذكر السموت وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :.. وفي المجمع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فيرث المؤمن منزله في النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله: «أورثتموها بما كنتم تعملون».

٢ . المصدر ٣ : ٨٥ - أخرج جماعة عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال: نودوا... .

وذلك الميراث يعنى انهم سكنوا مساكنهم فيها وزيادة هي مساكن الآخرين الذين حُرِّموا عن الجنة، فان الله خلق لكل واحد من المكلفين مكاناً في الجنة ومكاناً في النار، فكل من فقد مكانه من الجنة إلى النار يرثه أهل الجنة مكانه إلى مكانه نفسه.

ذلك ❁ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ❁ تنظر إلى قلة الطاقة البشرية في سبيل الهدى امام النزعات الشيطانية التي تتغلب عليها لولا أن هدانا الله.

مسرح عظيم من حوار الجنة والنار في منادات، وبينهم رجال الأعراف، فلنعرف من هم أولاء الأركان وما هو ذلك الحوار المستقبلي وكأنه حاضر في المشهد بكل مصارحه وملامحه؟

❁ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٢٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ❁ (٢٥:٧)

هنا منادات بين فريقى الجنة والنار وبعدهما وجد كل ما وعدهم الله، فقد يُنعم فريق الجنة بما وعده من الوعد، جدانا حقاً ما وعدنا ربنا حقاً، حيث إن ❁ حقاً ❁ ذو تعلقين اثنين، ثم يستجوبون فريق النار فلا مفلت لهم عن ❁ نعم ❁، ثم ❁ أذَّن مؤذن بينهم ❁ من مذياع الحق بالحق وقد أصفق الفريقان انه على أمير المؤمنين (عليه السلام) ❁ أن لعنة الله على الظالمين ❁ المستحقين النار، لا المعفو عنهم المستحقون الجنة، والظالمون هنا هم ❁ الذين يصدون عن سبيل الله ❁.

فعبارة ❁ الظالمين ❁ هنا قاصدة للعموم الموصوف بالثلاث الآية مهما كانوا من

١ . المصدر عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقف على قليب بدير من المشركين فقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فقال له الناس: أليسوا أمواتاً؟ فقال: إنهم يسمعون كما تسمعون.

٢ . في ملحقات أحقاق الحق ٣: ٣٩٢ - ٣٩٤ - أوردته من حفاظ القوم ونقله أثارهم عدة ونحن نشير إلى من وقفنا عليه، فمنهم ابن مردويه في المناقب كما في كشف الغممة (٩٥) روي عن أبي جعفر (عليه السلام) في «فأذن مؤذن» قال: هو على (عليه السلام)،

المسلمين.

وترى كيف المؤذن هناك على (عليه السلام) والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فوقه محتداً وصلوحاً؟ علّه لأن له (صلى الله عليه وآله وسلم) المقام الأوّل وهو فوق الأذان، فلتانية باذنه عن إذن الله أن يكون هو المؤذن، وكما كان مؤذن هذه الرسالة القدسية على هامشة (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما فى خطبة له (عليه السلام): (أنا المؤذن فى الدنيا والآخرة) فكما أنه المؤذن يوم الدنيا أذاناً رسالياً بعد الأذان الرسولى، كذلك هو المؤذن فى الأخرى باذن منه (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولو كان المؤذن هناك هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه لجيء باسمه المبارك، دون مجرد الوصف ❁ مؤذن ❁ غير المعلوم صاحبه إلا بسناد لمحات من القرآن كآيات الولاية ولا سيما آية شاهد منه: ❁ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة.. ❁ (١٢:٤٦) فانها شاهدة لكون الإمام (عليه السلام) هو الشخصية الثانية بعد الأولى الرسولية، فليكن مؤذناً هناك كما هو المؤذن عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا.

و ❁ الذين يصدون ❁ استمرارية فى ذلك الصد طول حياتهم الجهنمية بما يملكون أو يملكون من قدرات وإمكانات، ❁ ويبغونها عوجاً ❁ بغياً عليها، ابتغاء أنها عواج فلا تُسلك، وابتغاء أنفسهم إياها مسلكاً عوجاً، فسبيل الله هو شرعته ونهجه وهمه يبتغون عنها المتحاول ويطلبون منها الفسح والمخارج ويوهمون بالشبهات أنها معوجة غير قويمه، ومضطربة غير مستقيمة!.

ولأن القرآن هو أفضل سبيل الله فبغيه عوجاً هو أعضل صد عن سبيل الله، فكما أن من بغيه عوجاً الخوض فى آياته لتفضها، كذلك القول: إنه لا يفهم وليس بمتناول الأفهام، فانه عوج فى كتاب الدعوة أن يكون قاصرة الدلالة على مرادات الله تعالى.

كما منه تفسيره بالآراء أن تحمّل عليه الآراء السادرة عن الصادرة عن مصادر الوحي والتنزيلا.

فكل مواجهة للقرآن خلاف ما يُرام منه فى حقل الدعوة المستقيمة الخالدة هو بغيه

عوجاً.

وهنا ❁ الظالمين ❁ في حقل تلك اللعنة التي يدخلون بها النار، هم الذين يحملون هذه الأوصاف الثلاثة أم بعضها، ابتداءً من ❁ يصدون ❁ وانتهاءً إلى ❁ هم بالآخرة كافرون ❁ وكل من هذه دركات يستحق أصحاب دركات من العذاب حسبها ولا يظلمون نقيراً.

❁ وهم بالآخرة كافرون ❁ فهم - إذا - في ثالوث منحوس من عمل مركوس مدسوس: صدأ عن سبيل الله، وبغياً وابتغاءً لها عوجاً، وكفراً بالآخرة. وما أظلمه في ثالوته حيث يجمع كل دركات الظلم والتضليل، فهم إذا - حملة مشاعل الضلالة، ورؤوس زوايا المتاهة والغواية.

حياة برزخية للفرقي الفرعوني في اليم

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٠﴾﴾ (٤٦:٤٠)

ظاهر إطلاق الوقاية هنا خلاف الرواية أنه قتل، حيث اللحوق بآل فرعون هو غرقهم لما لا حقوق آل موسى، والتفويض الى الله وقاية لكل من مكر به في سبيل الحق.^١

إن ﴿ما مكروا﴾ تشمل ﴿أقتل موسى﴾ فضلاً عن معه، وإضلال الذين آمنوا معه، ومن سيئاته وإضلاله إذ خاض في حوار الصارم مع موسى بين الجماهير المحتشدة ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ تشمل من السيئات هذه وتلك - إذاً - فما قتلوه رغم ما مكروا ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ بدلاً أن يحيق به سيئات ما مكروا!.

وقد لا يكون قتله في سبيل دعوته من سيئات ما مكروا، فانه من حسناته في حساب الله حيث الشهادة في سبيل الله كرامة ما فوقها كرامة!

وسوء العذاب هو العذاب السوء، وكل عذاب سوء، ولكنه كان سوءاً على سوء إذ غرقوا حينما ترائى الجمعان فأدخلوا ناراً فور غرقهم وهذا من سوء العذاب.

﴿وحاق﴾ نزل وأصاب ﴿بآل فرعون﴾ فرعون و من معه ﴿سوء العذاب﴾ حرق بعد غرق، ف ﴿النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا﴾ ترى أنه عرض دون دخول؟

١ . نورالثقلين ٤: ٥٢١ ح ٥٢ محاسن البرقي عن ابي عبدالله (عليه السلام) في قول الله «فوقاه الله سيئات ما مكروا» قال: اما لقد سطوا عليه وقتلوه ولكن اتدرون ما وقاه وقاه ان يفتنوه في دينه ورواه مثله في الكافي، والقمي: فيقال ابو عبدالله (عليه السلام) والله لقد قطعوه إربا ربا ولكن وقاه الله عزوجل ان يفتنوه عن دينه .

٢ . المصدر عن كتاب الخصال عن الصادق (عليه السلام) قال: عجبت لمن يفرع من اربع كيف لا يفرع الي اربع - الي قوله - : وعجبت لمن مكر به كيف لا يفرع الي قوله «وا فوض امرى الي الله ان الله بصير بالعباد» فاني سمعت الله تعالى يقول بعقبها «فوقاه الله سيئات ما مكروا» .

ولماذا ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ولا راحة في النار ولا تخفيف؟

العرض عبارة أخرى عن الدخول كحالة خاصة منه كما يعرض اللحم على النار لنضجه ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ (٣٤:٤٦) وقد يلمح أنهم متاع يعرض على النار وهى تشريهم كما شروها أنفسهم من قبل، فهم متاع النار، ثم ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ دليل أنها نار البرزخ، لا لأن القيامة ليس لها غدو وعشى، وإنما لاختصاص العذاب بهما، وراحة بينهما، ولا راحة ولا مهلة لأهل النار الأخرى في النار، ودليل ثان ﴿ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب﴾ فهذا - إذاً - شديد العذاب، ومن ثم أشده، ولأن الأشد هناك مطلق بين أهل النار - فهم - إذاً - في الدرك الأسفل من النار فـ ﴿أولئك هم وقود النار﴾ ﴿وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ (٤٩) وتخفيفه بين كل غدو وعشى هو تخفيف العذاب أياماً فوق يوم! ﴿فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ (٨٢:٢) ﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ (١٦٢:٢) لا تخفيفاً عن نفس العذاب ولا عن خلوده ولا عن فواصل بينه وإن كانت ساعة وأدنى وكله تخفيف للعذاب، و ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (٥٦:٤) وكفت نار الخلد نضجاً للجلود لأن ما، فإذا نضجت غدوًّا ثم ظلت ناضجة دون تبديل إلى العشى نقض العموم المستغرق للأزمان فى ﴿كلما﴾.. إذاً فهى نار البرزخ دون ريب إذ لا توافقها مواصفات نار الخلود.

ولو أن عرض الغدو والعشى هو فى نار الآخرة إذاً ﴿فهم من السعداء﴾^١ ولولا أن عرضهم هو دخولهم فما تعنى ﴿مما خطيبتهم أغرقوا فادخلوا ناراً﴾ (٢١:٧١) وهى

١ . نورالثقلين ٤ : ٥٢٢ ح ٥٦ القمى قال رجل لأبي عبد الله (عليه السلام) ما تقول فى قول الله عز وجل: «النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا» فقال أبو عبد الله (عليه السلام) ما يقول الناس؟ فقال: يقولون إنها فى نار الخلد وهم لا يعذبون فيما بين ذلك فقال (عليه السلام): فهم من السعداء فقل له جعلت فداك فكيف هذا؟ فقال: إنما هذا فى الدنيا فأما فى نار الخلد فهو قوله « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب».

نار البرزخ لفرقي نوح كما تلك ناره لفرقي موسى!.

فهذه الآية - إذا - هي في عدد الآيات البرزخية، وهي مع آية نوح (٢١) تعذب آل فرعون كآل نوح في نار البرزخ الكامنة في الماء، وكيف بالإمكان وجود نار في الماء تُحرق؟ لأنها نار برزخية وهي في أعماق المواد الدنيوية كأمّنة، فكما أن البدن البرزخي يختلف عن الدنيوي، كذلك ناره وجنته، فهما كامتتان في مكانهما من مواد دنيوية، يظهرهما الله لأهليهما في البرزخ دون أن تظهرها لاهل الدنيا إلا لمن ﴿لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً﴾.

فالبرزخ بناره وجنته عالم كامن في عالمنا، لا يراه إلا أهله، وكما النار كامنة في كافة الذرات لا يحرقها إلا كاشفوا الذرة لحدّ ما، ونحن نعيشها في موادنا كلها، من ماء وثلج أمّاذا؟

وهل إن ﴿غدوا وعشيا﴾ في البرزخ تعنيهما فيما نعيشهما هنا؟ أم فيه غدو وعشى كما يناسبه وكما في الحياة الأخرى: ﴿جنات عدن.. ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ (٦٢:١٩) تقرر للأخرى غدوا وعشيا كما للأولى مهما اختلفتا.

إنهما للبرزخ ليسا قطعاً ما للأخرى ولما تات، فقد يكونان وفقاً لما للأولى وهو الأولى اذ لا شمس للبرزخ تخصه، اللهم إلا أن يعنيا طرفين لواحد الزمن في البرزخ

١ . المصدر ح ٥٨ في الكافي باسناده عن محمد بن عثمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قالك سألته عن ارواح المشركين فقال: في النار يعذبون يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا، ورواه مثله عنه (عليه السلام) عن أبي بصير.
اقول: لعل عرضهم علي النار ادخال في نار البرزخ وعرض الآراء من بعيد علي نار الآخرة وكما في الدر المنثور ٥: ٣٥٤ أخرج ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده من الجنة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتي يبعثك الله يوم القيامة، وزاد ابن مردويه «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا» ثم المقصود من الدنيا قبل القيامة حيث البرزخ في موازاة الدنيا.

حيث يختلف عما للأولى، اللهم إنا لا نعمل إلا ما علمتنا، وما هو ههنا إلا النار
يعرضون عليها غدواً وعشياً ⑤ أو أنهما ما يوافق الأولى في البرزخ حتى إن لم يكن فيه
غدوٌ وعشى.

١٠

حياة برزخية لاهل النار

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ﴾ (٢٧:٤٧)

هؤلاء التابعون، وكما المتبوعون الكافرون: ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأذبارهم ذوقوا عذاب الحريق ﴾ (٨:٥٠).

ويا لها من مسأسة، ضرب الوجوه التي اتجهوا بها إلى غير الله، والأدبار التي ارتدوا عليها عن دين الله، وهم في مستهل الحياة الأخرى، في اللحظة الأخيرة من الحياة الدنيا، ففي حالة الاحتضار الإحتقار تستقبلهم هكذا الانذار ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ﴾.

فلأن الحياة بعد الموت برزخية، فليس إلا ذوق العذاب، في: حفرة من حفر النيران لاكل الحفر ولا كل العذاب.

وإذا كان ذوق العذاب، يستقبله ضرب الوجوه والأدبار، إذا فماذا يكون أصل العذاب!

والتوفى هنا أخذ الأرواح بأجسادها الأصيلة لها، التي عاشتها حياة التكليف، فالملائكة القابضة للأرواح - وعلى رأسهم مدير شؤون الأموات: ملك الموت - هم يتوفون الأموات: أخذاً وافياً دون أى فوت أو انفلات، فى أى من جزئى الأموات: أرواحاً وأجساداً، فلا تضل مهما ضلت عن سائر لخلق: ﴿ وقالوا إذا ضللنا فى الأرض إنا لفي خلق جديد. قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكّل بكم.. ﴾ (١١:٣٢).

وهم حينما يتوفونهم يضربون الوجوه والأدبار، فضرب الوجوه، مواجهة لهم حين الاحتضار بعذاب الإحتقار، وضرب الأدبار التي تعودت الإدبار عن الحق، ولأنهم حين يتوفون لا يخرجون أنفسهم عن الحياة الدنيا بملاذها، فلا يطاوعون المخرجين،

١ . كما في الحديث: القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران، والبحث عن الحياة البرزخية تجده فى محالها الانسب طيات آياتها كآية الانفال.

فالملائكة - إذاً - يضربون أذبارهم قائلين: أخرجوا أنفسكم: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ (٩٤:٦).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

(٢٧:٤٧)

فإذ لا أعمال لهم سالحة إلا حابطة، فما لهم - إذاً - إلا طالحة كالحية، فما لهم حينما يستقدمون الموت، وإلى الحياة الحساب، إلا ضرب الوجوه والأدبار، ومن ثم ذوق عذاب النار، فإنهم عاشوا حياة مركوسة معكوسة سلباً وإيجاباً، فأوجبوا سخط الله حيث اتبعوا ما أسخط الله، وسلبوا رضوان الله إذ كرهوا رضوانه، معجبين بهذه الحياة البائسة بما سؤل لهم الشيطان وأملى لهم.

(ومن طلب مرضات الناس بما أسخط الله تعالى كان حامده من الناس ذاماً، ومن آثر طاعة الله تعالى بما يغضب الناس كفاه الله تعالى عداوة كل عدو وحسد كل حاسد وبغى كل باغ وكان الله له ناصرًا وظهيراً).

ولأن الله سبحانه وتعالى لا يحول من حال إلى حال، وليست له أية حال على أية، فإنه لا يتغير بانغيار الأحوال، فلا يعنى - إذاً - سخطه ورضوانه تغير حال، وإنما ما يناسب ساحته القدسية كعقابه وثوابه ٢.

١ . اصول الكافي - العدة باسناده عن جابر عن ابي عبدالله (ع) قال قال رسول الله (ص) . . . والقمى فى التفسير عنه (ع) قال قال رسول الله (ص) : من ارضى سلطاناً بسخط الله خرج عن دين الاسلام .

٢ . التوحيد للصدوق باسناده الي هشام بن الحكم أن رجلاً سأل أبا عبدالله (ع) عن الله تبارك وتعالى له رضى وسخط؟ قال: نعم - وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك ان الرضا والغضب دخال يدخل عليه فينقله من حال الي حال، مركب للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لامدخل للأشياء فيه، واحد إحدى الذات وأحدى المعنى، فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال الي حال، فإن ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك و تعالى القوى العزيز، لاجابة به الي شيء مما خلق،

١١

حياة برزخية لأهل النار

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨:٢٣﴾.

صحيح ان ﴿ادفع﴾ - وقل ﴿خطابان للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنهما لا يخصانه اذ ليسا من اختصاصاته كحامل الرسالة.

فهما كسائر الخطابات القرآنية يعلمان كافة المكلفين مهما توجه الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كبداية، ولكنه منطلق الخطابات كرسول، الا فيما قرنت بقربنة قاطعة تخصصها به كفرض صلاة الليل وسماح الزواج اكثر من الاربع واضرابهما من اختصاصاته.

و﴿همزات﴾ جمع همزة، وهي شدة الدفع والهز والأز كما هي الاغتياب: ﴿ويل لكل همزة﴾ وقد تعنيهما الهمزات هنا لمكان الاطلاق، وقرنها بـ ﴿يحضرون﴾ فالاستعاذة اذا تحلقت على الحالتين للشياطين (غياباً) وحضوراً، وهم - أيضاً - اعم من الشياطين الغيب والحضور، فان لهم دفعا الى الشرور ومنعا عن الخيرات غيباً وحضوراً. ولقد (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُعلّمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: ﴿بسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون﴾^٢ (فانه لا يضرك وبالحرى ان لا يضرك).^١

وخلقه جميعاً محتاجون إليه، انما خلق الأشياء من غير حاجة ولا سبب اختراعاً وابتداعاً.

١ . فى تفسير القمى فى الآية قال: ما يقع فى قلبك من وسوسة الشياطين، اقول: فحضورهم غير ذلك الهمز مهما اشتركا فى الدفع.

٢ . الدر المنثور: ١٥ - اخرج جماعة عن عمر بن شعيب عن ابيه عن حده قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

و (كان صلى الله عليه وآله وسلم) يقول بعد استفتاح الصلاة: ﴿ لا اله الا الله ثلاثاً - الله اكبر ثلاثاً - اللهم انى اعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفته ونفخه، فقيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما همزه؟ قال: الموتة التى تأخذ ابن آدم اى الجنون الذى يأخذ ابن آدم، قيل فما نفته؟ قال: الشعر، قيل فما نفخه قال: الكبر^١ .

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٠٠:٢٣)

ترى وبما ذا تتعلق ﴿ حتى ﴾ هذه الغائبة؟ انها متعلقة بـ ﴿ اعوذ - اعوذ ﴾ فالاستعاذة من الشيطان هى مادام هو حى يُشَبِّطُن وَيَهْمِزُ، ومتعلقة بما قبلهما ما يصلح تعلقها به، ويجمعه كفر الشياطين ونكرانهم واقاويلهم، وان تلك الحالة النكدة دائبة لهم ﴿ حتى اذا جاء احدهم الموت... ﴾ .

ثم ومجىء الموت هو واقعه، فهو يقول بعد انقباض روحه وانتقاله عن الحياة الدنيا ﴿ ربِّ ارجعون ﴾ حيث ﴿ اذا حضر الانسان الوفاة يجمع له كل شىء يمنعه عن الحق فيحول بين عينيه فعند ذلك يقول: ﴿ رب ارجعون لعلنى اعمل صالحاً فيما تركت ﴾^٢ .

و ﴿ ارجعون ﴾ هنا حيث تعنى الرجوع الى الحياة الدنيا، دليل قاطع لا مرد له على الحياة بعد الموت، وهى المسماء بالحياة البرزخية كما هى تصريحه الآيه ﴿ ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ﴾ .

ولماذا ﴿ ارجعون ﴾ جمعاً والرب واحد كما هو معترف به ﴿ رب ﴾ مهما مات مشركاً، حيث الموت يكشف كافة الحجب مهما لم ينفع المحجوب يوم الدنيا؟

١ . المصدر اخرج احمد عن خالد بن الوليد انه قال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انى اجد وحشة، قال: اذا اخذت مضجعتك فقل اعوذ... فانه لا يضرك... .

٢ . تفسير الفخر الرازى ٢٣ : ١١٩ قال الحسن كان عليه السلام يقول... .

٣ . الدر المنثور ٥ : ١٥ - اخرج الديلمي عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :... .

عَلَّه خطاب لملائكة الموت بعد نداءه الرب: ﴿ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ (٨: ٥٠).
 ﴿قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحاً فيما تركت..﴾ ﴿وقد يخاطب الرب نفسه: ﴿فارجعنا نعمل صالحاً﴾ (١٢: ٣٢) ﴿ربنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أو لم نعمل ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ (٣٧: ٣٥).

﴿لعلى﴾ ترجياً لإصلاح ما فات ﴿اعمل صالحاً فيما تركت﴾ من حياة التكليف ﴿صالحاً غير الذى كنا نعمل﴾ فليس ﴿فما تركت﴾ فقط الصالحات المتروكة، حيث الطالحات المفعولة لها دور اخطر، وخطر اكثر، ولا تشملها ﴿فما تركت﴾.

﴿صالحاً﴾ هو صالح الفعل وصالح الترك بديلاً عن الطالح فيهما فيما تركت من حياة التكليف، وكما تعنيه- ايضاً- ﴿نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل﴾ حيث تعم عمل الواجبات وترك المحرمات فكل عمل مهما اختلفا سلباً وايجاباً.

وقد يعنى ﴿فما تركت﴾ الفرصة التى تركها، والمال والبنين والمنال وكل حال من الاحوال، ام ﴿فما تركت﴾ من التكاليف سلبية وايجابية اماهيه مما ترك. والجواب كلمة واحدة ﴿كلاً﴾ بكل تقريع ﴿انها كلمة هو قائلها﴾ ليس وراءها واقع لا من قائلها لو أرجع، ولا من الله حيث لن يرجعه، وكل ما فى الأمر ﴿ومن ورائهم﴾ بعد الموت ﴿برزخ﴾ بين الحياة الاولى والاخرى فهو الحياة الوسطى ﴿الى يوم يبعثون﴾ بأرواحهم واجسادهم عن اجدانهم.

وى كأن المشهد معروض بنفسه الآن كالعيان، مشهد الاحتضار والانتصار للرجوع، ثم الرد القارع كانه يسمع الآن ﴿انها كلمة هو قائلها﴾ لا مدلول وراءها، كلمة تقال فى لحظة الضيق، ليس لها فى القلب اى رصيد ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ (٢٨: ٦) ولا من الله اية اجابة الا عذاب شديداً.

ولماذا ﴿من وراءهم﴾ والبرزخ امامهم حيث يستقبل الموتى؟ علّ الورا كناية

عن الحيطه البرزخية بهم كما ❀ كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ❀ (٧٩:١٨) إضافة الى انهم لا يستقبلون ذلك البرزخ خيرة منهم ولذلك يقولون ❀ رب ارجعون ❀ اذا فالبرزخ هو الذى يلحقهم كمن يطلب الفار من وراءه، وهو لا حقه وهم عنه مدبرون.

وقد يعنى البرزخ - فيما عناه من حياة وسطى - الحاجز المانع، فهو فى هذا البين محجوز عن الرجوع إلى الحياة الدنيا، كما هو محجوز عن البعث إلا فى يومه. وترى ❀ كلاً ❀ تعم كل الموتى؟ فأين الرجعة يومها؟ الراجعون المؤمنون يوم الرجعة لا تشملهم الآية حيث تخص الكافرين واضرابهم من المجرمين، والراجعون الكافرون هم بعضهم ولا تنفعهم تلك الرجعة بل وتضرهم، ولا تعنى ❀ كلاً ❀ عدم الرجوع مطلقاً، وإنما رجوعاً فيه ❀ اعمل صالحاً فيما تركت ❀ ثم ❀ كلاً ❀ وان كانت عامة أو مطلقة فهى مخصصة أو مقيدة بمن يرجعون حسب آيات وروايات.

فالبرزخ البرزخ وما ادراك ما البرزخ؟ هو امر بين امرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، وهو قول الصادق (عليه السلام): (والله ما خاف عليكم إلا البرزخ، واما اذا صار الأمر الينا فنحن اولى بكم)١ و (ان القبر إما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار)٢.

فيالله انهم ❀ سلخوا فى بطون البرزخ سبيلاً سلطت الأرض عليهم فيه، فأكلت

١ . نورالثقلين ٣: ٥٥٣ فى تفسير القمى قال قال: البرزخ... وفيه عن الصادق (عليه السلام) البرزخ هو القبر وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، والدليل على ذلك قول العالم (عليه السلام) والله ما نخاف عليكم إلا البرزخ، وفيه عن الكافى عن عمر بن يزيد قال قلت لأبى عبدالله (عليه السلام) انى سمعتك وانت تقول: كل شيعتنا فى الجنة على ما كان فيهم؟ قال: صدقتك كلهم والله فى الجنة، قال قلت جعلت فداك ان الذنوب كثيرة كبار فقال: اما فى القيامة فكلكم فى الجنة بشفاة النبي المطاع او وصى النبي ولكنى والله اتخوف عليكم فى البرزخ قلت: وما البرزخ؟ فقال: القبر منذ حين موته الي يوم القيامة.

٢ . المصدر عنه وقال على بن الحسين عليهما السلام...

لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الاحوال، ولا يحزنهم تنكّر الاحوال، ولا يحفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غُيباً لا ينتظرون، وشهوداً لا يحضرون، وانما كانوا جميعاً فتشتتوا، وألأفاً فافترقوا، وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم، عميت اخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحرركات سكوناً، فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات، جيران لا يستأنسون وأحباء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التعارف، وانقطعت منهم اسباب الإخاء، فكلهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجر وهم أخلاء، لا يتعارفون لليل صباحاً ولانهار مساء، اى الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمد، شاهدوا من أخطار دارهم افطع مما خافوا، ورأوا من آياتها اعظم مما قدروا، فكلا الغائبتين مدت لهم الى مباءة، فأنت مبالغ الخوف والرجاء، فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا^١.

وهذه صفتهم في أجسادهم دون ارواحهم بابدانهم المثاليّة فانهم فيها احياء، (ولو كشف لك لرأيتهم حلقةً حلقةً مجتمعين يتحداثون)^٢ ف(ان الأرواح في صفة الاجساد في شجرة في الجنة تتعارف وتتساءل)^٣.

١ . المصدر عن نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام) ...

٢ . نورالثقلين ٣ : ٥٥٧ عن الكافي بسند متصل عن حبة العرنى قال: خرجت مع امير المؤمنين (عليه السلام) الي الظهر فوقف بواد السلام كأنه مخاطب لاقوام فقامت لقيامه حتي اعيت ثم جلست حتي مللت ثم قمت حتي نالني مثل ما نالني اولاً ثم جلست حتي مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا امير المؤمنين (عليه السلام) اني قد اشفتك عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبة إن هو الا مجادثة او مؤانسة، قال قلت يا امير المؤمنين وانهم كذلك؟ قال: نعم ولو كشف... أجسام ام ارواح فقال ارواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض الا قيل لروحه الحقى بوادى السلام وانها لبقعة من جنة عدن.

٣ . المصدر عن الكافي عن ابي بصير عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال ان الارواح... فاذا قدمت الارواح الروح علي الارواح تقول: دعوها فانها قد اقبلت من

انهم يعيشون في البرزخ (في ابدان كابدانهم)^١ (في روضة كهيئة الاجساد في الجنة)^٢
 (في قالب كقالبه في الدنيا)^٣ والمؤمنين (في قوالب من نور)^٤ فالكافرون في قوالب من

هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان و ما فعل فلان،
 فان قالت لهم: تركته حيا ارتجوه وان قالت لهم: قد
 هلك قالوا قد هوي هوي.

وفي البحار ٦: ٢٣٤ عن المحاسن ابن محبوب عن
 ابراهيم بن اسحاق الجازي قال قلت لابي عبدالله (عليه
 السلام) اين ارواح المؤمنين؟ فقال: ارواح المؤمنين
 في حجرات في الجنة ياكلون من طعامها ويشربون من
 شرابها ويتزاورون فيها ويقولون ربنا اقم لنا
 الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا، قال قلت فاين ارواح
 الكفار؟ فقال: في حجرات النار ياكلون من طعامها
 ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها ويقولون ربنا لا
 تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا.

١ . في البحار ٦: ٢٦٨ الكافي عن ابي عبدالله (عليه
 السلام) جوابا عما يروون ان ارواح المؤمنين في
 حواصل طيور خضر حول العرش فقال: لا - المؤمن اكرم
 علي الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير لكن في ابدان
 كابدانهم .

٢ . نور الثقلين ٣: ٥٥٩ ح ١٣٩ عن الصادق (عليه
 السلام) ردا علي من قال ارواح المؤمنين في حواصل
 طيور، وفي البحار ٦: ٢٦٩ عن ابي عبدالله (عليه
 السلام) قال: ان الارواح في صفة الاجساد في شجرة في
 الجنة تعارف وتسال..

٣ . المصدر عن الكافي عن يونس بن ظبيان قال كنت
 عند ابي عبدالله (عليه السلام) فقال: ما يقول الناس في
 ارواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون تكون في حواصل طيور
 خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبدالله (عليه
 السلام) سبحان الله، المؤمن اكرم علي الله من ان يجعل
 روحه في حوصلة طير، يا يونس اذا كان ذلك اتاه
 محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن
 والحسين والملائكة المقربون عليهم السلام فاذا قبضه
 الله عزوجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا،
 فياكلون ويشربون فاذا قدم عليهم اقدم عرقوه
 بتلك الصورة التي كانت في الدنيا، اقول والاخبار
 الدالة علي الاجساد المثالية كثيرة ومن مظانها في
 بحار الانوار في باب احتجاج امير المؤمنين علي ابي
 بكر، وفي باب غضب الخلافة وفي ابواب المعجزات من
 اراد تفصيلا اكثر فليراجعها .

٤ . البحار ٦: ٢٣٧ البرسي في مشارق الانوار عن
 الفضل بن شاذان من كتاب صحائف الابرار ان
 امير المؤمنين (عليه السلام) اضطلع في نجف الكوفة
 علي الحصى فقال قذير يا مولاي الا افرش لك ثوبي
 تحتك؟ فقال: لا ان هي اتربة مؤمن او مزاحمته في

ظلمة.

(والروح جسم رقيق قد البس قالبا كثيفا) ثم يلبس بعد الموت قالبا خفيفا يتسمى البدن البرزخي، او الروح المجسم ام الجسم المروَّح وهو الجسم الذي يطير به الروح ويسير في الرؤى.

❖ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٣:١٠١﴾

وهذه هي نفخة الاحياء - وقبلها نفخة الاماتة. ❖ فلا انساب بينهم يومئذٍ ❖ اذ لا تنفع الانساب ولا الاسباب ولا الاحباب، الانسب الايمان وسببه ❖ ولا يتساءلون ❖ هم عن انسابهم اذ لا تنفع اللهم الانسب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصهره، وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ❖ ان الانساب تنقطع يوم القيامة غير

مجلسه، فقال الاصبغ بن نباتة اما تربة مؤمن فقد علمنا انها كانت او ستكون فما معني مزاحمته في مجلسه؟ فقال: يا ابن نباتة ان في هذا الظهر ارواح كل مؤمن و مؤمنة في قوالب من نور علي منابر من نور.

١ . المصدر عن الكافي في حديث الزنديق الذي سأل الصادق (عليه السلام) عن مسائل الي ان قال اخبرني عن السراج اذا انطفأ اين يذهب نوره قال: يذهب فلا يعود، قال: فما انكرت ان يكون الانسان مثل ذلك اذا مات و فارق الروح البدن لم يرجع اليه ابدأ كما لا يرجع ضوء السراج اليه اذا انطفأ؟ قال: لم تصب القياس ان النار في الاجسام كامنة والاجسام قائمة باعيانها كالحجر والحديد فاذا ضرب احدهما بالآخر سطعت من بينهما نار تقتبس منها سراج له الضوء فالنار ثابتة في اجسامها والضوء ذاهب والروح جسم رقيق قد البس قالبا كثيفا ليس بمنزلة السراج الذي ذكرت، ان الذي خلق في الرحم جنينا من ماء صاف وركب فيه ضروبا مختلفة منه عروق وعصب واسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فناءه، قال: فاين الروح؟ قال: في بطن الارض حيث مصرع البدن الي وقت البعث، قال: فمن صلب اين روحه؟ قال: في كف الملك الذي قبضها حتي يودعها الارض، قال: افيتلاشي الروح بعد خروجه عن قالبه ام هو باق؟ قال: بل هو باق الي وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الاشياء وتفني فلا حس ولا محسوس، ثم اعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها وذلك اربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين.

نسبي وسببي وصهري ﴿١﴾ وطبعاً على شريطة الايمان فيصبح نوراً على نور، ﴿٢﴾ وان كان النسب مقطوعاً الا ما وصله الله بالاسلام ﴿٣﴾.

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ (١٠٣)

والموازين هناك هي موازين الايمان والعمل الصالح، موازين العلم والمعرفة والنية الصالحة، وعلى حد ما يروى عن صادق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الموازين هي موازين الانسانية.

واما العوان بين اولاء وهؤلاء الذين ثقلت بعض موازينهم وخفت الاخرى، فلا هم مفلحون تماماً، ولا هم خالدون في النار تماماً، وانما لهم عوان الجزاء ثواباً وعقاباً كعوان الموازين ولا يظلمون فتيلاً.

١ . الدر المنثور ٥ : ١٥ - اخرج احمد والطبراني والحاكم والبيهقي في سننه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ... واخرج البيهقي والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء في المختارة عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي، واخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وصهري، وفي نور الثقلين ٣ : ٥٦٢ عن تفسير القمي حدثني ابن عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابي جعفر (عليه السلام) ان صفية بنت عبدالمطلب، مات ابن لها فاقبلت فقال لها عمر: غطي قرطك فان قرابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تنفعك شيئاً، فقالت له: هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء، ثم دخلت علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنادي الصلاة فاجتمع الناس فقال: ما بال اقوام يزعمون ان قرابتي لاتنفع لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في خارجكم.

اقول عجباً لابن الخطاب كيف يذكر ذلك وهو من رواة حديث النسب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!

٢ . نورالثقلين ٣ : ٥٦٤ في اصول الكافي عن اميرال مؤمنين (عليه السلام) جواب لرسالة طلحة والزبير اليه وفيه: زعمتما انكما اخوأي في الدين وابنا عمي في النسب، فما السبب فلا انكره، وان كان النسب مقطوعاً إلا ما وصله الله بالإسلام.

وكضابطة شاملة ما يروى ان (الحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان) فلا وزن اذاً للسيئات (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) (١٠٥:١٨) وانما هو للحسنات. فيا ايها الناس ان العربية ليست بأب والد وانما هو لسان ناطق فمن تكلم به فهو عربي، ألا إنكم ولد آدم وآدم من تراب واكرمكم عند الله اتقاكم) والدليل على ذلك قول الله: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يستاءلون . فمن ثقلت موازينه ﴿١﴾ بالأعمال الحسنة ﴿٢﴾ فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه ﴿٣﴾ من تلك الأعمال الحسنة (فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون)١. ان نسب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يثقل الميزان شريطة الحسنات، وإنها لأصل الأصيل (والله لا ينفعك غداً إلا تقمة تقدمها من عمل صالح)٢ إلا ان

١ . المصدر عن تفسير القمي قال الصادق (عليه السلام) لا يتقدم يوم القيامة احد الا بالاعمال والدليل على ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

٢ . نورالثقلين ٣: ٥٦٣ في كتاب المناقب في مناقب زين العابدين (عليه السلام) طاوس الفقيه: رأيت من يطوف من العشاء الي السحر ويتعبد فلما لم ير احد ارمق الي السماء بطرفه وقال: الهى غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك وأبوابك مفتحات للسائلين جذتك لتغفر لى وترحمنى وترينى وجه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عرصات القيامة، ثم بكى وقال: وعزتك، وجلالك ما اردت بمعصيتى مخالفتك، وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شك، ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سؤلت لى نفسى واعانى على ذلك سترك المرخي به على، فانا الآن من عذابك من يستنقذنى، وبحيل من اعتصم ان قطعت جبدك عذى، فواسواتاه غداً من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا، وللمثقلين أخط؟ وىلى كلما طال عمرى كثرت خطايى ولم اتب، اما أن لى ان استحى من ربى، ثم بكى وانشاء يقول:

أحرقنى بالنار يا غاية المني
فأين رجائى ثم أين محبتي
اتيت باعمال قباح رديئة وما فى الوري خلق جنى
كجنايتى

ثم بكى وقال: سبحانك تعصي كأنك لا تري، وتحلم كأنك لم تعص، تنودد الي خلقك بحسن الصنيع كأن لك الحاجة اليهم، وانت يا سيدى الغنى عنهم، ثم خر

الصالح من نسيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اصلح، كما الطالع منه اطلع، كما تدل على ذلك آيات من الأحزاب.^١

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٢٣﴾ (١٠٥)

هؤلاء هم أئمة الكفر وقادة الضلالة^٢ كما ان من ثقلت موازينه هم أئمة الايمان وقادة الهداية.

واللفح هو شديد النفخ السامّ، والكُلوح هو تقلُّص الشفتين عن الأسنان حتى تبدوا، فقد يصيب وجوههم لهب النار لحد بنفحتها تتقلُّص شفاههم وتبدو اسنانهم كالرؤوس المقشّرة المشويّة، (مفتوحى الفم، متربدي الوجوه^٣ تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على اعصابهم).^٤

الى الارض ساجداً، قال: فدنوت منه وشلت رأسه فوضعتة على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوي جالساً وقال: من الذى اشغلنى عن ذكر ربي؟ فقلت له: أنا طاوس يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمننا ان نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون؟ ابوك الحسين بن على (عليه السلام) واماك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: فالتفت الى وقال: هيهات هيهات، يا طاوس دع عني حديث ابى وامى وجدى، خلق الله الجنة لمن اطاع واحسن ولو كان عبدا حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً، اما سمعت قول الله تعالى: «فاذا نفخ فى صور فلا اتساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» والله...

١ . وهى: «يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقين...».

٢ . نورالثقلين ٣: ٥٦٥ فى الاحتجاج للطبرسى عن اميرالمؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يذكر فيه احوال القيامة وفيه: ومنهم ائمة الكفر وقيادة الضلالة فاولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ولا يعذبو بهم لأنهم لم يعذبوا بامرهم ونهيه فهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون.

٣ . نورالثقلين ٣: ٥٦٦ فى تفسير القمى فى الآية قال: تلهب عليهم فتحرقهم «وهم فيها طالحون» اى...

٤ . الدر المنثور: ١٦ - اخرج ابن مردويه والضياء فى صفة النار عن ابى الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى قوله: «تلفح وجوههم النار»

فيقال لهم قولة قارعة ضارعة ❁ الم تكن آياتي تتلى عليكم ❁ تلاوة البيان من كتاب الشرعة التدوين، وتلاوة العيان من كتاب الافاق التكوين ❁ فكنتم ❁ على طول خطوطها وبكل خيوطها ❁ بها تكذبون ❁ في قال وحال وفعال على آية حال. وهنا الاعتراف الصارخ القارح، اعتذاراً بغلب الشقوة علّة يخفف عن وطأة العذاب، وكما كان الاعتراف بالذنب من شروط استجابة الدعوة يوم الدنيا:

❁ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ❁ (١٠٦:٢٣)

ما كنا غالبين اذا كذبنا بآياتك بل كنا مغلوبين تحت وطأة الشقوة والضلالة، ولكن من اين جاءت الشقوة وحلت الضلالة الا من انفسكم تخيراً لها وتسييراً فهم (باعمالهم شقوا) فقد كان غلباً مختاراً لا يعذرکم فيما كذبتهم، ولكنهم على زعمهم القاحل يتطلبون الرجعة الى حياة التكليف:

❁ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ❁ (١٠٧:٢٣)

وعل ذلك آخر المطاف في سؤالهم المستجدي لعله يجدى وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)... فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون: ❁ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين. ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا

قال: .. وفيه عن ابي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ان جهنم لما سيق اليها اهلها تليفتم بعنق فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماء علي عظم الا لقتنه علي العرقوب، وفيه عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتي تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلي حتي تضرب سرته.

١ . نورالثقلين ٣ : ٥٦٦ في كتاب التوحيد باسناده الي علي بن ابي حمزة عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال: باعمالهم شقوا، وفيه عن كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يذكر فيه احوال المحشر بقول فيه وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ويشهد علي منافقي قومه وامته وكفارهم بالجادهم وعنادهم ونقضهم عهوده وتغييرهم سنته واعتدائهم علي اهل بيته وانقلابهم علي اعقابهم وارتدادهم علي ادبارهم واحتدائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الامم الظالمة الخائنة لانبياءها فيقولون باجمعهم «ربنا غلبت علينا شقوتنا».

ظالمون ﴿ فيجيبهم: ﴿ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون.. ﴿ ١ وقد تعنى ﴿ عدنا ﴿ عوداً الى التكذيب وعوداً الى حياة الحساب بنفس الحالة، وعوداً الى الجحيم بنفس التصميم.

وى كأنهم لم يكونوا من قبل ظالمين فى غلب الشقوة والضلالة، وان الله ادخلهم النار دون ظلم منهم! ولذلك الهراء القاحل، والاعتذار الجاهل يستحقون خطاب الكلاب:

﴿ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴿ (١٠٨:٢٣)

﴿ اخسئوا فيها ﴿ خساً الكلاب، وهم أضل سبيلاً من الكلاب ﴿ ولا تكلمون ﴿ فذلك إذا آخر المجال لكلامهم المستغيث فيظنون خرساً لا يكلمون، اللهم إلا مع بعضهم البعض متلاومين.

ولأن الخساً هو زجر الكلب مستهيناً به، ولا يُخساً الا الكلب الهراش الضارى، كذلك هم يخسئون بكذبهم فيها وما كانوا يكذبون!

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

١ . الدر المنثور ٥: ١٦ - اخرج ابن ابى شيبة والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن ابى الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلقي على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغث فى الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلابيب الحديد فاذا دنا من وجوههم شوت وجوههم واذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب فيقولون: او لم تلك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قال فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال، فيقولون ادعوا مالكا فيدعون مالكا فيقولون يا مالك ليقتض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكنون فيقولون ادعوا ربكم... .

٢ . الدر المنثور ٥: ١٧ - اخرج ابن ابى الدنيا فى صفة النار عن حذيفة ان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ان الله اذا قال لاهل النار: «اخسئوا فيها ولا تكلمون» عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها افواه ولا مناخير تردد النفس فى اجوافهم.

الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١:٢٣﴾

هم كانوا يستغفروننى بسناد الايمان يوماً فيه مناص، وانتم تستغفروننى بسناد الشقوة والضلالة زعم العاذرة فيها ولات حين مناص اذ قد مضى يوم خلاص. وانتم اتخذتموهم سخرياً ساخرين الله ورسوله واهل الايمان ﴿حتى أنسوكم ذكرى﴾ وهنا ينسب الإنساء الى المؤمنين اذ لولاهم لما كانت سخريه ولا نسيان ذكر، فهم من اسباب نسيان الذكر دون تقصير، وهم بشقوتهم وضلالهم سخروا منهم عامدين بكل تقصير، فسوا بذلك ذكر الله، واصبحت قلوبهم قاحله عن ذكره الى ملئ من ذكر الشيطان، وذلك كمثل قوله تعالى: ﴿فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ (١٠:٢) ﴿انى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على ما كنتم منهم تسخرون وعليهم تضحكون، دون تززع من ايمانهم ولا تلکع فيما يعملون، ﴿جزيتهم أنهم هم الفائزون﴾ ففوزهم اليوم ككل هو جزاءهم بما صبروا.

﴿قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾ (١١٢:٢٣)

وترى كيف تتناسب ﴿لا تكلمون﴾ وذلك السؤال حيث يتطلب كلاماً فى الجواب؟ عله يعنى لا تكلمون دون اذن او أمر: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس الا بأذنه﴾ (١٠٥:١١)

هذا، ولان الكلام الممنوع هو المرجو منه الفائدة، واما الكلام العذاب فهو عذاب فوق العذاب.

وهذا السؤال تقريع لهم وتبكيه تشبيهاً لإجرامهم القاصد على فسحة من زمن التكليف: ﴿كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾ ورغم ان السؤال يؤكد لبث سنين، هم يحولونها الى يوم او بعض يوم:

﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسنل العادين﴾ (١١٤:٢٣)

وطبعاً ﴿قليلاً﴾ بجنب الآخرة لا لأداء التكليف، وهم طول هذا القليل فى غفلة الشهوة الغفلة دون ان يقدموا لأنفسهم.

و ﴿فى الأرض﴾ هنا كما فى البعض مما سواها تقصد الحياة الأرضية دنيوية وبرزخية، وكما اجابهم الله فى اخرى ﴿لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث﴾

(٥٦:٣٠) وحقاً إن زمن اللبثين قليل بجانب الآخرة لامور عدة ذكرناها في طه وسواها.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥:٢٣)

فحيث لا بعث ولا رجوع الى الله للحساب والجزاء فالخلق اذاً عبث عبث الظلم، فخلق الخلق دون فصل القضاء ظلم، وعبث اللاغاية الصالحة - حيث الحياة الدنيا بنفسها - بهذه الظلمات والحرمانات - ليست غاية صالحة، والرجوع الى الله يجعل الخلق صالحاً ذا غاية صالحة، فالخلق دون بعث عبث، سبحانه وتعالى عما يصفون. ويا لها من آية تفرغ على الغافلين المتجاهلين، وقد قال رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم): (والذي نفسى بيده لو ان رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال).

ويقول جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في جواب من سأله: (لم خلق الله الخلق؟ ان الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لظهار قدرته، وليكلفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم الى نعيم).

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (١١٦:٢٣)

﴿فتعالى الله - الملك - الحق﴾ عن العبث بالخلق، وعن ان يكون له شريك في الملك او ولى من الذل، او ان يترك خلقه سدى دون هدى بالوحى ﴿لا اله الا هو رب العرش﴾ عرش الربوبية والتدبير، فى التكوين والتشريع ﴿الكريم﴾ عرش لا تضيق

١ . الدر المنثور ٥ : ١٧ - اخرج جماعة عن ابن مسعود انه قرء في اذن مصاب، افحسبتم انما خلقناكم عبثاً حتى ختم السورة فبيراً فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاذا قرأت فى اذنه فاخبر فقال... وفيه اخرج ابن السنى وابن منده وابو نعيم فى المعرفة بسند حسن من طريق محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى عن ابيه قال بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى سرية وامرنا ان نقول اذا نحن امسينا واصبحنا «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون»، فقرأناها فغنمناها فغنمنا وسلمنا.

٢ . نورالثقلين ٣ : ٥٦٦ فى علل الشرايع باسناده الي جعفر بن محمد بن عمارة عن ابيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له:...

فيه، بل هو كريم واسع الرحمة.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧:٢٣)

﴿لا برهان له به﴾ قد تكون جزاء الشرط نكراناً لاي برهان على إله آخر، ام وصفاً لـ ﴿إلهاً آخر﴾ مماشاةً، ان لو كان هنالك برهان له لكان مقبولاً، ام قيماً توضيحياً حيث الإله الآخر لا برهان له، فهذه الدعوة والدعوى الباطلة دون اي برهان ولا إمكانه هو من أضل الضلال وأظلم الظلم ﴿فانما حسابه عند ربه﴾ يوم القيامة الكبرى ﴿انه لا يفلح الكافرون﴾ لا برهاناً ولا واقعاً متخلفاً عن برهان، لا في الاولى ولا الاخرى، مهما ارعدوا وابقوا في هذه الادنى، اذا فكل دعوى دون اي برهان فيه حساب عند الله دون اي افلاح لصاحبها، فذلك محرم شرعياً كما هو محرم عقلياً وفطرياً، حيث الانسان العاقل والمتشعر هو ابن البرهان جملة وتفصيلاً، وفيما يجب عليه التقليد لعجز عن الاجتهاد، فلا يجوز التقليد - كما الاجتهاد - دون اي برهان.

ويا لها من سورة بدايتها تبشير للمؤمنين ﴿قد افلح المؤمنون﴾ ومن نهايتها انذار الكافرين ﴿انه لا يفلح الكافرون﴾ ثم ختامها الاستغفار والاسترحام للمؤمنين:

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١١٨:٢٣)

﴿رب اغفر﴾ لي عما يهاجمني من دوائر السوء التي تعرقل رسالتي ﴿وارحم﴾ ني في هذه السبيل الشائكة المليئة بالأشلاء والدماء. ثم ﴿اغفر﴾ للمؤمنين عما تعرضهم من خطايا او تعترضهم ﴿وارحم﴾ المؤمنين، ﴿وانت خير الراحمين﴾ فالغفر من مصاديق الرحمة الرحيمية، فخير الراحمين هو خير الغافرين.

حياة برزخية لاهل النار

﴿فَأَنْتَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ (٥٣:٣٠)

﴿الموتى﴾ هنا هم موتى القلوب فالصم الأسماع والعمى الأبصار، حيث لا يعون ولا يسمعون ولا يبصرون ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة...﴾ (٧:٢) وذلك ختم الجزاء يوم الدنيا دون الجزاء الختم فانه فى الأخرى. إن إسماع آيات الله ليس يؤثر إلا فى ﴿من يؤمن بآياتنا﴾ فإن سجيته الايمان بها حين تواجهه، وهو يتحرى عنها، ولأقل تقدير لا يتجرى عليها ﴿فهم مسلمون﴾ لها، مؤمنون بها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤:٣٠)

تعريف آخر بالله وجاه مختلف حالات الإنسان من ضعف إلى قوة إلى ضعف وشيبة، ومن القوة ومن الضعف الممات، والإنسان كما هو بين مختلف حالات سائر الضعف والقوة كذلك هو بين الموت والحياة ﴿يخلق ما يشاء﴾ لا كمانشاء وهو العلى القدير ﴿بما يخلق﴾.

﴿خلقكم من ضعف﴾ هو منى فإنه ضعف فى كيانه وضعف فى دفته، فضعف ﴿مصدراً تلمح إلى مدى ضعف النطفة كأنها الضعف نفسه﴾.

﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ أمند العلقة إلى المضعفة إلى العظام إلى كسوتها لحماً إلى إنشاءه، خلقاً آخر وإلى...؟ وكل ذلك ضعف بعد ضعف! وقد تعنى ﴿قوة﴾ بداية القوة والقيام على ساق للولائد، و ﴿من بعد ضعف﴾ قد تعنى الضعف فيما بين الضعف الأول والقوة الأولى.

فان هو النطفة المخلوق منها الجنين، ف ﴿من بعد ضعف﴾ تعنى ضعف الجنين

المخلوق من ضعف، ومن ثم ❀ ثم ❀ هنا تفصل بين خلقه من ضعف وجعل قوة له بعد ضعف، فذلك الفاصل ضعف بعد ضعف.

فضعف المصدر ممثلاً في تلك الخليئة الصغيرة الدقيقة التي ينشأ منها الجنين، وضعف الصادر بينه وبين قوة هو الجنين بأطواره، ثم الطفل حتى يقوم على ساقيه من ضلعة التكوين.

وقوته بادئة من ذلك القيام كاستقلالية ما في بعض الحاجيات مشرباً ومأكلاً وملبساً، وقياماً في حاجيات أخرى.

وهذه القوة باقية لحد الأربعين متزايدة، ثم تُبدل الى ضعف ثم شبيهة، فالشيخوخة إنحدارة إلى الطفولة بكل مظاهرها الضعيفة ولحد لا تعلمون شيئاً ولا تقدرّون على شيء وهو أرذل العمر: ❀ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ❀ (٥:٢٢)

❀ يخلق الله ما يشاء ❀ من ضعف وقوة وشبيهة ❀ وهو العليم ❀ ماذا يخلق وفق الحكمة العالية ❀ التقدير ❀ بكل خلق.

فليس خلقكم ❀ من ضعف ❀ لضعفه قدرة وعلماً، ولا ❀ جعل من بعد ضعف قوة ❀ لقوته علماً وقدرة، بل إنها تحويلات إلى حالات حسب الحكمة العلمية القديرة كما يشاء، ولا يفلت منها أحدٌ من أبناء الفناء حيث تتعاور تلك الخليقة البشرية لتشهد انها مدبرة كما يشاء الله العليم القدير.

أوليس لهذه النشأة الحكيمة القاصدة استمرارية في نشأة أخرى هي مزرعة الأولى؟:

❀ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ❀ (٥٥:٣٠)

اللبث هنا هو لبث البرزخ، فانه الذي يسبق ❀ يوم تقوم الساعة ❀ لا لبث الدنيا، ام هو مجموع اللبثين؟ استقلالاً لحياة التكليف والتي بعدها قبل قيام الساعة.

وإقسام المجرمين هناك ❀ ما لبثوا غير ساعة ❀ إفك مبين كما هم في حياة التكليف ❀ كذلك كانوا يؤفكون ❀ صرفاً عن وجه الحق الى غير وجهه، على طول

خط الحياة الى قيام الساعة ولما يفيقوا عن غفوتهم وهم محشورون ليوم الدين!
 ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا
 يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

﴿ كتاب الله ﴾ عله كتاب التكوين التقدير الى جنب كتاب التشريع التدوين، فقد
 قدر الله وقرر لبثاً برزخياً لكل من الأموات وإن ماتوا في قيامة الإماتة، كما أن آيات
 من القرآن تتحدث عن هذه الحياة الفاصلة بين الحياتين ﴿ ومن وراءهم برزخ إلى
 يوم بعثون ﴾.

ف ﴿ الذين اوتوا العلم ﴾ بالكتاب ﴿ والايمن ﴾ بما في الكتاب، هناك يكذبون
 المجرمين القائلين ﴿ ما لبثوا غير ساعة ﴾ كما هنا، ام ﴿ عشية او ضحاها ﴾
 (٤٦:٧٩) يوماً أو بعض يوم ﴿ (١١٦: ٢٣) أو ﴾ عشراً ﴾ يعني ﴿ كتاب الله ﴾ ما
 كتبه الله من الحياتين قبل الأخرى وهي ﴿ يوم البعث فهذا يوم البعث ﴾ الذي كنتم به
 تكذبون ﴿ ولكنكم كنتم ﴾ قبله ﴿ لا تعلمون ﴾.

أتراهم كانوا لا يعلمون انهم سوف يبعثون وهم في البرزخ وقد ظهر لهم ما كان
 خفياً عليهم؟

هنا ﴿ كنتم لا تعلمون ﴾ ماض بعيد يضرب الى بعيد هو بالطبع حياة التكليف لا
 والبرزخية ايضاً.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (٥٧:٣٠)

الإستعتاب هو طلب العتبي وهي العتاب وإزالته، فهم كما لا ينفعهم معذرتهم إن
 اعتذروا، لا يُطلب منهم ان يعتبروا أنفسهم ام يزيلوا عتابهم، مهانة لهم وهواناً كانهم جماد
 لا يشعرون.

﴿ وَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ (٥٨:٣٠)

إن الآية المثبتة للحق أصبحت عندهم مبطله والجائي بها مبطل، وهكذا يرتكس
 الظالمون في حماة الغباوة الخائفة ان تنقلب آية الحق عندهم آية الباطل.

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٩:٣٠)

لقد طبّع الله على قلوب هؤلاء الظالمين وأزاغها كما زاغت بتجاهل عارم قاحل لحد تقلّب الحق عندهم باطلاً والباطل حقاً، حياةً منكوسةً مركوسةً أزدل من الدواب وأضل.

ف ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هنا هم الجاهلون المقصرون، لا القاصرون المستضعفون، ولا يطبع الله إلا على قلوب خالية عن الهدى خاوية عن التقوى، مليئة من الطغوى ﴿ فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ﴾.

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٦٠:٣٠)

﴿ فاصبر ﴾ يا رسول الهدى على قولتهم: ﴿ إن أنتم إلا مبطلون ﴾ وعلى فعلتهم المضادة لدعوتك فما أنت إلا نذير: ﴿ إن وعد الله حق ﴾ ﴿ في نصرتك ﴾ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴿ وفي عذابهم كما يشاء وبصلح ﴾ ولا يستخفك الذين لا يوقنون ﴿ إستخفافاً عن ثابت الإيمان الإسلام والدعوة الصارمة.

هنا ﴿ فاصبر ﴾ توطين لخاطر الرسول وقلبه القريح الجريح، ثم وفي تأويله قد يكون توهيناً لسواه تهويلاً بمستقبل العذاب كما فعله الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) جواباً عن ابن الكوا^١.

وقاله ابو جعفر الباقر (عليه السلام) جواباً عن امره بالخروج المبكر ولما يحن حينه ترخماً على زيد^٢. فهذا تنزيل و ذلك تأويل ولكل مجاله.

١ . نورالثقلين ٤ : ١٩٢ عن تفسير القمي كان علي بن ابي طالب (عليه السلام) يصلي وا بن الكوا خلفه وامير المؤمنين (عليه السلام) يقرء، فقال ابن الكوا «ولقد اوحى اليك والي الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» فسكت امير المؤمنين (عليه السلام) حتى سكت ابن الكوا ثم عاد في قراءته حتى فعل ابن الكوا ثلاث مرات فلما كان في الثالثة قال امير المؤمنين (عليه السلام): «فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون».

٢ . المصدر عن الكافي ان زيد بن علي بن الحسين دخل علي ابي جعفر (عليه السلام) ومعه كتب من اهل الكوفة يدعون به فيها التي انفسهم ويخبرونه باجتماعهم ويأمرونه بالخروج فقال له ابو جعفر: هذه

فالصبر أمام العراقل في الطريق الشاق الطويل هو زاد المؤمنين، أن يثبتوا على الحق دون زعزعة ولا تلُّع، صبراً يكون سبباً لأغوار الحوادث والمصائب التي قد تنقص من الإيمان بوعده الله فتتنقض وثاق الله، لا صبر التخاذل والتنازل، وإنما صبر جميل يعني الإستقامة على الطريقة.

وهكذا تختم السورة كما بدأت بوعده النصر، تختم بالصبر انتظاراً لانتصار بنصر الوعد وتحققه كما يراه الله.

الكتب ابتداءً منهم أو جواب ما كتبت به اليهم ودعوتهم اليه؟ فقال: بل ابتداءً من القوم لمعرفتهم بحقنا وبقرابتنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما يجدون في كتاب الله عزوجل من وجوب مودتنا وفرض طاعتنا ولما نحن فيه من الضيق والاضيق والبلاء، فقال له ابو جعفر (عليه السلام) ان الطاعة مفروضة من الله عزوجل وسنة امضاها في الأولين وكذلك يجريها في الآخرين، والطاعة لواحد منا والمودة للجميع وامر الله يجرى لأوليائه بحكم موصول وقضاء مفصول وحتم مقضي وقدر مقدور وأجل مسمى لوقت معلوم «فلا يستخفئك الدين لا يوقنون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً» فلا تعجل فإن الله لا يعجل لعجلة العباد ولا تسبقن الله فتعجلك البلية فتصرعك».

١٣

حياة برزخية لاهل النار

﴿ وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَأَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٤٥:١٠)

ولقد فصلنا القول حول اللبث في البرزخ أمام القيامة الكبرى في آياتها الأخرى ولا سيما الأخرى (٤٦:٧٩) فليراجع، وهنا نتحدث حول ميّزات هذه الآية بينها.

هنا ثانية تحمل: ﴿ساعة﴾ لبتاً في البرزخ أم وقبله: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون، ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾ (٥٥:٣٠): ﴿ساعة من النهار﴾ كما هنا، أم أية ساعة من ليل أو نهار كما في آية الروم لمكان إطلاق ﴿ساعة﴾، وهي أقل تحديد من هؤلاء لبثهم، وفوقها في آيات أخرى أنه يوم أو بعض يوم، الشاملان لجزئيه ليلاً ونهاراً، أو عشر ليال أو سنين لمكان ﴿عشراً﴾ وهي أكثر تقدير، وحق اللبث هو أنه كان قليلاً دون هذه التحديدات: ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾ (١١٧:٢٣) أم ﴿يوماً﴾: ﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً﴾ (١٠٥:٢٠) ولكن الحق المطلق هو ما ﴿قال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم تعلمون﴾ (٥٦:٣٠).

فحاسم الجواب وجاسمه أنه كان قلة قليلة بجنب الآخرة، مهما كانت كثرة وافية لحياة التكليف، فهم قد يقللونه بما يعللونه عذراً أنه ما كان يكفي لحياة التكليف قبل الموت، أم إنه قليل بجنب حياة الجزاء بمجموع حياتي البرزخ والتكليف، أم إن المسؤول هو يوم البرزخ لمكان ﴿يوم البعث﴾، والله يصدقهم في أصل القلة على أية حال، اللهم إلا قلة غير وافية بحياة التكليف.

ذلك، أفمن أجل ساعة أو بعض يوم أو يوم أو عشر من الليالي والسنين، ألهذه

١ : وهـ ١٧ : ٥٢ و ٢٠ : ١٠٣ و ٢٣ : ١١٢ و ٣٠ : ٥٦ و ٤٦ : ٤٦ .

الزهيذة العاجلة القصيرة، التافهة الهزيلة، ألهدة تتنافسون وتتطاحنون وترتكبون لأجلها ما ترتكبون لأجلها ما ترتكبون فترتكون؟ إنها الحماقة الكبرى، لا يرتكبها فيرتكب بها ذو حجي، وعلى حد المروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم): (بئس ما إجتزتم فى يوم أو بعض يوم نارى وسخطى، أمكنوا فيها خالدون).^١ وترى كيف هو أحياناً فى تخيلهم ليل وأخرى نهار، ثم هو بين ساعة إلى عشر ليالٍ أمّا هو؟.

علمهم يخلدون فى نفس الزمن الذى توفوا فيه ليلاً أو نهاراً، وكما عن الإمام على أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يتعارفون ليل صباحاً ولا نهار مساءً، أى الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً).^٢

❖ يحشرهم كأن لم يلبثوا ❖ بزعمهم وحسبانهم ❖ إلا ساعة من النهار ❖ حيث البرزخ أكثره نوم لمكان ❖ يا ليتنا من بعثنا من مرقدنا ❖ (٥٢:٣) ثم هو قليل بجانب الآخرة لحد قد تحسب كساعة منها ❖ يتعارفون بينهم ❖ بعد ما لم يكونوا متعارفين فى البرزخ، ف ❖ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله ❖ أنفسهم ❖ وما كانوا مهتدين ❖ فى مسارح الهداية ظلماً وعلواً.

فقد يستقلون ذلك المكث المكث لأمر، منها أنهم لم ينتفعوا بحياة التكليف لحياة الحساب فهى - إذا - كالعدم، ثم لم يكن لهم أن يتداركوه بحياة البرزخ إذاً فهما ❖ ساعة من النهار ❖: (نهار التكليف المشرق لهمه الحق وهم غافلون، ونهار البرزخ إذ يكشف فيه الغطاء وهم لا يستطيعون فيه جبراً لكسرهم، فهما - إذا - ساعة من ذلك ❖ النهار ❖).

(فإن الله عباد الله، فإن الدنيا ماضية بكم على سنن، وأنتم والساعة فى قرن، وكأنها قد جاءت بأشراطها، وأزفت بأفراطها، ووقفت بكم على صراطها، وكأنها قد أشرقت بزلازلها، وأناخت بكلاكلها، وانصرفت الدنيا بأهلها، وأخرجتهم من حضانها، فكانت

١ . الدر المنثور ٦ : ٢٧ - أخرجه ابن أبى حاتم عن أيفع بن عبد الكلاعى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).
٢ . السيد الشريف الرضى فى نهج البلاغة (عديه السلام) فى توصيف الحالة البرزخية.

كبيوم مضي أو شهر انقضى، وصار جديدها رثاً، وسمينها غثاً، في موقفٍ ضنك المقام،
وأمرٍ مشتبهة عظام، ونارٍ شديد كلبها) (١٨٨).

13

البرزخ مرقد وغرفة نوم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨:٣٣)

إقتراح متعنت مكرور على السنة الناكرين ليوم الدين ' كأنه حجة على المصدقين، وما هي الصلة بين كونهم صادقين وأن يعلموا متى وعد يوم الدين؟! أليس بلعم كل منا بيقين انه سوف يموت ولكنه لا يدري متاه ومُدها، فهل لنا نكران إذ لا نعلم وقته بيقين؟ إن هي إلا هرطقة حمقاء يخيّلون إلى الحمقاء كأنها حجة على كذب هذا الوعد! ولا جواب لهذا السؤال - وبعد كافة البراهين القاطعة على إمكانية وضرة المعاد - لا جواب إلا واقعه، إذ لا انتظار بعد لجواب آخر:

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩:٣٣).

وإنها صيحة الإماتة لقيامه التدمير، وتتلوها صيحة أخرى لقيامه التعمير، وترى كيف ينظرونها وهم ينكرونها؟ إنه واقع الإنتظار وإن كانوا ينكرون، حيث المنتظر لهم واقع الجواب، فإذا لا تقنعهم البراهين القاطعة فلتكفهم صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون.

إنهم ما ينظرون إجابة عن ﴿متى هذا الوعد﴾ فحتى لو حُدّد لهم كذوبه وزيادة، فليس لهم - إذاً - إلا واقع الإنتظار لواقع الجواب وآخر الدواء الكى!.
إن الصيحة الواحدة تأخذهم على غفلة ونكران، إذا فالإرتجاف أتم والإيخاف أعظم وأطم، وتكفيهم إجابة عن سؤالهم المستهزء المتعنت، ثم الصيحة الثانية واقعة وليست إجابة بعد الأولى، ولذلك ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ لا أكثر، ﴿وما ينظر هولاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ (١٥:٣٨) وتلكم الصيحة الواحدة تجعلهم حيارى لحد: ﴿فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ (٥٠:٣٣).
أهلهم كأمثالهم في أخذه الصيحة، فأين التوصية لهم أو الرجوع إليهم؟ وحتى اذا لم

١ . نجد نفس الصيغة في ١٠ : ٤٨ و ٢١ : ٣٨ و ٣٤ و ٦٧ : ٢٥ : ٢٥ آية يس خامستها .

تأخذهم! فالصيحة هي المانعة لهم عن هذه أو تلك، وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقى فيه، ولتومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فمه فلا يطعمها).^١ ثم تتلوا الصيحة الواحدة نفخة هي الصيحة الثانية للإحياء: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ (٤٢:٥٠):

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١:٣٣)

ليس الصور جمعاً للصوره، وقراءة الفتح مردودة لمخالفتها المتواترة، ولرجوع ضمير المفرد المذكّر إليه في سائر القرآن: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾. وهنا نفختان هما الصيحتان، وصيحتان هما النفختان: ﴿وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨:٣٩) ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴿٨٧:٢٧﴾.

والصور هو البوق الصارخ في أعماق الأرواح فتفريق عن صعقتها الناتجة عن النفخة الأولى بأبدانها المثالية، وفي نسل الأبدان الدنيوية على قدر. وهو نقره الناقور^٢ تضرب إلى الأعماق ﴿فإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

فكما الصيحة الأولى أماتهم لوطنتها، كذلك الثانية تحييمهم لوقعتها، إزعاجه لها فاعليتها، إماتة مرة وإحياءه أخرى، ولا عوان بين إماتة وإحياء للأرواح، فالصيحة الصور بين إماتة كالاولى وإحياءه كالثانية، ولأن الأرواح - إلا من شاء الله - مُصَعَّقة

١ . الدر المنثور ٥ : ٢٦٥ - اخرج سعيد بن منصور والبخاري ومسلم و ابن المنذر و ابو الشيخ عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ...
٢ . راجع ج ٣٠ ص ٣٤ - ٣٦ من تفسير سورة النبأ ففيه نبأ فصل عن الصور.

فى النفخة الأولى، كما الأبدان ميّنة، فنسلهم من أجدائهم إلى ربهم هو إفاقة الأرواح ورجعها إلى أبدانها ❀ فإذا هم قيام ينظرون ❀ وكل أتوه داخرين ❀.

وترى ما هو نسلهم من أجدائهم إلى ربهم؟

الأجدات هى القبور: الأمكنة التى تحوى الأجساد برزخية ودينوية بأرواحها، سواء كانت تحت الأرض أمّأذا؟ مجموعة الأجزاء أم متفرقة، منضمة إلى أشياء أو أبدان أخرى أم مستقلة، فإنها لا تضلّ عن علم الله مهما ضلت عنا، فللكل أجدات لأجسادهم وأرواحهم وهى المحالّ التى تضمها: ❀ وقالوا إذا ضللنا فى الأرض إنا لفى خلق جديد... قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ❀ (١١:٣٢) ❀ يوم يخرجون من الأجدات سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ❀ (٤٣:٧٠) ❀ خشعا أبصارهم يخرجون من الأجدات كأنهم جراد منتشر ❀ (٧:٥٤): خروجاً للأرواح داخله فى أجسادها على قدر اللازم فى المعاد.

والنسل هو الإنفصال ❀ وهم من كل حذب ينسلون ❀ (٩٦:٢١) انفصلاً من كل المرتفعات، كما انفصال الذرية عن الآباء: ❀ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ❀ (٨:٣٢) ❀ وإذا توّلى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ❀ (٢٠٥:٢).

أفترى أن نسلهم من أجدائهم هو - فقط - إنفصالهم عنها بأجسادهم؟ وليس كل انفصال نسلاً! بل هو إنفصال خاص فى انفعال خاص كنسل الذرية عن الآباء وهو الخاص بيوم الدنيا، ونسل الإنسان مرة أخرى يوم الأخرى دون آباء ❀ كما بدأكم تعودون ❀ (٢٩:٧) ولكنهم ينسلون هنا سراعا دون مكوث الأولى أصلاب وأرحام. فإذا كان العود كالبدء إلاّ فى الآباء والمكوث فى الأرحام، فليكن ❀ ينسلون ❀ خلقاً لهم جديداً لهم كما خلقوا أوّل مرة.

إنهم ينفصلون بكل أجزاءهم عن كل اتصال غريب، ثم تنفصل اجزاءهم الأصيلة التى عاشوها فى حياة التكليف وكل الحيات، ثم تنسل هذه الأجزاء لخلق آخر

كالأوّل، دون اختلاف عن الخلق الأوّل إلّا فيما نعلمه هنا! أمّا إذا؟ سراعاً ودون أصلاب وأرحام! فنطفته التي خلق منها أوّل مرة بطول الآماد والأبعاد، يُخلق منها مرة أخرى دون أبعاد وآماد، ودون أصلاب وارجام.

وهنا نسل الأرواح هو انفصالها عن صعقتها، ونسل الأبدان كما بيناه، ثم الأرواح ترجع إلى ابدانها الاصيلّة، وهذا النسل المثلث يكون إلى ربهم ﴿﴾ فإذا هم قيام ينظرون ﴿﴾!

إن النفخة الثانية تنسلهم إلى ربهم سراعاً دون مهل، خلاف ما كانوا ينسلون من الأصلاب والأرحام يوم الدنيا، وانهم يوم الدنيا كانوا ينسلون إلى ربهم ربوبية الإمتحان التكليف، وفي الأخرى ينسلون إلى ربوبية الجزاء دون تكليف، وأين نسل من نسل، يوم الوصل ويوم الفصل؟

﴿﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢:٣٣﴾

الويل والعويل هناك ليس إلّا لمن كذب الرحمن والمرسلين، وكذب بيوم الدين، ولكننا المرقد يعمّمهم وجميع المكلفين، وما أحسنه وأوضحه تعبيراً عن الحياة البرزخية بالمرقد، ضلع متضلع بين مربع الاحتمالات في الحالة البرزخية^٢ وهي الآية الوحيدة اليتيمة التي تحمل لها سمّة المرقد، والرقدة هي النومة مقابل اليقظة ﴿﴾ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ﴿﴾ (١٨:١٨) فالمرقد هو الرقدة وزمانها ومكانها.

ولأن القرآن كتاب هدىّ وبيان، فليس ينقل مقالة زائغة زائغة إلّا زيفها، فهم على كفرهم - مصدّقون في ﴿﴾ مرقدنا ﴿﴾ لاسيما وهم في نهاية البرزخ وبداية القيامة،

١ . كخروج النطفة من الصلب واليترايب واستقرارها في الرحم طول مدة الحمل، وتنقلها من صورة إلى صورة حتى انشأها الله خلقاً آخر.
٢ . فبعد التأكد من الحياة البرزخية كنا بين محتملات اربع رابعها المرقد، والثلاثة الأخرى هي اليقظة الدائمة والرقدة الدائمة وغلب اليقظة على الرقدة، وعكسها وهي الرابعة.

فليسوا ليكذبوا على الله وهم في يوم الله.

انهم حينذاك ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ وقد كنا نكذب بيوم الدين وهذا يوم الدين ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ وقد كنا راقدين قبل بعثنا في برزخنا. أتري كيف يعبر عن الحياة البرزخية بالمرقد وهم فيها أحياء يرزقون أو يعذبون؟ لأن الغالب لهم فيها الرقاد دون رزق فيه ولا عذاب، فإنما اليقظة لهم بكرة وعشى ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٦٤:١٩) ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٥٠:٤٠).

وكما أن غرفة النوم يغلب فيها النوم واليقظة قلة قليلة كمقدمة له ومؤخرة عنه، كذلك البرزخ هو كغرفة النوم، وهذا هو الذي يحملهم أن يقولوا ﴿لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أماذا من قلة قليلة من لبثهم في برزخهم. وترى كيف يستنكرون بعثهم عن مرقدهم في عجب، وبحسبهم الحياة البرزخية دليلاً صارماً على حياة الحساب الجزاء بعد الموت؟

﴿يَا وَيْلَنَا﴾ ليست إلا تصديق الويل لهم ما لم يكونوا يحتسبون و ﴿مَنْ بَعَثْنَا﴾ ليس استنكاراً، بل هو استعجاب، ولم تبرهن لهم الحياة البرزخية إلا نفسها ولما علموا بيقين أنهم مبعثون ليوم الدين، إذ تعرق الكفر في أعماقهم لحد لا يخرج إلا بواقع الحياة الحساب، فقالوا ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ثم أجابوا هم أنفسهم ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ أن نبعث من مرقدنا ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فيما أرسلوا به ومنه بعثنا، أو أن الجواب من الله أو من يجيبهم عن الله؟ قد يعنيهما ﴿هَذَا...﴾ ﴿لَوْ خُصَّ بِغَيْرِهِمْ لَجَبِيءٌ بِمَا يَخْصُهُ، كَقِيلٍ﴾ أو ﴿قَلْنَا﴾، ثم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ دون ﴿الرَّحِيمِ﴾ مما يلمح أنه قولهم مهما هم غيره، فلو كان قول الرحمن لكان ﴿وَعَدَ الرَّحِيمِ﴾ حيث الرحمة الرحيمية هي المقتضية للحياة الحساب، مهما اقتضت الرحمانية إمكانية العود في المعاد، وليس - أخيراً - وعد الرحمن إجابته تعالى عن فاعل البعث، وإنما تحقيق الوعد وتطبيق الصدق.

حول اليوم الآخر باشرطه وكل حساباته

القيامة قيامات

سورة القيامة - مكية - وآياتها اربعون

❖ لا اُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَ لا اُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ (٢) اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلٰى اَنْ نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْاِنْسَانُ لِيَفْجُرَ اَمَامَهُ (٥) يَسْئَلُ اَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٦) فَاِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ (٧) وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْاِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ اَيْنَ الْمَفْرُ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) اِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبِّئُ الْاِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ اَخَّرَ (١٣) بَلِ الْاِنْسَانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَ لَوْ اَلْقَى مَعَاذِرَهُ (١٥) ❖

❖ لا اقسام بيوم القيامة. ولا اقسام بالنفس اللوامة ❖:

إنه تصريحه باللا قسم وتلويحه بالقسام كسائر اللا قسم في القرآن أن يوم القيامة والنفس اللوامة يصلحان أن يقسم بهما للصالحين المؤمنين بالقيامة، الحاملين النفس اللوامة، فهما يدلان أصحابهما الى إمكانية ضرورة جمع العظام وتسوية البنان ليوم الحساب.

فلا معنى للقيامة الحققة، حسب الأدلة الواقعية والعقلية ونصوص الوحي، إلا قيام الأجساد من الأجداث وعود الأرواح اليها للحساب والجزاء الوفاق، وقيام الأشهاد وقيام الناس لرب العالمين، فالقيامة المجردة عن حشر الأجساد قيامة جرداء عن أهم معانيها ومغازيها.

وناكروا حشر الأجساد والحساب لا يصدقون بقيامة الحساب حتى يقسم لهم بها تصديقاً إزامياً، وان كانوا يلهجون بها تعنتاً ❖ يسأل أيان يوم القيامة ❖ لمن ينكر حقه مهما لهج بلفظه.

والنفس اللوامة - كذلك - كيوم القيامة، تشهد للحياة الحساب، فالنفوس على

١ . راجع ص ١٥٩ من الجزء الثلاثين: «فلا اقسام بالخنس».

ضروب شتى: منها قدسية مطمئنة بالله، راضية عن الله، مرضية عند الله، فهي لا تلوم أصحابها إذ لا تقصر عامدة معاندة، مهما قصرت عما يحق لساحة الربوبية، فقد تلوم لقصورها دون تلوم، فهي دائبة في طاعة الله، مستزيدة لمرضاة الله كالسابقين والرعيال الاعلى من اصحاب اليمين، وهؤلاء حياتهم الذكر، ليسوا بحاجة الى القسم بيوم القيامة والنفس اللوامة، فانها لهم مطمئنة.

ومنها بهيمية مطمئنة الى دركات الهوى، معرضة عن الهدى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمننوا بها﴾ (٧:١٠) وقد تبلغ من الشراسة والشماس لحد تلوم أنفسها وسواها لو فعلت خيراً أو اهتمت بخير، فهؤلاء لا ينفعهم القسم بالنفس اللوامة إذ فقدوها إلى خلافها.

ومنها لوامة غير مطمئنة لا الى الله ولا الى اللهو، عوان بين ذلك، قد تطيع ربها فتطمئن، وقد تعصى وتشرّد فتلوم نفسها، فهي الى خير ما دامت لوامة تندم أصحابها، تلوم العقل لو ارتاب في الحساب العدل، وتلوم نفسها في جوارحها لو عصت أمر ربها، فهي ضابطة لعقيدة الايمان، رابطة به عمل الايمان، ولذلك يحق ان يقسم بها كبرهان على قيام الأجساد يوم الحساب الجزاء العدل.

فليقسم بيوم القيامة لمن يعتقد ما لم يصل الى علم اليقين وما فوقه، وليقسم بالنفس اللوامة لمن يحملها حتى تذكره وتحمله الى ذكرى جمع العظام وتسوية البنان. وأما الناصر ليوم القيامة الحقّة، والفاقد للنفس اللوامة، الضاربة الى اعماق ذاته النفس الامارة بالسوء، فكيف يقسم له بيوم القيامة والنفس اللوامة؟ وقد ظل مرتكساً في الشهوات وغارقاً في اللذات.

وإذا كان اللاقسم هنا يعنى به القسم خلاف الصحيح والفصيح، فأين جواب القسم؟ لانجد جواباً إلا أنه لا قسم يلمح بالقسم، ويا له جمعاً ما أطفه!

هنا - لإثبات حشر الأجساد وقيامها من الأحداث يكتفى بسؤال لائح الجواب عند فاقدى الدليلين، ما لم يفقدوا التمييز تماماً:

﴿أحسب الانسان ان لن نجعم عظامه﴾: أفهذا الإنسان الهزيل الذليل يُحيل لنا

جمع العظام: ﴿لن نجتمع﴾ إحالة التجهيل: أنها ضلت في الأرض فكيف تجمع: ﴿وقالوا إذا ظلنا في الأرض إننا لفي خلق جديد﴾ (١٠:٣٢) أم إحالة التعجيز: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم﴾ (٧٨:٢٦) أم لا ولا ذاك وإنما يفترى علينا الظلم، أننا لانحشر شيئاً رغم الظلمات القاتلة يوم الدنيا، غير المجازى عليها فيها! أم نحشر الارواح دون الاجساد، رغم انها كانا شريكى الأعمال خيرة وشريرة، فكيف تحرم الأجساد من ملاذها، أو تعفى عن عذابها؟ كل ذلك خيالات شرسة وليست محالات.

﴿بلى قادرين على ان نسوي بنانه﴾: ترى عشرات الآيات يتمسك فيها بشأن إثبات امكانية حشر الأجساد ببرهان الأولوية: من عدة جهات، كأولوية الإعادة من الخلق أول مرة، بأنها أهون، وان كان الكل عند الله هيناً، وهنا بأولوية جمع العظام من تسوية البنان وهو مسويها أولاً وأخيراً، فهؤلاء المشركون في عبادة الله، المختصون الخلق بالله، عليهم أن يصدقوا بإمكانية حشر الأجساد وهو خلقها ثانياً، بعد إذ هم مصدقون بخلقها أولاً: ﴿فأفعبينا بالحق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾ (١٥:٥٠) وعليهم تصديق جمع العظام بعد ما يرون من تسوية البنان وهي أدق الخلق وأرقه في الانسان، وهي كناية عن إعادة التكوين الانساني بأدق ما فيه دون عزوب عنه من شيء: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم...﴾ : توفياً عند الموت لكلا الجسم والروح وإيفاءً لهما بأمر الله عند الحشر.

﴿نسوي بنانه﴾ فالبنان هي الأصابع من البن: الإقامة، فان بها صلاح الأحوال التي تمكن الانسان أن يبين بها ويقيم حياته، ﴿بلى﴾ تجمع عظامه حال أننا ﴿قادرين على أن نسوي بنانه﴾ أيضاً، فإن بها معظم أفعال الانسان، وهي آخر وأدق ما يخلق من عظام الانسان، وهي من أصغرها وأكثرها نسبياً بين العظام، ومن أهم ما

١ . فان عظام اصابع اليدين ٥٨ ، ولللرجلين ثمانية وعشرون المجموع ٨٦ عظماً دقيقاً وضعت لمنافع لولاها ما تمت تلك المنافع كالقبض واليدسط واستعمال اليدين فى الجذب والدفء ، وهى بين عظام الانسان

فى البنان، الذى كشف عنه العلم، خطوط رؤوس البنان التى يستفاد منها كأضبط التواقيع التى لا تشته ببعض، ويستحيل فيها الاحتيال والتزوير، وهى من أهم ما يكشف بها الجرائم، فقد يعرف الجانى بالآثار الباقية على يديه فى عملية الجناية، يعرف بسلاحه الذى استعمله وإن لم يكن فيه أثر الدم، وإنما المسكة يبين فيها بالعيون المسلحة، فللبنان بالغ الأهمية فى الكشف عن أصحابها، ولأن الخطوط المهندسة فى كل يد تختلف عن سائر الأيدي، فمهما تشابه الأشخاص واشتبه بعضهم ببعض، لا يوجد تشابه بين البنان فى هندستها بخطوطها.

فالقادر على تسوية البنان قادر بأحرى على جمع سائر العظام لمهمة الحشر للحساب والجزاء العدل، وكافة البراهين الواقعية والفطرية والعقلية والتحويلات الكونية، كلها مسرودة لإثبات إمكانية وضروة حشر الأجساد، فلا يستطيع الانسان - أياً كان - أن يثبت على حساب: ❀ أن لن نجمع عظامه ❀:

❀ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) ❀

الفجر هو الشق الواسع، والانسان يريد بنكرانه يوم القيامة - غير المسنود إلى برهان - ليشق أمامه من الزمان ليرى ❀ ايان يوم القيامة ❀ خرقاً لستر الساعة التى لا يجليها لوقتها إلا الله، وإذ لا يجد جواباً عن هذا السؤال، يتذرع إلى نكران الحساب، وهل ياترى أية صلة بين عرفان وقت الحساب وواقع الحساب حتى إذا جهل الوقت أنكر الأصل؟

وإنه يريد ليفجر أمامه من زمن الساعة، ليتوسع فى فجوره أمامه إلى الساعة لا يصده شبح الحشر الحساب، فخوف الحساب لجام عن الفجور ومصداً له، وهو يحاول إزالة هذا الصد ليتحرر ويمضى قدماً فى الفجور أمامه بلا حساب، إذ لا يحسب له أى حساب.

يتذرع سؤاله المتعنت: ❀ ايان يوم القيامة ❀ ليخلق ثلوث الفجر والفجور، الموحد

(٢٤٨) تصبح ثلث العظام كلها، على ان الاصابع العشرين ليست الازهاء ١ / ٥٠ من الانسان.

فى نكران الساعة، من فجر الزمن بينه وبين الساعة ليعرف متى هى الساعة، فإذ لا جواب فلا ساعة! ومن فجور مستمر بينه وبين ساعته إذ يحسب أن لا حساب، ومن فجور ونكران بنفس الساعة، ثالث الفجر المندفع من الفجور والدافع اليه، والأصل واحد هو التحرر فى الفجور، أقانيم ثلاثة تتناصر فى تحكيم صرح الفجور. فليس سؤال ❀ أيان يوم القيامة ❀ سؤال تفهم، وإنما يجرس بـ ❀ ايان ❀ مديداً لاستبعاده يوم القيامة، أحياناً بسناد استحالة جمع العظام، وأخرى أن لا جواب لسؤاله ❀ ايان ❀ فليفجر حياته كل ستر وناموس إذ لا حساب!.

وانهم لا برهان لهم على نكران الحساب أو المربة فيه إلا ثورة الشهوة، فليفجروا ويشقوا واسعاكل ما يسدها ويصد عنها.

ومهما كان لسؤال ❀ لن نجمع عظامه ❀ جواب الأولوية: ❀ بلى قادرين على أن نسوى بنانه ❀ فليس لسؤال ❀ ايان يوم القيامة ❀ إلا عرض مشهد من مشاهد القيامة تشترك فيه المشاعر الإنسانية والمشاهد الكونية، فسوف يرون أنفسهم فى نفس الجواب، وأما هنا فلا جواب عن زمن الحساب إلا أن الله عنده علم الساعة: ❀ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ (٧) وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١٠) ❀

كجواب سريع خاطف حاسم دون تريث وحتى فى موسيقا اللفظ، إيحاءً أنه لا جواب عن زمن القيامة إلا عرضاً لمشهده.

و برق البصر اضطرابه وتجوُّله من خوف وتخطُّفه وتقلُّبه، سواء بصر القلب أو القلب: ❀ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ❀ (٣٧:٢٤) وشخصه من وطأة الطامة: ❀ فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ❀ (٩٧:٢١) برقاً يبرز فى البصر ويضرب إلى أعماق ذات البشر: ❀ مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفتدتهم هواء ❀ (٤٣:١٤) برقاً فى قيامة الإمامة والتدمير إذ ترجف الراجفة، ثم برقاً فى قيامة الإحياء والتعمير، إذ تتعبها الرادفة: ❀ إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ❀ (١٠:٣٣). ❀ وخسف القمر ❀ خسوفاً بنوره وخسفاً بكيانه، ومن أسباب خسفه أن تدركه

الشمس وتقضى عليه حين تكويرها:

❖ وجمع الشمس والقمر ❶: جمع كل في نفسه، وجمعت الشمس إلى القمر لتحيط به بعد الفراق المديد، فلم تكن الشمس مادامت شمساً لتدرك القمر ولا القمر ما دام قمراً ليدرك: ❖ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ❷ (٤٠:٣٦) ولكنهما إذا قامت القيامة يخرجان من لا ينبغي إلى ينبغي، فاذا يخسف القمر خسوفاً في نوره، تدركه الشمس لانتهاء كيانه وخسفه، فمن معانى كور الشمس جمعها إلى القمر لتجمعه عن قمريته، كما جمعت هي عن كونها شمساً، فجمع الشمس هنا يشير إلى تكويرها في نفسها وكورها إلى القمر وعلى القمر^٢ وحقيق لهذا الخسف والجمع أن يبرق البصر ويذهل البشر، فمن معانى برق البصر أن ينظر إلى برق:

❖ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ❸ فمهما اختلق الإنسان هنا لنفسه مفراً عن الحساب وتكاليف يوم الحساب، فما يصنع يومئذ وهو في واقع الحساب يوم الحساب، إلا أن يقول متحسراً متحيراً ❖ أين المفر ❹؟ متساءلاً نفسه وأهل الحشر، بكل فزع وارتياح - إذ لا يجد مفراً من قهر الله ونكاله - أين المفر الذى كنا نحسبه: ❖ أياحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه... إيان يوم القيامة ❺ فهذا هو يوم القيامة، وقد جمعت عظامك وسويت بنانك فـ ❖ أين المفر ❻؟ زمانه ومكانه:

❖ كلاً لا وزر ❷ وهو الملجأ الذى يلتجىء إليه من الجبل، فلا ملجأ حينئذ إلا الله، ولا مستقر إلا إليه:

❖ الى ربك يومئذ المستقر ❸: مستقر رحمة لك ولمن معك: ❖ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ❹ (٢٤:٢٥) ❖ خالد بن سعيد في حربه مستقراً

١ . لم يقل: وجمعت الشمس والقمر، ليدل بتذكير الضمير أن المجموع هنا هو كل منهما في نفسه، وكل مع زميله، جمعاً من جهتين.
٢ . راجع ص ١٣٧ - ١٤٠ من الجزء الاول من الثلاثين علي ضوء «إذا الشمس كورت».

ومقاماً ﴿٧٦:٢٥﴾ ومستقر لعنة وعذاب لغير المؤمنين: ﴿٦٦:٢٥﴾. ومقاماً ﴿٦٦:٢٥﴾.

﴿٦٦:٢٥﴾ ينبئو الانسان يومئذ بما قدم وأخر ﴿٦٦:٢٥﴾: تنبؤاً بالبصر ﴿٦٦:٢٥﴾ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴿٦٦:٢٥﴾ وتنبؤاً بالبصيرة إذ ﴿٦٦:٢٥﴾ يتذكر الإنسان ما سعى ﴿٦٦:٢٥﴾ ﴿٣٥:٧٩﴾ وبما أن النبأ خبر ذو فائدة عظيمة، فعائدة تنبؤ الإنسان هي واقع الحجة له وعليه سراً وعلائية، وليعرفها أهل الموقف أيضاً ويشهدوا مع الشاهدين: بما قدمه من عمل قيل فوته، وما أخره بعده من آثاره خيراً وشرأ: ﴿٦٦:٢٥﴾ ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين ﴿٦٦:٣٦﴾ ورغم أن الأعمال تحضر كلها، فبعضها منقطع الأثر فهو مما قدم، وبعضها باق بآثاره فهو مما أخر وعلى حد المروي عن باقر العلوم (ع) وكل داخل فيما قدم بمعنى آخر هو حضور العمل منقطع الأثر أو ثابتة: ﴿٦٦:٢٥﴾ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴿٦٦:٣٠﴾.

﴿٦٦:٣٠﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾

فما هذه البصيرة؟ هل هي الإنسان نفسه: بالغ في الإبصار على نفسه قلباً وقالباً، لمكان تاء المبالغة، ومختص بهذه البصارة عليه، لمكان تقدم الظرف ﴿٦٦:٣٠﴾ على نفسه ﴿٦٦:٣٠﴾ فهو هو، لا سواه من أمثاله، يعلم من نفسه سرها وعلايتها، يحيط بها حيطه العلم الجامع الجامح، لا يعزب عن نفسه شيء من مداخلها ومخارجها، بصيرة يوم الدنيا بما له وعليه ومعها وفيه ومنه: من خير وشر، وبصيرة يوم الدين: حجة عليه وشاهداً بما اقترفت من ذنب واحتملت من وزر ويبصر كذلك ما عمله من أعمال وما قاله من أقوال، فهو بصيرة على نفسه على طول الخط ﴿٦٦:٣٠﴾ ولو ألقى معاذيره ﴿٦٦:٣٠﴾ وان لفق

١ . البرهان ٤ : ٤٠٦ القمي عن ابي جعفر الباقر (ع) في الآية: بما قدم من خير وشر وما اخر من سنة ليستن بها من بعده فان كان شراً كان عليه مثل وزرهم ولا ينقص من وزرهم شيئاً وان كان خيراً كان له مثل اجورهم ولا ينقص من اجورهم شيئاً.

الأقويل وتعلق بالمعاذير: آلات العذر وأداته الملقاة يوم الدنيا ويوم الدين، علّه ينجو من الحساب والعقاب، ❊ ولو ألقى معاذيره❊: ألقى ستوره مستخفياً، وأغلق أبوابه متوارياً، فانه هو رقيب على نفسه، عالم بمستسر غيبه، فيما يقارفه من معصية، أو يفارقه من طاعة، أو يقاربه من ريبة.

هذا؟ أم هذه البصيرة هي الشهود عليه من خارج ذاته، إضافة إليه، فعلى نفس الإنسان شهود وحفاظ هي بصيرة عليه، لا يفلت منهم فالت ولا يعزب عنهم عازب، مهما تستر وألقى معاذيره: ستوره، ومهما اعتذر بأسباب يختلقها ويلقيها علّه ينجوا، فانه محاط بذاته وأفعاله بـ ❊ بصيرة❊ إلهية وملائكية وبشرية ورسالية❊ فالله على ما تعملون بصير❊ و ❊ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد❊ ورسل الله وأنبيائه كذلك شهداء بصيرة، فهو غريق في يَمِّ البصيرة من دواخل ذاته، فانه على نفسه بصيرة، ومن سواها، فان الله قرر على الإنسان عيوناً بصيرة❊ ويرسل عليكم حفظة❊ (٦:٦) وحتى أعضائه بصيرة عليه تتلقى أعماله يوم الدنيا، وتشهد عليه يوم الدين.

هذا أم ذاك؟ كلٌّ محتمل، والجمع أتم وأجمل، وإن كان الثاني يشمل الأول: ❊ إن الانسان على نفسه❊ حفاظ وشهود❊ بصيرة❊ من دواخل ذاته وخوارجها وإن كان الأفضل أدبياً هو الجمع بالدالتين.

وقد استدل الراسخون في العلم بآية البصيرة على أن الإنسان أعلم بنفسه من غيره فيما ينويه أو يفعله، وهو حجة على نفسه يحتج الله بها عليه في الدارين^١.

١ . من لا يحضره الفقيه عن زرارة قال: سألت ابا عبد الله (ع) ما حد المرض الذي يفطر فيه الرجل ويدع الصلاة من قيام؟ فقال: «بل الانسان على نفسه بصيرة» هو اعلم بما يطيقه، والكافي عنه (ع) قال: ما يصنع احدكم .

٢

القيامة يوم عظيم

يقوم خير الناس لرب العالمين

سورة المصطفين - مكية - وآياتها ست وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

هذه السورة تهدد المطففين شؤون الناس وحقوقهم، المقتسمين الحقول بينهم وبين الناس قسمة ضيزى، كأنهم يملكونهم بأنفسهم وأموالهم، يحسبونهم قطب الرحي تدور عليهم ولصالحهم الكائنات كل الكائنات.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١):

فالويل هو الهلاك والخسار والبوار والدمار، لفظة تقال في مواقف التأؤه والتقبيح، لفظة الذم والسخط لمن يسببون الولايات النفسية والعقائدية والإقتصادية والعلمية.. وهؤلاء الذين يهددهم القرآن بالويل، هم ويل في صفاتهم وأفعالهم وأفكارهم وتصرفاتهم، فذواتهم ويل... أينما حلت، لأنفسهم ولمجتمعهم.

والويل من الله ليس دعاءً والتماساً، فمن هذا الذي يلتمس منه ربنا لتحقيق غير الحاصل؟ اللهم إلا نفسه المقدسة، فهل يا ترى إنه يلتمس من نفسه؟! كلا وإنه خبرٌ لادعاء، يخبر عن واقعهم أنه ويلٌ ما عاشوا تلكم التخلفات، ويلٌ في الأولى والآخرة.

والتطفيف - رغم ما يقال - لا يختص بالمال ولا بالشئ القليل الطفيف، فهل إن واقعة الطف - تلك الحادثة الدامية الكبرى! - هل إنها كانت خفيفاً طفيفاً؟

كلا: إنه الانتقاص بحق الآخرين وبخسهم في أشياءهم: أنفسهم ونفائسهم ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تُبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧:٨٥).. أشياءهم كل أشياءهم: الأشياء النفسية؛ العقلية والإيمانية والعلمية والعرضية وأشباهها، والأشياء المالية وكل ما يتعلق بالناس أياً كان.

وبعد كل ذلك فالآيات التالية تفسر التطفيف دون حاجة إلى مفسر سوى القرآن:
 ❁ الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴿٢﴾.
 ❁ الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون ﴿٢﴾:

فالاكتيال يوحى بالإحتيال فى الشراء، ثم ❁ على ﴿٢﴾ هنا بدل ❁ من ﴿٢﴾ توحى إلى
 الاضرار والبخس والتطفيف فى هذا الاكتيال الاحتيال، احتيال فى الإضرار، فلم يقل:
 إذا كالوا من الناس وهو يعنى أخذ الحق وافياً دون نقصان، على أن أخذ الحق فى
 الاشتراء لا يخلف ويلاً، اللهم إلا إذا جمع مع بخس الحق فى البيع، وليس هذا تطفيفاً
 فى كلتا الحالتين، وإنما فى البيع فحسب، والظاهر هنا أن كلا البيع والاشتراء تطفيف.
 إنهم يستوفون فى اکتيالهم بشتى ضروب الاحتيال والزور والغور، كأن لهم سلطاناً
 على البائعين يجعلهم يستوفون كما يهونون فوق حقهم بسلطان الرئاسة والجاه القبلى،
 وسلطان حاجة الناس المدقعة لما فى أيديهم، واحتكارهم للتجارة لحدّ يضطر الناس
 إلى تقبل هكذا اکتيال عليهم...

وليس استيفاؤهم من أموال فحسب، بل ومن أرواحهم ومشاعرهم أيضاً عن طريق
 العقائد الباطلة، فهم عندما يشترون منهم ما عندهم ببخس الثمن واستيفاء المثلث،
 يشترون كيانهم أيضاً ويملكونهم بأموالهم، فهم محتكروا النفوس والنفائس.. يملكون
 أحوالهم وذاتياتهم ببخس الثمن كما يملكون أموالهم به.
 ❁ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴿٣﴾:

ومرة أخرى يملكونهم عندما يبيعونهم، فلا يكيلون لهم ولا يزنون، وإنما يكيلونهم
 ويزنونهم: أنفسهم وأموالهم وكيانهم ككل، فيخسرونهم هنا كما أخسروهم هناك، ملكية
 معقدة مزدوجة، دون أن يبقوا لهم رمقاً ولا نفساً ولا نفساً، وهذا أخطر دركات
 التطفيف، وقد يكون الإشتراء السليم والبيع المخسر داخلاً فى نطاق الآية ولكنه تطفيف
 طفيف لا ويل له إلا فى هكذا جمع خاسر وقسمة ضيزى، أنه يستوفى حقه مشترىً
 ولا يوفى حق الآخرين بائعاً، ولكنما الويل كل الويل لمن يخسر فى الحالتين، ولذلك
 نرى الإسلام يرفع صوته عالياً معلناً لحرب الويل فى وجه البخس الساحق الماحق

على جمهرة المطّفين المستغلين المسيطرين على الجماهير الفقيرة المحطمة البائسة، دون أن يخذّرهم ويمأوهم على الظلم والضييم حياتهم.

فهذا سوط الإسلام وصوته يرفعه عالياً على رؤوس الفرعونية الكافرة والقارونية الجائرة، والبلعمية المائرة، ثالث منحوس طول التاريخ: الإستعمار والإستثمار والاستحمار، وقد تجتمع في شخص واحد، ثلاثة في واحد، وواحد يحمل ثلاثة، فرعون قارون بلعم، إله واحد في أقانيم ثلاثة! يستحمر الناس فيخذّرهم ويصبرّهم على الظلم والضييم، ويستعمرهم ويستثمرهم، ورمزاً إلى الحرب شعواء ضد هذا الثالث يؤمر الحاج أن يرمى الجمرات الثلاث إشارة إلى وجوب ضرب الثالث ابتداء من الشيطان الأكبر، جمره العقبة. ثم مردته، ولكيلا يكبروا فيصبحوا كمولاهم.

والقرآن يرفع سوط الويل من هذا الثالث المنحوس ويحرض الشعوب المحطمة لينهضوا نهضة مدمرة لإيقاف هذه النحسة عند حدها، وليعيش الناس على رغد الأمن والعيش، في حياة سليمة مسلمة غير مستسلمة للظلم والضييم.

فكما الويل للمطّفين، كذلك هو للمطّفين الذين يحنون ظهورهم لمن يستحمرهم ويستثمرهم ويستعمرهم ويمتص دماءهم، اللهم إلا الضعفاء الذين لا يعرفون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فعلى المؤمنين ذوى الحنكة والقوة الحفاظ عليهم والدفاع عنهم.

فآية التطفيف لا تختص بالطفيف منه مهما كان مورد نزولها تطفيف الكيل في المبايعات، فقد ﴿نزلت على نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قدم المدينة وهم يومئذ أسوء الناس كيلاً فاحسنوا الكيل﴾ وحذرهم الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تطفيف الكيل^٢ ولكنما الآية تذكر الكيل في الاشتراء كمثال، كما

١ . الدر المنثور ٦: ٣٢٤ عن ابن عباس ورواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره عن أبي الجارود.

٢ . الدر المنثور ٦: ٣٢٤ عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم و لاطفوا الكيل إلا مزعوا الذببات وأخذوا بالسنين.

وفى تفسير الرازي (ج ٣١ : ٨٨ - ٨٩) «وقيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون وكانت بياعتهم

توحى إليه إضافة الوزن فى البيع، ودون اختصاص بكيل شىء أو وزنه، وإنما
 ❁ كالأولهم أو وزنهم ❁: كيل المشترين ووزنهم بما يتعلق بهم، كأنما الباعون لهم
 والمشترون منهم هم مُتَعٌ لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا قدر رحمة المطففين، يعيشونهم
 ذلك العيشة وأنذل من عيشة الحيوان، ولكى يعيشوا مترفين على مساعى هؤلاء
 المستضعفين المنكوبين المرضوضين، عمالٌ لا يحق لهم الحصول على ما يحصلون!..
 ❁.. أ لا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليومٍ عظيمٍ (٥) يومَ يقومُ الناسُ لربِّ
 العالمين (٦).. ❁ .

والظن هنا مطلق الاعتقاد الراجح، عقلياً أو قلبياً، فالمعتقدات العقلية - غير
 المتعاملة مع الواقع العملى - هى ظنون قلبية، وإلى درجة الشك والنكران، والمتعاملة
 منها مع الواقع هى ظنون قلبية إلى الصعود وإلى درجة اليقين القلبى، والظنون العقلية -
 غير المتعاملة مع الواقع العملى - هى ظنون قلبية، وإلى درجة الشك والنكران،
 والمتعاملة منها مع الواقع هى ظنون قلبية إلى الصعود وإلى درجة اليقين القلبى،
 والظنون العقلية هى شكوك فى القلب، وحق الظن أياً كان أن يردع الإنسان عن
 التخلف، سواءً أكان ظناً عقلياً فشك قلبى، أو يقيناً عقلياً فظن قلبى، فأى منهما حصل
 - لم يحترم عقله ويخاف سوء الحساب - إنه كاف أن يكفّه عن التطفيف وأكل أموال
 الناس وإيكاها، وهدر نفوس الناس وإبطالها، وساتخدام سلطان الزور بحقهم،
 فالأعمال ليست إلا صوراً واقعية عن نفسيات الإنسان، وعلى حدّ تعبير الإمام الصادق
 (عليه السلام): ❁القلوب أئمة العقول والعقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس

المنا بذة والمامسة والمخاطرة فنزلت هذه الآية،
 فخرج رسول الله (ص) فقرأها عليهم وقال: خمس بخمس،
 قيل: يا رسول الله (ص) ما خمس بخمس؟ قال: ما نقص قوم
 إليعهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما
 أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر و ما ظهر فيهم القاحشة
 إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا
 الذببات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس
 عنهم المطر».

والحواس أئمة الأعضاء^١.

ومن أعجب العجائب أن يقين الحساب يتمثل شكاً في الواقع، وعلى حد تعبير الإمام الرضا (عليه السلام): ﴿ما خلق الله يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت﴾^٢.

﴿ألا يظن أولئك﴾

فالامبالاة هذه في تصرفاتهم تشهد كأنهم لا يظنون البعث لأى مرحلة من مراحل الظن، وبعضهم كأنهم يوقنون بعدم البعث!. والخطاب العتاب هذا، تنديد بمن يظن ومن لا يظن، فالأولون يحق لهم بحكم ظنهم بالحساب أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا وأن يزوها قبل أن يوزنوا، فلا يطففوا في معاملاتهم مع الناس في أموالهم وأحوالهم. والآخرون كان عليهم أن يعتبروا بالآيات الآفاقية، ويتذكروا بفطرهم وعقولهم أن البعث والحساب حق لا محيد عنه.

وقد عبّر عن يقين العقل هنا بالظن - حيث يشمله - توهيناً لهكذا يقين، كيف لا يظهر في العمل الخارجى! عكس ما عبّر عن يقينه الصالح بالظن في قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ (٢: ٤٥) فما أن الخشوع من حالات القلب، فظن الخاشعين كذلك قلبى وليس عقلياً، هذا ظن الذين يجعلهم خاشعين لله خاضعين، فليست الصلاة ولا سواها من تكاليف، كبيرة لهم ثقيلة.. فهذا الظن لا يظهر في العقل إلا كدرجة عالية من درجات اليقين، كيف لا! والكثير من المصدقين بعقولهم لا يخشعون ولا يصدقون بأعمالهم.

وقد أول الظن هنا وهناك باليقين في المروى عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) دون أن يكون تفسيراً لغوياً وإنما جرى وتطبيق: ﴿الظن ظنّان ظن شك وظن يقين،

١ . بحار الأنوار، باب العقل والجهل.
٢ . الخصال للصدوق بالاسناد عنه (ع).

فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين، وما كان من أمر الدنيا فهو على الشك^١ وهو يعتبر الظن في الآيتين ظن اليقين^٢. مهما كان في آية المطففين شاملاً لظن الشك أيضاً، فإن الإمام بيّن هنا المصدق الخفى - ظن اليقين - دون نكران لسائر الظن. ألا يظن أولئك الظانون حتى يدفعهم ظنهم إلى العدل في الناس، ولم يظن هؤلاء الشاكون في البعث، ودلائل العلم باهرة وشواهد ظاهرة.

ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم؟! عظيم ما أعظمه مدى الدهر إذ يقوم الناس بأرواحهم وأجسادهم من أجداتهم، يقومون لأعظم عظيم، لله رب العالمين، لحساب عظيم، يقوم هذا الصغير الصغير لغير النهاية، لهذا العظيم العظيم لغير النهاية، يقومون له لا إليه، فإن رب العالمين لم يكن بعيداً عنهم قبل قيامهم و في دنيا الحياة، مهما كانوا - هم - عنه بعيدين.

فهم يومئذ يقومون له، بعدما كانوا قائمين في دنيا الحياة لأنفسهم إلا قليلاً، فهؤلاء القلة القائمة لله طوال الحياة، يقيمهم الله له ليريهام أعمالهم بالحسنى، والكثرة القائمة لأنفسها يقيمهم الله ليجازيهم بما عملوا جزاءً وفاقاً، ﴿قَوْمَا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ يوم الدنيا، ولكي تقوموا له أيضاً يوم الدين فيقيمكم في عليين.

يوم يقوم الناس لرب العالمين: ليروا ربوبيته العالمية حقها يوم الجزاء، فإن ربوبيته تعالى يوم الدنيا قائمة على أساس الإختيار والإختيار والتكليف، ثم هي قائمة يوم الدين على أساس الحساب والجزاء.

إنه يوم القيامة، لقيام الناس ﴿يوم يقوم الناس﴾ وقيام الإشهاد ﴿يوم يقوم الإشهاد﴾ وقيام الحساب ﴿يوم يقوم الحساب﴾ وقيام عالم جديد بعد خراب العتيق ﴿وأزلفت الجنة للمتقين. وبرزت الجحيم للغاوين﴾ (٩٠:٢٦) قيامات وقيامات في قيامة واحدة، ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

يوم يقوم الناس - متجردين - لرب العالمين، ليس لهم يومئذ مولى سواه، ولا رب

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٢٨ عن الاحتجاج للطبرسى.
٢ . نورالثقلين ٥ : ٥٢٨ عن الاحتجاج للطبرسى.

سواه، فقد ضلت الأرباب، و تقطعت الأسباب، والأمر يومئذ لله.

❖ ... كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينُ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلٌّ مُعْتَدِ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ (١٧) ..❖

❖ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ (٧) ❖

الفجار هم الذين يفجرون ستر العبودية والحياء، المتجاوزون الحدود المقررة لهم، الها تكون لها، والفجور يقابل التقوى وهي الحفاظ على شؤون العبودية: ❖ ونفس وما سواها. فآلهما فجورها وتقواها ❖ (٩١: ٧ - ٨).

والكتاب هنا وفي أمثاله هو كتاب الأعمال ومسجلاتها الضوئية، صوتية وصورية، أن تُسجّل في نفوس الفجار وفي أعضائهم وفي الأرض والفضاء كما تدلنا آيات سجلات الأعمال والأقوال، فإن الكتاب هو المكتوب أي المثبت، والأشياء الثابتة عن المكلفين، التي تليق أن تكون حجة لهم أو عليهم يوم الدين، إنها ليست إلا صور الأعمال وأصوات الأقوال، وكما يروى عن الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ❖ إن الملك يرفع العمل للعبد يرى أن في يديه منه سروراً حتى ينتهي إلى الميقات الذي وصفه الله له فيضع العمل فيه فيناديه الجبار من فوقه: إرم بما معك في سجين، وسجين: الأرض السابعة، فيقول الملك ما رفعت إليك إلا حقاً فيقول صدقت إرم بما معك في سجين ❖!.

وهذه الأعمال الشريفة الفاجرة تجعل من روح الفاجر سجيناً كما أنها أيضاً سجين، وهي تدخل سجين، وعلى حد قول باقر العلوم (عليه السلام): ❖ وأما الكافر فيصعد

١ . الدر المنثور ٦ : ٣٢٥ ، أخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : حدثني رسول الله (ص) . . .

بعمله وروحه حتى إذا بلغ السماء نادى منادٍ اهبطوا به إلى سجين.. ﴿٩﴾^١ والسجين مبالغة في السجن، وكتاب الفجّار بأنفسهم وأعمالهم لفي سجين، سجين لا يظهر تماماً يوم الدنيا، وهو يبرز تماماً يوم الدين.

﴿٩﴾ كلاً إن كتاب الفجّار لفي سجين ﴿٩﴾: ليس كما يزعمه المطففون والمجرمون كل المجرمين أنهم متحللون عن أعمالهم وعقباتها، فلا حساب ولاجزاء، وأنهم أحرار يوم الدنيا وأحرار كذلك يوم الدين، لو كان هناك حساب أو لم يكن.. إنهم يزعمونهم أحراراً وليسوا إلا في سجين، فأرواحهم سجون الفضائل والمعطيات الربانية، تسجنها وتدفعها، وأعمالهم سجون لهم ولمجتمعهم، هؤلاء المطففون وأمثالهم البخلاء الذين يحصرون ويسجنون كل شيء لهم ولشهوواتهم، ولا يسمحون لأحد حرية إلا ويحددونها، ولا ثروة ذلاً ويستغلونها، ولا وجهة إلا ويستقلونها.. فيحسبون أنفسهم كل شيء، ولا يعتبرون غيرهم إلا خداماً لهم ولكي يستعمروهم ويستثمروهم ويستحمروهم..

فهؤلاء الفجار البخلاء الذين ليس كيانهم في المجتمع إلا أنهم سجون للناس وهم أحرارٌ في استغلالهم، ويسحبونهم أنهم يحسنون صنعاً. هؤلاء هم السجين، أنفسهم، نفوسهم وأعمالهم، إنهم أولاً وأخيراً سجين وفي سجين.

﴿٩﴾ وما أدراك ما سجين (٨) كتاب مرقوم ﴿٩﴾: (٩):

هنا تبرق حقيقة - كانت خفية - هي أن السجين - وفي القيامة - هو كتاب مرقوم، وهو الخط الغليظ، إنه ليس كتاباً مخطوطاً بالمداد لكي تكون دلالتة غير ظاهرة وتقابله للتأويل أو التكذيب، وإنما ﴿٩﴾ كتاب مرقوم ﴿٩﴾ مكتوب بخط غليظ، بقلم القدرة والنور، حيث تكتب وتسجل صور الأعمال وأصوات الأقوال في نفوس المجرمين وأعضائهم وسواها.

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٣٠ نقلاً عن مجمع البيان.

فلو كان الكتاب السجين مخطوطاً بالمداد هي الحاجة لتوصيفه بالمرقوم؟ فكل كتاب من شأنه أن يحمل - ولا أقل - خطوطاً... ثم كيف يكون كتاب الفجّار في كتاب مرقوم، فهل كتاب في كتاب؟

فإنما السجين، وهو سجين الجحيم ومن أسجن ما فيه من السجون، إنه ليس إلاّ نفس النفوس والأعمال، فإنها الكتاب المرقوم، الظاهر الذي لا يمكن إنكاره.

فكتاب الفجّار، وهو الاضبارات والمسجلات لأعمالهم الفاجرة، هذا الكتاب في سجين، في كتاب مرقوم، مما يدل على أن سجين الجحيم ليس إلاّ أعمالهم، كتاب فجورهم، الذي كان خفياً عنهم يوم الدنيا، ثم يبرز مرقوماً ظاهراً يوم الدين: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (٥٠: ٢٢).

هذا وكما يقال أن خلافاً هذا لفي سجن، إشارة أن السجن نتيجة الخلاف، كذلك كتاب الفجّار، نفوسهم الفاجرة بأعمالهم الشريرة، إنها لفي سجين، لفي جحيم هي حقيقة تلكم الأعمال، يحرق الفاجر بما أوقده، بوقوده الذي هو نفسه وأعماله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ (٢١: ٩٨).

لذلك نرى بعد آيات عدة يقول: ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ أي: لمحرقوا الجحيم، بماذا؟ بكتاب الأعمال، بالأعمال أنفسها، وبالنفوس المجرمة الشريرة. إذاً فكتاب الفجّار هذا هو في نفسه الجحيم وهو السجين، وهو الكتاب المرقوم، الواضح الخط، الغليظ المحتوى.

إن كتاب الفجّار - الخفي يوم الدنيا، غير المرقوم في أبصارهم الكليّة - سوف يكون في كتاب مرقوم، وسوف يخرج عن الخفاء، ﴿فبصرك اليوم حديد﴾، فالكتاب الخفي ﴿كتاب الفجّار﴾ هو في كتاب جليّ في النهاية، كما كان الجليّ في الخفي في البداية، وكلاهما سجين و في سجين، سجين يوم الدنيا وسجين يوم الدين.

أو إنه كتاب مرقوم ليوم الدنيا ويوم الدين، مرقوم لمن رقمه مهما كان خفياً في الأولى عن أبصار الناظرين، وهذا الكتاب المرقوم لفي سجين، في حفاظ الله تعالى دون أن يمحي منه شيء إلى أن يشهد يوم الحساب، فمعنى الآية إذاً:

إن أعمال الفجار لفي سجين إلهي، محفوظ ثابت، والسجين هو الكتاب المرقوم،
ظاهر بذوات الأعمال والأقوال.

فيا لهذا الكتاب المرقوم من جلاء وظهور، مرقوم بخطه الذاتي إذ كتب: ﴿إنا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ (٢٩:٤٥).. ويا له ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ (٤٩:١٨).. فهكذا رُقم أولاً.

ثم يتحول رقمه هذا - الظاهر - إلى رقمه الملكوتي الحقيقي، تحوّل الأعمال إلى
نتائجها، جزاء ذاتي بنفس الأعمال، دون أن يكون جزاءً قانونياً فقط، إنما جزاء
تكويني: أن تتحول الأعمال إلى نتائجها ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه
سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (٤٢:٥٣) يجزى الساعي نفس سعيه، الجزاء
الأوفى، جزاءً وفاقاً في السيئات وجزاء كريماً في الحسنات.

فالإنسان نفسه كتاب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿ويل يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين﴾ (١١) ﴿:

واحسرتاه في ذلك اليوم العصيب إذ برزت كتب الفجار بأرقامها، للمكذبين يوم
الدين، أفهل يكذبون أيضاً بما عملوه يوم الدنيا حيث يظهر مرقوماً يوم الدين؟
﴿وما يكذب به إلا كل معتد أثيم﴾ (١٢):

فإنما الإعتداء والإثم هما القائدان صاحبهما إلى التكذيب بيوم الدين، فالفطرة
السليمة لا تكذب، والعقل لا يكذب، وواقع الحياة لا يكذب، وإنما المعتدى الأثيم
يكذب به، ولكيلا يرى أمامه عقبة كثودة، يكذب بالجزاء العدل الوفاق مهما صدق
بالبعث، إلا أنه بعث عبث، أو يصدق بالحساب، لكنه حساب فوضى، ومهما يكن من
شيء فالمعتدى الأثيم يركز في جرمه على نكران الجزاء الوفاق، ولكي يصدقه البسطاء
المتخلفون، يكذب آيات البعث والحساب ضمن ما يكذب، رامياً لها أنها من أساطير
الأولين خرافاتهم، ليسى لها أصل سماوي، أو إذا كان فإنما هو من الديانات السابقة
فلا جديد إذاً في القرآن يفرض علينا اتباعه:

﴿إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) ﴿

خرافاتهم وأوهامهم المختلقة المسطورة التي تنتقل للتفكك، أو الآيات التي نزلت على أنبياء الله من قبل، إذاً فلا جديد في القرآن من حقائقه وخرافته: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ (٢٤:١٦) أنزل في قرآنه ما كان ينزله في كتاباته من قبل: ﴿وقالوا أساطير الأولين أكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾ (٥:٢٥) ﴿لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (٨٣:٢٣).

فأين ﴿آياتنا﴾؟ وأين ﴿أساطير الأولين﴾؟ فآيات الله هي بأنفسها تدل على أنها إلهية إذ لا يسطع عليها إلا الله، والأساطير الخرافية بأنفسها تدل على أنها من غير الله، بل ومن السفهاء، ومن حماقة التعبير أن يقال عن آيات الله أنها أساطير الأولين، وليس هكذا حكم أحق إلا لأن قلوبهم أصبحت مقلوبة بما كانوا يكسبون، فليست هنا أية حجة ودافع لهم في هكذا تعبير ذل رين قلوبهم الناتج عن الإعتداء والإثم المتواصلين، فبين القلوب والأعمال تعامل مزدوج يؤثر فساد كل في الآخر، كما يؤثر صلاحه في صلاح الآخر.

إن فريتهم هذه على آيات الله البيّنات يدفعها عجزهم عن الإتيان بمثلا، وذن ادعوا أنهم قادرون عليها ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (٣١:٨).

فلو استطاعوا لأتوا بسورة مثله وهم يحتالون كل الحيل أن يعارضوها، وهم بأمسّ الحاجة لعرقلة دعوة القرآن، ولكنهم لم يفعلوا ولن ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم

١ . أساطير إما جمع الجمع، أي: أسطر وأسطور وأسطور وأسطار، فهو بمعنى ما سطره وكتبه الأولون، أو جمع أسطور وأسطير وهو أيضاً ما يكتب، ولكنما الأسطور هو الحديث الذي لا أصل له، فالأساطير أعم مما سطره الأولون ولا أصل له أو ما له أصل قديم، وعلى الوجهين، فرمى القرآن بأنه أساطير الأولين تجعله لا شيء، إما أنه لا جديد فيه وإن كان صحيحاً، أو أنه من خرافات الأولين!

تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴿٢٣﴾ (٢):
٢٣ - ٢٤).

لا يقدر على ذلك لا أهل الكتاب من كتابات الوحي، ولا المشركون - وأحرى -
من كتابات الأساطير.

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾

إنها ليست آيات الله هي الأساطير، وإنما هي شمس الهداية لأولى الأبصار دون
عميان القلوب ﴿ وانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾
(٢٢:٤٦) ﴿ فإن كثرة الذنوب مُفسدة للقلب ﴾^١ و ﴿ هي ترين كما يرين السيف
وجلائه ﴾^٢ وهي تُقلب بمواقعة الخطيئة فيصير أسفله أعلاه وأعلاه أسفله كما عن
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله
وسلم).^٣

والقلوب هنا وفي سواها من آيات هي قلوب الأرواح، التي هي بيضاء بما فطرها
الله تعالى، وهي تشتد بياضاً بمواصلة الطاعات، وتسودُ بمتابعة السيئات إلى أن تصل
إلى مرحلة الختم فلا ترى أبصارها نوراً وإنما تعمي عن مشاهدة الحقائق ﴿ كذلك

١ . كما في الدر المنثور ٦ : ٣٢٦ عن أبي الخير
قال: قال رسول الله (ص): أربع خصائص تفسد القلب،
مجاراة الأحمق، فإن جاريته كنت مثله وإن سكت عنه
سلمت عنه، وكثرة الذنوب مفسدة للقلب، وقد قال: بل
ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون، والخلوة بالنساء
والاستمتاع منهن والعمل برأيهن ومجالسة الموتى،
قيل: وما الموتى، قال: كل غني قد أبطره غناه.

٢ . نور الثقلين ٥ : ٥٣١ عن الكافي بإسناده عن
النبي (ص) قوله: تذكروا وتلاقوا وتحدثوا فإن
الحديث جلاء للقلوب، إن القلوب ترين كما يرين
السيف وجلائه.

٣ . وفي الدر المنثور ٣٢٦ عن عبدالله بن عمر عن
النبي (ص) في حديث: ولن يعذب الله أمة حتى تعذر،
قالوا: وما عذرها؟ قال: يعترفون بالذنوب ولا يتوبون
ولتطمئن القلوب بما فيها من برها وفجورها كما
تطمئن الشجرة بما فيها حتى لا يستطيع محسن زياد
إحساناً ولا يستطيع مسيء اسعتاباً، قال الله: كلا بل ران
علي قلوبهم ما كانوا يكسبون.

يطيع الله على كل قلب متكبر جبار ﴿٤٠:٣٥﴾.
 أجل - إن مكاسب السوء تُعمى القلوب وتجعلها مقلوبة ترى كل شيء عكس الواقع، فإنها تحجبها عن النور وتحجب النور عنها وتفقد الحساسية شيئاً فشيئاً حتى تتلبّد وتموت.

فمن غفل عن ذكر الله واتبع هواه أغفل الله قلبه: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ (٢٨:١٨) وإثم الجوارح ينحدر إلى القلوب فتصبح آثمة كما هي ﴿ولا تكتنوا الشهادة ومن يكتنمها فإنه آثم قلبه﴾ (٢٨٣:٢) وذكر آيات الله البيّنات ليست إلا لمن كان له قلب واع ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (٣٧:٥٠) ومن ختم على قلبه بمكاسبه السوء ليس له قلب فلا يتذكر بآيات الله دون المؤمن البصير ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾ (١١:٦٤).

﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (١٥).

ليس كما يزعمه المجرمون أن لهم الحسنى فى الآخرة أيضاً كما لهم فى الدنيا على حد قولهم: ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رُجعت إلى ربى إن عنده للحسنى فلنبننّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ (٥٠:٤١).

﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ .. كما حجّبوا أنفسهم يوم الدنيا عن البيّنات فحتم الله على قلوبهم، كذلك يحجبهم عن ربوبيته المتمثلة فى رحماته يوم الدين، ومن أعظمها جنّة المعرفة والرضوان، محجوبون عن ربهم لا عن الله، فذن الذات الإلهية محجوبة فى الدارين وعن العارفين بالله أيضاً فضلاً عن سواهم، وإنما يحجبون عن ربهم كما كانوا مجوبين عنه يوم الدنيا، رغم أنهم لا تظهر لهم الحقائق يوم الدين حقها فلا يبقى حجاب ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ (٢٥:٢٢)، ولكنهم بعيدون عن جناب الربوبية حجاب المعرفة والواقع.

هؤلاء هم الفجار، وأما المؤمنون فغير محجوبين عن ربهم، ف ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (٧٥:٢٢ - ٢٣) وجوه الأبصار إلى ربوبيته، الظاهرة فى نعمه،

ووجوه البصائر إلى ربوبيته الباطنة في معرفته وقربه ورضاه، رغم الفجار، ف ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ . تظن أن يفعل بها فاقرة ﴿٧٥: ٢٤ - ٢٥﴾ باسرة في الوجهين، كليلة في الحالتين: ﴿ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم﴾ (٧٧:٣).

إن هناك حجباً عن ذات الله وليست لله، فالخلق كلهم محبوبون عن ذات الله حجاب البصر والبصيرة، سواء المؤمن والكافر، وليس الله محجوباً عن ذوات المخلوقين، فهو أقرب إليهم منهم إلى أنفسهم ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (١٦:١٠).

وإن هناك حجباً عن الرب، عن ربوبيته ومعرفته، وليست إلا من الخلق لا من الرب، سواء حجب الظلمة وحجب النور، وقد تخرق هذه الحجب بما يسعى السالك في سبيل المعرفة حسب الشرع، وما يؤيده الله تعالى ويجذبه إليه وعلى حدّ تعبير الأمير عليه الصلاة والسلام: ﴿وأنزأبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق حجب النور فتصل إلى معدن العظمة﴾ وقد خرقت هذه الحجب كلها لمعراج الرسول الأقدس في مقام ﴿أو أدنى﴾! والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق.

فما بقي في قلب الإنسان نور، فبقدر هذا النور ينظر إلى معدن العظمة يوم الدنيا وبالآخرى يوم الدين.

فليس حجاب الفجار هو عن الرؤية لكي يعني أن المؤمنين سوف يرونت الله، ف ﴿إن الله تعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعني أنهم عن ثواب ربهم محبوبون﴾^١ ثواب الزلفى والمعرفة والرحمة، كل حسب سعيه. ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ (١٦) ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴿١٧﴾: هؤلاء المجرمون سوف يصلون الجحيم: يوقدونها بأعمالهم المرقومة، فلقد كان

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٣٢ عيون الأخبار عن الامام الرضا (ع) وفي التوحيد زوي عن على عليه السلام مثله .

كتابهم سجيناً وفي سجين، هذا هو وقود الجحيم، هم بأنفسهم المجرمة وأفكارهم وأعمالهم، أولئك هم وقود النار، وكما كانوا يوم الدنيا وقود النار.

فهذا جحيمهم النتائج عن أفكارهم وأعمالهم، يحرقون به، ثم مع الجحيم التائب مع ما شاهدوا من سوء أعمالهم وعله أمر من الجحيم وأدهى، يؤنبون بأمر عدة، منها ❀.. هذا الذي كنتم به تكذبون. ❀ كنتم تكذبون بيوم القيامة، قيامة الأموات وقيام الحساب والجزاء الوفاق، وإن النار تصلى بالأعمال والأفكار النارية فهي وقودها، ف ❀ إنما تجزون ما كنتم تعملون. ❀

❀.. كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ (١٨) وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤).. ❀
❀ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ ❀ (١٨):

كلا! ليس كما يزعمه الأشرار أن لهم عقبي الدار إن كانت لها عقبي، كما لهم دنيا الدار، فإن كتابهم لفي سجين طوال الحياتين على عكس كتاب الأبرار. وأما عليون فقد قيل إنه إسم أشرف الجنان كما أن سجيناً اسم لأشر النيران، وقيل: إن مفرده ❀ على ❀ كثير العلو، وعليون هم الأعلون المقربون.

هذا، ولكنما القرآن نفسه يفسر ❀ عليين ❀ بـ ❀ كتاب مرقوم يشهده المقربون ❀ ف ❀ عليون ❀ على أية حال يوحى بالوحى بالعلو العال، كما سجين يوحى بالسفال، فكتاب الأبرار إذاً هو عليون وفي عليين، وكما أن الأبرار هم عليون، علو الذات المنحدر إلى علو الأعمال والصفات، المسجلة في مختلف السجلات عالية ربيعة، ثم ظاهرة يوم القيامة في جنات عاليات ونعم خالادات، عكس ما كان كتاب الفجار.

فالأبرار هم عليون يدخلون بعليين الأفكار والأعمال في عليين الجنات، فمن هم الأبرار ومن هم المقربون الذين يشهدون كتابهم المرقوم؟

الأبرار جمع البر مقابل البحر، استعير منه التوسع في الخير، فالأخيار كلهم هم الأبرار، من خالق البر والأبرار ف ❀ إنه هو البر الرحيم ❀ (٢٨:٥٢) ومن سفرته

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦:٨٠) ثم سائر المتقين المقربين ومن دونهم. وآية الأبرار هنا إنما تعنى المتقين غير المقربين من الخلق أجمعين، فإن المقربين هم يشهدون كتابهم المرقوم، ثم الله ليس له كتاب مرقوم له أو عليه. فالمقربون هم المصطفون من الأبرار الذين قربهم الله تعالى إليه زلفى: ﴿السابقون السابقون. أولئك المقربون. ثلثه من الأولين. وقليل من الآخرين﴾ (١٠: ١٠ - ١٣) ولو كانوا هم كل المتقين لما كانوا قلة من الآخرين، وثلثه من الأولين، لأن شريعة الآخرين هي الخالدة إلى يوم الدين، فليكونوا هم الثلث والأولون القلة، كلا! وإنما أصحاب اليمين من الآخرين هم الثلث، والمقربون وهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته المعصومون هم القلة عدداً وجاه النبيين والوصيين السابقين ﴿فأما من كان من أصحاب اليمين. فسلامٌ لك من أصحاب اليمين. وأما من كان من المقربين. فروحٌ وريحانٌ وجنةٌ نعيم﴾ (٥٦: ٨٥ - ٨٨).. فالأنبياء من المقربين وكما المسيح عليه السلام ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ (٣: ٤٥) ومن الملائكة أيضاً مقربون ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ (٤: ١٧٢). ومن الشواهد على أن المقربين أعلى منزلة من الأبرار، أنهم: يسقون ﴿عيناً يشرب بها المقربون﴾.

ثم كتاب الأبرار، المرقوم، يشهده المقربون، فإنهم شهداء الأعمال، فـ ﴿عليون الأبرار﴾ هو كتاب مرقوم يشهده المقربون، شهوداً يوم الدنيا وشهوداً يوم الدين، فشهادتهم في الأولى شهادة تلقى، وفي الآخرة شهادة إلقاء يوم يقوم الأشهاد، والكتاب المرقوم هنا - كما في كتاب الأشرار - هو الأعمال التي ترقم بصورها وأضوائها وعلى حد قول الرسول (ص): صلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب مرقوم في عليين.

الطينة العلينية والسجينية:

قد يشمل عليون الأبرار طيناتهم كما لسجين طينات الأشرار، كما في أحاديث

١ . الدر المنثور ٦: ٣٢٧ أخرج ابن مردويه عن أبي إمامة قال: قال رسول الله (ص).

عدَّة، ولكن هل يا ترى إن الله يخلق الأبرار - حين يخلق - أبراراً، والأشرار أشراراً؟ فما هذا إلا تسييراً في البر والشر ينافي التخيير، اللهم إلا أن يُعنى من الطينة الروحانية منها، الحاصلة من الأعمال الصالحة للأبرار، والطالحة للأشرار، على توفيق من الله للأبرار نتيجة برِّهم، وختم على قلوب الأشرار نتيجة شرهم، ولذلك نرى باقر العلوم (عليه السلام) يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عَلِيِّينَ وَخَلَقَ قُلُوبَ شَيْعَتِنَا مِمَّا خَلَقْنَا وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمَا مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوَى إِلَيْنَا لِأَنَّهَا خَلَقَتْ مِمَّا خَلَقْنَا﴾^١ ثم يقرأ الآية ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيِّينَ..﴾^٢، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنَا مِنْ نُورٍ مُبْتَدِعٍ مِنْ نُورِ سِنَخِ ذَلِكَ النُّورِ فِي طِينَةِ مِنْ أَعْلَى عَلِيِّينَ﴾^٣.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢)

وهو عليّون الجنة بعليّين الأعمال، وتكبير ﴿نعيم﴾ هنا يوحى إلى تفخيمه، فكما هم كانوا أبراراً: متوسعين في الخير، فليكن نعيمهم واسعاً، ثم وأوسع مما عملوا بفضل الله، جزاءً فضلاً فوق الوفاق، طالما كان جزاء المجرمين الجزاء الوفاق. وكما الجحيم هي نار شديدة التأجج للفجار، فليكن النعيم رحمةً كثيرةً التبهيح للأبرار.

﴿عَلَى الْأُرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣):

والأرائك جمع أريكة، وهي سرير السلطان، فارسيّة قديمة وكما في ﴿أوستا زرادشت﴾ نرى ﴿أرائك﴾ بمعنى سرر السلاطين. فالأبرار الذين كانوا - على الأكثر - فقراء منكوبين محجورين مهجورين يوم الدنيا، لم تكن أصحاب الأرائك تعتنى بشؤونهم ولا تعتبر لهم وجوداً، هؤلاء سوف يجلسون في الجنة على الأرائك ينظرون: ينظرون إلى رحمت الله وما وعدهم ربهم، وينظرون

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٣٣ ح ٣١ الكافي بالاسناد إلى أبي حمزة الثمالي عنه (ع).
٢ . المصدر ح ٣٢ علل الشرائع بإسناده عن زيد الشحام عنه (ص).

إلى خدامهم والحواجب فيها، وينظرون كذلك إلى أصحاب النار محتقرين إياهم. إنهم ينظرون حيث يشاءون دون غضٍّ ولا غضاضة من مهانة أو مشقة، وظاهرهم يوحي عن باطنهم.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤)

الظاهر هو عنوان الباطن، فكل نظرة إليهم تكشف عن نضرة النعيم دون أن يظهر منهم شيء بلفظة قول أو إشارة، فهم نعيم بكيانهم ككل، لا يؤس فيهم ولا عيس. ﴿.. يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) .. ﴿

خمر الدنيا والآخرة:

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٢٥):

يسقون من رحيق، وما أدراك ما الرحيق، إنه الخمرة الصاخبة الخاصة من كل غش، وليست كخمر الدنيا التي هي غش للعقل وغش للجسم، غش للفرد وغش للمجتمع، وكلها غش، وإن كان فيها نفع خيالي فإثمها أكبر من نفعها بكثير. لنأخذ مثلاً على الخمرين، إنسانين، أحدهما أبولهب عم النبي، وثانيهما هو النبي الأقدس، فهل يا ترى أن اشتراكهما في الإسم وفي الهيكل الإنساني يجعلها في مستوى واحد؟

كذلك البون بين خمر الدنيا التي يستر ويخمر عقل الإنسان وإنسانيته، ويستر عليه صحته، وخمر الآخرة التي تستره عما سوى الله وترفعه إلى درجات من معرفة الله ما كان ينالها لولاها، وتصلح وتصحح جسمه، والقرآن يصف خمر الجنة بما يخرجها عن كل غول وتأثير ﴿وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (١٥:٤٧) لذة في العقل والروح، ولذة في الجسم، ولذة في المنظر، ولذة في الطعم، وخمرة الدنيا مرة في طعمها، مرة إذ تنقص العقل وتنقصه، ومرة إذ تضر بصحته، وإن كان الجاهلون يحسبونها لذة، فلأنهم يتحللون بسكرها عن أحكام عقولهم وعما يقيدهم في الحياة، لذة حيوانية عابرة تخلف ذلة كيانية لهم.

﴿ يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ (٢٣:٥٢) وخرم الدنيا فيها كل لغو وكل تأثيم ﴿ يسألونك عن الخمر ولميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ﴾ (٢:٢١٩) والإثم ما يبطل عن الخيرات، فخرم الدنيا تبطل عن الخيرات، وخرم الآخرة تجعل له الخيرات وتفتح له أبوابها.

ولقد وصفت الرحيق بصفات عدة تميزها عن خمر الدنيا ولحدَّ عبَّرَ عنها بالرحيق كما في سواها من آياتها الواصفة لها في الجنة، اللهم إلا واحدة تُقرنها بما يخرجها عن شرها ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ (١٥:٤٧).

﴿ يُطاف عليهم بكأس من معين. بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غولٌ ولا هم عنها يُنزفون ﴾ (٣٧ : ٤٥ - ٤٧) ﴿ بيضاء ﴾ وليست خمر الدنيا بيضاء، ﴿ لذة ﴾ وليست هي لذة وإنما مرة تعقب لذة خيالية نتيجة التحلل عن العقل ﴿ لا فيها غولٌ ﴾ وهو إهلاك الشيء من حيث لا يُحس، وخرم الدنيا تهلك العقل والجسم من حيث لا يُحس، ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ لا يُنزعون عن عقولهم ولا يُفرغون ﴿ وكأس من معين. لا يُصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ (١٨ : ٥٦ - ١٩) لا فيها صداع الرأس ولا فراغ العقل ونزفه.

فأين الخمر التي هي بيضاء لذة للشاربين لا غول فيها ولا لغو لا تأثيم ولا صداع ولا نزف وهي صاحبة خالصة من كل غش، أين هي من خمر الدنيا: حمراء نقمة للشاربين، فيها كل غول وكل لغو وتأثيم، وكلها صداع ونزف وهي شائبة مغشوشة؟ نجد بينهما بوناً ساسعاً لحدِّ يحق تفريقهما في الإسم أيضاً، ولذلك لا تسمى خمرأ إلا في آية واحدة ولتوحى أن في خمر الآخرة ما في خمر الدنيا من لذتها - إن كانت لها لذة - وزيادة فوق الوصف، دون أن تحمل إثمها وغولها ونزفها وشرها وضرها! وهذه الخمر الطيبة إنما يشربها من ترك خمر الدنيا الخبيثة وكما في وصية الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): يا علي! من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم، فقال علي (عليه السلام): لغير الله؟ قال:

نعم والله، صيانةً لنفسه فيشكره الله تعالى على ذلك^١.
فالرحيق (خمر الجنة) كما أزيل عنها اسم الخمر، كذلك أوصافها بما وصفت
بصفات طيبة هي ❀ مختوم ختامه مسك ومزاجه من تسنيم. عيناً يشرب بها
المقربون ❀.

❀ رحيق مختوم ❀: فالرحيق المختوم، وكل طعام وشراب مختوم، إنه أصلح
للشرب والتناول لسلامته عن تصرف الهواء وتدخل الجراثيم، فإنه مختوم عن
التفاعلات الخارجية وتأثيراتها.

ثم هي مختومة في الخيرات كما هي مختومة عن الشرور، لاخير إلا وقد جعله الله
فيها، ولاشر إلا أنها مختومة عنها، رحيق مختوم عما يُرهق من أضرار ومختوم فيما
يُرجب فيه الأبرار.

هذه الخمرة هي أشرف أصناف الخمر في الجنة، ولأنها مختومة بالمعنيين وليست
كذلك خمر النهر ❀ وأنهار من خمر لذة للشاربين ❀ وأن لها مزاجاً من عين المقربين
من تسنيم.

فهذه معدة في أوانها مقلعة مختومة تُفضُّ عند الشراب، فما هو ختامها؟
❀ ختامه مسك ❀.

ختم بالمسك، دون الوحل المختوم به خمر الدنيا، وختامه: عاقبته، مسك عطر في
الروح وعطر في العقل وعطر في الجسم، كما أن بدايته مسك، خلاف خمر الدنيا إذ
هي عَفِنَةٌ بدايتها، وشريرة نتن ختامها، لاتأتى إلا بكل شرٍّ ورذيلة.
ففي مسك الخمرة وختمها بالمسك، فيه إناقة ورفاهية، صورة لا يدركها البشر إلا
في حدود المعهود من الدنيا.

❀ وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ❀ (٢٦):

من المفروض أن يتنافس العقلاء في الختام المسك عاجلاً وآجلاً، لا في الشهوات

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٣٤ من لايحضره الفقيه عنه (ص)
والقمي عن الصادق (ع) مثله .

العاجلة الفانية التنته، فليتنافسوا في عليين وفي النعيم المقيم، وفي نضرة النعيم، وفي رحيق مختوم بالمسك، وكل نعيم الجنة مسك.

فالتنافس هو تمنى كل نفس مثل النفيس الذى يكون لغيره، ولانفيس فى الدنيا إلا ما يقدم للأخرى، فإنما الأولى بئيسة تعيسة إلا ما حوّل منها إلى مزرعة الآخرة، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

إن التنافس فى نعيم الآخرة يرتفع بأرواح متنافسيها جميعاً، بينما التنافس فى أمر الدنيا ينحط بها جميعاً، إلا أن يكون لدنيا الآخرة، فدنيا المتقين آخرة، ولأنها مزرعة الآخرة، لا يُبصرون إليها فتعميهم، وإنما يبصرون بها فتبصرهم وتقربهم إلى الله زلفى. فعلى المؤمن التنافس فى ذلك، تاركاً تنافسات الهوى والردى، وإنه توجيه يمد بأبصار أهل الأرض وقلوبهم وراء رقعة الأرض الصغيرة الزهيدة، بينما هم معمرونها ويقومون بالخلافة فيها، عمران المدرسة للدراسة، لا المستنقع الآسن والطويلة العالفة لحيونة الحياة والإخلاق إلى أرضها وسجّينها.

❁ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ (٢٨) ❁ :

إن لهذا الرحيق مزاج من تسنيم: عين المقربين، ولأنه يقرب شاربيه إلى الله، فإنه خمرة تخمر عن العقول ظلمها، وتزيد الإنسان معرفة وسكرة بالله.

والتسنيم ضد التسطيع، ماء بالجنة يجرى فوق العرف يتسّم عليهم من الأعلى إلى الأسفل، عين فوقانية المصدر والنبع، تنحدر مسنمة العليين، وإنما يشرب بها المقربون، وللأبرار مزاج منها للرحيق المختوم، وإن للمتقين عبوناً دون التسنيم: ❁ إن المتقين فى مقام أمين. فى جنات وعيون ❁ (١٥:٥١) ❁ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ❁ (٦:٧٦).

والكوثر - عله - العين أو الحوض الخاص بأقرب المقربين، محمد وآله الأنجبين (صلى الله عليه وآله وسلم)، عيون ثلاث لكل أهل خاص، وإن كان الكل له نصيب من العين الأعلى مزاجاً فى شرايه كما فى رحيق الأبرار.

❁.. إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ

يَنْغَامِرُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤبُّونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

أصل الجرم هو قطع الثمرة سواءً عن نفسه أم عن سواه أيضاً، فالمجرمون هم الذين قطعوا عن فطرهم متطلباتها، وعن عقولهم حاجياتها، وعن حياتهم أهدافها اللاتقة بها، ثم هم يعيشون حياة الإجرام لمجتمعهم، فهم رؤوس الضلالة طول التاريخ: ❀ وما أضلنا إلا المجرمون ❀ (٩٩:٢٦) وهم أعداء النبيين: ❀ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ❀ (٣١:٢٥) وهم قطاع سبل الخير في البلاد: ❀ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ❀ (١٢٣:٦)

❀ إن الذين أجرموا ❀:

قطعوا ثمرة الهدى عن شجرة الإنسانية، وانقطعوا عن الله إلى سواه، هؤلاء المنقطعون عن ثمار الحياة:

❀ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ❀ (٢٩):

يضحكون منهم ساخرين ناقمين أن آمنوا بربهم وانقطعوا إليه ❀ هل تنقمون منا إلا إن آمننا بالله ❀ (٥٩:٥) وغريب في نوعه كيف يضحك المنقطع عن كل خير من المتصل الواصل إلى كل خير؟ هل لفقركم؟ وليسوا كلهم فقراء، وليس الفقر دافعاً عقلياً إلى الضحك، أم لضعفهم عن رد الأذى، وليسوا دوماً ولا كلهم ضعفاء، وليس الضعف مادة للسخرية، أم لإيمانهم؟ إذ زعموا الإيمان رجعيةً وانعزاليةً عن الحياة، وهو الحياة كلها! وإذا كان الإيمان رجعيةً سوداء والإجرام تقدميةً بيضاء فليحاول هؤلاء القدامى في إقناع المرتجعين دون أن يضحكوا عليهم، فما الضحك والهزاء إلا عجزاً عن العلاج، وجهلاً وسوء أدب، ثم ❀ ما أرسلوا عليهم حافظين ❀ إلا رسالةً شيطانيةً مجرمةً!

تقول الروايات ❁ إن أكابر المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي ابن وائل السهمي كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء في منفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فنزلت الآية قبل أن يصل على وأصحابه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).^١

وهكذا يكون دور الإجرام طول التاريخ ألا يكتفى المجرمون بعملياتهم الإجرامية، بل ويحاولون بشتى الأساليب أن يجتثوا جذور الإيمان، ومن أخريات الوسائل وأشنعها عادة الإستهزاء على المؤمنين ينضموا إلى صفوفهم وكلا، إذا كانوا مؤمنين حقاً.

❁ وَإِذَا مَرَّوْا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾

مرور التناز والتغامز، هؤلاء المجرمون الأوغاد يواصلون دورهم الإجرامى إذ يمرون على المؤمنين الأوتاد، مروراً ساخراً مائراً عليهم يرتبكون وينكسرون، تغامزاً بالعيون والأيدى، وتنازراً بالألقاب الساخرة المرذولة قائلين: انظروا إلى هؤلاء الرجعيين كيف يتعبون أنفسهم ويحرمونها لذاتها الحاضرة لوعود كاذبة وأوهام لأصل لها، ويخاطرون بأنفسهم طلب الثواب!

❁ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾:

مرحين بطرين مما فعلوا بالمؤمنين، آخذين ذلك فكاهاة لأهلهم لعلمهم يفرحون ويمرحون، كأنهم انقلبوا عن أفلام ممرحة ومسرحيات مفرحة، راضين عن أنفسهم الحقيرة الرديئة، مبتهجين بما فعلوا دون أن يتلوموا أو يندموا ويشعروا بحقارة ما صنعوا، فويل لهم مما كسبت أيديهم، وويل لهم مما يصنعون.

❁ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾:

١ . التفسير الكبير لفخر الدين الرازى ج ٣١ ص ١٠١ ونورالثقلين ٥ : ٥٣٥ عن ابن ابراهيم قال: نزلت فى على بن أبى طالب (ع) .

هنا يؤحد المجرمون ثلوثهم بحق المؤمنين: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٣﴾ ضَلُّوا سَبِيلَ الْحَيَاةِ وَمَتَطَلِبَاتِهَا فَعَاشُوا كَأَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ، تَرَكَوْا لَذَّةَ الْحَيَاةِ وَنَضَارَةَ الْحَيَاةِ وَحَبَسُوا أَنفُسَهُمْ عَنِ الشَّهَوَاتِ، إِنْ هَذَا إِلَّا ضَلَالٌ مُبِينٌ!

ولا أعجب من هذا الحمق العميق أن تُحسب الهدى ضلالاً والضلال هدىً، فالفجور لا يقف لحدٍّ وكلمتهم هذه من أفجر ما يتصور، ولذلك لا تستحق الجواب إلا كسخرية نزيهة عالية من هؤلاء الأغبياء الذين يتدخلون فيما ليس لهم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾:

فمن هذا الذى وكلهم للحافظ على المؤمنين؟ فهذا فضول على فضول: أن تُسمّى الهدى ضلالاً، وأن يتدخل فى شؤون المؤمنين بلا رسالة ممن له أمرهم، اللهم إلا رسالة الشيطان!

ثم وفى الآخرة، إذا المؤمنون فى الجنة والمجرمون فى النار نرى معاكسة بين الفريقين:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

المؤمنون يضحكون عليهم جزاءً وفاقاً بما كانوا هم عليهم يضحكون، كما ويضحك عليهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب و تضحك عليهم الجنة والنار بما كانوا يصنعون، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إلى مقاماتهم العليا ونعيمهم المقيم ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٣٥﴾﴾ وينظرون إلى دركات المجرمين، إلى وجوههم الباسرة التى رهقها فترةٌ ودلةٌ.

﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

فقد كانوا يزعمونهم حافظين على المؤمنين موكلين، يحاولون إخراجهم من الإيمان إلى الكفر، من الرجعية السوداء إلى التقدمية البيضاء! فهل ثوبوا؟ ومن ذا الذى يثيبهم إلا الذى عاشوا عمالته: الشيطان الرجيم، فهل بإمكان الشيطان أن يثيب حزبه كما وعدهم؟ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتَكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ عَدُوتَكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي

ولموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إني كفرت بما أشركتمون من قبل
إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴿٢٤﴾ (٢٢:١٤).

فطالما المجرمون يجرحون قلوب المؤمنين المضطهدين لأنهم مؤمنون، فهم إذاً
بحاجة إلى بلاسم لقلوبهم المجروحة يوم الدنيا ولكي يواصلوا نضالهم، فالله هو الذى
يراهم كيف يفكّه بآلامهم المتفكهون، إذن فهو الذى يبلسم قلوبهم إذ يفنّد آراء
المجرمين، وإذ يسخر منهم سخريّة رفيعة فيها تلميح موجع، طالما لا تحسّ قلوب
المجرمين المقلوبة، ولكن قلوب المؤمنين تستنيمها وتستريح إليها.

ثم هو الذى يذكرهم مشاهدتهم معهم يوم القيامة، ولكي يعدّوا لها عدتهم، ولا
يفشلوا فيما هم فيه من حياة إيمانية طيبة، رغم آلامها الجسدانية، فهم ليسوا ممن
يعيش حياة الجسد، إلا كمزرعة ووسيلة للحياة الروحانية.

القيامة طامة كبرى

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴾ (٧٩:٣٤)

هي الداهية الغامرة المتفاقمة التي تنسى الدواهي كلها، ولا تطاق لمن وافها^١ وهكذا سوف تكون الساعة ﴿ والساعة أدهى وأمر. وما أمر الساعة إلا كلمح بالبصر ﴾ (٤٦:٥٤)

إن هناك طامات، داهيات غامرات، والقيامة الكبرى كبرها، فطامة الموت، وطامة قيام القائم^٢، وطامة الرجفة والصيحة، إنها كلها طامات، إلا الأخيرة الآخرة، فالصيحة والرجفة الثانية هي الطامة الكبرى التي تغمر الكون أجمع فلا تبقى ولا تذر، لواححة للبشر، ﴿ يَنْبَأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾.

إن الحياة الدنيا ومُتَعَهَا كُلُّهَا متاع ينتهي إلى أجل، فإذا جاءت الطامة الكبرى غطت كل شيء، على المتاع وعلى إنسان المتاع، وعلى الأرض والسماء المتاع، إنها تطم^٣ وتعم الكون بمن فيه و بما فيه، ولكي تبدأ الحياة جديدة داخراً، ثم لا يبرز هناك إلا ما سעה الإنسان وقدمه لأخراه.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ (٣٥):

١ . طمه: ملأه، والماء غمر والشئ كثر والأمر عظم وتفاقم، والعدد الكثير والداهية، والقيامة تعطم، أي تغمر كل شيء، والطمطام وسط البحر، والطامة الداهية التي لا تستطاع وأصله من طم الفرس إذا استفرغ جهده في الجري، وطم الماء إذ أملأ النهر كله.

٢ . نورالثقلين ٥: ٥٠٦، القمي عن النبي (ص) «كفي بالموت طامة يا جبرائيل! فقال جبرائيل: إن ما بعد الموت أطم وأطم من الموت».

٣ . المصدر في كتاب كمال الدين وتمام النعمة عن أمير المؤمنين (ع) بعد ما يذكر الدجال ومن يقتله وأين يقتل «إلا أن بعد ذلك الطامة الكبرى، قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين! قال: خروج دابة الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان... وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها...».

يتذكر ما نسيه أو تناساه، وما لم يكن ليتذكره يوم الدنيا لغفلته: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٨:٦): يتذكره ما هو؟ ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدِمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾ (٨٢:٥) ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا أَحْضَرْتَ﴾ (٨١:١٤) إذ كان حين الدنيا يعلم ظاهره دون باطنه ومصيره، كما ويتذكر بما يسمعه ويراه من أقواله وأعماله، من حله وترحاله، التي كان ربه يستسخنها في ذاته وفي أرضه.. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (٣:٣٠) ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدِمَتْ يَدَاهُ﴾ (٧٨:٤٠).

صحيح أن الإنسان يتذكر ما سعاه يوم البرزخ أيضاً، ولكنه برزخ وليس تاماً، وكما أن طامته ليست تامة، فيوم الطامة الكبرى سوف يكون تذكراً للأعمال تاماً كما الجزاء ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٨٩:٢٣).

وَأَنَّى! ولات حين مناص، ولا تنفعه الذكرى.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ (٧٩:٣٦)

بروزاً للرؤية للناظرين، من أهله وسواهم، وبروزاً لصلى الغاوين: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (٢٦:٩١). تُسْعَرُ الجحيم بمن يدخلها من أصول الضلالة، بعد أن كانت خامدة: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (٨١:١٢) ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ (٨٣:١٦).

والجحيم هي نار شديدة التأجج بوقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين. وتبريز الجحيم هو إظهارها بعد خفائها، ولقد كانت الجحيم مع أهلها يوم الدنيا، غافلين عنها، جحيم الذوات والأفكار والأعمال، وهي تبرز يوم يقوم الأشهاد: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٥٠:٢٢) وما الجحيم يوم الطامة الكبرى إلا بروزاً لحائق الأعمال، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٧٩:٣٩)

تقسيم ثنائى للناس أجمعين من أهله الجنة والجحيم بمن فيها من درجات، ويذكر لكل مرجعه بما قدمت يداه.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾: على ربه وعلى المرئيين، تجاوز عن طوره وعن الهدى، فمدى الطغيان هذا أوسع مما لذوى الجبروت والسلطان، شاملاً لكل مجاوز حدّه الذى يحياه حياة الطغيان، التى هى ممت للحق وذوى الحق، وليس الطغيان إلا نتيجة عدم المعرفة بالله، وعدم الشعور بالمسئولية، وأن يحسب الإنسان نفسه كأنه الكل: مدار رحى الكون.

﴿وَأثر الحياة الدنيا﴾: إن الطغيان يدفعه إلى إثارة الحياة الدنيا على الحياة العليا، وكما الإيثارة يدفعه إلى الطغيان: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ (٩٦:٦). ليست الحياة الدنيا هى الحياة فى دار التكليف، فإن الدنيا مدرسة الآخرة، وإنما أن يعيشها الإنسان حيواناً لا يعرف القيم الإنسانية، فإذا أهملت الحياة العليا، المناسبة للآخرة والأولى، اختلت كل الموازين والقيم فى تقدير الإنسان، واختلت كل ضوابط الإدراك الحق والسلوك العدل فى حياته، وأصبح حيواناً وحشياً على صورة الإنسان. ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾: لا فى أخراه فحسب، بل وفى أولاه أيضاً، فبما أن المأوى هو الملجأ والمسكن، فالذى يعيش الحياة الشريرة، فحياته جحيم لنفسه ولمن سواه، مهما كان غافلاً عن جحيم الحياة، وسوف تظهر حقيقة هذا الجحيم يوم الظامة الكبرى.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٧٩:٤١)

﴿وَأما من خاف مقام ربه﴾: خاف مقامه، دون أن يخافه: ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد﴾ (١٤:١٤) فليس خوف المقام هنا إلا لخوف الوعيد الناتج عن مقام الرب.. فما هو المقام؟ مقام الرب هنا هو قيامه بالعدل والجزاء الوفاق للحسنات والسيئات، هذا هو مقامه

١ . فإن المقام بين كونه اسم مصدر واسم زمان واسم مكان والأخيران لا يتناسبان مقام الربوبية إذ لا زمان له ولا مكان.

وكما شهد: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (١٨:٣).

ومن قيامه بالقسط هو الجزاء العدل على الحسنات والسيئات وإن كانت الحسنات فيها فضلاً بعد العدل.

فالله تعالى لا يحيف حتى يُخاف من جوره: ﴿أفئ قلوبهم مرض أم يخافون أن يحيف الله عليهم﴾ (٥٠:٢٤) وإنما يُخاف من الجائر الفاجر ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ (٢٦:٨).

إذاً فلا يُخاف الرب، وإنما يخاف مقام الرب العاصي لعصيانه، والعاذلُ فلا يعصى: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ (١٥:١٠).

فخوف الله ليس لألوهيته، وإنما لعدله بربوبيته: ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾ (٢٨:٥)، فالذين يخافونه فلا يعصونه: ﴿الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ (٣٠:٤١). ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ (٤٦:٥٥).

والجنتان هما الجسدانية والروحانية وهي أكبر: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (٧٢:٩) .. للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ (١٥:٣).

﴿ونهى النفس عن الهوى﴾: إن خوف مقام الرب لا يثمر إلا بنهى النفس عن الهوى .. إن النفس لأماراً بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ (٥٣:١٢) فالنفس البهيمية هي التي تدفع الإنسان إلى خطوات الشيطان وإلى الطغيان على الرحمان وإلى أن يؤثر الإنسان الحياة الدنيا، فليعيش الإنسان حياته بجناحي السلب والإيجاب: أن يسلب عنه هوى النفس الطائشة الطاغية تنزيهاً وتزكية، وأن يفرض على نفسه خوف مقام ربه تحلية له وتجلية، فيطير بجناحيه إلى معراج المعرفة والعبودية الكاملة: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾.

❦ فمن علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمل من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذى خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴿١﴾ (فلا تدع النفس وهواها فإن هواها فى رداها وترك النفس وما تهوى داؤها، وكف النفس عما تهوى دواؤها) ٢ (واحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس شىء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم) ٢.

هذه هى الطريقة المثلى فى تزكية النفس إذ ألهمت طغواها وتقواها: أن يتقى فجورها ويقويها فى تقواها: ❦ ونفس وما سواها. فألها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها ﴿٩١: ٩ - ١٠﴾.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام نزعات النفس وهوساتها، كما أن نهيبها عن الهوى يساعد على خوف أكثر وأتم فهما متناصران فى هذا الميدان. وإنما الإنسان إنسان النهى وهذا الخوف دون أن يترك نفسه لهواها فتأخذ حريتها فتعيث فى الأرض فساداً.

❦ فإن الجنة هى المأوى ﴿١﴾: فى الأولى بحياة سعيدة آمنة آمنة، وفى الأخرى بحياة خالدة هى أسعد وأبقى، فهناك جنة فى الحياتين وهناك جحيم فيهما. إن الأول يرتفع وينتهي لحياة رفيعة طليقة، والآخر يرتكس وينتكس فى درك الجحيم إذ هدر إنسانيته فانهدرت، فيرجع أخيراً وقوداً للنار كما بدأ الحياة وقوداً لمشاكل الحياة الجهنمية الغادرة.

فالمؤمن جنة أينما حل، والكافر نار حيثما دار، وإلى دار القرار. والدواء الأول والأخير لأدواء الإنسان ككل، ما عن الرسول الأقدس (صلى الله

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٠٧ ح ٤٤ عن الصادق (ع) فى الآية .

٢ . فى ح ٤٥ عن أبى الحسن الرضا (ع) : اتق المرتقى السهل إذا كان منجدره وعراً، قال : وكان أبو عبدالله (ع) يقول : لاتدع النفس . .

٣ . فى ح ٤٩ باسناده إلی أبى محمد الدابشى عن الصادق (ع) .

عليه وآله وسلم) (إن الله يقول: وعزتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي إلا شئت عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم أوته منها إلا ما قدرتُ له، وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا واستحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والأرضين رزقه وكننت له من وراء تجارة كل تاجر وأنته الدنيا وهي راغمة).^١

❁ ... يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾ (٧٩:٤٦)

مرسى الساعة ومنتهاها:

❁ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴿٤٦﴾:

يسألونك المتعنتون عن مرسى الساعة، كما وعن الساعة نفسها: ❁ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ﴿٤٦﴾ (٣٣:٤٦) فما هي الساعة؟ وما هو مرساها؟ وما هو منتهاها؟

أصل الساعة من ساع الشيء إذا ضاع وزال، وساعت الإبل: سرحت وتخلت بلا راع، فالساعة هنا وفي سواها من آيات إلا القليل، هي وقت ضياع الكائنات وزوالها بأسرها، وكأنها سرحت بلا راع يرعاها، ويقال لجزء من الزمان ساعة، لتصرمه وضياعه، وكما الزمان كذلك بأسره.

وبما أن زوال الكائنات تستقبله القيامة الكبرى، قيامة الأموات، اعتبرت هي أيضاً ساعة، فالرجفتان: رجفة الإمامة ورجفة الإحياء، كلتا هما الساعة، والأولى أولها والثانية منتهاها، و❁ يوم يرونها ﴿٤٦﴾: الساعة، توحى إلى الثانية لقوله ❁ لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴿٤٦﴾ فهي إذا ساعة الإحياء. كما أن هنا آيات توحى إلى الأولى وإليهما أيضاً.

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٠٧ ح ٤٨ باسناده إلي أبي جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص):

فالساعة هنا هي زوال الزمان وضياعه بكائنته، والانتقال إلى زمان لازوال له ولا انتهاء..

فما هو مرساها؟ إنه من الإرساء وهو مقابل الجريان: ﴿قال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾ (٤١:١١) ﴿وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾ (١٣:٣٤) ﴿والجبال أرساها﴾ ثبتها ووتدها في كبد الأرض.

فمرسى الساعة ثباتها أو زمن الثبات^١ ثباتها واقعياً، أم ثبات الاختلال والزوال المعنى من الساعة، أو وقفة الزمان لهذا الكون، تبدلاً إلى زمان دون وقفة وانتهاء.

﴿آيات مرساها﴾ (٤٢):

أى زمان يكون إثباتها أم ثباتها؟..

كل ما نعرف عن الساعة - بما عرفنا الله - أنها قريب: ﴿إقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (١:٥٤) ﴿وما يدرك لعل الساعة قريب﴾ (١٧:٤٢) ولا معنى لقربها، إلا أن الكائنات تجاوزت عن النصف من عمرها حين نزول القرآن - إذ يعتبر انشقاق القمر من أشراط الساعة وآيات قربها - وإلا أن كل آت قريب.

هذا - ثم لا نعرف - ولا يعرف وحتى النبيين - عن زمن الساعة شيئاً، إلا عن علاماتها حينها بما أوحى الله: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ (٧٧:١٦).

﴿فيم أنت من ذكراها﴾ (٤٣):

أنت بعيد عن ذكرى الساعة كل البعد، وهي خفية لحدّ يكاد الله يخفيها حتى عن نفسه المقدسة: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها. لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ (١٥:٢٠).

رغم أنه من المستحيل خفاء أمر عن الله، ولذلك قال: ﴿أكاد أخفيها﴾ لا ﴿أخفيها﴾ إخباراً بشدة خفائها عن سواه إلى حيث يكاد يخفيها حتى عن نفسه

١ . لكونها مصدراً ميمماً أو اسم زمان لا اسم المكان، إذ لا معنى لمكان رسو الساعة .

المقدسة وليس بمخفيها عنها، وإنها من اختصاصات الربوبية علمها وإقامتها: ﴿إليه يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (٤٧:٤١) ﴿وعنده عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (٨٥:٤٣).

وفي أحاديث عدة أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسأل الله عن الساعة، إذ كثرت أسئلة المشركين حول الساعة فنزلت الآية ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ لا ﴿أخفيها﴾ إخباراً بشدة خفائها عن سواه إلى حيث يكاد يخفيها حتى عن نفسه المقدسة وليس بمخفيها عنها، وإنها من اختصاصات الربوبية علمها وإقامتها: ﴿إليه يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (٤٧:٤١) ﴿وعنده عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (٨٥:٤٣).

وفي أحاديث عدة أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسأل الله عن الساعة، إذ كثرت أسئلة المشركين حول الساعة فنزلت الآية ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾!

﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (٤٤):

منتهاها علماً وإقامة، ومنتهاها زمن الدنيا والبرزخ المتداخل معها، وهو الساعة أيضاً إذ تضمحل الكائنات، لا تنتهي زمن الآخرة إذ لا تنتهي لها، وإن الساعة ليست هي اليوم الآخر كله، إنما ساعة منه لها بداية: ﴿الرجفة الأولى﴾ ولها نهاية: ﴿الرجفة الثانية﴾ رجفة الإماتة والإحياء، فالإلى ربك منتهاها كما منه مبتدأها.

من هنا وهناك نستوحى أن السؤال عن الساعة كان عن مرساها ومنتهاها، عن زمن رجفة الإماتة والإحياء، والثانية هي الأصل وهي المعاد، فمنتها الساعة التي هي الإحياء إنما هو إلى الله، لا يشاركه فيه أحد، ولا يعلمه غيره أحد، كما ورجفة الإماتة منه لا سواه، وإنهاء الكائنات إلى ساعة الضياع أيضاً منه لا سواه.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ (٤٥):

١ . الدر المنثور ٦ : ٣١٤ ، أخرجه ابن مردويه عن علي بن أبي طالب عنه (ع) وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس والبخاري وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة ، وأخرجه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير الطبراني وابن مردويه عن طارق بن شهاب عنه (ص) .

ليس لك إلا الإنذار بشأنها، دون أن تعلم أو تقدر على شيء منها، ولا يؤثر انذارك إلا فيمن يخشاها: ﴿الَّذِينَ يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ (٤٦:٢) وأما الناكرون لها والشاكرون فيها فليس لك إلا إلقاء الحجة عليهم، وإن كانوا: ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (٦:٢) سواءً عليهم إذ لا يتذكرون، لا سواءً لك - ف ﴿إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (٤٠:١٣).

﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمان بالغيب فبشره بمغفرةٍ وأجر كريم﴾ (١١:٣٦).

فهذه من حدودك الرسالية أن تُنذر بها من ينفعه الإنذار، وهو الذى يشعر قلبه بحقيقتها فيخشاها ويعمل لها ويتوقعها في مواعدها الموكل إلى صاحبها.

زمن لبث البرزخ:

﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٤٦):

يُخَيَّلُ إلى الناكرين الشاكين فى اليوم الآخر وساعته، يخيل إليهم يوم يرون الساعة: صيحة الإحياء - فإنها من ساعة ذلك اليوم - أنهم لم يلبثوا فى الحياة قبلها - برزخ وسواه - لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضحاهما، يحسبونهم لبثوا هذا القليل القليل من الزمن، لضخامة وقعة الساعة وقرعة القارعة، بحيث تتضاءل إلى جواره ما لبثوه قبلها بأشياءها وأشباعها وأحداثها، فتبدو فى حسِّهم كأنها ﴿عشيةً أو ضحاهما﴾ وهو ليس كما يزعمون.

أو أنه ساعة من نهار: ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ (٤٥:١٠) بل ويقسمون عليه أيضاً: ﴿ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يُؤفكون﴾ (٥٥:٣٠).

أو يوماً أو بعض يوم: ﴿قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين. قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسأل العاديين. قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعملون﴾ (٢٣:١١٥) - (١١٧).

أو عشر ليالٍ و سنين: ﴿يوم ينفخ فى الصُّور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً.

يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً . نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ﴿٢٠: ١٠٣ - ١٠٥﴾.

إن المجرمين - على مختلف دركاتهم - يحسبونهم لبثوا في الأرض - أرض التكليف وأرض البرزخ - لبثوا ساعة من نهار، أو يوماً أو بعض يوم، أو عشية أو ضحاها أو عشر ليال أو سنين، وكلهم على خطأ فيما حسبوه من تحديد زمن مكثهم، إلا في أنه كان قليلاً بجنب الحياة الآخرة الخالدة، وقد يصدقهم الله تعالى في أصله القلة: ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾ ويكذبهم في هذه التي زعموها من الزمن، إذ يجيب عن زعمهم ﴿ما لبثوا غير ساعة﴾ بقوله: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ ﴿٥٦: ٣٠﴾.

والقلة لمكث الدنيا هنا قلتان: ١ - القلة بجنب الآخرة من كافة الجهات غير التكليفية، وقد صدقها الله تعالى تنديداً بمن كان يؤصلها ويكثرها بنكران الآخرة، أو أنها كمثّل الدنيا: ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾ ﴿١١٧: ٢٣﴾، فإن الحياة الدنيا مهما طالّت وازدهرت فهي قليلة بجنب الحياة الخالدة.

٢ - وقلة يزعمها المتخلفون أننا ما أمهلنا في حياة التكليف إلا قليلاً لا يكفي لأداء الواجب، فهذا ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ ﴿٥٢: ١٧﴾.

وهم الذين يلتمسون من الله الرجوع إلى الدنيا لكي يعملوا صالحاً غير الذي كانوا يعملون، كأن الوقت ما كان كافياً لما هم يأملون: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ ﴿٣٧: ٣٥﴾.

أجل وإن حياة التكليف كثيرة - مهما قلت - لمن أراد أن يتذكر، إذ إنها - كلها - ذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد... مهما كانت هي وحياة البرزخ قليلة بجنب الحياة الآخرة الخالدة.

ولبت البرزخ يُحسب قليلاً وهو صادق بما عاشوها من حياة أكثرها النوم، وبما

قاسوها إلى الآخرة، وهو كاذب على ما حدوده من ساعة أو يوم أو بعض يوم أو عشر.

فأهل البرزخ أغلب أوقاتهم في غفوة ونوم إلى حيث سمى البرزخ مرقدًا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا..﴾ (٥٢:٣٦) وإنما يقظتهم في الغدو والعشى ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ (٤٠:٤٦) ﴿ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً﴾ (١٩:٤٢).

.. فمن قائل من المجرمين أنه لبث ساعة من نهار، ومن قائل: عشية أو ضحاها، وكما يناسب يقظتهم، وعلّ المسلمين أيضاً يجيبون عن قدر مكثهم أنه أحد الجديدين: ليل أو نهار، فإنهم - ومعهم غيرهم : ﴿لا يتعارفون ليل صباحاً ولا نهار مساءً، أى الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً﴾^١ فإن ذهبوا في نهار لم يعرفوا له ليلاً، أو في ليل لم يعرفوا له نهاراً.. لذلك يترددون في قدر مكثهم بين عشية أو ضحاها، أو ساعة من نهار، لكن الصادقين في إيمانهم منهم، الذين أوتوا العلم والإيمان، إنهم لا يحددون موقف البرزخ بهذا وذاك، وإنما مقالتهم ﴿لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا اليوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ (٣٠:٥٦).. ولئن قالوا إنهم لبثوا قليلاً فقد صدق الله مقالتهم: ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً..﴾ (١٧:٥٢)، فإنه - حقاً - كان قليلاً بجانب الحياة الآخرة، ولأنهم كانوا في البرزخ رقاداً نوماً إلا قليلاً، فهم - إذا - ينظرون إلى أصل القلة لاحداها، كما ويصدق المجرمون أيضاً في أصلها، وقد يروى عن الرسول الأقدس في تفسير الآية قوله: ﴿إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال لأهل الجنة: لم لبثتم في الأرض عدد سنين، قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، قال: لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي، اسكنوا فيها خالدين مخلدين، ثم يقول: يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين، قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، فيقول: بئس ما اتجرتم في يوم أو بضع يوم ناري وسخطي، امكثوا فيها

١ . عن علي أمير المؤمنين في نقل السيد الشريف الرضى في نهج البلاغة.

خالد بن ١٠٠.

لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ١٠١ إن هذه الحياة الدنيا التي يتنافس لأجلها المتنافسون ويتطاحنون، والتي يرتكبون لأجلها ما يرتكبون، إنها تنطوي في نفس أصحابها فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها. هذه القصيرة العاجلة، والزهيدة الهزيلة التافهة، أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة.. إنها حماقة الكبرى، لا يرتكبها ذو حجي.

١ . الدر المنثور ٦: ١٧، أخرجه ابن أبي حاتم عن ايفع بن عبدالكلاعى عنه (ص).

٤

يوم ترحف الراجفة

هل يدبر الامر إلا الله؟

من الضروري عقلياً وقرآنياً أن الله هو المدبر ولا مدبر سواه في التكوين وفي التشريع وفي الجزاء يوم الجزاء: ﴿.. ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾ (٣:١٠) ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون﴾ (٢:١٣) ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (٥:٣٢).

وهذه الآيات توحى أصالة التدبير الإلهي، دون أن تنافي وساطة التدبير الملائكي أو البشري أو الكوني في الأسباب الطبيعية التي سخرها الله تعالى. فالملائكة المدبرون لا يدبرون إلا أمر الله بإذنه وبأمره: ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ (٢١:٢٧) ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤثرون﴾ (٥٠:١٦).

حركات الارض:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧) ﴿

آخر المطاف في هذه النزعات والنشاطات والسباحات، وفي سبقها وتدبيرها أمر الله، آخره هو يوم الرجفة والردفة.

﴿ترجف الراجفة﴾ : توحى أن الأرض راجفة قبل قيامتها، وراجفة عندها: مرة رجفة الإماتة، وأخرى رجفة الإحياء وهي الرادفة، فهذه رجفات ثلاث وتسبقها رجفة مجنونة قبل أن تجعل ذلولاً ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ (١٥:٦٧).. رجفات شاملة مجنونة مرة، ومعمرة أخرى تحافظ على الحياة والأحياء، ومدمرة ثالثة، وراجعة الأموات من أجدانهم أخيراً ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ رجفات أربع تتلاحق! تتسمى الأرض راجفة لحركاتها المتداخلة المعتدلة المعدلة، حيث الرجفة تعبير بليغ

عن الحركات المتداخلة، فما هي حركات أرضنا التي كنا نحسبها جامدة؟
 إن أرضنا من السابحات في بحر الجو في فلكها كزملائها السابحات: ﴿وآية لهم
 الأرض.. والشمس تجري لمستقر لها.. والقمر قد رنا منازل.. وكل في فلك
 يسبحون﴾ (٣٦: ٣٣ - ٤٠) سباحة في أعماق الفضاء، دائرة حول نفسها وعلى
 جادتها الفضائية كأنها تعقل كيف تسبح: ﴿يسبحون﴾.

تسيرها على مداراتها القوة الجاذبية العمومية، فهي تسير وتطير دون انزلاق عن
 أفلاكها ولا انفلات وتناثر عنها، بعمد لاترونها: ﴿رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾
 (١٣: ٢) فتم - في السماوات المرفوعة بأنجمها - ثم عمدٌ ولكن لاترونها، وعلها - أو
 منها - القوة الجاذبية العمومية.

وتكفينا آية الكفات إحياء صريحاً لطيران الأرض وحركاتها: ﴿ألم نجعل الأرض
 كفاتاً. أحياء وأمواتاً﴾ (٧٧: ٢٥ - ٢٧) حيث الكفات هو سرعة الطيران على تقبُّض
 فيه، فأرضنا هذه مسرعة في طيرانها متقبضة - على ظهرها وفي حفظها - أطفالها:
 أحياء وأمواتاً، لولا انضباط حركاتها والقوة الجاذبية المتحكِّمة عليها لانفلتت أطفالها
 وتساقطت إلى أعماق الأجواء - النازلة.. ولكنها كفات ويا لها من بركات في حركات،
 وعلى حد تعبير على أمير المؤمنين - عليه أفضل السلام والصلاة - حين يعطف إلى
 عطف الأرض على أولادها: ﴿وعدلت حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات
 الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان برسو الجبال في قطع أديمها﴾
 .. فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن موضعها
 فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهاها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه
 مهاداً وبسطها لهم فراشاً... ﴿.

﴿وعدلت حركاتها﴾: إن لأرضنا هذه حركات متداخلة استحققت بها إسم الراجفة،
 أنهى علماء معرفة الأرض حركاتها إلى أربعة عشر، وعلها أزيد.

..هذه هي الرجفة المعمّرة، ثم ترجف رجفتها المدمّرة، رجفة الإمامة، ثم الرجفة الرادفة هي رجفة الإحياء ❀ فإذا هم بالساهرة❶.

أجل إن الراجفة هي التي ترجف، لا الجامدة، وما أحلى وأجلى هذا الإسم فيما كانت البشرية تنكره من حركات الأرض، فللقرآن متشابهات يفسرها الزمن. إن للأرض - عند قيامتها ومن عليها - نفختان وصيحتان ورجفتان، كلُّ رجفة إثر نفخة وصيحة ما لها من فواق، ونتاجها زجرة إلى الساهرة أرض العرض والحساب.

❀ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)❶

وجفة لقلوب مقلوبة تتبع رجفة الأرض: حين الإمامة وحين الإحياء، والوجفة هي سرعة السير والحركة، فهي حراك في اضطراب لقلوب، تلي رجفتي الأرض. جوّ راجف وقلب واجف مبهور مذعور، وجفة من الرجفة التي تنقلهم إلى الساهرة: أرض الحساب والعقاب، وهناك ترى:

❀ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ❶: أبصار القلوب وهي البصائر، تتبعها أبصار العيون: ❀ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء❶ (١٤:٤٢).

هذه هي القلوب المقلوبة المذعورة تتقلب يومذاك بأبصارها: ❀ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار❶ (٣٤:٣٧) ❀ رب هب لي كمال الإنقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك❶ (على عليه السلام).

وهناك تخشع الأصوات ❀ وخشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلا همساً❶ (٢٠:١٠٨) وتخشع أبصار القلوب.. وتخشع من الإنسان ما لم تكن تخشع يوم الدنيا، فيوم القيامة تخشع خشوع الذل عن تقصير ❀ وتراهم يُعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى❶ (٤٢:٤٥) ❀ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون❶ (٧٠:٤٤) ❀ وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية❶ (٨٨: ٢ - ٤).

قلوب ووجوه وأبصار هناك خاشعة من الذل ينظرون من طرف خفى: ❀ يقولون

أنا المرودون في الحافرة. إذا كنا عظاماً نخرة. قالوا تلك إذا كره خاسرة ﴿١٠﴾.. فيما هي شديدة الإضطراب، بادية الذل، يجتمع عليها الخوف والإنكسار، والوجفة والإنهيار، وهذا هو الذي يتناوله القسم بالنازعات إلى السابقات سبقاً والمدبرات أمراً.

﴿يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ﴿١٠﴾:

متحدثين عن وهلتهم وانهارهم إذ يقومون من أجدانهم خُشعاً كأنهم جراد منتشر، يقولونها في خبال وذهول، متسائلين سؤال الوحشة والدهشة، عن رجوعهم إلى الحياة بعد نكرانها في حيونة الحياة الدنيا، ويقولون - هذه - عليها جواب الأقسام الماضية. فما هي الحافرة التي يخافونها؟ أمهي القبر؟ ولا ترجع الأحياء يوم الإحياء إلى القبر! وليس في هكذا رجوع خوف، بل هو ما يتمناه الكافر إذ يقول: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾.

أم هي القيامة، وليس ورودها رداً إليها إذ ليست إلا مرة واحدة؟

أم هي الحياة كما كانت: ﴿الخلق الجديد﴾ ﴿كما عن باقر العلوم (ع):

﴿فاذا هم بالساهرة﴾: ﴿فما هي الساهرة؟ أكيد أنها ليست هي القبور، فقد انتقلوا

بالزجرة عن أجدانهم إلى ربهم ينسلون، فهل هي وجه الأرض بعد زلزالها: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ ﴿٤٨:١٤﴾ فإذا تبدلت أرضيتها استحقت تبدل اسمها، وهي هي أرض العرض والحساب، وكما يروى عن الرسول الأقدس (ص)؟ أم هي أرض في السماء ينتقلون بأجسادهم من أجدانهم إليها؟ أم إن الساهرة هي ساهرة الأرواح

١ . نورالثقلين ٥ : ٤٧٩ عن القمي عن الباقر (ع) .
٢ . نورالثقلين ٥ : ٤٩٩ ح ١٩ مجمع البيان، روي أبو هريرة عن النبي (ص) : «تبدل الأرض غير الأرض والسموات» فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظمي «لاتري فيها عوجاً ولا أمثاً» ثم يزجر الله زجرة فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى، ما كان في بطنها كان في بطنها و ما كان في ظهرها كان علي ظهرها .
وفي البرها ٤ : ٤٢٥ ح ٣ عن القمي عن الباقر (ع) :
والساهرة الأرض كانوا في القبور فلما سمعوا الزجرة خرجوا من قبورهم فاستووا علي الأرض .

بعد الانتقام من الأبدان كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام؟ أم ماذا؟
أقول: إننا نصدّق ساهرة الأرواح يوم الحساب: خلودها في الجنة أو النار، لكنها
مع الأجساد المناسبة لها، ولكنها إذاً هي الساهرة، لا بالساهرة، عكس الآية ﴿فإذا هم
بالساهرة﴾.

وفيما إذا كانت أرض المحشر هي الساهرة، فباعتبار كثرة الوطاء بها كأنها تسهر
بمن يمشى عليها دون انقطاع، وأرض الدنيا ليست هكذا، فهذه ساهرة الأرض، وهي
الموطىء الموطن لساهرة الأرواح بالأبدان، ساهرة بالحياة الأخروية، وهذه السهرة تزيد
أرض الحساب سهرة حقّت بها أن تسمى بالساهرة.. ساهرة بعد أن كانت أرضاً فانية
دائرة... ثم لا حجة لنا أن الساهرة هي أرض في السماء، في حين التصديق أن الجنة
فوق السماء السابعة والنار تحتها، حيث الانتقال إلى المآل ليس إلا بعد قضاء الحساب
في موقف الحساب، ثم لا دليل على وحدتهما.

١. وفيه عن الصادق (ع): «إذا انتقم منهم و ماتت الأبدان بقيت الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت».

٥

القيامة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❦ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا (١٧) ❦ .

❦ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقِ. النجم ما الطارق (٢) النجم

الثاقب (٣) ❦ :

قسماً بالسماء: الأجواء الواسعة الحاملة لمواكيد الكواكب، وقسماً بالطارق: النجم الثاقب، فما هو الطارق؟ وما هو النجم الثاقب؟ وما هو الرباط بين السماء والطارق، وبين الحفاظ الإلهي على كل نفس؟.

الطارق هو الإنسان الذي يطرق ليلاً فيدقُّ الباب، فإن الطرق هو الدقُّ، كما المطرقة هي المدقَّة، ويسمى الآتى ليلاً طارقاً لأنه يأتي في وقت يحتاج فيه إلى الدق أو ما يقوم مقامه، للتنبيه على طروقه والإيذان بوروده.

والنجم هو الكوكب الطالع بنوره - وعله بطلوع التمدن فيه أيضاً - والثاقب: هو النافذ بنوره وبطرقه، يتقب ظلام الليل بنوره، ويظلم الحياء على مسترقى السمع الشياطين، بوقعه: ❦ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب ❦.

فالسماء حفيظة لأولادها الكواكب، وطوارقها الثواقب، حفيظة للملاء الأعلى أن يُسْمَع إليهم: ❦ لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب ❦: المدرعات الجوية التي تتقب بنيازكها النارية النورية وسراق السمع.

فالنجوم الثاقبة الطارقة ليلاً هي نور حياة للمهتدين، وظلم على حياة المعتدين كما

وأن آيات الوحي تنقب بأنوارها ظلمات الضلالات، وتنقب بوقعها كيان الشياطين، ومن أثقب النجوم في سماء الوحي هو الرسول الأقدس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قسماً بهذه النيازك النارية والطوارق النورية، الناقيات الحافظات للكيان السماوى، إن واقع الحفاظ لا يختصها، وإنما يعم كل نفس: بشرى وملائكى وجنى وحيوانى وسواها، حفظاً عن الأخطار الموجهة إليها، ومن أخطارها الموجهة إلى غيرها:

﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤):

إن كل نفس إلاً عليها حافظ إلهى، أو ملائكى وبشرى بأمر الله، أو كونى كذلك: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٢:٦٤) وهذه مقتضى ربوبيته: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ (٣٤:١١) هو حفيظ: ﴿هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (٦:٦١): حَفَظَةٌ يحفظونهم فى حياتهم، صادرين من أمر الله: ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مَن أَمَرَ اللَّهُ﴾ (١٣:١١): يحفظون نفوسهم بأبدانهم طوال الحياة وبعد الممات، فلا تذهب سدى: ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ويحفظون أعمالهم ويكتبون: ﴿وَإِن عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ. كَرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

إن كل نفس إلاً عليها حافظ، عليها دنياً وعقبى، عليها روحاً وجسماً، عليها أعمالاً وأقوالاً، وعليها ديناً ودنياً، فإن نجوم الإهتداء تنقب القلوب المقلوبة المظلمة بيوارق الهداية: من عقله وفطرته: رسولان هما لزام الإنسان، ومن آفاقه المحيطة به: رسالة الكون، ومن رجالات الوحي: رسالة السماء، فيا قبحاً لمن لا يحسب لهذه الحفظة حساباً، فينفلت من حزب الرحمان إلى حزب الشيطان، وإلى حرب الرحمان!.

١ . كما فى نور الثقلين ٥ : ٥٥٠ ح ٣ عن تفسير القمى عن الصادق (ع).
٢ . تجىء «لما» بمعنى «إلا» فى موضعين: أن والقسم كقولك سألتك بالله لما فعلت، ويحتمل أنها محذوفة فاللام للتأكيد و «ما» صلة مؤكدة، والأول أصح والثانى مشوة .

وهذه النجوم تتقب الضالين بحيلهم فينهزمون: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ (٨٢:١٧).
فليست هنالك - إذاً - هيصة وفوضى، دون حراسة إلهية ولا حفيظ، إنما هو الحفاظ الدقيق المباشر وغير المباشر، وسوف يظهر يوم تقوم الأشهاد.
ولكى يعلم الإنسان أنه محفوظ بعمله ليوم فيه تقوم الأشهاد فلا ينكر البعث والمعاد، فليُنظر:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾:

﴿لِيَنْظُرَ مِمَّ خَلِقَ﴾؟ ولكى يعرف مصيره، فمبتدئ الخلق - دائماً - آية مصيره، فعبر

هذا النظر سوف يعتبر أنه ما هو في ماضيه؟ وكيف يكون مصيره ومرجعه؟

لينظر مِمَّ خَلِقَ؟ بعدما يعلم أنه خُلِقَ: هل خَلَقَ هو نفسه؟ أم خَلَقَ مثله؟ أم خُلِقَ ن

غير خالق؟ ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ (٣٥:٥٢).

ثم لينظر من آية مادة خَلِقَ؟ خلق من ماءٍ دافقٍ: يخرج بدفق، ورغم أنه ماءان: -

يخرجان من بين صلب الرجل: عظام ظهره الفقارية، ومن ترائب المرأة: عظام صدرها

العلوية - رغم ذاك يعبر هنا عنها بماء واحد، علّه بما أصبحا واحداً من أمشاج:

أخلاق: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾ (٧:٨٦):

فهما ماءان وأمشاج، أصبحا وأصبحت ماءً واحداً لوحدة التشكيل والاتجاه إذ

مُزِجاً ومُشِجَت.

ما كانت البشرية - طوال تاريخها - لتعرف أن الجنين مخلوق من هذين الماءين،

إنما المزعوم: أنه من ماء أبيه، أو الذكر من الذكر والأنثى من الأنثى، كانوا يزعمونه

هكذا حتى نزول القرآن، إذ صرح هنا وهناك أن الجنين - أياً كان - مخلوق من

الماءين، واكتشفوا علمياً في منتصف القرن الأخير: أن في عظام الظهر الفقارية يتكون

ماء الرجل، وفي عظام الصدر العلوية يتكون ماء المرأة، حيث يلتقيان في قرار مكين

فيصبحان ماء الجنين! فمن الماء الدافق إلى الإنسان العاقل الناطق!

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧):

الصلب ما فيه النخاع الشوكى الذى فيه مجمع الأعصاب، فلو انكسر الصلب أو اصطدم لم يقدر الإنسان على الجماع والتوليد، فممنشأ النطفة الرجولية إنما هو الصلب، وإن كان المنى ينحدر منه دوماً إلى البيضتين: الخزانيتين الاحتياطيتين، والماء الدافق يدفع من الصلب والترائب، ومن خزينتى الإحتياط، وعلها كمساعدة لنشوء الجنين. والترائب جمع تربية وهى موضع القلادة من صدر المرأة، فهى ضلوع صدرها، أو مقاديم بدنها من الثديين إلى الوركين: استيحاءً من جمع التريئة، فالترائب - إذاً - هى مقاديمها كلها ابتداء من موضع القلادة، وسوف نوافيكم فى بحث فصل عن النطفة وتطوراتها فى سورة العلق.

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

إن الذى قدر على بدئه، لقادر أيضاً على رجعه: ﴿وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (٢٧:٣٠) ﴿كما بدأكم تعودون﴾ (٢٩:٧): ودون رجوع إلى الصلب والترائب.

ورجع ثان إلى ما كان من الخلق الكامل: يُخلق من هذا الماء كما خلق أول مرة، دون الزوائد غير الثابتة، وإنما البدن الذى عاشه طوال حياة التكليف، وكما ﴿سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الميت يبلى جسده؟ قال: نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التى خلق منها فإنها لا تبلى، تبقى مستديرة فى القبر حتى يخلق منها كما خلق أول مرة﴾: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ (٢٨:٣١).

ورجع ثالث ترجع فيه روحه إلى قلبه الأصيل، الذى عمل فيه ما عمل حياته. ورجع رابع ترجع فيه أعماله وأقواله كما صدرت، ذلك بأن الله كان حفيظاً عليه بروحه وببدنه الأصيل وبأعماله، دون أن تضل منها شىء وحتى عن ملك الموت: ﴿وقالوا إذا ضللنا فى الأرض أإنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء كافرون. قل يتوفاكم

ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴿١١:٣٢﴾.

﴿يوم تبلى السرائر﴾: السرائر جمع السريرة وهى الطوية فى النفس أو غيرها، من أسرار وأفكار، وإبلائها إظهارها، فإنه ظهور الحقيقة بعد خفائها، وبالبلاء يظهر الخفاء، فعامة السرائر سوف تظهر كأشهاد، يوم تقوم الأشهاد: مما أسره الإنسان فى نفسه أو أبداه: ﴿إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴿٢٨٤:٢﴾﴾ فما يديه أيضاً يبقى سراً يسجل فى المسجلات الإلهية، ثم لا يبقى سرٌ مما أسره أو أبداه إلا ويُبلى يوم تبلى السرائر، وقد يعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمثال الصلاة والزكاة من السرائر التى سوف تبلى ' حال أنها ليست من الأسرار الخافية إلا شذراً نذراً فيما يخفيه صاحبه، إلا الصوم الذى هو سر بطبعه، وقد عدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عداد غير الأسرار كالصلاة والزكاة.

إن السرائر المكنونة والمطوية سوف تبلى، تخرج عن ظلمات الأسرار بطوارق الأشهاد بإرادة الله، وكما ينفذ الطارق من خلال الظلام الساتر، وكما ينفذ الحافظ إلى المحجوبة بالسواتر، كذلك تبلى السرائر يوم بتجرد الإنسان من كل قوة وكل ناصر: ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾: فلا هناك له قوة ذاتية تدافع عنه، ولا ناصر عرَضى يناصره، فإيا له من ضعف مضاعف حيث تتكشف أسراره فى نهاية المطاف، وعند انقطاع الأعمال والآمال!

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾:

إن الكائنات كلها رجعيات، ترجع إلى ما كانت، وترجع أماناتها كما أخذت: فالسماء سوف ترجع دخاناً كما كانت: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴿١١﴾﴾ وهى ترجع أماناتها إلى الأرض دوماً: من أبخرة المياه الصاعدة إليها، إذ تتحول ثلوجاً ومياهاً، ثم

١ . فى الدر المنثور ٦: ٣٣٦، أخرج البيهقي فى شعب الإيمان عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله (ص): «ضمن الله خلقه أربعة: الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغسل من الجنابة، وهن السرائر التى قال الله «يوم تبلى السرائر»».

توزع في أكناف الأرض حقاً وعدلاً، هذه السماء لا تتأبى عن رجوعها لقيامتها، ولا عن رجوعها أماناتها، على عظمتها وسعتها! فهل إن هذا الإنسان الصغير الصغير يتأبى عن رجعه؟ أو يقدر أن يخبيء أعماله وأفكاره في نفسه وفي الأَشهاد؟!

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢)

تتصدع لقيامتها، وتتصدع عن مواليدها، كأم تلد مواليدها بنطف المياه السماوية: ماءٍ دافق يخرج من صلب السماء، وبالبدور المخبئة في ترائب الأرض، فتلد مواليده النباتات، ومن ثم الحيوانات.

أفلا تدل السماء برجعها، والأرض بصدعها، والطارق بثقبها، على إمكانية رجوع الإنسان شاء أم أبى، وعدل الله ورحمته يفرضان هذا الرجوع، ولتجزى كل نفس بما تسعى!

ثم قسماً بسماء الرسالات الإلهية، التي ترجع أمانات الوحي إلى أصحابها، وقسماً بأراضى القلوب المتصدعة بآيات الوحي النازلة لها:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٣) ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (١٤)

الهِزْلُ هو كلام لا تحصيل فيه تشبيهاً بالهزال، فللقرآن تحصيل قولاً ومصداقاً، فهو فصل مقالة وخبراً، يفصل بين الغث والسمين والخائن والأمين، فهو مقالة يدل بحكمته على أنه كلام الله جداً، وليس هزلاً، وهو خبراً - ومن بين أخباره - خبر صدق: أن الإنسان سوف يرجع لفصل القضاء، كما السماء والأرض راجعتان، فالكائنات كلها راجعة إلى ربها، مؤدية أماناتها! فليكيّدوا - إذن - كيدهم، فماذا يؤثر كيدهم، فما كيد الكافرين إلا في تباب:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) ﴿وَ أَكِيدُ كَيْدًا﴾ (١٦) ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ

رُؤْيَدًا﴾ (١٧)

كيدٌ بكيد، جزاءً وفاقاً، وأين كيد من كيد؟ فهم يكيّدون جهالاً عَجَزَةٌ خَوْنَةٌ، يظنونهم أن لاحتراساً عليهم ولا حول ولا قوة! والله يكيّد بتسجيل أعمالهم، وإملائهم ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ﴾ إن كيدي متين ﴿١٨٣:٧﴾، وبالختم على قلوبهم، وعدم تأييدهم للخير إذ تركوه

عمداً، وعدم الفصل بينهم وبين شرهم إذ اقترفوه عمداً، ثم يفاجئهم يوم تقوم الأشهاد بالأشهاد، فما له من قوة ولا ناصر! ❁ أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون ❁ (٤٢:٥٢).

فأنا ❁ الله ❁ إذ أمهلهم، ليس عن عجز وقصور، أو جهل وفتور: ❁ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ❁ (١٧٨:٣) ❁ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون. إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ❁.. أنا أمهلهم هكذا، فأنت أيضاً:

❁ فهل الكافرين أمهلهم رويداً ❁: فقد يكفهم كيدي رغم إمهالهم، فمهلهم مدى حياة التكليف دون جزاءٍ وفاق، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. وأمهلهم رويداً قليلاً: أترك كفاحهم إلى حين، وحتى تؤمر به، إذ كان الأمر في مكة تركاً، ولعدم الإمكانيات الحربية، وفي المدينة حرباً، دفاعاً وانتقاماً. ثم - والجزء أشدّ وأنكى - أمهلهم إلى القيامة الوسطى: قيام القائم المهدي (عليه السلام) الذي يدمرهم تدميراً.

ثم أمهلهم للقيامة الأولى: الموت، إلى العذاب شبيهاً ما - في البرزخ. ثم للقيامة الكبرى، إذ يلاقون فيها جزاءهم الوفاق، ولا يظلمون قليلاً. فهنا تمهيل إلى وم الدين، وهناك إمهال رويداً رويداً، إلى الحرب وإلى دولة القائم، وإلى نار البرزخ، ثم إلى آخر المطاف في التمهيل.^٢

١ . نورالثقلين ٥: ٥٥٣ ح ١٩ في رواية القمي عن المعصوم في الآية: «لو قد بعث القائم (ع) فينتقم لي من الجبارين والطواغيت من قريش وبنى أمية وسائر الناس» أقول وهذا من التفسير ببعض المصديق.
٢ . بناء علي ما فسرناه يختلف التمهيل عن الإمهال دون أن يكون تكراراً، وقد يوحى إلي ذلك نفس صيغة التفعيل وهي التكتير وهو يعنى هنا المهلة الكثيرة، وصيغة الإفعال وهي للدفع، وهي تعنى المهلة القليلة.

يوم نسيير الجبال

❁ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ❁ (٤٧:١٨)

وترى أين وأنى يبرز خير الباقيات الصالحات ثواباً وأملاً ومرداً؟
❁ يوم نسيير الجبال.. ❁ وهنا يجمع ردفاً بين يومى القيامة إماتة: ❁ نسيير الجبال..
❁ وإحياء: ❁ وحشرناهم.. ❁ جمعاً للموتى فى الحياة فحساباً وجزاءً وفاقاً!
وبماذا يعطف ❁ ويوم ❁ فى بروز الباقيات الصالحات والطلحات؟ عله قبله يوم
البرزخ فانه دار جزاء برزخ، وقبله الدنيا حيث يرى فيها الباقيات الصالحات
والطلحات بشيء من آثارها، مثلت من الحياة فى كل حسبها يرى آثار الصالحات
والطلحات، وكما آية السعى تسعى: ❁ وأن ليس للانسان إلا ما سعى ❁ كضابطة
عامة تبتدء من الدنيا ❁ وأن سعيه سوف يرى ❁ انتقلاً إلى البرزخ ❁ ثم يجزاه
الجزاء الأوفى ❁ الى الحياة الاخرى، فليست المساعى والصالحات موقوفة فى ثوابها
وأملها ومردّها فى الحياة الاخرى، بل تبرز بدرجات او دركات فى مثلت الحياة.
و ❁ نسيير الجبال ❁ هى قيامة الأرض بما فيها وعليها، باقتلاع الجبال عن أصولها
وتسييرها سريعة لحد ❁ ترى الأرض بارزة ❁ بروز قواعد الجبال والأتلال، وسراباً:
❁ وسييرت الجبال فكانت سراياً ❁ (٢٠:٧٨) حيث ❁ تنزل الشم الشوامخ والصم
الرواسخ فيصير صلدها سراياً رقراقاً ومعهداً قاعاً سملقاً ❁ ❁ ويسألونك
عن الجبال قل ينسفها ربي نسفاً فيزدها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ❁
(١٠٧:٢٠) أرضاً مستوية ملساء دون انخفاض فيها ولا ارتفاع -
❁ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ❁ فى قيامة التعمير بعد قيامة التدمير، ولكل
رجفة تناسبه ❁ يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة ❁ (٧:٧٩) ❁ ونفخ فى الصور

فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون. وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴿٣٩:٦٩﴾ ولعل من بروز الأرض اشراقها بنور ربها حيث تطوى ظلمتها وضلاماتها طياً، كما وأنها تبرز أثقالها المخبوءة فيها ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾.

وإنه الحشر العام والتام دون ابقاء: ﴿قلم نغادر منهم احداً﴾ من الأولين والآخرين: ﴿ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً﴾ (٩٩:١٨) ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴿٦:١٢٨﴾.

حشر تبدى فيه الأرض بارزة عارية من أتلال وأشجار وجبال وعن بنايات امّاذا من حواجز وفواصل بروزها صافية مستوية، فالقوة التى تسيّر الجبال وتصيرها كالعهن المنفوش، ماذا ترى تفعل بما دونها من أتلال أم ماذا؟ فللأرض بروز أول رفعاً لحواجزها، وبروز ثانٍ إخراجاً لأثقالها، وبروز ثالثٍ إشراقاً بنور ربها، ومن ثم جمعٌ على ظاهرها الساهرة ﴿وجمعناهم فلم نغادر منهم احداً﴾ والمغادرة هى المشاركة والإخلال

بالشىء، فلا متاركة مع أحد ولا إخلال بأحد!

تتكشف الأرض وتتكشف خبابا من يحشر على الأرض فلا تخفى منها ولا منه

خافية:

﴿وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ

١ . نورالثقلين ٣: ٢٦٥ ج ١٠٦ فى كتاب جعفر بن محمد الدرويستى باسناده الي ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً» غشى عليه وحمل الي حجرة ام سلمة فانتظره اصحابه وقت الصلاة فلم يخرج فاجتمع المسلمون فقالوا: مالنبي الله قالت ام سلمة: ان نبي الله عنكم مشغول، ثم خرج بعد ذلك فرقي المنبر فقال: ايها الناس انكم تحشرون يوم القيامة كما خلقتم حفاة عراة، ثم قرأ علي اصحابه «وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً» ثم قرأ «كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين»:

نَجْعَلْ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٨:٤٨﴾

أترى انهم لمن يكونوا بمعرض ﴿ربك﴾ حتى ﴿عرضوا﴾ بعد حشرهم، ﴿ولا تخفى عليه خافية﴾ في الدنيا والآخرة، ثم ومن هذا المطلع عليهم قبل ﴿ربك﴾ حتى يعرضهم على ربك؟

ان الكون كله بمعرض الله اياً كان واياً، ولكنما العرض على ﴿ربك﴾ عرض على ربوبيته، فهنا عرض اول طول الحياء الدنيا على ربوبيته التكليف وهو امانة الرب على العواتق ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها فحملها الانسان أنه كان ظلوماً جهولاً﴾ (٧٢:٣٣) وهناك عرض على ربوبيته الجزاء ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ ولا يعرضهم إلا ربك او من يعرضهم من عماله باذنه لموقف التساءل والحساب فالجزاء، دون ان تخفى منهم خافية: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ (١٨:٦٩) فليس العرض كما الأشهاد لانه خاف عليه خافية ﴿اولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ (١٨:١١).

ولان العرض فيه الهول المطلع، وآياته تخص عرض الظالمين، فهو إذاً خاص بغير المؤمنين، وأما هم فوافدون إلى ربهم وفد الكرام الى الكريم .

﴿عرضوا.. صفاً﴾ فهم بصفهم في عرضهم يزدادون هولاً، فهنا صف هائل لأهله، حيث لاحكمة فيه إلا هول، وفي القتال صف هائل للعدو ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ (٤:٦١) وأين صف من صف! ثم الخطاب الهائل لذلك الصف والعرض الهائل: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة..﴾

﴿وى كأنه خطاب حاضر، لا مستقبل، تجسيمياً وتحضيراً لموقف الخطاب العتاب! وترى كيف المجيء بمعرض الرب ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾؟ لقد خلقنا فرادى دون ما خولنا ولا شفعاء وكذلك نجيتهم كما خلقنا: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناهم أول مرة وتركتهم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ (٩٤:٦) هذا

مجيءٌ ﴿٢١:١٠٤﴾ كما خلقناكم أول مرة ﴿٧:٢٩﴾ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴿١﴾
وكما خلقناكم من تراب جئتمونا عائدين كبدئكم من تراب، كما خلقناكم أول مرة
جئتمونا ثاني مرة:

﴿١١٥:٢٣﴾ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴿١﴾ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم
إلينا لا ترجعون ﴿١١٥:٢٣﴾ زعمتم إحالة موعد العرض والحساب، وحسبتم عبث
الخلق وعدم الرجوع الإياب، ولذلك اثاقلتم إلى الأرض ورضيتم بالحياة الدنيا من
الآخرة!:

﴿٤٩:١٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ
رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩:١٨﴾

ذلك الكتاب هو كتاب الأعمال الصوتية والصورية أما إذا كما استنسخه الله ﴿٢٩:٤٥﴾ استنساخاً
كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴿٢٩:٤٥﴾ استنساخاً
لنفس العمل كأعمال ف ﴿١﴾ وجدوا ما عملوا حاضراً ﴿١﴾ كأنه فعله تلك الساعة ﴿١﴾
فلو لم تكن نفس الأعمال وكانت حكاية أخرى غيرها لم يجدوا ما عملوا حاضراً!
﴿١﴾ ولا يظلم ربك أحداً ﴿١﴾ أن يكتب ما لم يعمل من سوء، أو يكتب العامل ازيد من
استحقاق جزاء غير وفاق، أم لا يكتب سواً ينقص من سوء ظلاماً على تاركى سوء
أماذا؟

١ . نورالثقلين ٣: ٢٦٦ في تفسير العياشي عن خالد بن نجيج عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا كان يوم القيامة رفع الإنسان كتابه ثم قيل له: اقرأه - قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: انه يذكره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم إلا يذكره كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا: «يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها»، وفي نقل آخر وقال (عليه السلام): يذكر العيد جميع ما عمل وما كتب عليه كأنه فعله تلك الساعة - ثم استدل (عليه السلام) بالآية:

❖ ووضع الكتاب ❖ بمعرض المحشر حيث يراه ويسمعه ويفهمه صاحبه وسواه، وواويله من هذا العرض وذلك الوضع، ❖ فترى المجرمين ❖ وهم يتأملونه ويتملونه فإذا هو جامع لما اجرموا دون إبقاء ❖ مشفقين مما فيه ❖ خائفين على حبه، حباً لأنه منهم، وخوفاً من عقابه الحاضرة، فالإشفاق ❖ من ❖ يزيد خوفه على حبه، والاشفاق ❖ في ❖ يزيد حبه على خوفه، فلان إشفاقهم خال عن رجاء فخوفه زائد على حبه، بل ولا حب عبد هُنَيْئَةً يرون جزء ما فيه ويتمنون فراقه: ❖ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ❖ (٣: ٣٠) ❖ ويقولون ❖ والهين حائرین آسفین ❖ يا ويلنا مال هذا الكتاب ❖ ما له من قوة ضابطة حافظة، لهذا الشريط والمسجلة ❖ لا يغادر ❖ معصية ❖ صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ❖ احصاءً لنفس الصغيرة والكبيرة ورسمها لا إسمها، وكل مسجلة ام شاشة تلفزيونية إنما تحضر ما تلقته اذا سلمت وبقيت على حالتها الاولى حين سجّلت، وهذا الكتاب، والمسجلة الأرضيه بفضاءها، والبدنية بأعضائها امّاذًا، نراها تؤدي أمانتها بعدما تمزقت: ❖ اذا زلزلت الأرض.. يومئذٍ تحدث أخبارها. بأن ربك أوحى لها.. ❖ ووجدوا ما عملوا حاضراً ❖ بما سجله الله وأحضره ❖ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء.. ❖ ! وليس حضور العمل حضوراً لما يحكى عنه من قولة حاكية ام كتابة، الله إلا حضوره نفسه وقد انقضى ام تجسّمه وهو تجسّم! إذ ليس انقلاب العمل - وهو صورة - الى جسم - على فرض امكانيته ليس هو هو او صورته، ثم لا مبرر لهكذا قلب للعمل ولا يجدى نفعاً!

١ . الدر المنثور ٤ : ٢٢٩ - اخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) اجمعوا من وجد عودا فليات به ومن وجد عظماً او شيئاً فليات به، قال: فما كان الا ساعة حتي جعلناه ركاباً فقال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أترون ذلك تجتمع الذنوب علي الرجل منكم كما جمعتم هذا فليترك الله رجل لا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه .

إن العمل أياً كان يُستبقى دون عامله بزمانه ومكانه، ويستنسخ منه صور أخرى: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾: ف ﴿وجدوا ما عملوا حاضراً﴾ يعني أصل العمل المستمر وزيادة هي ما استنسخ منه في كتب صوتية وصورية أخرى من أرض بفضائها، ولا حضور للعمل معقولاً هو حجة على العامل إلا نفسه، وتزيده ما معه من صور مستنسخة أخرى، إذا فتجسّمه تجسّم وليس به، واللفظ أو الكتاب الحاكيان ليسا نفس العمل، فلا معنى صحيحاً ممكناً هو حجة على العامل إلا حضور العمل، أم حضور صورته التي استنسخها الله ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ سواء أكان عمل القلب أو القلب، في مثلث من الصور المعنوية والصوتية والصورية، كذلك الله يفعل ما يشاء، حجة عينية حاضرة، وصوره حاذرة، وحصباً في سيرته، ف ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ مثلث من الأهداف العادلة الكافلة لما يرام من العمل يوم القيام! ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾!

في ذلك الكتاب مربع من الشهادات، عينية سجلتها الارض - ١ - والأعضاء - ٢ - وقولية - ٣ - يشهد بها الشهداء من الأنبياء، أماذا - ٤ - كتبها الكرام الكاتبون، يعلمون ما تفعلون، علّه قوله أم كتابة التعبير، أم تسجيله لصور الاعمال واصوات الاقوال في سجلات الارض والاعضاء أماذا؟

وعلّ هنالك كتباً ودواوين منها ديوان السيآت كما الحسنات والنعمة على حدّ المروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فالكتاب الموضوع جنسه الشامل لها، يشمل كل كتاب يحصى الأعمال كما يشمل كتاب كلّ من العمال!:

وترى هذه الكبيرة تُحصى في كتاب الاعمال فما بال الصغيرة تحصى وهي مكفرة؟ ان الصغيرة مكفرة اذا تركت للذين آمنوا: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ ولكنما الصغيرة التي تعمل مع الكبيرة، او

١ . الدر المنثور ٤: ٢٢٩ - ارخج البزاز عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه.

لغير المؤمنين لا تكفروا! ويكفي الكفر كبيرة تحصى معه كل صغيرة وان لم يأت بكبيرة اخرى!

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٥٠:١٨)

لقد كرمكم ربكم إذا أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأهانكم إبليس إذ فسق عن أمر ربه، ثم انتم هؤلاء تتخذونه وذريته أولياء وهم لكم عدو، وترفضون ولاية ربكم، فاذكروا فيما تذكرون... ﴿وَإِذْ قُلْنَا...﴾ .

وترى أن إبليس ﴿وَكَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ فلم يكن من الملائكة، كيف - إذا - يشمله ضمن الملائكة الأمر بالسجود لآدم؟

اجل انه لم يكن من الملائكة - قطعاً - فانهم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ لا يسبقونه بالقول ويفعلون ما يؤمرون ﴿٢١ - ٢٧﴾ - ان الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بالظاف الله تعالى ﴿١﴾.

انه ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وكان مع الملائكة وكانت الملائكة تراه أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها ﴿فَلَمَّا أَمَرَ بِالسُّجُودِ كَانَ مِنْهُ مَنْ كَانَ كَافِرًا﴾ فاستخرج ما في نفسه

١ . نورالثقلين ٣: ٢٦٧ ج ١١٧ في عيون الاخبار في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في هاروت ومارون وفيه بعدان مدح (عليه السلام) الملائكة وقال: معاذ الله من ذلك ان الملائكة .. بالظاف الله تعالى - قالا قلنا له (عليه السلام): فعلي هذا لم يكن إبليس ايضاً ملكاً: فقال: لا - كان من الجن اما تسمعان الله تعالى يقول: «.. كان من الجن» فاخبر عزوجل انه كان من الجن وهو الذي قال الله تعالى «والجان خلقناه من قبل من نار السموم».

٢ . نورالثقلين ٣: ٢٦٧ ج ١١٩ في تفسير العياشي عن جميل بن دراج عن أبي عبدالله (عليه السلام): قال سألته عن إبليس كان من الملائكة وهل كان يلي من امر السماء شيئاً؟ قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي من امر السماء شيئاً، كان من الجن... .

بالحمية والغضب^١.

نتلمح كتصريحه من عدم اعتراضه على الله: ❀ لم يشملنى الأمر إذ لم أكن من الملائكة ❀ وان الله امره بخصوصه ام فى الملائكة ❀ ما منعك أن تسجد إذ امرتك ❀ (١٢:٧) انه شمله الامر ❀ وكان من الجن ❀ فهو أعقل من ان يتحول الى قياس باطل بدل البرهان! فقد ❀ كان من الجن ❀ كوناً، ومن الملائكة كياناً ومحتدأً فى ظاهره حتى تبين أمره حين تخلف عن أمر ربه!

وقد فرغ فسوقه عن أمر ربه بكونه من الجن، ولو كان من الملائكة لم يفسق. امن ويعنى ثانياً: كان ممن يجن ويستتر عن الملائكة كونه من الجن وكونه كافرأ ❀ ففسق عن أمر ربه ❀ فتبين لهم أنه كان من الجن وانه كافر، وعل المعنيين معنيان وما أجملهما جمعاً ومما يلح لتانيهما ❀ كان ❀ حيث الاول كينونة هو الذى ❀ كان ❀ ثم ❀ ففسق ❀ تفرغ للاول، وعطف ترتيب للثاني! فسق عن أمر ربه لانه لم يكن من الملائكة وهم معصومون بل كان من الجن الوارد منهم الفسق، وكان ممن يجن حالته الكافرة، ❀ وكان من الكافرين ❀ ففسق عن امر ربه بالسجود اذ لم يتمالك نفسه العاتية المستكبرة امام آدم! ثم و ❀ إلا ابليس ❀ علّه استثناء منقطع إذ كان من الجن، وأمره بالسجود يخصه كما أمرهم يخصهم، أم متصل عنيت من الملائكة الكيان الملائكى فى واجهة الأعمال الايمانية الملائكية، إذ كان معهم يعبد الله.

١ . المصدر ج ١١٨ فى اصول الكافى عنه عن ابى عبدالله (عليه السلام) قال: ان الملائكة كانوا يتحسبون ان ابليس منهم و كان فى علم الله انه ليس منهم فاستخرج .

٧

في القيامة

ان عذاب ربك لواقع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَ الطُّورِ (١) وَ كِتَابِ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ لِّلْمُكذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (١٤) أَ فَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ (١٧) فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلَّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَ أَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيمٌ (٢٣) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

❁ والطور ❶ قسماً بالطور، وحق له أن يقسم به، وكما يذكر في القرآن اثني عشر مرة: ❁ الطور الايمن.. طور سيناء.. طور سينين ❷ فانه مهبط الوحي ومحطه على موسى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى حد المروى عن الرسول الاقدس (صلى الله عليه وآله وسلم): ❁ الطور من جبال الجنة ❸ ولا يعنى إلا تطوره - كانه -

١ . الدر المنثور ٦ : ١١٧ - اخرج ابن مردويه عن كثير بن عبدالله عن ابيه عن جده عنه (ص) .

الى جبال الجنة، لنزول الكتاب المسطور فيه على نبي محبوب.
 ❁ وكتاب مسطور. في رمق منشور❁: هو التوراة التي انزلت على موسى إذ ناداه
 ربه في الواد المقدس طوى، مسطوراً بقلم القدرة والرحمة الإلهية:
 ❁ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة..
 ❁ (١٤٥:٧) واللوح هو اللائح الواضح وهو الرق المنشور، الواح هي رق منشور نزلت
 على موسى في جبل طور.

فالرق ما يكتب فيه شبه الكاغذ، لكنه يختلف عنه إسماً ورسماً لأنه إلهي وذاك
 بشري، كما المسطور فيه يختلف عن المسطور فيه، والمنشور من الرق ما ليس فيه لف
 وخباء، وانما نشر بجلاء، فكله نور.

وخير ما يعبر عن الطور ورقه المنشور، بعد القرآن، هو ما يروى عن نبي القرآن:
 ❁ الحمد لله الذي خلق النور، وانزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رق
 منشور، بقدر مقدور، على نبي محبوب❁^١.

وانما يقسم هنا بالطور وكتابه النور، وقبله كتب نزلت على أنبياء عظام كنوح
 وابراهيم عليهما السلام، لان التورات هي اول كتاب مفصل سماوى، يحمل من شرائع
 الله ما لم يحمله كتب قبله، اللهم إلا ضوابط عامة.

❁ والبيت المعمور❁.

ثم ويقسم ثانياً واخيراً بالبيت المعمور، عله البيت العتيق المعمور قبل كل بيت
 ❁ إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين❁ بما في حياله من
 بيت معمور في السماء السابعة.

وكما نزل وحى القرآن على البيت المعمور على حد المروى عن الإمام الصادق^٢

١ . نورالثقلين عن مہج الدعوات لابن طاووس عن
 فاطمة الزهراء (ع) عن أبيها (ص):
 ٢ . نورالثقلين ٥ : ١٢٤ عن الكافي عن حفص بن غياث
 عنه (ع) قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان
 الي البيت المعمور...

فلا يمنع ان يكون في السماء ايضاً بيت معمور بحيال الكعبة، تعمرة الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة^١ فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو اول العابدين؟، او هو بفناء البيت الحرام لو سقط لسقط عليه^٢ كان، فهو بحذاء الكعبة^٣ وإن شرف الكعبة بما في بيت الرسالة المحمدية، المعمور فوق فوق كل معمور وقيل كل معمور، فانه نور على نور، وما البيوت المعمورة الاخرى إلا تقدمات وتهيآت لهذا البيت الطاهر الذى لا يدانيه اى بيت ❀ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً❀!

ومن ثم بيت الرسالة القدسية المحمدية الذى هو أعمر البيوت فى بيوتات الرسالات الإلهية، أرضية وسماوية، بشرية وملائكة ام ماذا!
هذا البيت المعمور الذى يضم فى جنبه كافة بيوتات الوحي وزيادة تجعلها خاتمة الرسالات وافضلها.. ثم لا يقسم بالوحي الانجيلي بين الطور والبيت المعمور لانه لا يستقل عن وحي التورات إلا بتوجيهات أخلاقية دون أية تشريعات زائدة عليه أو مختلفة عنه، إلا شذاً هامشية تحمل رفع عقوبات فرضت على المتخلفين من بنى اسرائيل!

❀ والسقف المرفوع❀: هو السماء المرفوع فوقنا ❀ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً❀ وهو السماء المحمدى ايضاً، مرفوعة سماوات الرسالات وأراضيها، الرسل والمرسل اليهم، ولقد انزل الذكر الرسول علينا من على ارفع سماوات الوحي ❀ قد انزل الله اليكم ذكراً. رسولاً يتلو عليكم..❀ (١٠:٦٥).
❀ والبحر المسجور❀: والتسجير هو تهيج النار وتسجيرها، او إضرارها بتكثيرها

١ . نورالثقلين ٥ : ١٣٦ عن أمير المؤمنين (ع) .
٢ . الدر المنثور ٦ : ١١٧ - اخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمر رفعه اليه (ص) ان البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسقط عليها، صلى فيه كل يوم سبعون الف ملك، والحرم حرم بحاله الي العرش...
٣ . الدر المنثور ٦ : ١١٨ - اخرج جماعة من الحفاظ وارباب المسانيد عن علي (ع) انه السماء وقرء الاية .

على من فيها: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمُ السَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ، فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢:٤٠).

فهل انه بحر واحد كما توحيه ﴿البحر﴾ الواحد! وهو بحر النار في الاخرى؟ ام انه بحار الدنيا إذ تسجر عند قيامتها ﴿وإذا البحار سجرت﴾ (٦:٨١). بان تصيح بحراً واحداً بالزلال والبراكين التي تزيل الحواجز؟ وقد يوحى به ظرف العذاب الواقع: ﴿يوم تمور السماء موراً...﴾ فانه يوم قيامة التدمير، وفيه بالذات (اذا البحار سجرت) عذاباً لأهله كبداية، ثم في قيامة التعمير العذاب الأصيل. علّ الجمع أجمل، بعد ان كلا محتمل، فالقسم هنا يشمل البحرين المسجورين كعذاب شامل عند القيامة وبعدها.

ومهما كانت لآية الطور وكتهاب مسطور.. والبيت المعمور والسماء المرفوع. مهما كانت لها روعتها بعظمتها معنوياً ووقعا في القلوب، فلاية البحر المسجور هيبتها ودلالاتها على القسم لاجله لتاركى الوحي المعمور: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) ما لهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ أمر داهم قاصم، ماله من دافع ولا عاصم، فانه واقع لامحالة بامر الله على الذين قدموه باعمالهم، لامرد له من الله فضلاً عن سواه.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾:

المور هو التردد في عرض، والتكفؤ، والموج، والسرعة، والاضطراب، والجريان، والدور، والحركة.

إذا فالسمااء يوم قيامة التدمير تصبح مائرة دائرة، متكفئة مترددة، مائجة جارية مضطربة متحركة سريعة، فانه على اثر انشقاقها ترتخي فتصبح واهية: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦:٦٩) لحد وردة كالدهان .. فكانت وردة

كالدهان ﴿٣٧:٥٥﴾ والمهل ﴿٨:٧٠﴾. يوم تكون السماء كالمهل ﴿٨:٧٠﴾. وان مور السماء هو من رجعتها إذ كانت دخاناً حينما ولدت، ثم تمور مور الدخان: الغاز - بحرق وحرارة زائدة الوصف حال احتضارها، ولأنها غلبت في حربها الأخيرة فرجعت كما كانت، وإنه لمشهد مروع مهيب كيف تضطرب السماء كامواج البحر وهى سبع شداداً!

﴿وتسير الجبال سيراً﴾: تجعلها كالسراب: ﴿وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾ ﴿٢٠:٧٨﴾ والأرض بارزة: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ ﴿٤٧:١٨﴾ وهذا السير على اثر الزلزال الدكداك: ﴿وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ ﴿١٤:٦٩﴾ فالنسف: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا امْتاً﴾ ﴿١٠٧:٢٠﴾.

هكذا ﴿تذل الشم الشوامخ، والصم الرواسخ، فيصير صلداً سراباً رقيقاً، ومعهداً قائماً سملقاً﴾ فكيف بهذا الانسان الهزيل الضعيف، فى هذا الهول المذهل المخيف، وهو يذهل من كل حادث خفيف طفيف!

﴿فَوَيْلٌ لِّيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾
إنه لهم ويل وتأوه عظيم، على قدر تكذيبهم، إذ كانوا فى خوض لهم يلعبون بآيات الله ويتلاعبون، فالخوص هنا هو الغور فيها بقصد التزييف والتشكيك والإبطال، ثم يتخذونها لعباً وهزواً! ف ﴿إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستتهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ ﴿١٤٠:٤﴾ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴿١٨:٤٢﴾.

﴿يَوْمٌ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ ﴿١٤﴾
يدعون اليها كما كانوا يدعونها ويكذبونها بخوضهم ولعبهم، فليخوضوها دعاً: دفعاً

١ . راجع تفسير سور: الحاقة ١٦ والمعارج ٨ والمرسلات ٩ والنبأ ١٩ والتكوير ١١ والانفطار ١ فى الجزء ٣٠ من الفرقان.

- ولتتلاعب بهم نارها، اذ دفعوا الى ما كذبوا، فالدع هو الدفع الشديد: ان تغل ايديهم الى اعناقهم، وتجمع نواصيهم الى اقدامهم، ثم يدفعون الى جهنم دفعاً على وجوههم صماً و عمياناً، وكما توحيه آيات متجاوبة بهذا الصد. ولقد كانوا يتقولون على القرآن أنه سحر، وعلى رسول القرآن أنه ساحر أو مجنون، فحين اذ يدخلون النار يسألون هزء:

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥) فقد كنتم تقولون عن القرآن: إنه سحر! فهل هذه النار التي تحرقكم كذلك سحر؟ أم هي حق ملموس منه تصرخون، كما كان القرآن حقاً، ولكنكم كنتم لا تبصرون. فقد كنتم تقولون: ﴿إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (١٥:١٥) فهل سكرت عن النار المخبر عنها أيضاً كما سكرت عن البحر، فذوقوا فتنتكم، هذه النار التي كنتم بها تكذبون!.

توحى الآية أن حجة القرآن باهرة للبصائر كأنها مبصرة، فإذا نكروها وسخروا منها فلتمسهم النار: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ (٣٤:٤٦). ولو أن صبروا على حرها ناظرين إلى رحمة الله أن يخفف عنهم أو يخرجهم فهل ينفعهم صبرهم فيما ملون؟ كلا!

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

دون ما أنتم تأملون! فالعذاب واقع لامحالة، ما له من دافع بأية حالة، فالصبر وعدمه سواء، فإنه الجزاء العدل ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ ليس من الله هناك شيء انتقاماً أو سواه، وإنما الجزاء النار صورة حقيقية عما عملته الكفار، فالخوض في آيات الله دعاً لها، حقيقته الخوض في النار دعاً إليها، فهم بذواتهم الشريرة يوقدون ناراً: ﴿اصلوها﴾ فما الصلى إلا الإيقاد، فلا وقود لها إلا أنفسهم: ﴿انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ (٩٨:٢١) فالكافر وهو في الدنيا يخلق وقود النار بما يحتمل، ومهما كان غافلاً عنه فسوف ينتبه: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (٢٢:٥٠)!

إلى هنا سمعنا إلى سيرة أهل النار، وعرفنا مصيرتهم، تقدموا على المتقين، لتقدم الطغوى على التقوى من حيث الدافع فالواقع، ثم نسمع ما للمتقين.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ كما كانوا يوم الدنيا في جنات العقائد والأعمال، فهم كذلك يوم الدين في جنات ونعيم، انما يجزون ما كانوا يعملون عدلاً وإحساناً، مهما كان جزاء الفاسقين عدلاً وليس إحساناً.

﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمُ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾: نعمتان اثنتان، ايجابية: ﴿فَاكِهِينَ﴾ من الفكاهة: حديث ذوى الانس: مستأنسين ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمُ﴾ وسلبية: ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ بما اتقوها بتقواهم.

وينضاف إلى نعمتيهم هاتين كل تبجيل وتجليل، وتهنئة وتكريم:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ فالنعم الناتج عن العمل نهى بالذات، وقد أضيف إليه أمر المضيف فازداد رحمة على رحمة.

وفيما إذا سئلنا: ما هو الفرق بين جزاء الكافر والمؤمن - ان جزاء المؤمن ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لانفس العمل، وجزاء الكافر ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. فالجواب: ان المؤمن كذلك يجزى نفس عمله الصالح، ولكنه بزيادة عما عمل بفضل الله وإحسانه، فليس جزائه إذن ما قد عمله فحسب، ولكن الكافر لا يجزى إلا قدر ما عمل: وهذا عدلٌ من الله هنا، فضل منه هناك.

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴿٢٠﴾﴾ هذه النعم الثلاث مزدودة برابعة هي اتكائهم على سرر مصفوفة: منسقة هي فمنسقةً جمعاً من أهل الجنة، متمتعين بلذة التجمع باخوان على سرر متقابلين، ومصفوفة كذلك: مرمولة: مزينةً بالجواهر والذهب والفضة.

وخامسة بعد اكتمال هذه النعم روحية وجسمية، تجعلهم غريقين فى بحر النعيم:

﴿وَزَوْجَانَهُمْ يَجُورُ عَيْنٍ ﴿٢١﴾﴾: كأمتع ما يتمتع به الانسان جسدياً، إضافة إلى أزواجهم المؤمنات، اللاتي يدخلن معهم الجنة أزواجاً لهم فيجعلهن الله كحور عين كما

توحى آية المشية^١ وروايتها.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلٌّ امْرَأٌ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢١)

آية فريدة في نوعها تضم أهم المباحث في باب الجزاء العدل والفضل، تتطلب بحثاً وتنقيباً فصلاً، فانها ضابطة شاملة ترجع اليها فروع عدة وتجاوبها دعاء الملائكة حملة العرش ومن حوله.. ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم ﴿٨:٤٠﴾ فلو أن الآباء والأزواج والذريات كانوا على درجات الذين آمنوا وتابوا واتبعوا سبيل الله، لم يكن لفصلهم عنهم ورجاء لحوقهم من معنى.

ثم وآية الذرية تلك تقول: ذراري المؤمنين، التابعون لهم بإيمان، يلحقون بهم دون ألت وتقص من أعمالهم، والنفوس كلها رهينة أعمالها، فمن هم هؤلاء الذراري؟ وما هو اتباعهم بإيمان؟ وأين الألقاق؟ وما هو مداه؟ ولماذا مظنة الألت: النقص - من أعمالهم وليس من جزائهم؟ وما هو دور ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ هنا؟.

الذرية في الأصل من الذر: الصغير ومنهم صغار الأولاد والأهل، فهم الأتباع - أيأ كانوا، بطبيعة الحال - لمن يربيهم ويدير شؤونهم، فيتبعونه فيها، وكذلك في الإيمان أو الكفر، وإذا نتوسع في معناها نعممها لكافة الأتباع: من بنين وأهلين وآباء وأمهات وسواهم، أقارب وشعوباً ما هم أتباع، وكما يعبر عنهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرعية: ﴿ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته﴾.

فالذرية مضمّن فيها معنى الضعف والقصور، ولو أحياناً: ﴿أو تقولوا إنما أشرك

١ . «لهم فيها منا يشائون ولدينا مزيد» ومن أفضل ما تشاءه النساء أن يصبحن كحور عين فازوا جا لأزواجهن.

٢ . روضة الكافي عن ابي حمزة قال سمعت ابا عبدالله (ع) يقول لرجل من الشيعة انتم الطيبون ونسائكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء..

آباءنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴿١٧٣:٧﴾ مهما كانوا كبار في الأعمار، أو لم يكونوا من أولاد رعاتهم، وأخرى تتحلل عن ذلك متمحضة في التنسل فحسب، فقد تفوق الآباء والجدود، كما النبيون على آبائهم غير النبيين، أو من هم دونهم في النبوة، وكخاتم النبيين على بنى الانسان كافة، إلا أن ذلك بدليل، كما وأن الضعف والقصور في المكانة والاستعداد يعرف بدليل كما هنا.

فالذرية هنا من القبيل الأخير، بدليل اتباعهم رعاتهم الأصول بايمان، فهنا مؤمنون متفوقون في الايمان، وآخرون يتبعونهم من ذريتهم بايمان، فلو كانوا كآبائهم أو فوقهم لم يكن لا تبايعهم لهم معنى! كما وأن في الحاقهم بهم في ثواب الايمان، أو حكمه، أو درجاته: مكاناً أو مكانة، ان في ذلك دلالة ثانية على قصورهم عنهم، وإلا فلماذا اللاحق؟ لو أنهم كآبائهم أصلاء في الإيمان، فليكونوا في ثواب الايمان ودرجاته أيضاً أصلاً.

ثم اتباعهم بايمان، إنه - ولا بد - من فعلهم، مهما ساعدته توجيهات من المتبوعين، كما يوحيه الإتياع، فهنا شروط مثلثة تتجاوب في إيمان الذرية الأتباع: توجيهات من الأصول تهيب ظُروف الإتياع وأجواءها ومحاولات من الفروع استجابة لأصولها، وتوفيقات من الله تربط بين الضلعين ليكمل مثلث الهداية الايمانية.

ولماذا ❊ بايمان منكرًا، وليس ❊ بالايان ❊ معرفًا؟ لأن الايمان في أية درجة كان يبرر ذلك الإلحاق، فالمعرف منه يوحى أنه كإيمان الأصول، إذاً فلا معنى للإلحاق لأنهما على سواء، فإيمان مصيره الجنة، مهما خالطه ما يُستحق به النار، إنه يُلحق صاحبه بالأصول على أية حال، رأى صاحبه النار أم ما رآها.

ثم الاتباع الايماني ينفي ما عداه من الإتياعات والإنطباعات، أية انطباعات وأية اتبعات، اللهم إلا الايمانية فحسب.

إذاً فهؤلاء الذرية هم المكلفون، دون القصر ولا الكافرون، إذ لا اتباع لهؤلاء ولا هؤلاء بايمان، فالقصر غير مكلفين، فلا يطلب منهم ايمان، ولا يتأتى منهم اتباع بايمان، الذي هو فعل اختياري من الذرية: ❊ واتبعتهم ذريتهم بايمان ❊ وأما الايمان

الفطرى والتشريعى فهما من فعل الخالق المشرع دون المخلوق المشرع، فماذا تكون إذا حال القصر من أولاد المؤمنين وأولاد الكافرين؟ انتظر الجواب فى اخريات البحث.

وأما الإلحاق، فهل يشمل الآخرة والأولى جزاءً فى الآخرة وشيئاً فى الأولى؟ علّه يشمل حيث تتحملة الآية، ولا سيما باحياء الماضية: ﴿الحقنا﴾ ولكنما الاخرى هى الأولى، إستيحاء من رهانة النفوس بأعمالها، إذ لا تظهر تماماً فى الدنيا.

وأما عن مدى ذلك الإلحاق فى الآخرة؟ فقد يتحقق بكافة الدرجات فى جنات المعرفة والرضوان بسائر المكانات، فضلاً عن الأمكنة والماديات، وهذا مخصوص بالآباء والذريات القريبى الدرجات كما بين الرسول الأقدس محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذريته الأئمة الأوصياء، فإنهم قلوب واحدة بقوالب عدة، دون اختلاف فى الدرجات، اللهم إلا فى كرامة الوحي الخاصة به (صلى الله عليه وآله وسلم) دونهم (ع)، وإلا فـ ﴿أولنا محمد - آخرنا محمد - أسطنا محمد: وكلنا محمد﴾ وكما توحيه آية التطهير واضرابطها،

١ . الكافى عن أبى عبدالله (ص) فى الآية قال: الذين آمنوا النبى (ص) وأمير المؤمنين (ع) وذريته الأئمة الأوصياء (ع) «الحقن بهم» ولم تنقص ذريتهم الحجة التى جاء بهم محمد (ص) فى على (ع) وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة .
البرهان ٤: ٢٤١ محمد بن العباس مسنداً الى على بن زيد قال عبدالله بن عمر كنا نفاضل فتقول عمر وابو بكر وعثمان، ويقول قائلهم فلان وفلان، فقال رجل يا أبا عبد الرحمان فعلى (ع) فقال: على من أهل بيت لا يقاس بهم احد من الناس على مع النبى فى درجته ثم استدل بهذه الآية وفيه عنه باسناده المتصل عن ابن عباس فى الآية قال: تزلت فى النبى (ص) وعلى وفاطمة والحسن والحسين (ع) .
وفيه الشيخ فى اماليه بسند متصل عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد (ع) يقولان: ان الله اعوض الحسين (ع) من قتلته ان جعل الامامة فى ذريته والشفاء فى تربته واجابة الدعاء عند قبره ولا تبعد ايام زائرية جائياً وراجعاً من عمره، قال قلت لأبى عبدالله (ع): هذه الخلال ينال بالحسين فما له فى نفسه؟ قال: ان الله تعالى الحقه بالنبى (ص) فكان معه فى درجته ومنزلته ثمه تلى (ع) هذه الآية .

وفيها تكون الدرجات بين الآباء والذريات شاسعة بعيدة، فالمتيقن من هذا اللاحق، هو الحظوظ المادية، او ومعنوية احياناً حسب متطلبات الآباء، فاللحوق اذاً يشمل قسميه، طالما التسوية المطلقة بمفردها لا تناسبه فانها ليست لحوقاً، وانما بمناسبة الجمع، الذى تبرره الاكثريه الساحقة من غير المساوين تماماً.

وكيف تلحق الذريات بالآباء وهم أتباعهم ودونهم فى الايمان، أليس يقتضى ذلك اللاحق نقصاً من اعمال الآباء ليزيد فى اعمال الذرية حتى يستحقوا التسوية باللاحق؟ وهذا ظلم بالآباء! وزيادة للذرية دون عمل! حتى ولو زيد فى أعمالهم دون نقص عن الآباء، ومظنة الألت هذا يقتضى سلباً ويجاباً فى الجواب: فسلباً ❀ وما التناهم من عملهم من شيء ❀: نلحق بهم ذريتهم دون ان ننقص من اعمالهم شيئاً، وكما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله: وما نقصنا الآباء بما اعطينا البنين ويجاباً: ❀ كل امرئ بما كسب رهين ❀ فقد تختص رهانة النفوس بطالحات الاعمال دون صالحاتها، كما توحيه الرهانة نفسها فانها القيد والحصر، وكذلك آياتها الأخرى: ❀ كل نفس بما كسبت رهينة. ❀ إلا اصحاب اليمين ❀ (٣٨:٧٤) فانهم لا يرهنون ان لم تبق لهم سيئات، بين ما لم يقترفوها وما كفروا عنها، فنفسهم ليست رهينة طالحات وسجينتها.

وقد تدل رهانة النفوس باعمالها انها باقية معها، وكما تدل عليه ❀ وما التناهم من عملهم ❀ دون ❀ من ثوابهم ❀ فامكانية النقص من العمل ليست الا ببقاء العمل، اذاً فالمستفاد من هذه الضابطة: أن السيئات هى الرهانة لاصحابها، تقدر عقوبتها بقدرها، او ويعفى عن بعضها فى ظروفها، واما الحسنات فهى لا ترهن وتقيد أصحابها بقدرها، فان الثواب دوماً يزيد على الطاعة، فى اصلها إذ لا تحقق جزاء إلا بفضل من الله، وفى قدرها ف ❀ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ❀ (١٦٠:٦) ثم هناك مزيد عند الله بغير حساب ❀ ولدينا مزيد ❀ ان الله يرزق

١ . الدر المنثور ٦ : ١١٩ - اخرجه البزار وابن مردويه عن ابن عباس رفعه إلى النبى (ص) .

من يشاء بغير حساب!.

فأية الرهانة حيث ترهن وتأسر السيئات بقدرها في العقوبات عدلاً أو بأقل منها فضلاً، فهي تحرر الحسنات عن حدودها في الثواب، كما في كافة المؤمنين، بل وتحرر الثواب كذلك عن قيد الحسنات فيما لم تكن سيئات ولا حسنات كاطفال المؤمنين والكفار، وكذلك فيما كانت سيئات مكفرة وحسنات لا تستحق إلا قدرها من الثواب الفضل، كدخول الذرية التابعين بإيمان، الجنة، ثم الحاقهم بأبائهم في درجاتهم أو بعضها فانهم يستحقونها اذ لم يعملوا لها ولكن الله يلحقهم بالآباء تقريراً لعيونهم، رغم ان الذرية انفسهم لا يستحقونها لا عدلاً ولا فضلاً! فاذ يلحقهم الله بآباءهم، ليس ذلك إلا اكراماً للآباء حيث تقر عيونهم، فتقدر - اذاً - درجات اللاحق هذا بما تقر به عيونهم، دون ان يألتهم وينقصهم من اعمالهم من شيء، فكما زاد في ثوابهم ان رفعهم درجات فوق اعمالهم، كذلك يزيد لهم ان يقر عيونهم بالحق ذرياتهم المؤمنين بهم، وهذا لا يتنافى والجزاء العدل، فانه طرف من تكريم الآباء.

ومن وجهة اخرى ان الذريات التي اقرت عيون الآباء، أن اتبعتم بإيمان، كذلك تقر عيونهم بهذا اللاحق، فضلاً من الله واحساناً، دون فوضى لافى العدل ولافى الفضل، فانه نتيجة عمل ثنائى: منهم اذ بيّضوا باتباعهم الآباء عيونهم وبآبائهم اذ انهم من عملهم ولادة وتربية، وأن ذلك مما يشاؤنه والجنة: ﴿لهم فيها ما يشاءون ولدينا مزيد﴾.

صحيح أن الذرية ما عملوا كما عمل الآباء، إلا ان في لحوقهم جزاء على عمل الآباء، فلا ظلم على الآباء في ذلك بل هو فضل، ولا فوضى في الفضل على الذرية

١ . الدر المنثور ٦ : ١١٩ - اخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ان النبى (ص) قال: اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وذريته وولده فيقال: انهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول: يا رب! قد عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم ووقرء الآية . وفي معناه، رواه فى الكافى عن أبى عبدالله (ع) فى الآية قال: قصرت الأبناء عن عمل الآباء فالحقوا الأبناء بالآباء لتقر بذلك اعينهم .

إذ ليس إلا مغبةً تقرير عيون الآباء، طالما الفوضى وخلاف العدل في إلحاق غير الذرية إلى هؤلاء في درجاتهم أو بعضها، فانهم لا يستحقونها ولا فضلاً، وهذه التسوية خلاف العدل إذ لا تقرير لعبون المسوى بهم.

لذلك - وفي توسع من معنى الذرية أو حكمها - بإمكاننا أن نتخطى الأولاد والأهلين إلى كل التابعين لرعاتهم بايمان، ما كان في إلحاقهم بهم تقرير لأعينهم، وإن كانوا آباءهم هم التابعين لهم بايمان وامثالهم من الأرقاب غير الأولاد وكما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم و غير الأقارب كما في كل مأموم لإمامه، هذا، وكما يتضمنهم دعاء الملائكة للمؤمنين الأصول: ﴿ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم﴾ (٨:٤٠). ثم وفي وجه آخر لآية الرهانة: ان يشمل الرهن فيها صالح الاعمال ايضاً.

نقول ان الذرية وان لم تعمل ما يؤهلها لهذا الإلحاق، إلا أنهم في اتباع الايمان من مكاسب الآباء ولو في زاوية من مثل الإهتمام، وان الآباء عملوا لهم كما عملوا لأنفسهم، وعلى حد المروى عن الرسول الاقدس صلى الله عليه وآله وسلم فكما للانسان ان يعمل لنفسه، كذلك له ان يعمل لمن هو كنفسه ان ساعدت ظروفه، واتبعه بايمان كما تقدم حسنات للأموال مهما كانوا غير مخصوصين بالعاملين، وإن لا يصلهم الا بعض ما يقدم لهم، فكذلك وباحرى للذريات، وإن لا يصلوا بذلك درجة الآباء، فهم بحاجة إلى الإلحاق؛ فضلاً من الله واحساناً ثم ولا ينقص من اعمال الآباء شيء لانها باقية معهم دون مزايلة، وهم مرهونون بها دون فكاك، فكيف ينقص منها؟ بل ويزاد عليها حسنات فسواء اختصت الرهانة بالسيئات، او عمت الحسنات، فالتابعون لآبائهم بايمان يلحقون بهم باحسان دون نقص من اعمالهم شيئاً، ودون منافات لرهانة الاعمال ايأ كانت.

واخيراً ما هو دور القصر من اولاد المسلمين، صغاراً و مجانين، وكذلك هما من الكافرين؟.. نقول: ان الذراري القصر المسلمين، وان لا يشملهم صدر آية الذرية، إذ اختصت بالمكلفين، إلا أنهم مشمولون لذيلها: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ في

الوجه الاول، كما يشمل القصر من الكافرين وان كان بينهما فرق بان في ادخال الاولين الجنة تقريراً لعيون آباءهم دون الآخرين، فالعقاب والعقاب فقط لزامه السيئة، واما الثواب فلا يتطلب حسنة ولا سيما ممن لا تتأتى منه ولا تأتي من راعيه، فاولاد المؤمنين يدخلون الجنة وكما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من آله (ع) وعمل مصير اولاد الكفار ومجانينهم حظيرة بين الجنة والنار اذ لا طاعة لهم ولا عصيان ولا رهانة خيرة لا بائهم حتى يدخلوا الجنة تقريراً ولا شريرة لكي تدخلهم النار، وليس بذلك البعيد من رحمة الله ان يدخلهم ايضاً الجنة ولكن أدنى من قصر المسلمين.

وهناك رواية يتيمة توجب النار للقصار اياً كانوا امتحانا لهم هل هم مؤمنون فيدخلوا الجنة، ام كفرون فيدخلوا النار امتهاناً ولكنها لا مصير لها إلا النار!.
فهنا تتساءل مختلفي هذه اليتيمة المخالفة للكتاب والسنة: أليس من الضروري انقضاء التكليف بالموت؟ فكيف يتكلف الأطفال بعد الموت وهم قصر بهذا التكليف العضال، الذي قلما يكلف به المكلفون الأقوياء: أن يدخلوا النار!.

ثم وما بال البعض منهم يعصون، والقيامة يوم ظهر الحقائق دون استثناء، ولو للكفار الذين عاشوا حياتهم كفرًا وعصياناً، فهم يرجون هناك أن لو نفعهم ايمانهم فيؤمنوا: ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنه الله التي قد خلت في عباده﴾ (٨٥:٤٠)، فكيف يعصى هؤلاء الصغار وهم أعرف بالحقائق هناك من الكفار، لصفائهم وعدم كفرهم؟ أو وإذا خالفوا أمر دخول النار كيف يستحقون به النار؟ لأنهم عصوا الله مشافهة؟ فهو إلحاد في الله انه يشافه و ﴿لا تدركه الابصار﴾! ام عصوه إذ أغروا بجهلهم فهم اذاً معذرون، والاغراء بالجهل واستغاله ظلم سبحانه العزيز الجبار، او انه من المعاصي الصغار، لو تأتي العصيان من الصغار، فكيف يحكم عليهم بدخول النار؟ او

١ . في المجمع روي زاذان عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ص): ان المؤمنين واولادهم في الجنة، وروي عن الصادق (ع) قال: أظف الالمؤمنين يهدون الي آباءهم يوم القيامة.

يحكم لمن اطاع منهم هناك وآمن بدخول الجنة خلافاً لسنة الله التي قد خلت في عباده: ان الايمان عند رؤية البأس لا ينفع!

إذاً فلا مرد لهذه اليتيمة إلا النار، ولكي نزرح القصر المبتلين بها من النار، كما هو مرد كل ما يخالف الكتاب والسنة مهما كثرت روايته وكبرت روايته فضلاً عن هذه الوحيدة الهزيلة، المرفوعة الشاذة الدليلة، المتناقضة في نفسها، رغم انها رائجة في أسواق تجار الإسلام المفترى عليه.

ومثلها يتيمة اخرى تفصل بين اولاد المؤمنين فالى الجنة، وبين اولاد الكفار فالى النار!

وهذا التفسير يتصدى لأمثالها من المخلقات الزور الغرور، فانه لها بالمرصاد.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾

ان المتقين والمؤمنين - بعد هذه المكرمات - يمددهم ربهم بفاكهة ولحم مما يشتهون، وهما من أفاخر وألذ المآكل، مما يتطلب كأساً مثلها، وإذا هم يتعاطونها بما فيها من خمر، لكنها ليست كخمر الدنيا إلا في اسمها اذ ﴿لا لغو فيها ولا تأتيم﴾ ﴿لا في الجنة ككل، ولا في الكأس، ولا في خمرها، لغو القول ولا لغو الفعل، وكذلك التأتيم، طالما هما في الدنيا وكأسها وخمرها ممن سكر فعريدة وهذر وهدر وايداء واستئذاء وهتك للحرمت وكل لغو تأتيم، ولكنهم في الجنة يتعاطونها ويتجادبون متلاعبين متفكهين بلا اى لغو او تأتيم، كمتنازعين وليسوا متنازعين.

١ . تفسير روح البيان ج ٩ ص ١٩٣ نقلا عن عين المعاني: سألت خديجة (رض) رسول الله (ص) عن ولدين لها ماتا في الجاهلية، فقال (ص) هما في النار، فكرهت فقال (ص) لو رايت مكانهما لأبغضتهما، قالت: فالذى منك؟ قال (ص): في الجنة، إن المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار. ومثلها ما في الدر المنثور ٦: ١١٩ - أخرجها عبدالله بن احمد في زوائد المسند عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص): ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرء الآية.

وكما انها فيها ليست خمراً تخمر العقل فتخلف كل لغو تأثياً، وانما التنازع هنا تلاعب، زيادة في الإيناس ولذة النعيم ثم ويزيدهم لذة تطواف غلمان لهم، قد يكونون من ذريتهم القصر الملحقين بهم، ام سواهم المختصين لهم في الظرافة والصفاءة ❀ كانهم لؤلؤ مكنون❶: محفوظ، فكما اللؤلؤ المكنون في كهنه الصدفى او الذهبى والفضى ام سواها، باق على نظافته وطراوته، كذلك هؤلاء الغلمان، فهم على ما خلقهم الله في اكنان تصونهم عن اى عيب او ظنة.. ترى اذا كان الغلمان الخدم كاللؤلؤ المكنون فكيف بالمخدوم؟ هنا يجيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ❀ والذى نفسى بيده ان فضل ما بينهما كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم❷.

ولكى يتصارحوا ونسمعهم بوحى القرآن، لماذا ألحقت بهم ذريتهم وغلمان لهم؟ واستكمالاً لأنفسهم بأهلهم: ❀ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ❸ (٢٨)

يوحى الجواب ان التساءل لا يخص اسباب دخولهم الجنة، بل ولحوق ذريتهم بهم وهم يعملوا عملهم، فهؤلاء المؤمنون الأصول كانوا فى مثلث من دوافع هكذا رحمة: ❀ .. كنا.. مشفقين❶ و ❀ فى اهلنا❷ و ❀ كنا ندعوه❸ وهذه هى جذور الايمان. فالاشفاق من الشفق: اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند الغروب، فهو عناية مختلطة بخوف، طالما المعدى منه بمن اظهر فى الخوف، وبقي اظهر فى العناية، وبالباء خاص بالشفقة.

١ . راجع ج ٣٠ الفرقان ص ٢٢٦ « بين خمرا الدنيا والآخرة » .
٢ . الدر المنثور ٦ : ١٩٩ - اخرج عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى الآية قال: بلغني انه قيل يا رسول الله (ص) هذا الخدم مثل اللؤلؤ فكيف بالمخدوم؟ قال: ...

إلا أن ❁ مشفقين ❁ هنا لم يعد بشيء فهو يوحى بحالة لهم بين الخوف والرجاء، خوفاً من أعمالهم، ورجاء بآمالهم في رحمة الله، اشفاقاً من الله ❁ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ❁ (٥٧:٢٣) من عذاب الله: ❁ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ❁ (٢٧:٧٠) وشفاقاً في رحمة الله وشفاقاً بأهلبيهم، اذ كانوا يراعونهم ويحافظون عليهم بشفقة، فقد كانوا غرقى في مثلث الاشفاق: من الله، وفي الله، وباهليهم وهم فيهم!.

واذا كان هذا الاشفاق في كافة الحالات وكما تقتضيه ❁ كنا ❁ الدالة على دوام كما ويشكرهم الله على هذا الدوام: ❁ وكانوا منى على كل حال مشفقين ❁ في الخلوات والجلوات، بين الارغاب والاهلين، كان - اذاً - كاملاً للمشفق، ومكماً لمن فيهم يشفق وبهم، اذ عاشوا كذلك وفي اهليهم، حيث الأمان الخادع ولكنهم لم يندعوا، وحيث المشغلة الملهية، ولكنهم لم يلتهو او ينشغلوا، وهم بذلك الصمود في صبغة الايمان احوالوا حول اهليهم بهالة مشرقة من الايمان، وحوالوا بينهم وبين اللاايمان، فان حالة الرعاة تؤثر في الرعية على أية حال، وبذلك فذريتهم اتبعتهم بايمان، فحق لهم ان يلحق بهم ذريتهم دون ان يؤلت من اعمالهم من شيء، ف ❁ كل امرىء بما كسب رهين ❁.

والزاوية الثالثة لمثلث الايمان، انهم لم يكتفوا باشفاقهم في أهليهم بل وكانوا يدعون الله ويلتمسون من بره ورحمته: ❁ انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ❁ والدعاء مخ العبادة.

فلم يفدهم إلا ما قدموه من قبل - ❁ كنا قبل ❁، واما بعد فوات الاوان بوفاء

١ . نورالثقلين ٥ : ١٤٢ في كتاب سعد السعود لابن طاووس نقلًا عن مختصر كتاب محمد ابن العباس بن مروان باسناده الي جعفر بن محمد (ع) عن ابيه عن ابائه عن امير المؤمنين (ع) عن النبي (ص) في حديث طويل يذكر فيه شيعة علي (ع) ودخولهم في الجنة - الي قوله (ص) عن الله - «فمرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي في اهل بيت نبوي ورعوا حقى وخافوني بالغيب وكانوا منى على حال مشفقين».

الانسان فلا موقع لايمان، ولات حين مناص، اذا فات او ان الخلاص.
 هناك يصف أمير المؤمنين على (ع) حالهم فى الله وابتهاهم الى الله: ❀ أما والله لقد
 عهدت اقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم ليصبحون
 ويمسون شعناء غرباء خمصاء، بين اعينهم كركب المعزاء يبيتون لربهم سجداً وقياماً،
 يراوحون بين اقدامهم وجباههم، يناجون ربهم ويسألونه، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم
 خائفون مشفقون❀.

١ . نورالثقلين ٥ : ١٤١ عن اصول الكافي باسناده
 الي معروف بن خربوذ عن ابي جعفر (ع) قال: صلي
 امير المؤمنين بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف
 وعظم فبكي وايقاهم من خوف الله عزوجل ثم قال: ...

القيامة غاشية

﴿سورة الغاشية - مكة - وآياتها ست و عشرون﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلِي نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزُرَابِيٌّ مُبْتُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦)

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١):

الغاشية - جمعه غواش - من أوصاف الساعة، مبالغة في الغشى: الستر الشامل، والساعة تغشى الناس حشراً: ﴿حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ (١٨:٤٧) كما تغشاهم إماتة في قيامتها: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ (١١:٤٤) وتغشى الكفار منهم عذاب النار: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ (٧:٤١)، وفي غاشية الحشر:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢)

تقسيم ثنائى للذوات الشريرة والخيرة، فالوجوه هنا هى الذوات، حيث الضمائر

والصفات والأفعال الراجعة إليها، لاتناسب إلا الذوات، عبّر عنها بالوجوه لاتجاهها نحو العرض والحساب، واستقبال الساعة لهم بوجهها كلها.

ثم هذه الوجوه تشمل وجه الظاهر والباطن، ومن الباطن: وجه العقل والصدر والقلب والسر والخفى والأخفى، وجوه سبعة تغاشها الساعة، فهي - كلها - خاشعة: ❀ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى ❀ (٤٥:٢٢).

والخشوع هو الضراعة سواءً فى الظاهر أو الباطن، ما لم يقرن بما يدل على الأول، وإن كان هو الأكثر استعمالاً، إذاً فغاشية الساعة تغشى الوجوه كلها فتصبح خاشعة كلها.

❀ عاملةٌ ناصيةٌ ❀ (٣)

عاملةٌ عملت فى دنياها لهواها، وهنا تحصد نَصَبها وتعبها، وعاملةٌ تعمل يوم الغاشية، متعبةٌ نفسها لخلاصها، ولات حين مناص، ومضى دور الخلاص، فقد مضى دور العمل والأمل، فلا أمل ولا عمل، وهى بعملها يوم الدنيا، هنا وقود للنار تصلاها:

❀ تصلى ناراً حاميةً ❀ (٤)

توقد ناراً قدّمها من قبل، وهى ذات حمى: ولادةٌ وإيلاداً: ولدت من الجواهر الحمية، من جوهر ذواتها الشريرة، وتولد حمى: حرقه حامية، لاتبقى ولا تذر. لواءحة للبشر، وكما حمت يوم الدنيا فى جحيم ذواتها، وأحرقت ضميرها وفطرتها، جوّها ومجتمعها!

❀ تُسقى من عين آنية ❀ (٥)

عين بلغت إناها لشدة غليانها، حامية آنية: ❀ يطوفون بينها وبين حميم آن ❀ (٤٤:٥٥) ❀ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم ❀ (١٥:٤٧).

❀ ليس لهم طعام إلا من ضريع ❀ (٦) لا يُسمن ولا يُغنى من جوع ❀ (٧):

١ . فالخشوع وصلى النار والسقى من عين آنية وصلى النار الحامية، وطعامهم، ثم الراضية، وعدم سماع اللاغية . . كل ذلك لا يناسب إلا الذوات.

لا يطمعون إلا الضريع، فما هو الضريع؟ نقول: إنه من الضراعة، فطعام أهل النار يضرعهم ويذلهم ويبيكهم، بدل أن يفرحهم ويغنيهم، ومن المضارعة: المشابهة، فإن طعامهم يشبه الطعام وليس به، ولذلك لا يسمن ولا يغنى من جوع، وهما الأصلان في خواص الطعام، فليس الضريع طعاماً من سنخ واحد، وكما أن وصفه هنا يشهد، وكما اللغة تشهد، فإنها لاتعرف طعاماً خاصاً اسمه ضريع، وكذلك سائر القرآن يشهد، إذ يذكر لهم أطعمة عدة كلها ضريع بمعنييه، كالزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ. كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبَطُونِ. كَغَلَى الْحَمِيمِ﴾ (٤٤:٤٤) و﴿غَسَلِينَ﴾ و﴿لَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ (٦٩:٣٦) و﴿طَعَاماً ذَا غَصَّةٍ﴾ (٧٣:١٣) غصة وغم في أرواحهم، وغمصة في الحلقوم، فطعامهم كله ذَا غَصَّةٍ ضريع، لا يسمن ولا يغنى من جوع، كما أن كله غساق: ﴿إِلَّا حَمِيماً وَغَسَاقاً﴾ (٧٨:٢٥) يغسق ويطلم على آكله حياته، ويحبّد إليه مماته: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تَرَاباً﴾.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٨) لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ (١١):

لم يعطف الوجوه الناعمة على الخاشعة للبون البعيد بينهما، وعدم الإنعطاف بينها وبينها، فهذه ناعمة ناضرة ضاحكة مستبشرة مبيضة، وتلك خاشعة مسودة باسرة عليها غبرة ترهقها قتره، فأين وجوه من وجوه! وكيف يعطف بينهما وإن في التعبير؟ هذه ناعمة: ظاهرة البهجة والسرور، من النعومه: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ وناعمة: متنعمة يبدو عليها النعيم، ويفيض منها الرضى: ﴿لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾: راضية عما سعت، مرضية لربها، فهي عاملة في دنياها، راضية في آخرها، دون نصّب وتعّب، خلاف العاملة الناصبة. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾: كلمة ذات لغو، فالنار فيها كل كلمة لاغية، يتلاغى أهلها فيها، والجنة خلوة عن أية لاغية، يتلاقى أهلها مع بعض ومع

خزنتها بكل حنان واحترام، كلماتهم حكمة، وحركاتهم حكمة، ولأنهم دخلوها بالمعرفة والحكمة، فليست هي إذاً مكان اللهو واللغو والغفلة عن الله، ولا التحرر عن قيود العقل والإيمان والمعرفة، رغم أنها ليست بدار التكليف، فالواجبات التي هي لزام العبودية والمعرفة، والمحرمات التي تنافيها، إنها تبقى على حالها في الجنة، ولكنها تطبق هناك دون تكلف وبلاء، وإنما الإبتلائية منها والإمتحانية، هذه هي التي تترك فيها، إذ لا بلاء هناك ولا تكليف، ففيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، ولكن أهلها لا يشتهون الظلم والظيم، ولا يلتذون بالمحرمات الذاتية، لأنهم ظهروا على الحقائق كلها وظهرت لهم، وأنها ليست دار التزاحم واللا إطمئنان: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٤٤﴾ (٥١:٤٤) ﴿وَيُخْرِجُ أَصْغَانَكُمْ ﴿٤٧﴾ (٣٦:٤٧) فلا أضغان تدفع إلى المنافرات، ولا تزاحم ينافي الأمن، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٥﴾ (٤٧:١٥).

فهذه هي الجنة العالية، وليست دانية فيها الرذالات وجماع العادات والتصرفات السيئة، إن أهلها تركوا المحرمات لفترة قصيرة يوم الدنيا، ولكي يتحرروا فيها لغير النهاية! وتفصيل هذا البحث إلى محالها المختلفة في طيات الآيات.

هذه هي اللذة الروحانية في الجنة الرضوان، ثم تتلوها الجسدانية في جنة النعيم: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَ نَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَ زَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾:

عين جارية: جنسها، وليست صنفاً خاصاً، أو عيناً واحدة، وإنما ينابيع متدفقة من تسنيم وسلسبيل، والماء الجارى يجاوب الحس بالحيوية، والروح بالانتفاض والانتقاض، والسُرر المرفوعة لها جمالها وجلالها، والأكواب جمع كوب: قدح لاعروة له، رمزاً إلى سعتها، ولأن العروة تجمع القذارات تحتها، وليست جمع الكوبة: الطبل الذي يلعب به، فليس في الجنة لغو ولا تأثيم. والنمارق هي المساند، مصفوفة بعضها إلى بعض. والزرابي هي البسط الفاخرة، مبعوثة منتشرة على أرض الجنة، للزينة والراحة سواء.

فهذه هي البعض من أثاث بيت الجنة، فيها اللذة كُلُّها، والراحة تمامها، والمتعمّة بكاملها، دون تعب وعناء، أو شغب وشقاء.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧):

هنا النظر إلى ما حضر لعرب البادية، وليس إلا الإبل التي يعيشها، والأرض التي يطؤها، والجبال التي يراها، والسماء التي فوقه، قطعاً للأعذار، وتقريباً للأنظار، فلا أحد إلا ويعيش براهين على وجود الله تعالى، لا يستطيع التحلل عنها، حتى عرب البادية الذين يعيشون أنفسهم بآبالهم، وهي كل ما يملكونه حياتهم، ومن الغريب أنها أكمل الحيوان وأنفعه وأجمعه لصالح المعيشة والراحة:

فهي ركوبهم بأحمالهم، ومنها شرايبهم وإدامهم، ومن أوبارها وجلودها ثيابهم وفرشهم: كمواد أولية للحياة، ثم إن لها خصائص تخصها بين الحيوان: فهي على عظم منافعتها قليلة التكاليف، صابرة على الجوع والعطش والكدح، تأكل ما لا يأكله سائر الحيوان، وهي على قوتها وصخامتها ذلول يقودها الصغير فتتقاد له، وتنهض بحملها وهي باركة، بخلاف سائر الحمولة، وبإمكانها الصبر على الجوع والعطش لمدة أسبوع، وأن تمشى يومياً خمسين فرسخاً، تمشى في الرضاء، وفي الثلوج المغطّية للطريق ولا تضل الطريق، حتى وفي الليلة الظلماء، ولا تنسى الطريق الذي مشته لمرة واحدة، وعنقه كسَلْم يمد ركابها وهي قائمة، ففيها جماع ما في مختلف الحيوان، وزيادات تخصها، فلا عجب أن تعد في عداد الأرض والجبال والسموات، من آيات الله البيّنات، التي تدل على وجوده وقدرته وحكمته، وأن وراء الكون إرادةً وتصميماً، دون صدفة ولا فوضى.

فليست الإبل آية لأصحاب الإبل فحسب، وكما القرآن لا يختصهم بها، بل هي آية لهم ولمن سواهم أن ينظروا إليه كيف خلقت؟ هذه الكيفية العجيبة الفريدة بين سائر الحيوان، ما يحق لها أن تفرد بمؤلف ضخم، علّنا نعرف البعض عن عظمة هذه الخلقة العجيبة.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ

كَيْفَ سَطَّحَتْ؟ ﴿٢٠﴾:

وأولى الناس بالنظر إلى السماء هم سكان الصحراء، كيف رفعت بلا عمد؟ وكيف انفصل دخانها عن مادتها الأولية المضطربة؟ وكيف اقتسمت إلى السبع؟ وكيف نثرت فيها النجوم بلا عدد ولا عمد، وكيف وكيف، مما يتطلب سماءً واسعة من البحث والتنقيب، ليعرفنا على أوسع مما نعرف من حكمه الخبير البصير.

﴿٢١﴾ وإلى الجبال ﴿٢٢﴾ مختلف الجبال ﴿٢٣﴾ كيف نصبت ﴿٢٤﴾؟ مما سقطت عليها من على السماء، وما تدفقت عليها نتيجة البركانات، وما تجمدت عليها إثر الأمواج الناتجة عن دوران الأرض واصطكاكها بالفضاء المجاور البارد، وكما سئل على (عليه السلام) ﴿٢٥﴾ مِمَّ خَلقت الجبال؟ قال: من الأمواج ﴿٢٦﴾ وعلها تعم الأمواج الجوية السماوية، والجوفية، وكذلك السطحية الأرضية، فالأمواج - إذاً - تشمل كل صنوف الجبال:

فمن الجبال ما هي في دور الطفولة كجبال (الأنديس) بأوروبا، ولا تزال ترتفع وتنمو كأنها حيوان، وكجبال (الألب)، ومنها ما بلغ أشده كجبال (البرنيس) بأوروبا، ومنها ما شاخت وهرمت كجبل (المقطم) بمصر، وجبال (الفوزجيش) ومنها ما أخذت سبيلها إلى الفناء، كجبال (وايلس) بأوروبا، ومنها ومنها... وكل هذه لاتخلو عن أنها خلقت من الأمواج، أمواج البراكين والفيضانات، وأمواج الدوران الأرضي، وأمواج الأمطار السماوية، من المواد الحجرية ومن الأحجار، ومن الأمواج البحرية، وكما يقول العلم الحديث: إن الجبال تخلق أولاً في البحر، وكما يُرى في بعض الجبال قواقع ومحار وأنواع الصدف وعظام السمك، مما يدل أنها خلقت في البحار، ثم يبست أو انتقلت مياهها فبرزت.

﴿٢٧﴾ وإلى الأرض كيف سَطَّحَتْ ﴿٢٨﴾: جعلت سطحاً يمشى عليها ويسكن فيها ولم تكن مسطحةً قبله، إذ كانت محترقةً ملتويةً شمساً لاتذلل لراكب، ولا تحن لعائش، ﴿٢٩﴾ وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها.. ﴿٣٠﴾ .

ومن الناس من يخيل إليه أن سطح الأرض ينافى وكرويتها، وإن هو إلا نظرة سطحية قاصرة، حيث السطح هنا مقابل الشمس غير الذلول، والمنقبض أكنافه غير

الباسط، فهل يا ترى إنه السطح مقابل الحجم؟ - مهما كان الحجم كروياً أم سواه - فكيف بالإمكان أن يجعل الحجم - هكذا - سطحاً؟ كلا، إنه السطح عن الإنكماش والانتقاض، انتقاضاً حرارياً ومن حيث الميعان، وانتقاضاً يعنى عدم التسوية والصلوح للسكن، فقد سطحها بعد انتقاضها، وذلك بعد شماسها: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (٢٤):

فذكر بالآيات الآفاقية والأنفسية، وبالآيات القرآنية التي تضمها وزيادة، فذكر، فليست حياتك الرسالية إلا تذكيراً، وبالتبشير والإنذار، ليست لك سيطرة تشريعية تسن الأحكام، ولا تكوينية تهدي من تحب، أو تجبرهم على الهدى، ف ﴿نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار﴾ (٤٥:٥٠) وإنما الجبار المصيطر هو: ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار﴾ (٢٣:٥٩) ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ (١٠٧:٦)، فلا أنت مصيطر جبار، ولا وكيل عن المصيطر الجبار، إنما أنت رسول، وليس لك إكراه الناس على الإيمان، فليس الإيمان بالذى يُكره عليه، ولا أنت قادر عليه: ﴿أفأنت تكره الناس أن يكونوا مؤمنين﴾ (٩٩:١٠) فأولاً وأخيراً، ﴿ليس عليك هداهم﴾ (٢٧٢:٢) وإنما عليك ذكراهم: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (٤٠:١٣): لا تملك من أمر قلوبهم شيئاً حتى تقهرها على الإيمان، فإنما القلوب بين أصابع الرحمان يقبلها كيف يشاء.

فذكر وداوم في ذكراك ﴿إلا من تولى وكفر﴾ فإنه لا تنفعه الذكرى، فذكر إن نفعت الذكرى ﴿ولست عليهم بمصيطر. إلا من تولى وكفر﴾ وليست إلا سيطرة الجهاد والدفاع: (العذاب الأصغر) لا العذاب الأكبر: ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾: بعدما يعذبهم بك، وبالقائم المهدي من ذريتك، وبمن معكما وبينكما من المناضلين، يعذبهم بكم العذاب الأصغر، ثم يعذبهم في البرزخ العذاب الأوسط.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦)

فليس إياب الخلق إلا إليه، ولا حسابهم إلا عليه، وأنت المذكر، لست إلا إياه، وعلى حد قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ^١ وغيره يؤول أو يضرب عرض الحائط ^٢.

١ . الدر المنثور ٦ : ٣٤٣ ، أخرج الأعلام عن جابر قال: قال رسول الله (ص): أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، ثم قرأ: «فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر».

وعن علي (ع) جواباً عن كيفية الحساب: كيف بحاسب الله الخلق علي كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم علي كثرتهم، قيل: فكيف يحاسبهم ولا يرونه؟ قال: كما يرزقهم ولا يرونه، (نهج البلاغة).

٢ . في زيارة الجامعة عن الامام الجواد (ع) «وأياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم». وفي معناها روايات عدة كالمروى عن الامام موسى الكاظم (ع) أنه قال: يا سماعة إيلينا أياي هذا الخلق، وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزوجل حتمنا علي الله عزوجل في تركه لنا، فأجابنا إلي ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناهم منهم فأجابنا إلي ذلك وعوضهم الله عزوجل.

وعن الامام الصادق (ع): إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سألنا الله أن يهبه فهو لهم، وما كان لهم فهو لهم، ثم قرأ الآية: «إن إيلينا إياهم ثم إن علينا حسابهم» (نور الثقلين: ٥٦٨ - ٥٦٩).

أقول: آخر المطاف في تأويل أمثال هذه الأحاديث أنها تعني إثبات الشفاعة لهم (ع) فهناك إيبان وحسابان: أصل وفرع، فالأصل لله. والفرع لهم بإذنه، كما فصلناه في أبواب الشفاعة، وأما القول «حتمنا علي الله» فتأويله رده، تأمل.

انشقاق الكائنات

فى القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حَقَّتْ (٢) وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ (٤) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حَقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَ يُصَلَّى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنْ رَّبَّهُ كَانَ بِهٖ بَصِيرًا (١٥) فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ (١٧) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سورة تحمل عرضاً عن البعض من مشاهد الانقلاب الكونى عند الساعة وكما سبقت بصور أخرى فى سور: ﴿النبأ - الانفطار - التكوير﴾. ولكنما طابع الانقلاب هنا يظهر فى مطلع الإستسلام والذل لإرادة الرب، طالما كان فيما قبلها فى جو عاصف قاصف، ولكى يتنبه الإنسان النسيان عن غفوته ويطشه.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١)

بما أن الشق هو الخرم الواقع فى الشيء، فانشقاق السماء هو اخترامها وافتراقها عن التمامها، وانشقاق السماء وليست كواكبها يدلنا على أنها جرم متراكم وليست جواً خالياً فيها كواكبها، إنها جرم وإن كانت تختلف خفة وثقلاً، ومن أنقل أثقالها كواكبها التى خلقت من تجمّع أجزائها وأجرامها، والمملكة السماوية دوماً فى التوسع: ﴿والسمااء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾ (٥١:٤٧).

فانقلاب السماء يومه هو انشقاقها، كما انقلاب نجومها وكواكبها هو انطماسها وانكدارها وانتثارها دون انشقاقها، حيث القرآن يختص السماء بالإنكشاش والإنشاق، ويختص كواكبها بالانطماس والإنكدار والانتثار.

وعلى أية حال فلا مجال للانشقاق إلا في جرم متصل ملتئم، وعلى أثر انشقاقها تنقلب عن صلابتها وتوهي: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ (١٦:٦٩). وهياً لحدّ الدهان: ﴿فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ (٣٧:٥٥) وكلُّ شيء استرخى رباطه فقد وهى، ومن رباط السماء الجاذبية العامة، فالسمااء مرفوعة يوم الدنيا ﴿بغير عمد ترونها﴾ فإذا انفلت رباط العمدة غير المرئى واسترخى، فهي إذاً تنشق، كما الكواكب تنطمس وتنكدر.

وعلى أثر انشقاقها تكشط: انخلاعاً عن جلدها وجلدها: ﴿وإذا السماء كَشِطَّتْ﴾ (١١:٨٤) وتُفرج: ﴿وإذا السماءُ فرجت﴾ (٨:٧٧) وتفتح: ﴿وتفتح السماء فكانت أبواباً﴾ (٢٠:٧٨) وتُطوى: ﴿يوم تُطوى السماء كطى السجل للكتب﴾ (١٠٤:٢١) يُطوى طومارها، فهي يومئذ واهية تمور موراً، ووردة كالدهان، وأخيراً تنقلب إلى ما كانت: دخاناً غازاً متسانخ الأجزاء: ﴿والسمااء ذات الرجوع﴾ (٩:٨٦) ﴿يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ (١١:٤٤).

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٢)

سمعت لربها فى انشقاقها لحد شكك من وقعة سماعها، سماعاً تكوينياً إذ أجابت ربها فى انشقاقها، كما أجابته مع زميلتها (الأرض) عند تكوينها: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سماوات فى يومين..﴾ كناية عن نهاية طوعها لربها وعدم تمنعها عن إرادته تعالى.

﴿وحقت﴾: جعل حق الطاعة والسمع فى ذاتها، المفتقرة جوهرياً إلى ربها، الذى: ﴿بيده ناصية كل شيء﴾ و ﴿ملكوت كل شيء﴾.

أجل إنها ﴿حقت﴾ لا أنها ﴿حقت لها﴾ فحق الطاعة ليس لها منفصلاً عن كيانه، وإنما فى جوهر ذاتها، فلتأذن لربها وتشكو من وقع اذنها، إذ لا تملك لنفسها

إلا أن تأذن، كما الكائنات كلها ﴿أُذِنَ﴾ لربها، في تعميمها وتدميرها.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٣)

مدّ التدمير في النهاية، كما مُدَّت مدّ التعمير في البداية، وبمدّها أُلقيت فيها وعمّرت
رواسيها وجرت أنهارها: ﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً﴾
(١٩:١٥) ثم بمد التدمير تلقى ما فيها وتتخلى:

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٤)

﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾: انقلبت ظهرَ بطن على أثر زلزالها ومدّها العنيف
ورجفتها الأولى المدمّرة.

﴿وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٥):

كزميلتها السماء على سواء في الأولى والآخرة، فكما البداية لم تكن صدفة
وفوضى، أو تدخلاً من غير الله أياً كان، كذلك النهاية ليست إلا بإرادته تعالى ﴿فلله
الآخرة والأولى﴾ (٢٥:٥٣).

﴿إذا السماء.. يا أيها الإنسان﴾.. وهنا نسأل: أين جواب ﴿إذا﴾؟ هل إنه
محذوف ليذهب ذهن السامع أى مذهب ممكن فيكون أدخل فى التهويل؟ أو أن آية
الكذب جملة معترضة لتزود الإنسان بذكرى ما تتطلبه حياة الحساب، ثم بعدها آية
الجواب: ﴿فأما من أوتى..﴾ ؟ أو إن ﴿إذا﴾ ظرف لدور الكذب إلى الرب ولقائه،
كدحاً يختص بأهوال القيامة وأحوالها، قيامة الإماتة والإحياء؟ كلُّ محتمل، وخيرها
أوسطها، إذ لا يحصر كح الإنسان بأهوال القيامة رغم الأخير، ولا يُهمل ﴿إذا﴾ بلا
جواب، رغم الأول، فالقرآن جواب عن غير سؤال، فكيف لا يجيب عما يطرحه من
سؤال!

﴿يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ (٦):

وكما الكائنات كلها من أرضها وسماواتها كادحة إلى ربها فتلاقيه.

﴿يا أيها الإنسان﴾: الإنسان، لا الناس ولا الأناسى، خطابٌ شخصى مع كل
إنسان إنسان، وليدل أن الكدح للجميع لا المجموع، فكلُّ كادح، وعلى كلِّ أن يكون

كادحاً.

فما هو الكدح في ذاته؟ وما هو إلى ربه؟ وما هو الملقى بعد الكدح؟ هل هو الكدح بنتاجه؟ أم هو الرب المكدوح إليه؟

الكدح هو السعى والعناء، وهو دون الكدّم، وحقيقة الكدح هي المستقرة في حياة الإنسان أيّاً كان، وإن اختلف نوعه: نفسياً وجسدياً، وإن اختلفت مراتبه حسب اختلاف الكادحين، وإن اختلفت أهدافه، فواحدٌ إلى عناء دونه عناء الأرض، وواحد إلى نعيم يمسح على آلام الأرض كأنه لم يكدح.. فأنت أنت يا إنسان تقطع رحلة حياتك على الأرض كادحاً على أية حال.

ثم الكدح أيّاً كان لا يقف لحدّه أو يفنى، إلا أن يجتازه إلى آثاره عاجلاً وآجلاً، شئت أم أبيت، وإلا أن يجتاز بك إلى ربك: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى﴾ شئت أم أبيت، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ شئت أم أبيت، فلا محيد لك ولا محيص عن هذين المصيرين اللذين ينتظر انك بعد الكدح، في حياة الكدح وبعدها.

وإذا كنت - ولا بد - مسيراً إلى هذا المصير، فأحسن السير تحسن المصير، كن كادحاً إلى ربك عن تقصّد وإخلاص، وإلى نتائج كدحك عند ربك، لتخرج يوم العرض والحساب عن الشغب والإفلاس.

فكدحك أيها الإنسان كدحان: كدح نتاجه كدح وأشقى هو للحيوان، وكدح نتاجه راحة ورضوان من الله وهو كدح الإنسان، فكن كادحاً كإنسان، تراعى في أعمالك مرضاء الله تكسب الدارين، والثانية أسعد وأبقى: ﴿وَأَنْ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وإذا كان واقع الكدح إلى لقاء نتاجه وإلى لقاء الله، فالحرى بمن يحترم عقله أن يتقصّد هذين اللقائين ويعمل لهما، دون أن يتجاهلهما، كما الكثيرون من الكادحين يتجاهلون، كأنهم موقنون ألا لقاء هنا وهناك.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ: متعب نفسك﴾ إلى ربك ﴿الَّذِي رِبَاكَ كَيْفَ تَكْدَحُ كَوْنِيًّا وَشَرْعِيًّا﴾ فملاقيه: ملاقى كدحك وملاقى ربك، فلتكن عاقلاً في

كدحك لكى يكن اللقاء مشرفاً سعيداً يوم الدنيا ويوم الدين فى اللقائين.
 الكدح الصالح - نفسياً وجسدانياً - ينتج لقاءً صالحاً فى الدنيا، معرفياً عن النفسى
 منهما، وحيوياً معيشياً عن الآخر.. وينتج - وبالأحرى - لقاءً صالحاً وأصلح يوم
 الآخرة: إذ تلاقى ربك لقاء المعرفة العالية، ولقاء الزلفى والرضوان، نتيجة الكدح فى
 سبيل الله، وتلاقى عملك كذلك: ❀ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً..
 ❁ فاستعدّ ليوم اللقاء ولأيام اللقاء، ولتعمل عملاً صالحاً ولا تشرك بعبادة ربك أحداً.
 إن الإنسان - كائناً من كان - إنما يعيش بعمله، عيشة الإنسان أم عيشة الحيوان،
 فليكن إنساناً كما ربّاه ربه، وليستعد للقاء ربّه بعمله.

شريعة الكادحين:

إن شريعة القرآن وسواها من شرائع إلهية غير محرّفة، إنها شريعة الكدح إلى الله
 فى كافة النشاطات والمجالات، ولا ترضى لأحد حياة الأريحية، وأن يجعل كَلّه على
 غيره، ف ❀ ملعون ملعون من ألقى كَلّه على الناس ❁.

فبإمكان الإنسان أن يعيش الكدح إلى الله حياته فى كافة الحقول: عبادية وسياسية
 واقتصادية وثقافية وحربية، وأضرابها من حقول الحياة التى تتطلب - كل حسبها
 - تعباً فكرياً وعضلانية وسواها؛ فتصبح أعماله وأفكاره - كلها - فى سبيل الله: يعبد
 الله لله، ويسوس عباد الله سياسةً صالحةً لله، ويزرع لله، ويتجر ويعمل ويصنع لله، ويتعلم
 لله، ويحارب فى سبيل الله، فيجعل كافة ميادين الحياة محارِب يتمثل فيها هو مطيعاً
 لأوامر الله، وكما الكون أجمع محراب واسع تسجد فيه الكائنات لربها طوعاً أو كرهاً
 ثم إليه يحشرون.

فطوبى للكادحين إلى ربهم إذ لا يدركون عناءه بما تنتظرهم من رحمة خالده،
 ورضوان من الله أكبر... وبؤساً وتعساً للكادحين إلى الشهوات الفانية، فإنهم سوف
 يدركهم كدحهم السيئ الماكر جزاءً وفاقاً، ❀ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله ❁.
 طالما حياة التكليف هى حياة الكدح والأتعاب، ولكنها تنتهى بلقاء الرب - مشرفاً
 - لو كان تمتجهةً إلى الرب: ❀ كادح إلى ربك ❁ ثم فى لقاء الله ولقاء الأعمال يوم

اللقاء، إنَّ فيه راحةً خالصةً: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حياةً راحةً خالصةً لا تتخالطُ تعباً ولا شغباً.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨):

تقسيم ثنائى لمصير الكادحين من الأختيار والأشرار، وعرضٌ للقاء الأعمال يوم العرض الأكبر، وقد عبّر عنه بالكتاب: الحالة الثابتة من الأعمال والنيات والأقوال، بما استنسخها الله تعالى بأقلام الأمواج على صحائف الأجواء والأعضاء والأكناف: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ وإذا استطاع هذا الإنسان الضعيف أن يستخدم الأمواج وتحويل الصور والأصوات على الشاشات التلفزيونية وأضرابها، فله تعالى كتابٌ لأعمال الإنسان فوق هذا الكتاب: ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ (١٨:٤٩).

وقد يُعنى من الكتاب هنا كتاب الشريعة، يؤتاه يمين المؤمنين إذ عاشوه يمين الحياة وركنها فى الدنيا، ويؤتاه شمال المجرمين أو وراء ظهرهم كما عاشوه هكذا، صورة طبق الأصل ولا يظلمون نقيراً: ﴿فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً﴾ (١٧:٧١) ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه. إني ظننت أنى ملاق حسابه﴾ (٦٩:١٩ - ٢٠).

وقد تدل قراءة الكتاب (٧١:١٧) واستقرائه (١٩:٦٩) أنه ليس كتاب الشريعة، فإنه لا يختص بأصحاب اليمين، فليكن هو كتاب الأعمال، ومعه كتاب النجاح يؤتاه أصحاب اليمين بأيمانهم علامة النجاح، أو كتاب السقوط يؤتاه أصحاب الشمال بشمائلهم علامة السقوط، ولا ينافيه تسوية الحساب: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ إذا عُنى منه كتاب التبشير أو الإنذار قبل الحساب، للتدليل على موقف الحساب.

﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾: لا يلقى صعوبة فى حسابه، فلا يحاسب على سيئاته، ولأنه ترك الكبائر: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم

وندخلكم مدخلاً كريماً ﴿٣١:٤﴾ ولأنه كان تائباً منيباً إلى ربه نادماً عما اقترفه من اللوم: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللوم﴾ ﴿٣٢:٥٣﴾، ولأنه عاش يمين الحياة بترك كبائر الإثم والشهوات، وكان مبدؤه في الحياة أنه من أصحاب اليمين، وأولئك هم الذين يقرأون كتابهم مسرورين بما فيه، ويدعون أهل المحشر - كذلك - ليقروا كتابهم ابتهاجاً بما فيه، ومن هنا نعرف أن هذا ليس حساباً، فليس أحد يحاسب إلا هلك، وإنما ذلك عرضٌ وعلى حد قول الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبما أن الكتاب فيه النجاح، ويشير إلى يسر الحساب، لذلك:

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ﴿٩﴾:

فمن هم أهلهم؟ فهل إنهم ولده وزوجه وذووه الأقربون؟ ﴿فيومئذ لا أنساب بينهم ولا يتساءلون﴾ ﴿٣٦:٨١﴾ أو هم أهلوه اليمينيون؟ أم هم ومعهم كل من كانوا معه في يمين الحياة؟ أم أهلهم الذين أعدهم الله له في الجنة؟ كلٌّ محتمل، إلا الأول، والآية تشملهم إلا إياه، ينقلب إلى أهلهم مسروراً هناك، بعدما كان مذعوراً خائفاً هنا، مما يجري عليه وعليهم في سجنهم، في الحياة الدنيا، بما ذاقوا من حمقاء الطغيان.

﴿والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهلهم مسروراً، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لم يلبسوا من أمر الدنيا بشيء، وإنما الحساب هناك على من تلبس بها ههنا، ومنهم من يحاسب على

١ . نورالثقلين ٦ : ٣٢٩ ، أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ليس أحد يحاسب إلا هلك فقلت: أليس الله يقول: ﴿يسيراً﴾؟ قال: ليس ذلك بالحساب وذلك العرض، ومن نوقش في الحساب هلك، وفيه عنها: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في بعض صلواته: اللهم حاسبني حساباً يسيراً، فلما انصرف قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من نوقش في الحساب هلك.

النقيير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير ﴿١٠﴾.

فالذين يدخلون الجنة بغير حساب هم السابقون، والداخلون بحساب يسيرهم أصحاب اليمين، والذين يحاسبون على النقيير والقطمير هم أصحاب الشمال، وهناك من يدخل النار بلا حساب وهم أصحاب الورا، ولأنه لم يبقوا لأنفسهم مجال الرجاء. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ (١٢):

هؤلاء هم الذين جعلوا كتاب الشريعة وراءهم ظهرياً، مستدبرين إياه حياتهم، ومستقبلين الشهوات حياتهم، تبنا الحياة كحيوان، ولم يفكروا في حياتهم كإنسان، فلقد عموا عن رؤية آيات الله، وصموا عن سماع كلمات الله، وبذلك توتألهم كتبهم وراء ظهورهم فلا يقرؤها ولأنهم أعمون: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَ بَيْمِينِهِ﴾ توتألهم كتبهم وراء ظهورهم فلا يقرؤها ولأنهم أعمون: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بَيْمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا. وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ (٧٢:١٧) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّهٗ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ (١٢٦:٢٠)، وعل وراء الظهر إشارة - أيضاً - إلى طمس وجوههم وردّها على ادبارها: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمَسَ وَجُوهًا فَنَرَدُّهَا عَلَىٰ آدْبَارِهَا﴾ (٤٧:٤) أو على فرق شتى: بين عمى لا يبصرون، ومن ردت وجوههم على ادبارهم، ومن يجمع لهم الأمان، أو أنهم يؤتون كتابهم بشمالهم من وراء ظهورهم، كلّ محتمل تشملها الآية.

هذا - وإن كان البعض من أصحاب الشمال أيضاً يصلون الجحيم مع أصحاب الورا، وعلهم من الذين يخرجون عن النار قبل فنائها، وأنهم كانوا هم المساعدين

١ . نور الثقلين ٥ : ٥٣٧ عن كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين حديث طويل يذكر فيه أحوال القيامة وفيه يقول..

الأول لرؤس الضلالة: ❀.. وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حساييه. يا ليتها كانت القاضيه. خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلّوه ❀ (٢٩:٦٩). هذا التعيش البئس الذى قضى حياته كدحاً إلى الورا، رغم كدحه إلى الأمام: إلى ربه، شاء أو أبى.. وهذا الأعمى الذى استقبل حيوانية الحياة الهابطة إلى دركات اللذات، واستدبر الحياة العليا.. هذا هو الذى يدعو بالويل والهلاک.

❀ فسوف يدعو ثبوراً ❀: هلاكاً مثابراً: مواظباً على إتيانه، ليس صدفةً ودون سبب، فقد كان الهلاك معه، ثم يوم البروز... يدعو ثبوراً وأى ثبور؟ لا ثبوراً واحداً ولا من نوع واحد: ❀ دعوا هنالك ثبوراً. لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ❀ (١٤:٢٥).

إنه كان ثبوراً فى كيانه، لنفسه ولمجتمعه، فى أعماله وأقواله، فى حِلّه وترحاله، فى عقائده وأفكاره، وما كان يدعو إلا سروراً، غافلاً عما تقدمه نفسه، ثم هنالك يدعو ثبوراً.

❀ ويصلى سعيراً ❀: ثبورٌ يدعو ثبوراً، وسعيرٌ يوقد سعيراً، ولا يظلمون نقيراً.. وكل ذلك لماذا؟ والجواب: انه ثبور حق بسرور باطل، وعقيدة باطلة وحياة عاطلة. ❀ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ❀ (١٤): مسروراً بحيونة الحياة لظنه أن لن يحور، فأخذ حرّيته فى الثبور دون أن يقف لحد. مسروراً بما هو فيه، غافلاً لاهياً عما يعنيه، لا يحسب له حساباً، ولا يرجو لنفسه ثواباً ولا عقاباً: ❀ ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق ❀ (٤٠:٤): حياة الفرح والمرح، دون تعقل وإناقة.

❀ إنه ظن أن لن يحور ❀: ظن أن لن يتردد إلى ربه وإلى عمله، لن يكدح إلى ربه فلن يلاقيه بعمله ولماذا؟ هل لأن ربه كان عنه غافلاً غير بصير؟ ❀ بلى إن ربّه كان به بصيراً ❀ (١٥):

إنه يتردد ويحور، وربّه بعمله له بالمرصاد، ولأنه كان به بصيراً، بما منه وما فيه، بظاهره وخافيه، فكيف لا يحيره إليه يوم الجزاء، هل لعجز أو نسيان، أم ظلم وطغيان؟

أم لماذا؟ ﴿لَوْ تَحْسَبِنَ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ. مَهْطَعِينَ مَقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ (١٤:٤٢).

هنا يعبر عن البعث بالخور، لأنه ردة إلى الحياة للجزاء، وكما يدور الحائر إلى حيث كان، فما الحياة إلا دائرة نسير عليها من نقطة حياة التكليف، ثم نرجع إلى نقطة الانتهاء: حياة الجزاء، نقطتان متلازمتان كأنهما واحدة، ولأنهما يتشاركان في مبدء الحياة، يدور الإنسان فيها على محور الشخصية عبر الحوادث والحالات وإلى المنتهى. ثم لسنا بحاجة في البرهنة على حور الحياة، زيادة على واقع الكائنات، فهنا الشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق: أدلة كونية تمثل لنا حور الحياة ودورها.. والله تعالى لا يقسم بها لفقد البرهان، وإنما هو قسم بشيء من البرهان، وثم ينفيه موجهاً إلى برهان أعمق، وتبيان أعرق، هو أدلة الفطر والعقول:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ (١٧) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (١٩):

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾: الشفق هو ضوء النهار المختلط بظلام الليل عند الغروب، شفق لعنايته المختلطة بالخوف وهو الإشفاق، فهو الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب، خاشع لضوء النهار، مرهوب بظلام الليل، بين الخوف والرجاء.

﴿وَاللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ﴾: وما في الشفق جمع بين المتفرقين: ضوء النهار وظلام الليل، كذلك الليل واسق: يجمع بين المتفرقات، فهو يجمع ويضم ويحمل الكثير من أشياء وأحياء وأحداث ومشاعر وعوالم خافية سارية في الأرض، غائرة في الضمير.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾: اجتمع نوره وتبدّر وتكامل واطرد، كما في ليلة بدره وتمامه، فائضاً على الأرض الظلماء الداعس، بنوره الحالم الجابر لهذه الظلم.

قسماً بالليل وما وسق والقمر إذا اتسق، ولا أقسم بالشفق فإنه خلط لا يبين، وإنما الليل وما جمع، يجمع ويؤى المتفرقات، على غفلة وغفوة منها، كذلك حياة التكليف تجمع الأعمال والأقوال في متون المسجلات العضوية والأرضية بفضائها، طالما المكلفون عنها غافلون، ولكننا قمر الساعة يوم يقوم الحساب، إنه سوف يتسق، يجمع

نوره يُرى الناس أعمالهم، طبقاً بحديد البصر يوم الحساب، عن طَبَقَ في كلال البصر قبل يوم الحساب: ﴿لقد كنت في غفلة عن هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾، فطالما ظلام ليل التكليف يمنع عن ظهور الأعمال، ولكنه لا يمحيها، ثم القمر المتسق يبرزها يوم البروز.

فلا أقسم بالشفق، ولأنه مشتبه خليط، فلا يقسم به لإثبات حقيقة ناصعة، إنما أقسم بمثل ركوب طبق عن طبق، حال عن طبق، حال عن حال، أقسم بالليل وما جمع، ولا بد لهذا الجمع الأليل من ظهور، وإلا فلماذا جمع، وقد يظهر الجمع الخفي بالقمر إذا اتسق: تجمّع نوره وتبدّر، وحينئذ لا تخفى منهم خافية، وهذا طبق عن طبق.

﴿إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه..﴾ ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾، فإنما طبق اللقاء، لقاء الرب ولقاء الأعمال، إنه ناتج عن طبق الكدح.

﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾: الطبق هو المطابقة، وهو جعل الشيء فوق آخر بقدره. إن كل حالة لاحقة للإنسان، لهي طبق عن سابقتها ونتيجة عنها ﴿طبقاً عن طبق﴾ اللاحق صادر عن السابق، لا ﴿طبق بعد طبق﴾ دون رباط بين الطبقين، إنما ﴿عن طبق﴾ فالإنسان إنما يركب - طوال الحياة: حياة التكليف وحياة الحساب - يركب مراكز الحالات اللاحقة عن الحالات السابقة: ركوب الجزاء الصادر عن العمل.

فالحياة الدنيا طبقات بعضها عن بعض، والبرزخ طبق عن الدنيا، والآخرة طبق عنهما، تطابقاً في المساعي، على قدر السعي والساعي، بكده وكدحه ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾.

كل لاحقة من حياة، مطيئة لسابقتها حسب الأعمال والنيات، يخلقها الإنسان بما تقدمه نفسه ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد. ولا تظلمون تقيراً﴾.. أحوال كأنها مطايا

١ . نورالثقلين عن المجمع روى مرفوعاً عن النبي (ص) أن قوله طبقاً عن طبق معناه: حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء.

يركبها الكادحون، واحدة بعد واحدة، حتى تنتهي بهم عند غايه تؤدي إلى مرحلة جديدة هي حياة الجزاء التمام، كالأحوال المتعاقبة الكونية: طبق الليل وما وسق بعد الشفق، ثم طبق القمر إذا اتسق، وحتى ينتهي إلى وضح النهار إذ يلاقون أعمالهم ظاهرة باهرة، ولا تخفى عليهم خافية.

لتركين: جميعاً ومجموعاً جميعاً لكل طبقة كأفراد، ومجموعاً لكل أمة مثال ما للسابقة، نتيجة التماثل الأسمى في التصرفات الجماعية، والكثير من الروايات تشير إلى الطبقات الجماعية لأمة الإسلام، فيهم وفي قاداتهم الروحانيين وأئمتهم الطاهرين: وكما عن الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ❀ لتركبن سنة من كان قبلكم حذوا النعل بالنعل، والقذة بالقذة، لاتخطون طريقهم، ولا يخطى شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع، حتى أن لو كان من دخل حجر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى تعنى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! قال: فمن أعنى؟ لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة.^١

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن للقائم غيبة يطول أمدها، قيل ولم ذلك يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! قال: لأن الله عزوجل أبى ألا يجرى فيه سير الأنبياء عليهم السلام في غيبتهم، وأنه لا بد من إنتهاء مدة غيبتهم، قال الله تعالى: ❀ لتركبن طبقاً عن طبق ❀ أي: سير من كان قبلكم).^٢

فأمة الإسلام يركبون سنن الأمم السابقين، طبقاً عن طبق، ولأن كل مستقبل ابن ماضيه: ❀ جبر التاريخ ❀ وأنهم حذوهم مخيرين لامسيرين، وأن الله يجمع في محبي

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٣٨ - ٥٣٩ عن تفسير علي بن ابراهيم القمي.

٢ . نورالثقلين ٥٣٩ عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الي حنان عن أبيه عنه (ع) وفيه عن الباقر (ع) في الآية، قال: «يا زرارة! أو لم تتركب هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان؟» يعزى الخلفاء الثلاثة الأول؟ وفيه عن أميرالمؤمنين (ع) في حديث تفسيراً للآية «أي: لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء».

الأمم القائم بالعدل، ما جمعه من مميزات قادة التاريخ: الروحيين، وليكمّل المسيرة، ويطبّق السيرة كاملة قاهرة، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾:

هذه موحيات الإيمان كونياً وفطرياً وعقلياً، تواجه بصر الإنسان وبصيرته، وتتكاثر عليه أياً كان وأينما كان، وتستجيش مشاعر التقوى وتستأصل دوافع الطغوى، وتحمل الإنسان على الإيمان ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟ ماذا حصل هنا وهناك فلا يؤمنون ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فإنارة العقل مكسوف بطوع الهوى.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾:

لا يخضعون له غايته، رغم أن القرآن مثال عن العظمة الإلهية، فكما السجود من الخلق لزام للخالق، كذلك لكلامه.

ليس السجود المأمور به، المندّد بتركه - هنا فقط سجود التلاوة، إذ ليست تلاوة القرآن - ككل - بالتى تفرض السجود هذا، والنص ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ لا ﴿آيَاتِ السُّجُودِ﴾ ولا ﴿هَذِهِ آيَةٌ﴾ إضافة إلى أن الآية هذه ليست لتطلب السجود لنفسها وإلا لدار، وإنما تطلب لغيرها من القرآن كقرآن، فليس إلا القرآن كله.

وليس كذلك سجود الصلاة، إذ لم تأمر الآية بالصلاة، ولا القرآن كله يأمر بها. إذاً فهو غاية الخضوع للقرآن إذ قرئ، وأدنى ما يتطلبه الخضوع هو الإستماع والإنصات: (خضوع السمع) ثم التفهم: (خضوع الفهم) ثم الإيمان الصالح: (خضوع القلب) ثم العمل الصالح: (خضوع الجوارح) وسجود اللسان وهو الترتيل فى قرائته وإبلاغه ونشره: وخضوع ككل: أن يعيش الإنسان القرآن - حياته بكل طاقاته - بما فيه.

هذه الآية تندد بالكافرين كيف لا يؤمنون بالقرآن، ومن جرأ الإيمان لم لا يسجدون ويخضعون للقرآن، أخرجاً عن فطرة الإنسان، الخاضعة لكل جمال وكمال، فهل تجد أجمل من القرآن وأروع منه، فى كل ما يتطلبه الإنسان كإنسان من كمال وجمال؟

وإذ كان الإيمان يفرض - لأول وهلة - غاية الخضوع للقرآن، وأدناها الإستماع له والإنصات، فأحرى أن يكون واجباً على المؤمنين وقد اجتازوا المرحلة البسيطة الأولى! فما للمؤمنين لا يؤمنون؟ وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون، إذاً فلا يُرحمون، تنقطع عنهم الرحمة الإلهية بتركهم أدنى مراتب الخضوع للقرآن: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون﴾ (٢٠٤:٧).

إنه لا يختص القرآن هنا بقرآن الصلاة جماعة، وإن نزلت الآية في شأنها، حيث المورد لا يخص، إنه القرآن المطلق لأنه قرآن، وإن كان فرض استماعه في الصلاة أولى، والآية هذه تأمر باستماعه والإنصات له إذا قرىء، وتعدُّ بالرحمة، وتهدّد بانقطاعها لولا الإستماع والإنصات.

والآية الأولى ﴿.. لا يسجدون﴾ تندد بمن لا يخضع للقرآن إذا يُقرأ، وتعتبر هكذا خضوع من حوائل الإيمان لأول وهلة منه، إذا فتارك الاستماع والإنصات للقرآن خارج عن أولى متطلبات الإيمان، منقطع عن الرحمة الإلهية التي وعدّها المؤمنون. وهل يا ترى إن عظيماً من العظماء إذا كلمك مخاطباً، ثم لم تستمع له ولم تنصت - ولو كان لصالحه هو لا أنت - فما هي إذاً حالته؟ فهلا يغضب أن هتكته ولم تحسب له حساباً؟ إذاً فما ظنك برب العالمين الذي يخاطبك في قرآنه - لك و لصالحك أنت - ثم أنت تلهو إلى غيره من أشغال، أو إلى كلام غيره؟ أفلا تستحق إذاً انقطاع الرحمة والتنديد الشديد: أنك لم تؤمن؟!

وتقول الروايات كما تقوله الآيتان، أن فرض استماع المنصت لا يختص قرآناً دون القرآن، ولا حالة دون حالة، فهو عام في كافة المجالات قدر المستطاع. ف لأهمية فرض الاستماع نرى علياً (عليه السلام) يسكت في صلاته لمن يقرأ في غير صلاة، والقارىء مشرك، والآية - في قصد القارىء - تندد به عليه السلام.

١ . نورالثقلين ٢ : ١١٣ باسناد صحيح عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله (ع) قال: سألته عن الرجل يؤم القوم وأنت لا ترضي به في صلاة يجهر فيها بالقراءة؟ فقال: إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له، فقلت: إنه

وما يظهر منه كأنَّ فرض الاستماع خاص بصلاة الجماعة الجهرية^١ يحمل على أنه أفضل الموارد، ولأنه مورد نزول الآية، وعموم اللفظ في الآية لا ينافي خصوص المورد.^٢

فالقُرآن - إذا قرئ - يجب الاستماع إليه والإنصات له، سواء أكان القارئ مسلماً أم سواه، مكلفاً أم سواه، قراءة دون واسطة أو بالوسائل، متصلة بالقارئ، أم منفصلة مسجّلة، وما لم يصل إلى حدِّ الحرج أو المشقة غير المتحملة، أو لم يكن هناك

يشهد على بالشرك! قال: إن عصي الله فأطع الله، فرددت عليه فأبى أن يرخص لي، قال: فقيلت له: أصلي إذا في بيتي ثم أخرج إليه؟ فقال: أنت وذاك، وقال: إن علياً (ع) كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوا وهو خلقه: «ولقد أوحى إليك وإلي الذين من قبلك لئن أشركت ليحيطن عمرك ولتكونن من الخاسرين» فأنصت علي تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية، ثم عاد في قرأته، ثم عاد ابن الكوا فأنصت علي (ع) أيضاً ثم قرأ، فأعاد ابن الكوا وأنصت علي (ع) ثم قال: «فأصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون» ثم أتت السورة ثم ركع، ورواه العياشي عن أبي كههمس عن أبي عبدالله (ع) من قوله: قرأ ابن الكوا. وفيه عن تفسير العياشي عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: يحب الانصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها، وإذا قرئ عندك القرآن ومجب عليك الانصات والاستماع.

وفيه عن المجمع عن عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله (ع) قال: قلت له: الرجل يقرأ القرآن وأنا في الصلاة هل يجب علي الانصات والاستماع؟ قال: نعم إذا قرأ القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع.

١. نورالثقلين عن الفقيه في رواية زرارة عن أبي جعفر (ع) قال: وإن كنت خلف الإمام فلا تقرأ شيئاً في الأوليين وأنصت لقراءته، ولا تقرأ شيئاً في الأخيرتين فإن الله عزوجل يقول للمؤمنين: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، والأخيرتان تبعاً للأولين. أقول: عدم القراءة في الأخيرتين خلاف الاجماع سواء عنى بها الحمد أم التسبيحات، فالحديث مشوش متنا، وغير صريح دلالة علي اختصاص وجوب الاستماع بمورد خاص، وهو الحديث الوحيد هنا، وآخر مطافه - لو عارض القرآن - أن يضرب عرض الحائط.

٢. الدر المنثور عن ابن عباس قال: صلى النبي (ص) فقرأ خلقه قوم فنزلت «وإذا قرئ القرآن..» وفي معناه روايات مستفيضة.

واجب أهم منه.

كل ذلك لإطلاق الآيتين، ثم أدلة نفي العسر والحرَج، وتكافيء الدليلين في الفرضين، أم تقدم البعض على البعض - تأمل.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ (٢٢):

يكذبون بالإيمان، وبدلالات الإيمان، وبما يتطلبه الإيمان من السجود للقرآن، يكذبون لأنهم كفروا، رغم نصوص البرهان.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٢٣):

ما يخونونه من الكذب والتكذيب، ومن التدجيل والتدجيل، في أوعية الضلالة؛ من أنفسهم الشاردة، وقلوبهم الماردة، ومن شياطينهم المردة، وأجوائهم المظلمة، وأقوالهم اللثيمة، وأفعالهم المناقفة، فهم يعيشون وعى الكفر وإيمائه ﴿والله أعلم بما يوعون﴾.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٤):

ليست لهم بشارة إلا الإنذار، فبشارتهم هي الإنذار، فالعذاب الأليم خفيف تجاه كفرهم، إذا فهو بشارة لهم حالكونه عذاباً، بشارة للصالحين أن الله لا يستوى بينهم وهؤلاء، وبشارة للمجتمع أن الكافر سوف يذوق وبال أمره، وبشارة للكفار أنفسهم ولكي ينتهوا عن كفرهم، وبشارة لهم أخيراً إذ لم تبق لهم بشاره إلا العذاب تهكماً وتنديداً، وتقحماً وتبيداً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢٥):

لا يُمنَّ عليهم، ولا يقطع عنهم، إذا آمنوا وأصلحوا، ووعوا وأوعوا، وعاشوا حياةً سالحةً مصلحةً، اللهم اجعلنا منهم.

القيامة هي القارعة

❖ سورة القارعة - مكة - وآياتها عشر ❶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❖ القارعة (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَّاشِ الْمُبْتُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُفُوسِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦)
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ (٩) وَمَا أَذْرَاكَ مَا
هِيَةٌ ❷ (١٠).

سورة تقرؤها فتفرعك بقارعة القيامة، ولكي تعد لها ما استطعت من أثقال الموازين
فتخف قارعتها عنك، وتصبح بها في عيشة راضية.

❖ القارعة ❷ (١):

إنها قارعة في الأولى، واخرى في الحياة الأخرى: ❖ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف
الميعاد ❸ (٣١:١٣).

قارعة يوم الدنيا تتلوها قارعة - ما أعظمها - في الآخرة: ❖ حتى يأتي وعد
الله ❹ بالقارعة الأخيرة الهائلة.

إنها قوارع تتبع ما صنعوا، في أولاهم يسيرا، وفي اخراهم كثيرا: ❖ كذبت ثمود
وعاد بالقارعة ❺ (٤:٦٩) والقارعة مبالغة في القرع، وهو ضرب شيء على شيء،
والآخرة هي يوم التضارب والتداق، يتضارب الكون ويضطرب: بقرع الأنجم والكواكب
بعضها ببعض لحد الإنتثار: ❖ وإذا الكواكب انتشرت ❻: فينتصر في هذه المعركة
الشاملة أمر الله، إن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وكان أمر الله
مفعولا.

إنها تفرع إنسانها بما قدمت نفسه من قوارع الأفكار والأعمال، رغم أنها ما كانت
تفرع صاحبها يومها إلا يسيرا لكنها تفرعه يوم الآخرة كثيرا، جزاء وفاقا.

والقارعة إسم من أسماء القيامة الكبرى تشير إلى سمته، كأضرارها من أسمائه التي تشير: كلُّ إلى سمة وحالة خاصة^١.

❁ مَا الْقَارِعَةُ ❁ (٢):

كسؤال يصوّر رهبة الموقف، لحد كأنه خفى على الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) ❁ وما أدراك ما القارعة؟ ❁.

إن القارعة توحى بقرع ولطم شديدين، تفرعان الكون قلباً وقلباً، القلوب المقلوّبة التي تذرعتها الشياطين لقرع الحياة وقلبها إلى غير ما تعنيه، والقوالب كلها مقروعة في هذه الدكة العظيمة الشاملة.. وإنما تسلم القلوب السليمة، الثقيلة الموازين، الشديدة الرباط بالله العظيم.

❁ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ❁ (٣):

ليس لها مثيل في دنيا الحياة حتى يدركها في عقابها، وإنما هو الوحي، وحي السماء: يدريك ما هي القارعة:

❁ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ❁ (٤):

إنها إجابة عن سؤالها بما يحصل فيها، لا بما هيته، فإنها فوق التحمل يوم الدنيا ولو في صورتها، ❁ يوم يكون الناس ❁: من هيته وشدة وطأته وقارعتة، كالفراش

١ . منها أسماء مفردة ك: الواقعة - الصاخة ، ومنها مركبة إضافية: ك: اليوم الموعود - اليوم الآخر - يوم عظيم - يوم كبير - يوم الجمع - يوم اليم - يوم عصيب - يوم مشهود - يوم الحساب - يوم الدين - يوم يلقونه - يوم الحسرة - يوم الآزفة - يوم الفتح - يوم التناد - يوم الفصل - يوم محيط - يوم الخلود - .. ومنها مركبة بيانية ك: يوم تبلي السرائر - يوم لا بيع فيه ولا خلة، يوم ينفخ في الصور، يوم تشخص فيه الأبصار، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، يوم يقوم الأشهاد، يوم ترجف الراجفة، يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه، يوم توفي كل نفس ما عملت، يوم تدعو كل أناس بأممهم، يوم تسير الجبال وتري الأرض بارزة .

ويوم القيامة يومان: يوم الإماتة ويوم الإحياء، والآيات تبث عن اليومين وتعبر عنهما جميعاً بيوم القيامة .

المبثوث: الجراد المنتشر: ❖ خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴿٥٤:٧﴾. والجراد المنتشر هي الفراش المبثوث، تنبت وتنتشر وتنتشر بعضها بعضاً، وتركب بعضها بعضاً، دون أن تتجه لجهة واحدة، لهول القارعة، ولأنهم كانوا يوم الدنيا في اتجاهات شتى، فكل إنسان يعمل على شاكلته، ويرجع إلى شاكلته، شاء أم أبى.

إن الفراش المبثوث مثل لغاية الضعف والحمق واللاهدف، وهكذا يصير مصير الإنسان الذي عاش حياته كالفراش المبثوث، إلا من ثقلت موازينه، فهذا هو مصير أقوى إنسان في الكون، ثم ماذا يكون مصير سائر الكون، لنأخذ هنا مثلاً من الجبال: ❖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾:

❖ يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن ﴿٧٠: ٨ - ٩﴾.. فيا لها من وقعة قارعة ودكة مفرغة تهزم الجبال فتُهزَمُ في هذه المعركة الدامية، فهذه سماؤه كالمهل: حمراء كالمطلوم المجروح، وهذه جباله كالعهن المنفوش: الصوف ذو ألوان، نشر بندف، فنداف القارعة هكذا يندف وينفش الجبال.

فيا له من مشهد تطير له القلوب، وترجف منه الأوصال، وى كأن كل شيء في الكون يطير حول الإنسان هبأً، فماذا إذا حال الإنسان في الختام.

❖ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾:

الموازن جمع ميزان وهو ما يوزن به وما يوزن أيضاً، ولا يعنى به هنا وزن الجسد، وإنما ما به الإنسان إنسان، من موازين العقل والإيمان وأعمال الإيمان، وعلى حد تعبير الإمام الصادق (ع) ❖ الموازين هي موازين الإنسانية ﴿٦﴾.

والميزان هو آلة الوزن والقياس، ما يوزن به الشيء ويقاس، فإن كان ذلك الشيء جسماً فالميزان الجسماني على اختلاف حالات الأجسام فاختلف موازينها، فلا يوزن ما يسوى غراماً بما يوزن به أطنان، ولا يوزن النور بما يوزن به سائر الأجسام غير النورانية، وكما لا توزن الدوائر والقسى أو الحرارة والبرودة أو الأعمدة والخطوط أو الشعر والفلسفة، لا توزن هذه وأمثالها بالقبان وغيره من موازين الأثقال المادية.

ثم الروحانيات والصفات والعقول والأرواح، إنها أحرى أن توزن بالمثل العليا من أمثالها، وفي هذا الباب ليس الثقل إلا للصالحات دون الطالحات.

فالصالحات هي ثقل الميزان، والسيئات هي خفتها، إذ ليس للسيئات ثقل، وإنما الوزن هو الحق والموازن هي السقط: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ (٩:٧) لا: الوزن حق، مع أنه حق، إنما: الوزن هو الحق، فالحق هو الميزان والميزان هو الحق، دون أن يكون وزن أو ميزان للباطل، فلا يقام للكافر ميزان لحبط أعماله: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ (١٠٥:١٨) وكما عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) سناداً إلى القرآن.^٢

فالقسط والحق هما الميزان، وهما ثقل الميزان: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (٤٧:٢١).

فإفراد القسط هنا لجمع الموازين يوحي لنا أن مجموعة الموازين تتحد في أنها القسط، دون أن يكون للظلم ميزان ولا وزن حتى توزن به السيئات، إنما هو ميزان واحد هو الحق و القسط والعدل، وكما الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يصرح بسناد الآيات ويحذوا حذوه حفيده الإمام الصادق (عليه السلام).

وإذا كان القسط والحق والعدل هي الميزان: فأحرى أن يكون الرسول الأقدس (عليه السلام) وخلفاؤه المعصومون هم الموازين، كما النبيون وأوصياؤهم

١ . نورالثقلين ج ٢ ص ٥ ح ١٣ عن م صباح الشريعة قال الصادق (ع) في كلام طويل: فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فأنظر في قصد معنك وغور دعواك وغيرهما بقسطاس من الله عزوجل كأنك في القيامة - قال الله تعالى «والوزن يومئذ الحق» فإذا اعتدل معنك بدعواك ثبت لك الصدق.

٢ . كما في التوحيد عن علي (ع) وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات، وأما قوله تبارك وتعالى «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً» فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة، يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين.

موازنين، وعلى حد تعبير الإمام الصادق (عليه السلام): إن الموازين هم الأنبياء والأوصياء^١.

فلا الموازين تكون مادية، ولا ما يوزن فيه الموازين، إنما هي القِيم والمثل العليا للإنسان - أيًا كان.

وإنها - رغم اختلافها صورياً - تتحد في كونها حقاً وقسطاً، تظهر في مظاهر عدة حسب عديد الأعمال والأقوال ومراتب الإيمان والأحوال، فالحق الذي يوزن به الإيمان هو حق الإيمان، وما توزن به الصلاة هو حق الصلاة وأمثالها لأمثاله.

❁ فهو في عيشة راضية❁: عيشة كأنها الرضا كلها، دون أن يحملها شيء سواها، فهي هي الرضا بعينها: رضى العبد ورضوان من الله، رضوان مزدوج. ثم ما هو مصير الحابطين أعمالاً، الخابطين أحوالاً، الأخرسين أعمالاً❁ الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها❁:

❁ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ❁ (١١):

هؤلاء هم الذين لا وزن لهم إطلاقاً، بين ما لم يعملوا من الصالحات وما لم يؤمنوا بها، وبين ما حبطت من أعمالهم الصالحة أحياناً، لكفرهم: ❁ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً❁ (١٨:١٠٥). أعمالهم حابطة قياساً إلى الآخرة، ولو كانت مثاباً عليها يوم الدنيا وهم فيها لا يبخسون❁ من كان يريد الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون❁ (١١: ١٥-١٦).

هنا وهناك تتحدث الآيات عن محض الإيمان محضاً، وعن محض الكفر محضاً، دون من ❁ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور

١ . بحار الأنوار ج ٧ باب الميزان ص ٢٤٨ ح ٦ .

رحيم ﴿٩٠٢﴾ (٩:١٠٢).

﴿فأتمه هاوية﴾ كما كانت الهاوية أمه: ملجأ ومرجعه، مصدره ومورده، أعماله وأفكاره، كانت كلها هاوية: ناراً حامية: تحرق ما تبليه، فسوف تكون اليوم الآخر هاوية كما كانت، صوره طبق الأصل، فيا لها من أفعال إنسانية! تكافح قارعة الآخرة فينتصر إنسانها في هذه المعركة الدامية.. لانعنى إنسان الجسد فإنه يموت ويبعثر، ثم يحيى فيجازى، إنما إنسان الروح، فهو الذى سوف ينتصر بموازينته، فعيشته راضية، رغم من سواه من أهل المعركة، معركة القارعة، المعركة الفارحة، فإنها تقرع قوماً وتقرع من آخرين.

١ . الدر المنثور (ج ٦ ص ٣٨٥) أخرج الحاكم عن الحسن قال: قال رسول الله (ص): إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولون له: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات - قالوا: ذهب إلى أمه الهاوية. فبئست الأم. وبئست المرزية.

٢ . وفيه أخرج أبو يعلى قال كان رسول الله (ص) إذا فقد الرجل من اخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائبا دعا له وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده، ففقد رجلاً من الأنصار في اليوم الثالث فسأل عنه فقالوا: تركناه مثل الفريخ لا يدخل في رأسه شيء إلا خرج من دبره، قال عودوا أخاكم، فخرجنا مع رسول الله (ص) نعوده فلما دخلنا عليه قال رسول الله (ص): كيف تجدك؟ قال: لا يدخل في رأسي شيء إلا خرج من دبري قال: ومم ذاك؟ قال: يا رسول الله (ص)! مررت بك وأنت تصلى المغرب فصليت معك وأنت تقرأ هذه السورة «القارعة ما القارعة إلى آخرها: نار حامية» فقلت اللهم ما كان من ذنب أنت معذبي في الآخرة فاعجل لى عقوبته فى الدنيا فنزل بى ما ترى، قال رسول الله (ص): بئس ما قلت، ألا سألت الله أن يؤتيك فى الدنيا حسنة ويقيك النار، فأمره النبى (ص) فدعا بذلك ودعا له النبى (ص) فقام كأنما نشط من عقال.

لترون الجحيم

﴿سورة التكاثر - مكية - وآياتها ثمان﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

تأنيب شديد بالمتكاثرين الذين اخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم، اولئك الذين حسبوا الحياة كلها شهوات، هؤلاء الأخسرون أفكاراً وأعمالاً، المتكاثرون في حياتهم حتى جرهم تكاثرهم إلى المقابر!

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ (١):

اللهو من اصول المحرمات في كافة الشرائع الإلهية المقدسة، سواء أكان دافع التكاثر بالأموال والأولاد والنساء، أم بالقمار والموسيقى وأضرابها، وكما يعد القرآن أمثالها من اللهو تنديداً بها ومنعاً عنها!

١ . « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون» (٩:٢٣) «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» (٣٧:٢٤) «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون» (٣:٤٥) «وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو» (٣٢:٦) «وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا» (٧٠:٦) «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين. وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أدنياه وقراً فيشره بعذاب أليم» (٣:٦ - ٧) «وإذا رآوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو من التجارة والله خير الرازقين» (١١:٦٠) .
هذه وأمثالها تنهى عن اللهو: وهو كل ما يلهى عن الله: عن ذكره وعبادته و عن القيام بواجبات الحياة السليمة، وعمما يعنى الانسان كإنسان، ويهمله في تجميل الحياة وتجليها، ويرفعه ويخلصه عن دركات الحياة، عن حيونية في الحياة وشيطنتها.

فمن الأشغال والأعمال ما تخصص اللهو دون أن تأتي بصالح للحياة، كالقمار والرقص والموسيقى الملهيان، فإنها تُخسر الحياة ولا تُربحها، تخسرها معنوياً ومادياً، فهي محرمة إطلاقاً.

ومنها ما تختلف حسب اختلاف الأهداف والنيات، كالأموال والأولاد والتجارة، والحياة الدنيا كلها: فهي هي الدنيا وأموالها وأولادها، بين الجنة والنار، كما يهدفها الهادفون ويصدها القاصدون.

❁ ألهاكم التكاثر.. ❁ فالحياة الدنيا بطبعها كلها لعب ولهو وتفاجر وتكاثر: ❁ إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاجر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ❁ (٥٧:٢٠).

إن الإنسان بطبعه يحب الإستكثار والإستئثار من الدنيا وبها ❁ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة ❁ ولكن عليه أن يحب التي تقربه إلى الله زلفى، وتجعل حياته الدنيا حياتاً عُلياً، ثم لا يفتخر بالكثرة الخيرة أيضاً إذ ليس له حول ولا قوة إلا بالله.

وأما إذا جهل أمر الكثرة هنا وهناك، فاختصها بالكثرة الكاسرة لكيان الإنسان، ثم تفاخر بها تفاخراً بدافع الكبرياء، فهو إذاً مسامح عن إنسانيته.

والتكاثر له دركات عدة ومنها ما لا تتقف لحد: تكاثر يتعدى الحياة والأحياء إلى الأموات، فإذا تساوى المتكاثرون، أو اختلفوا أيضاً، أخذوا في زيارة القبور: نحن أكثر رجالاً وأولاداً منكم بين أصحاب القبور، وإن كنا حالياً على سواء، أو أنتم أكثر منا، مفتخرين بمصارع الآباء وقبور الهلكى، رغم أنهم من الهلكى فى حياتهم.

❁ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ❁ (٢):

مقابر تزور مقابر أخرى 'تفاخراً بأجساد طغاء البشرية!

١ . وليس المعنى من زيارة المقابر هو الموت - رغم ما قيل - لأن المخاطبين كانوا بعد أحياء، فقد خوطبوا خطاب تنديد وتنبيه، ولأن الموت ليس زيارة للمقابر، إنما هودخول القبر لمن يدفن فى القبر، وليس كل ميت يدفن، ولأنه لم يقل مقابركم، ومما

وعلى حد تفسير إمام المتقين أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد تلاوته آية التكاثر:

يا له مراماً ما أبعد، وزوراً ما أغفله، وخطراً ما أفضعه، لقد استخلوا منهم أي مدكر، وتناوشوهم من مكان بعيد، أفبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون، يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت، ولأن يكون عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة، لقد نظروا عليهم بأبصار العسوة، وضربوا منهم فى غمزة جهالة، ولو استنطفوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية، والربوع الخالية، لقلت: ذهبوا فى الأرض ضاللاً، وذهبتم فى أعقابهم جهالاً، تطؤون فى هامهم، وتستثبتون فى أجسادهم، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خربوا.

وإنما الأيام بينكم وبينهم يواك ونوائح عليكم، اولئك سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكاً وسوقاً، سلكوا فى بطون البرزخ سبيلاً، سلطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فأصبحوا فى فجوات قبورهم جماداً لا ينمون وضماراً لا يوجدون، لا يفرزهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال، ولا يحفلون بالرواجف ولا يأذنون للقواصف غيباً لا يُنتظرون وشهوداً لا يحضرون، وانما كانوا جميعاً فتشتتوا وآفا فافترقوا، وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم، عميت أخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً وبالحرركات سكوناً، فكأنهم فى ارتجال الصفة صرعى سبات، جيران يتآنسون. هذا هو التكاثر الذى يندد به الله ويخشى منه رسول الله على حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى

يؤيد هذا المعنى أن السورة نزلت فى حين من قريش: بنى عبد مناف بن قصى وبنى سهم بن عمر، تكاثروا وعدوا اشرافهم فكثرتهم بنو عبد مناف، ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرتهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عدداً فى الجاهلية - عن مقاتل والكلبي.

عليكم التكاثر^١.

❖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾:

❖ لو قد دخلتم قبوركم^٢، إذ يرتفع الحجاب وغشاوة الجهل المعمد بالإنخلاع

عن ستار الدنيا وحياتها.

❖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾:

❖ لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم^٣ علماً هو أرقى، علمان متتابعان

يفوق بعضهما البعض، بعد الجهل المتماذي - العائد - يوم الدنيا: كلا سوف تعلمون:

عند سكرات الموت وهو بداية العلم، وفي الكرة: يوم قيام القائم (ع) بعد الموت، ثم كلا

سوف تعلمون، في المحشر.

يا ويلاه! فهل إلى تحصيل هذا العلم يوم الدنيا من سبيل، لنموت قبل أن نموت كما

١ . الدر المنثور، أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن اسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله (ص) الهاكم متكاثراً، وأخرجه ابن مردويه عن عياض بن غنم عنه (ص) مثله.

٢ . هنا في الآية: كلا سوف تعلمون الخ.. وجوه أقواها ما ذكرناه، ويؤيده العلوي (ع): سوف تعلمون في القبر ثم سوف تعلمون في الحشر (نور الثقلين ج ٥ ح ٧) ومثله النبوي (نفس المصدر) وفي الدر المنثور ج ٦ ص ٣٨٧ في روايتين عنه (ص) مثله. واحتمال ثان أن العلم الأول في الدنيا والثاني بعد الموت، ويبدعه أن كل المخاطبين هنا ليسوا من الذين سوف يعلمون وينتبهون الله إلا في سكرات الموت حين لا يفيدهم العلم، ويقربة المروي عن الصادق (ع) قال يعزني مرة في الكرة ومرة في يوم القيامة (البرهان ج ٤ ص ٥٠١ ح ٣) أقول الكرة هنا هي الرجعة في دولة الامام المهدي (ع) وليست للكل، وقد يقال بما أن المخاطبين هنا هم الكفرة الذين محضوا الكفر محضاً، فهم كلهم حسب الروايات يرجعون، ثم أقول: لا مانع من أن تكون المرة الأولى للعلم شاملة للكفرة ولسكرات الموت وما بعد الموت، وبذلك يجمع بين الروايات، إلا أن العلم بعد الكرة - إذا - تحصيل للحاصل قبل الكره بعد الموت، إذا فما العلم هنا إلا عند الموت وبدعه. واحتمال ثالث أن الأول عند الموت والثاني في سؤال القبر ويبدعه انهما علي سواء، فخط الموت وخطئه واحد، لاتفاضل في الانتباه عنده وبدعه.

أمرنا: ﴿موتوا قبل أن تموتوا﴾: ولنرى الجحيم قبل أن ندخلها فنتحرز عن أسبابها؟
فهل من سبيل؟

أجل - لو أن حاول الملتهون بالتكاثر أن يعلموا علم اليقين، فتحللوا عن هذه
العساوات الحائلة بينهم وبين درك الحقيقة: حقيقة الحياة، وحقيقة الموت.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٦):

﴿علم اليقين﴾: من إضافة الموصوف إلى الصفة، أى: يقين العلم، العلم الذى
يُطَمِّنُ الإنسان ويخرجه عن زلزال العقيدة وشكوكها، وهو أولى مراتب اليقين، ثم عين
اليقين، ثم حق اليقين.

وأصل اليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم وهو خلاف الظن، فلو أن
المتكاثرين الملتهين علموا الحقيقة: علم اليقين، لكانوا يرون الجحيم فى علمهم، رؤية
علمية دون ارتياب، فكانوا إذ ذاك يرونهم فى الجحيم، ويرون آمالهم وأعمالهم
وأموالهم وأصحاب القبور الذين تكاثروا وتفاخروا بهم، كانوا يرونهم كلهم فى الجحيم.
هذا لو كانت الرؤية صادقة بما علموا ولم يعملوا، ولم يعلموا علم اليقين وعملوا،
لكانوا يرون أنفسهم فى الجنة، ويرون من تفاخروا بهم فى الجحيم.

﴿لو تعلمون﴾: محال أن تعلموا: استحالة بالإختيار، دون تسيير وإجبار، وإذ لم
تعلموا يوم الدنيا فسوف تعلمون بعده.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (٧):

إذ دخلتموها ووجدتهم أنفسكم فى يقين الجحيم نفسه، فقد كان لكم أن تروها علم
اليقين لكى تتحرزوا عنها فلا ترونها عين اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٨):

النعيم الذى تجاهلتموه حتى وردتم موردكم فى الجحيم، فترك النعيم جحيم أينما
كان، ولا سيما النعيم الذى يهيم الإنسان فى شريعة الله.

إنه النعيم الذى أخلدكم التحلل والتغافل عنه فى التكاثر: من نعيم العقل الذى
عقلتموه وحبستموه فى أسر الشهوات، ونعيم الحياة التى أخلدتموها فى الحيوانات:

﴿أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها. فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ (٢٠:٤٦).

ومن نعيم النبيين، فنعمة الرسالة هي أهم النعم التي يسأل عنها: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ (١٠٩:٥).

فهذه الثلاث هي أصول النعم الروحانية التي يسأل عنها.

﴿ثم لتسألن﴾ سؤال تقريع وتبكيث ﴿يومئذ﴾ يوم إذ رأيتم الجحيم عين اليقين: ﴿عن النعيم﴾ لماذا ضيَعتموه؟

هذه هي النعم التي يسأل عنها وكما روتها الأئمة من أهل بيت الرسول (ص) عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، دون النعم المادية، وكما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ثلاث لا يحاسب بهن العبد: ﴿ظل خص يستظل به، وكسر يشهد بها صلبه، وثوب يوارى به عورته﴾!

١ . الدر المنثور ج ٦ ص ٣٩١، وهذه الرواية هي الوحيدة في الدر المنثور، ويعارضها عد يد من الروايات فيه، تعزى إليه (ص) أن النعيم هو الكسر والظل والنحل، دون أن تذكر أو تشير إلى النعم الأصيلة للإنسان، التي يروونها أئمة أهل البيت عن الرسول الأقدس (ص) وكما نرى أن القرآن لا يمن علي المؤمنين إلا بنعمة الرسالة وأمثالها.

12

انفطار الكائنات

في القيامة

﴿سورة الانفطار - وآياتها تسعة عشر﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكُوكَبُ انْتَشَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)﴾
﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)﴾:

﴿علمت نفس﴾ بعد قيامة الإمامة بانفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجّر البحار، وبعد قيامة الإحياء ببعثرة القبور ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾؟
إن الانفطار هو قبول الفطر، وأصل الفطر الشق طويلاً، وذلك قد يكون على وجه التعمير: ﴿قال ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن..﴾ (٥٦:٢١)، وقد يكون على وجه التدمير: ﴿تكاد السموات ويتفطرن منه وتتشق الأرض وتخرّ الجبال هدأاً﴾ (٩٠:١٩) ﴿السماء منفطر به كان وعده مفعولاً﴾ (١٨:٧٣).

فالأول شق إلى البناء حيث انشقت السماء عن الدخان: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان.. فقضاهن سبع سماوات﴾ كما الثاني شق إلى الفناء: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين. تغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ وذلك يوم تدميرها ورجعها إلى ما كانت من دخانها: ﴿والسمااء ذات الرجوع﴾، وكما شرحناه في سورة التكوير والإنشقاق عن كشط السماء وقشطها، أنها سوف تنمحي عن كيانها السماوي، وتنحى عنها جلدها وتنشق، فهي يومئذ واهية ووردة كالدهان وتمور موراً وتصيح كالمهل.
﴿وَإِذَا الْكُوكَبُ انْتَشَرَتْ (٢)﴾:

هنا شبهت الكواكب بالآلى، منظومة انخرط سلكها فانثرت وتفرقت، إنها تنتثر بعد تماسكها في أفلاكها جارية بسرعات هائلة، ممسكة في داخل مدارتها، مرفوعة في أجوائها بعمد لاترونها: ﴿رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ فثم عمد ولكن لاترونها، أعمدة القوة الجاذبية وساهها التي تجهلها حتى اليوم، فلما ذهبت هذه القوى التي تشدها

وتربطها فى سماواتها ومدارها، ذهبت - إذاً - فى الفضاء بَدَداً كما تذهب الذرة التى تنفلت من عقالها.

فهل إنها - وكما يزعمها السُدَّج - تتناثر على أرضنا؟ كلا؛ فإن أرضنا - وهى من أصغر الكواكب - تنتثر معها إلى أعماق الجو وتنطمس وتنمحي وترجع - كأُمَّها السماء - إلى حالتها الأولى ❀ دخان ❀ وعلَّها - ومعها الكائنات كلها - ترجع إلى ❀ الماء ❀ المادة الفردة الأولى.

أجل - وإن الكواكب تنتثر كما النجوم تنطمس وتتكدر وتتدحر: حادثات جليل تقضى على المملكة السماوية بأمر الملك العلام.

❀ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ❀ (٣):

وكما عرفناه فى التكوير، سوف يعم البحار - كل البحار - تفجير يتلوه تسجير، فتصبح ناراً هائجة ملتتهبة بالتفجرات، فالحرارات التى تتحكمها فترجعها إلى ما بدأت، رجعاً إلى النار وإلى المادة الفردة، وكا جاء عن الصادق عليه السلام: ❀ تتحول البحار التى حول الدنيا كلها نيراناً ❀.

❀ وإذا القبور بعثرت ❀ (١):

وهذه قيامة الإحياء، تبعثر القبور وتخرج الأجساد من الأجدات: ❀ يوم يخرجون من الأجدات سراعاً ❀ (٤٣:٧٠) ❀ فإذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون ❀ (٥١:٣٦).

ولنعرف هنا ما هى القبور وبعثرتها؟ إن القبور هى مخابىء الأبدان وأجداتها، فالقبر - لغوياً - مقر الميت أياً كان: جوف البر أو البحر، فى جسد حيوان يأكل إنساناً، أم فى جدث التراب، أم على وجه الأرض، أم أياً من الأماكن، فإن الأبدان لاتضل عن علم الله كما الأرواح لاتضل، مهما ضلت عن علمنا.

و ❀ بعثرت ❀ كلمة مركبة من ❀ بعثت ❀ أثير ❀ وآيته أنها تشمل المعنيين: فبأثارة

القبور تبعث ما فى القبور، إثارة القبور وما فى القبور، دون أن يضل شىء من الأجزاء الأصيلة لكل جسد وفى كل جدت: ﴿وقالوا إذا ضللنا فى الأرض أنى لى خلق جديد. قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (٣٢: ١٠ - ١١) ترجعون إلى من لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ﴿(٣٤: ٣).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٥)

علمت نفس: خيرة أم شريرة - دون استثناء - علمت علماً شاملاً كما الجزاء هناك كامل، علمت بعد جهل تام يوم الدنيا، وبعد علم غير تام يوم البرزخ، كما الجزاء هناك برزخى دون تمام، فالبرزخ برزخ من كافة الجهات، ومنها العلم بحقيقة الأعمال كالجزء بالأعمال.. فما هو المقدم من الأعمال والعقائد والأقوال وما هو المؤخر؟ من الثابت قرانياً أن كتاب الأعمال لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخّر﴾ (٧٥: ١٤) فالمقدم أيّاً كان والمؤخر أيّاً كان، إنهما سوف يحضران يوم القيامة وفى موقف الحساب، دون مغادرة لشيء منهما ولا مثقال ذرة إلا أتى الله بها وكفى به حفيظاً وحاسباً.

علمت نفس ما قدمت: من الأعمال المنقطعة غير المستمرة خيراً أو شراً، وما أخرت مما له استمرار يؤثر، من خير أو شر، فالثانى من الآثار والأول مقدم وكلاهما مكتوبان يحضران يوم القيامة: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾ (٣٦: ١٢) فالأعمال وإن كان كلها مقدمة ليوم الحساب، إلا أن البعض منها مؤخره أيضاً بعدما قدمت، تبقى دائبة تقدّم دوماً ما دامت سنة يعمل بها طوال زمن التكليف، سنة حسنة أو سيئة، فللعامل المبدع المبتدىء نصيب مما عملوا بها ولا يُنقص أولئك من أجورهم فى الحسنات، ولا من أوزارهم فى السيئات، وكما نجدها أصلاً ثابتاً فى الآيات وفى الروايات المأثورة عن الرسول الأقدس (صلى الله عليه

وآله وسلم) والأئمة من أهل بيته الكرام عليهم السلام، وفي تفسير هذه الآية بالذات^١ و: علمت نفس ما قدمت من خير وما أخرت من شر، فإن الخير تقدم للإنسان والشر تؤخره، كما ويشير إليه القرآن: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ (٢: ٢٢٣) ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً﴾ (٧٨: ٤٠) ﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. يقول يا ليتنى قدمت لحياتي﴾ (٨٩: ٢٤)، إنها لإحدى الكبر. نذيراً للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴿٧٤: ٢٩ - ٣١﴾: تقدم في الحياة بتقديم الصالحات، وتأخر عن الحياة تأخراً عن الصالحات وتورطاً في الطالحات، فالحرى للإنسان كإنسان، والذي يُحِبُّ يوم الحساب للحساب، حرى له أن يقدم لحياته الأخرى من الصالحات، فإن الطالحات تسبب التأخر عن الحياة السعيدة، وإن كانت الأعمال كلها - خيرها وشرها - تقدم ليوم الحساب، فـ ﴿لتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ (٥٩: ١٨).

والآية: ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ تتحمل المعنيين، أن الإنسان سوف يعلم خيره وشره، ما قدمه وأثاره.^٢

وهناك نفوس قدسية علمت حقائق أعمالها قبل موتها وقبل قيامتها، هي أنفس المعصومين، فلا تشملهم ﴿نفس﴾ لأنها منكراً لا تستغرق النفوس، وعلاها - أيضاً - تشير بتكبيرها إلى النفوس العادية غير البالغة درجة العصمة، فهي هو أمير المؤمنين

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٢٠ عن المجمع: جاء في الحديث أن سائلاً قام على عهد النبي (ص) فسأل فسكت القوم، ثم أن رجلاً أعطاه فأعطاه القوم، فقال النبي (ص): من استن خيراً فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقص من أجورهم، ومن استن شراً فاستن فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منقص من أوزارهم، قال: فتلا حذيفة بن اليمان «علمت نفس ما قدمت وأخرت...». أقول: وفي الدر المنثور ٦ : ٣٢٢، أخرجه الحاكم وصححه عن حذيفة عنه (ص) من قوله «من استن - إلي - وأخرت...» وهي من المتواتر معنوياً.

٢ . كما أخرج الدر المنثور عن عكرمة وقتادة ومجاهد، قولهم في الآية: ما أدت إلي الله مما أمرها به وما ضيعت (٦: ٣٢٢).

على (عليه السلام) يقول: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً)!!

❁ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ❁ (١٢)

كما أن الرب الكريم لم يخلقكم لعباً وهملاً في بدايتكم وغايتكم، كذلك لم يترككم وأعمالكم هملاً وسدى عابثين، فقد بعث عليكم حافظين من الملائكة والنبیین، يحفظونكم من أمر الله: ❁ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله.. ❁ (١٣:١١) حفظاً صادراً من أمر الله، حفظاً لنفسه عن دوافع الموت والدمار، وحفظاً على أعماله، رسلاً من الله للحفاظ والحفظ الحق: ❁ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ❁ (٦:٦١) : يحفظونكم وأعمالكم ثم يتوفونكم بأجسادكم وأرواحكم وأعمالكم دون تفريط ولا مثقال ذرة.

إن الحافظين قد يكونون لثاماً جاهلين فلا يؤبه بحفظهم، ولا يرسل ربنا هكذا حافظين، وإنما يبعث كراماً كاتبين عالمين لاتخفى عليهم خافية ولا يعزب عنهم عازب.

إن الأوصاف المسرودة للحافظين هنا تتير في قلوب الناس إحساس الخجل والتجمل بحضرتهم، إنهم كرام يعلمون كل شيء من ظاهر الإنسان وخافيه، وإنهم كاتبون فلا ينسون، إذا فالأعمال تبقى ليوم الحساب لتشهد بواقعها في موقف الحساب. وكما عن الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم): ❁ فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم.. ❁ .^١

وعلى حد قول حفيده الإمام الصادق (عليه السلام) في شأن الملائكة الموكلين: ❁ استعبدهم على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة وعن معصيته أشد انقباضاً، وكم من عبد يهمل بمعصيته فذكر مكانها فارغوى وكف فيقول: ربي يراني وحفظتني على ذلك تشهد، وإن الله برأفته ولطفه وكلهم بعباده يذبون عنه

١ . الدر المنثور ٦ : ٣٢٣ ، أخرجه البيهقي عن ابن عباس .

مردة الشياطين وهوامَّ الأرض وآفاتٍ كثيرةٍ من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجىء أمر الله ﷻ^١.

✽ كراماً كاتبين ﷻ والكتابة هى الثبت، واللائق برُسل الله الحافظين، واللائق بحضرة الربوبية، واللائق لإثبات الحجّة يوم الحساب، ان يكون ثبت الأعمال كأثبت ما يمكن وأبقاه، وهو ثبوت الأعمال بأقوالها وأفعالها، بأصواتها وصورها، تسجيلها فى مسجلات خواطرهم المقدسة، ومسجلات أعضاء العاملين، ومسجلة الأرض وفضائها، وأمثالها من مسجلات عارفة عالمة أو سواها ✽ بأن ربك أوحى لها ﷻ.

هذه هى كتابة الأعمال كما يشهد بها الاعتبار وتشهد بها الآيات والروايات، لانقش الحبر على الورق إذ لا حجة فيه، وكما عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): ✽.. إذا فعلها (الحسنة) كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها له.. ﷻ^٢

أجل، وإنه كتابٌ ورقه اللسان القائل، والأعضاء العاملة، وريقه نفس القول والعمل، والكرام الكاتبون - الحفظة منهم - الملائكة الموكلون بالمكلفين، يحفظونه من أمر الله ويحفظون له وعليه أعماله بإذن الله.

✽.. إن الأبرار لفى نعيم (١٣) وإن الفجار لفى جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) وما هم عنها بغائبين (١٦) وما أدراك ما يوم الدين (١٧) ثم ما أدراك ما يوم

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٢٢ فى الاحتجاج للطبرسى يسأل السائل أبا عبدالله الصادق (ع) ما علة الملكين الموكلين بعباده يكتبون ما عليهم ولهم والله عالم السر وما هو أخفى؟ قال: ...
٢ . نورالثقلين ٥ : ٥٢٤، أصول الكافي باسناده إلى عبدالله بن موسى بن جعفر عن أبيه (ع) قال: سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنوب إذا أراد العبد أن يفعلها أو الحسنات، فقال (ع): ريح الكذيف والطيب سواء قلت: لا، قال: إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد هم بالحسنة، فإذا فعلها كان لسائه قلمه وريقه مداده وأثبتها له، وإذا هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد هم بالسيئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداه وأثبتها عليه.

الدين (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾
 ﴿١٣﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾:

لا بعد الموت فحسب، بل ومنذ كونهم إبراراً، فإن البر هو النعيم بذاته، لنفسه ولمجمعه، مهما كان بروز نعيمه بحقيقته يوم القيامة الكبرى، فلفظ الآية ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ يوحى ظرفاً فعلياً مستمراً لنعيمهم، لا أنهم سوف ينعمون، لكي يختص نعيمهم بالمستقبل، فهم نعيم وفي نعيم، حاضراً ومستقبلاً وغابراً، ماداموا إبراراً.

﴿وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١٤):

كما ﴿وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ماداموا فجاراً، فهم جحيم: نارٌ شديدة التأجج، يوم الدنيا ويوم الدين، هم وقود نيران الخلافات والعداوات والويلات يوم الدنيا - وعلى أثره - هم وقود الجحيم يوم الدين، يصلون الجحيم بأفكارهم وأعمالهم وذواتهم، فما الصلى إلا وقوداً، وليس كل أصحاب الجحيم وقوداً لها: ﴿فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلظَى﴾ لا يصلها إلا الأشقى. الذى كذب وتولى ﴿٩٢: ١٥ - ١٧﴾.

فهنا شقى وهناك أشقى، ولا يصلى النار إلا الأشقى، وإن كان يدخلها كل من الشقى والأشقى، فالأشقى صلاءً ووقوداً، والشقى يحرق به، وقد يجنبها بعد ما ذاق جزاءه الوفاق.

فالصلى هنا ليس دخولاً فى النار كما يُزعم، وإنما هو إيقاد، كما الإصطلاء هو الإستيقاد: ﴿لَعَلَى آتِيكُمْ مَهْمًا بَخِيرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٩: ٢٨).
 لذلك لانرى صلى الجحيم - حسب القرآن - إلا للأشقين الكذابين، وكما نرى آيات الوقود والحصب تختص بهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

١ . «سِصْلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ» (١١١: ٣) «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا» (٤: ٥٦) والآيات: ٨٨: ٤ و ١٢: ٨٤ و ٣٢: ٨٧ و ١٨: ١٧ و ١٥: ٩٢ و ١٠: ٤ و ٢٩: ١٤ و ٥٦: ٣٨ و ٨: ٥٨ و ٦٤: ٣٦ و ١٦: ٥٢ و ٣١: ٦٩ و ٢٦: ٧٤ و ١١٥: ٤ و ٣٠: ٤ و ١٦٣: ٣٧ و ٥٩: ٣٨ و ١٦: ٨٣ و ٩٤: ٥٦ و ٧٠: ١٩.
 نرى فى هذه الآيات كلها كيف يختص الصلى بالمكذبين والكافرين.

أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار ﴿١٠:٣﴾.

فرؤوس الكفر و أسس الضلالة كما كانوا - هم وقود النار وصلبها يوم الدنيا، يعيشون حياتهم التضليل والتدجيل، كذلك هم صلى النار ووقودها يوم الدين جزاء وفاقاً، فهم يحملون أوزاهم كاملةً يوم القيامة ومن أوزار الذين أضلوهم دون أن يُنقص أولئك الأذناب من أوزارهم شيئاً.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ ﴿١٦﴾:

فالوقود لا يغيب عن ذاته، وأصحاب الجحيم الذين يصلونها لا يغيبون عنها ماداموا ودامت، إلا بعد فنائهم بفنائها، كما الوقود يُحرق بنفسه و يُحرق مادام موجوداً ثم لا حريق ولا محروق.

وكما أنهم لم يكونوا ليغيبوا يوم الدنيا عن وقودهم - تصرفاتهم الجهنمية - كذلك يوم الدين، فما هم عنها بغائبين.

وهذه الآيات ثنائية التقسيم، تتحدث عن موقف هؤلاء الذين محضوا الإيمان محضاً، أو محضوا الكفر محضاً، فإما إلى النعيم وفيه، دون أن يمسه عذاب، وأما إلى الجحيم وفيها، دون أن تمسه رحمة، ثم المتوسطون - وهم درجات - ليسوا فى جحيم خالص ولا نعيم خالص، مهما كانت جحيم الخجلة، فنعيم العفو والرحمة والشفاعة، أو جحيم النار غير خالدين فيها أو خالدين غير آبدين، ثم إلى نعيم مقيم، فهم بين جحيم ونعيم، ثم إن مرجعهم لى النعيم، كما كانوا يوم الدنيا بين برّ وفجور ثم ماتوا مؤمنين ولو شيئاً ما، أو ماتوا فاسقين دون محض الفسق واللامبالاة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾:

﴿وما أدراك؟ سؤال تهويل وتجهيل وتجليل: أن حقيقة يوم الدين ليس بالأمر الهين الذى يدركه الإنسان إلا بوحي السماء.. فإذا أنت دريت ما يوم الدين ما كان يدريك إياه وحي الأرض وعقل الأرض وعلمها.. إنما وحي السماء ليس إلا،

فإنسان - أيًا كان - يجهل يوم الدنيا حقيقتها، فأحرى به أن يجهل يوم الدين^١.
والدين هو الطاعة ولها يومان، يوم تطبيقها: يوم الدنيا، ويوم بروزها بحقيقتها في جزائها وهو يوم الدين، فيوم الدنيا هو يوم الدين تشريعياً ككل، وتكوينياً بالاختيار؛ ويوم الدين هو يوم الدين تكوينياً دون اختيار، وإنما جزء الاختيار وفاقاً وعدلاً، أو فضلاً.

❁ ثم ما أدراك؟ علّ الدراية الثانية هي عين اليقين وحقه لما تقوم القيامة، كما الأولى هي علم اليقين، وفي كلتا المرحلتين ليست الدراية إلا من رب العالمين، لكننا الرسول عرف يوم الدين حق المعرفة واليقين قبل القيامة، حيث النص:
❁ ثم ما أدراك؟ ولم يقل، ❁ ثم ما يدريك؟ أدراه إياه وحي السماء كأنه رآه وأكثر، وكأن القيامة قامت، طالما لم يدر وقتها، فإنما علمها عند الله لا يجلبها لوقتها إلا هو.

فهكذا سؤال يوقع في الحس عظمة الموقف وأن الأمر أعظم جداً وأهول من أن يحيط به إدراك البشر المحدود، فهو فوق كل تصور مألوف وكل واقع معروف.

❁ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩):

هنا نعرف وندرى شيئاً ما من يوم الدين، وما يختلف به عن يوم الدنيا أنه: يبطل ملك بنى الدنيا إلا من تملكه رضا الله فيملكها بإذنه، فيقف موقف الشفاعة بإذن الله من أذن له الرحمان ورضى له قولاً.

نحن نملك أسباباً يوم الدنيا بما ملّكنا الله إياها، ولكنها تنقطع يوم الدين: ❁ وتقطع بهم الأسباب (٢:١٦٦).. كما نقوى شيئاً ما من القوى يوم الدنيا ابتلاءً وتكليفاً ثم لا نملك شيئاً منهم يوم الدين: ❁ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب

١ . التعبير «ما أدراك» يختلف عن «ما يدريك» إن الأول سؤال عما تحقق، عن سببه، والثاني عما بالامكان أن يتحقق، عن سببه وكما يروي عن ابن عباس «كل ما في القرآن من قوله تعالى: ما أدراك، فقد أدراه، وكل ما فيه من قوله عزوجل: ما يدريك، فقد طوى عنه».

أن القوة لله جميعاً ﴿٢: ١٦٥﴾.

صحيحٌ أننا ما كنا نملك يوم الدين شيئاً إلا مجازاً وتخويلاً من شأن التكليف، ولكننا نفقد المجاز أيضاً يوم الدين، ولا يبقى أمر ولا ملك إلا لله الواحد القهار: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ ﴿١٦: ٤٠﴾ والملك هذا من الأمر الذي كَلَّه يومئذٍ الله. إنه العجز الكامل والشلل الشامل، وانفصال بين النفوس وانشغال عنها، ف ﴿لكل امرئٍ منهم يومئذٍ يغنيه﴾ ﴿٨٠: ٣٧﴾ ولو انشغلت نفس عن نفسها، واتجهت إلى غيرها، لم تكن لتفيده وتغنيه، إذ لا تملك هناك شيئاً لنفسها فضلاً عما سواها. وعلى حدّ تعبير باقر العلوم (عليه السلام) إن الأمر يومئذٍ لله، والأمر كله لله، إذا كان يوم القيامة بادت الحكام فلم يبق حاكم إلا الله. إن الأمر كله لله يوم الدين، أمر الملك والإحياء والإدانة والعفو والشفاعة والحكم والتنفيذ وما إلى ذلك، وإن كان كذلك يوم الدنيا، إلا أنه حررتنا يومها في بعض الأمر، وخيرنا بين الإيمان والكفر، ولأنها دار التكليف.

١ . نورالثقلين ٥ : ٥٢٧ روي عمرو بن شمر عن جابر عنه (ع) .

يوم الفرار القيامة صاخّة

﴿..فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ ﴿ (٤٢:٨٠).

﴿..فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (٣٣):

الصاخة هي الصاكة - بشدة صوتها - الآذان؛ فتصمها، وكما أن لفظها أيضاً ذو جرس صاكٍ يخرق صماخ الآذان، تناصر اللفظ والمعنى، ولكي نشهد المشهد الهائل، مشهد الفرار دون قرار، للذين يربطهم يوم الدنيا روابط لا تنفصم، ولكن الصاخة تمزقها تمزيقاً بما أن لكل يومئذٍ شأن يغنيه، ولحدّ كأنه ينسى حق نفسه.

إنها يوم الفصل، ومنه فصل الأنساب والأحساب، روابط القرابات والصدقات، لا يحكم فيها حاكم الأنساب ولا يتساءلون عنها: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴿ (١٠١:٢٣) وإنما العداء هي التي تنوب كل هذه وتلك إلا للمتقين: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧:٤٣).

إنها هي الساعة الصاخة (صيحة الإحياء) فإذا هم إلى ربهم ينسلون، صيحة تصخّ الأسماع وتقرعها، وتجعل الإنسان يفر من ذويه ﴿لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ...﴾ (٣٤):

ولأن الهول هناك هولٌ نفسى يفرع النفس ويفصلها عن محيطها وعنّها أيضاً: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (٢:٢٢)، لذلك تراه - وبالأحرى - يفر من ذويه الأقربين والأنسبين ﴿من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾.

فهل يا ترى لماذا الفرار ❊ وان الآخرة هي دار القرار ﴿٣٩:٤٠﴾؟
 فهل لأن كلاً ظالمٌ بحقوقهم فيفر، كيلا يطالبوه بظلمهم؟ وليس كل امرئٍ ظالماً!
 أم مخافة أن يطالبوه بشفاعةٍ ولأنه من أهلها؟ وليسوا إلا قلة قليلة!
 أم لأنهم لا ينفعون شئاً؟ وهذا لا يستوجب الفرار.
 أم لأنهم لا يعرفونهم ❊ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴿٣٧﴾؟ فكذلك الأمر!
 أم مخافة أن يتعلقوا به لماذا قصرت تجاهنا؟ وليس الكل هكذا!
 إذا فلماذا؟ لانجد أخصر وأشمل من هذا التعبير الذى يشغل الحس والضمير:
 ❊ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾:
 يكفيه - شأنه الشائن، وهو له الكائن إثر الصاخة القارعة، هذا يكفيه عما سواه
 وعمن سواه.

هول أول مفاجيء لا يدع الإنسان - أياً كان - أن يفكر في غيره، فهو يفر وحتى
 عن أقاربه، فراراً فكرياً فبالأقدام، ولحدّ لا يكاد يرى بعضهم البعض، وكما يروى عن
 الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم قوله: ❊ يبعث الناس حفاةً عراءً غرلاً قد
 ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان، قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!
 واسوأته ينظر بعضنا إلى بعض، الرجال إلى النساء؟ قال: شغل الناس عن ذلك نشرُ
 الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ❊ لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه ﴿٣٧﴾.
 شأنٌ يغنيه، إضافةً إلى المحتملات المسبقة حسب الدرجات: فراراً عن المطالبة
 بالتبعات، يقول الأخ: ما واسيتنى، والأبوان: قصرت فى حقنا، والصاحبة: لم تصاحبنى
 كما يجب، والبنون: ما ربيتنا كما يحق.
 أو فراراً عن الشفاعات، والأصل الشامل هو الذى قال الله ❊ لكل امرئٍ منهم
 يومئذٍ شأنٌ يغنيه ﴿٣٧﴾.

١ . الدر المنثور ٦ : ٣١٧، عن سودة بنت زمعة وسهل
 بن سعد وأم سلمة وعائشة عن النبى (ص) نقلنا
 المجموع كرواية واحدة رعاية للاضافات.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ضاحكةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾:

تقسيم ثنائى لوجوه الناس إلى مسفرة، والتي عليها غبرة: مسفرة مشرقة بعد الهول العام، إذ تعرف نجاحها يومذاك، مسفرة لأنها سافرت مع السفرة، كرام بررة، فتلت صفهم المطهرة، وطبقتها وعاشتها حياتها، ولأنها اتجهت حياتها إلى الوجيهات الربانية وأعرضت عن الشيطانية.

فكما الصبح يسفر بعد الظلام فينير، كذلك هذه الوجوه تسفر بعد ظلام الصاخة، العام، منيرة مهللة مشرقة، تتغير شأنها الذى كان يهّمها ويغنيها، ثم - عليها - تتعطف إلى الذين يلتصقون بها لشفاعتهم، إن قريباً أو بعيداً، ف ﴿أخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُ عَدُوِّ الْإِتْمَانِ﴾.

إنها مسفرة ضاحكة فرحة مستبشرة، تتطلب بشارات الرحمة كما الله بشرها يوم الدنيا لهذا اليوم، ولأنها عرفت مصيره وتبين لها مكانها ومكانتها بعد حرّيتها من هول الصاخة المذهل المبكى.

وإنها الوجوه الناعمة الراضية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٨٨: ٧ -

٨).

والناضرة الناظرة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ لِّإِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٧٥: ٢١ - ٢٢).
﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٤١) أولئك هم الكفرة الفجرة ﴿٤٢﴾:

تعلوها غبرة الحزن والحسرة وسواد الذل والانقباض والانكماش، فهي إذًا: ﴿بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٧٥: ٢٥ - ٢٤) وهي: ﴿خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٨٨: ٢ - ٣).

وجوه مغبرة عليها غبرة الحزن والأسى، ترهقها: تغشاها - فترة: هي سواد الذل - وترغمها، يبقى عليها هول الصاخة، ويزيد إذ عرفت ما قدمت لانفسها - من سخط شديد وعذاب عتيد.

إن هذه الغبرة الظاهرة على تلك الوجوه هي شىء من فوضى الحياة المغبرة التى -

عاشوها، وهنا يعرفون بها ❁ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ❁ (٥٥:٤١) وكما المؤمنون ❁ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ❁ (٤٨):
٢٩).

❁ أولئك هم الكفرة الفجرة ❁: كفروا بالله وأنعمه، وفجروا حرمان الله وما راعوها.

القيامة مكورة مكدرّة

﴿سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ ﴿١٤﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١):

أحداث كونية ضخام جسام تشير إلى أن هذه الكائنات المنسقة في نظامها وحركاتها سوف ينفرد عقد نظامها وتتأثر أجزاؤها.

فهذه الشمس التي هي نور كل ظلام في منظومتها، وحياء الأحياء مع الماء، هذه النبعة الحيوية النورية الحرارية سوف تموت وتقرض، تكور وتدور، فما هو كورها؟ وما هو دورها؟

فهل إن كورها أن يحاط عليها؟ كما: ﴿يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (٧:٣٩) إحاطة الليل على النهار بظلامه، والنهار على الليل بضوئه، إحاطة ماحية لكيان كل منهما بكل منهما، فكذلك يحاط على الشمس بما يدمرها ويظلم عليها، وهذا هو كور الطاقات المدمرة للشمس؟

أو كورها في نفس ذاتها بضم بعضها إلى بعض ككور العمامة ولفها بنحو الإدارة؟

أو انه جمعها وصرعها، بنقص كيائها ونورها؟

أو زيادتها في حرارتها وسرعتها عند احتضارها، كما عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ﴿أَعُوذُ مِنَ الْحُورِ بَعْدَ الْكُورِ﴾، أي من النقص بعد الزيادة.

أو كورها على أخيها الأصغر: القمر، بشمولها عليه ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾

(٧٥:٨)؟

كلُّ محتملٌ، أو أنها مرادةٌ جمعاء، فإن قيامة الشمس تضم ضمها ولفها وجمعها وصرعها ونقصها في كيانها وزيادة سرعتها ونورها في اللحظات الأخيرة من عمرها، ثم برودتها وانطفاء شعلتها وانكماش ألسنتها الملتهية التي تمتد الآن من جوانبها إلى ألوف الأميال حولها في الفضاء، فسوف تكوّر لا ألسنة حداد لها ولا امتداد ولا جريان ولا ضياء، وهذا هو مصير الشمس كلها، إذا جاء أجلها فُتتت ورجعت لحالها الأولى، وأحيلت إلى المصانع الإلهية في العوالم الأثيرية ليصاغ منها عالم جديد.

نرى بعض علماء الفلك يوكدون أن منبع الطاقة الحرارية للشمس ليس إلاّ انقباضها وانكماشها وكورها التدريجي، وهذا هو الأثر الملموس في كل انضغاط وانكماش ولا سيما في الجسم الحار في نفسه كالشمس.

وحسب قانون الجاذبية لـ (نيوتون) نتأكد أن التشعشات الشمسية هي إلى النقصان المستمر، زهاء كيلومترين في كل قرن، وبهذا تتأكد نظرية الانقباض لـ (هلولتز)، وبالإمكان ألا يدرك هكذا نقصان في الشمس طول تاريخ الإنسان، لكنه قياساً إلى الزمان في معرفة الأرض، يظهر كثيراً وملحوظاً، فالقدر الناقص عن جرم الشمس حتى الآن زهاء (١٠٤٧ * ٢) أرجاً، وهي أقل بآلاف المرات من الطاقات العامة المنفصلة عنها حتى الآن.

١ . وفي كور القمر أخرج البخاري عن النبي (ص) قوله: الشمس والقمر مكوران يوم القيامة (الدر ٦: ٣١٨).

٢ . هذه المعاني اللغوية للكور المستفاد بعضها من القرآن والحديث، ذكرت في لسان العرب. وعن ابن عباس تفسير الكور بالانظلام والأغوار وكما عن مجاهد وسعيد بن جبير الأخير وعن أبي صالح «نكست» وعن مجاهد اضمحلته وعن الضحاك وقتادة ذهب ضوءها، ومرجع الكل واحد كما عرفناه.

٣ . ولعلها المعنية مما روى عن الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) «كورت» في جهنم (المصدر) إن اللحظات الأخيرة من عمرها تصبح كأنها جهنم من شدة حرارتها، إذ تنقبض إلى النهاية فتحترق إلى النهاية.

إن نظرية الإنقباض وإن كانت بمحل من التصديق، إلا أن من المؤكد وجود منبع آخر لها أثقل من الطاقة الكيماوية والثقالة، ويقول (جورج قاموف) بعد تحقيقات عدة^١ أن حرارة الشمس من الطاقة تحت الذرية.

ويقول: ❀ ليس بالإمكان أن يتجاوز عمر الشمس (١/١٠٠٠٠٠) مما هو الآن، لو كان المنبع الحرارى لها شيئاً من المواد الكيماوية، لذلك فليكن القسم الأكبر من منبعها الحرارى من العناصر الخاصة التى هى آخر المطاف للتبدلات الكيماوية لكل العناصر غير الخاصة ❀.

هذا - وحرارة الشمس الآن - فى سطحها ثلاثة آلاف درجة وفى باطنها سبعون مليوناً، ولولا نزول الأمطار المتناوبة عليها لأحرقت الأرض وانقرضت هى أيضاً قبل أجلها، وكما عن باقر العلوم قوله: ❀ إن الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك، ملك ينادى يا صاحب الخير أتمم وأبشر، وملك ينادى يا صاحب الشر إنزع وأقصر، وملك ينادى أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينزحها بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض^٢.

ويؤيد الرواية ما عن الدكتور (دونالد منزل) الفلكى الأمريكى الشهير: ❀ إن اختلاف الأشكال فى القطع المرئية فى وجه الشمس، إنها نتيجة نزول أمطار غزيرة دائبة عليها، وقد أظهر هو قطعة من الأفلام المصورة عن الشمس، وفيها صورة أمطار شديدة تنزل على الشمس من ارتفاع ثمانين ألف كيلومتراً، وآهالها مرسلوا الفلكيين فى المؤتر المعنى لذلك^٣.

إذا فالشمس فى كور دائم شيئاً فشيئاً حتى يخلص دورها فتنتهى إلى كورها

١ . فى كتابه موت الشمس.

٢ . بحار الأنوار ١٤ كميانى ص ١٢٤ عن الكافى روي الجابر عن الباقر (ع) ..

٣ . نقلته جريدة اطلاعات الايرانية المنشورة يوم الخميس ١٥ ربيع الاول ١٣٦٩ هجرية قمرية الموافق ١٩٥٠ ميلادية، نقلته عن مكتوب الدكتور دونالد منزل .

الأخير، جارية في هذا الكور لمستقر لها، ثم لا دور لها ولا كور: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (٣٨:٣٦).

ومما يطول عمرها أكثر، ما تسيل عليها من الأمطار الغزيرة، فتمدها في تباطؤ كورها؛ وتمنعها أن تحرق الأرض وسائر الكرات القريبة منها إلى أجل معدود. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٢):

النجم هو الكوكب الطالع، وعله يعم طلوع التمدن فيه أيضاً وأحرى، والإنكدار من الكدره وهي الظلمة، أو كانكدار الطائر إلى الأرض وهو انقضاضه وسقوطه نحوها. فالكواكب الطالعة سوف تغرب عن ضوئها وعن تمدنها، وسوف تتساقط هذه الطائرات الجوية السائرة على أفلاكها، بما معها من الكواكب غير الطالعة: ﴿وَإِذَا الكواكب انتشرت﴾ (٨٢:٢) والكوكب يعم الطالع وسواه، والانتشار هو من جراء الإنكدار، كما تنتشر الطير وتتساقط إلى عمق الفضاء عقب إنكدار حياتها، فما دامت حية لا تنتشر بمسكة الحياة، فإذا انكدرت عليها حياتها انتشرت.

إن المعنى من طلوع الكوكب هو واقع الطلوع، لا بالنسبة لإنسان الأرض، ومع العيون المجردة، إنما واقع الطلوع أينما كان موقعه من السماء. والكوكب منذ خلقه ليس طالعاً، ثم يتكامل؛ فيصبح طالعاً نيراً، ومن ثم قد يصلح للحياة والتمدن وهو الطلوع الأخير.

فمن الكواكب ما لم يطلع بعد، أو هو في الطلوع الأول أو الأخير، ومنها ما طلع طلوعاً أو طلوعين ثم غرب، والإنكدار يعني الغروب النهائي والوقوف عن الحراك والتساقط إلى أعماق الفضاء، فالانتشار هو المرحلة الأخيرة من غروبها.^١

١ . قد يؤيد كون النجم أخص فأكمل من الكوكب أن الآيات المستعرضة للخلق لا تأتي إلا بذكر الكواكب، ثم نري ما تذكر الحالات المتوسطة والاحيرة تذكر النجوم، فمن بين ثلاث عشرة مرة تذكر النجوم، لاتجد ولا مرة واحدة استعراض خلقها، وإنما: الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر (٩٧:٦) وأنها مسخرات بأمر الله (٥٤:٧) وأن لها مواقع (٥٦:٧٥) ثم انها تطمس وتكدر، بينما الكواكب تذكر بخلقها، «إنا زينا

يتبدل النجم كوكباً؛ لا نجم، ثم ينتشر وينطس ✨ فإذا النجوم طمست ﴿٨:٧٧﴾ خلقت هي - بادىء ذى بدءٍ - منها ✨ والسماوات ذات الرجوع ﴿٩:٨٦﴾: ترجع بأنجمها إلى ما كانت عليه: ✨ الدخان ﴿١٢:٤١﴾: ✨.. ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالنا أئتينا طائعين ففضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴿١٢:٤١﴾.

أجل - وإن هناك انكداراً وانتشاراً وانطماساً، فالكواكب تنتشر، والنجوم تنطس وتتكدر، وهذه حوادث حلل وطامات كبرى تقضى على السماء وكراتها حيث الطمس هو المحو وإزالة الأثر.

إن النجوم والكواكب لا تنحصر فيما نراه فى السماء بالعيون المجردة أو بواسطة المراصد الفلكية، انها هى العوالم السماوية كلها، التى لا يعلم عددها ومواضعها إلا الله، فورا ما نرى منها بمرصدنا مليارات من الفضاءات والمجرات لا نعرف لها عدداً، فمنها ما هى بعيدة عنها بما لم يصلنا ضوءها منذ خلقت، وبعد مليارات السنين، والضوء يسير كل ثانية ٣٠٠ و٠٠٠ كيلومتراً، فيا لها غوراً وبعداً عننا!

ومنها ما انقرضت قبل أن يصل إلينا ضوءها، وعل منها ما لن يصل إلينا ضوءها إلى حين انكدارها وانتثارها، ومنها ما لم تخلق بعد: ✨ والسماوات بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون ﴿٤٧:٥١﴾. إنه تعالى دوماً فى توسيع المملكة السماوية وحتى القيامة الكبرى، ومن ثم سوف يخلق عوالم أخرى، ف ✨ كل يوم هو فى شأن ﴿٢٩:٥٥﴾.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾:

.. ✨ وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴿٣﴾: إن هذه الجبال الرواسى الأوتاد سوف تصيح كالسراب، تحملها القدرة الإلهية وأرضها حمل التدمير: ✨ وحملت الأرض والجبال فد

السماء الدنيا بزينة الكواكب» (٦:٣٧) ثم قيامتها: «وإذا الكواكب انتثرت» (٨٢:٧)

كَتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤:٦٩﴾ بعدما كانت تحملها قبل قيامتها حمل التدبير: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ ﴿٨٨:٢٧﴾: هذه قدرة الصنع والتعمير، وتلك هي قدرة السحق والتدمير، وكلتاها من حكمة الخبير البصير.

والأنباء المسبقة عن قيامة الجبال في سورة النبأ كافيةٌ لحدِّ ما فيما توحى لنا آيتنا هذه، وسوف يأتيكم نبأها الفصل في طيات التفسير.

﴿وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ﴿٤﴾:

العشار - جمع العشاء - هي النوق الحبالى في شهرها العاشر، وهي أعلى ما تكون بما هي قريبة الولد، صاحبة اللبن.. فهي تعطيل يوم الطامة الكبرى في الصيحة الأولى: عطلة عن الحراك والولد والحليب، إذ تضع حملها قبل أوانه، ويجف حليبها لشدة الوقعة.. وهي تهمل عن صواحبها - ف ﴿لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ ﴿وكيف لا؟ وهي الساعة التي: ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ ﴿٢:٢١﴾.

والعشار - بما هي أئمن ما كانت تملكه العرب المخاطبون وقت النزول إنها - وبصورة عامة - تمثل أئمن ما يملكه الإنسان ويتنافس فيه المتنافسون، فهو يشتغل عنها بنفسه في صيحة الإماتة، وكما يفر عن ذويه في صيحة الإحياء، ف ﴿لكل امرء يومئذ شأن يغنيه﴾.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾:

فما هي الوحوش؟ وما هو حشرها؟.. فهل إنها كل الدواب الوحشية سوى الإنسان؟ وليست الكل نافرة عن الإنسان، متنافرة مع بعض، حتى تكون وحوشاً كلّها! أم هي غير الآنسة والمتأنسة من الدواب، ومن الإنسان؟ أظنه أسلم من غير الإنسان خاصة، ولأنه أعم، ويساعده عموم اللفظ، ومن الإنسان الوحش ما هو أوحش من وحش الحيوان!

ثم هل إن حشرها هو جمعها يوم الجمع في صيحة الإحياء كسائر الأحياء من بنى

الجان والإنسان؟ قد ينافيه أن الآيات الست الأول من السورة وهي خامستها، ﴿إنها كلها تصف حالة الكائنات في رجفة الإماتة، وأن الحشر المطلق هو مطلق الجمع عن تفرق وافتراق دون اختصاص يجمع خاص، فما لوحوش الحيوان تختص بهكذا حشر؟ أم هو جمعها للموت كما الآية تخبر عن رجفة الإماتة؟ ولكنما الجمع هذا لا يختص بالوحوش، فإنه يعمها والكائنات الحية وسواها بأسرها.

أم هو جمعها بعد تفرقها، وأنسها بعد توحشها وتمزقها، فإنها نسيت نفسها من هول الواقعة القارعة، فكيف بتفرسها وتوحشها؟.. وإنها تمضى هائمة على وجوهها كأنها زالت طباعها المتنافرة الوحشية، وكما هو الحال في كافة المتنافرين المتوحشين من الإنس ومن سائر الحيوان، فهي إنما تفر وتهجم وتضر ما لم تر حادثة أشد وكارثة أعتد، ففيما إذا انفزعت بالفزع الأكبر نسيت وتناسب ما بينها من عداء، وتآلفت واجتمعت وحشرت.

كما وقد يكون هكذا حشر لشمول العدل إذ لا ظلم ولا تخسير، وهو الحشر الأول في القيامة الوسطى، في دولة القائم المهدي محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام) إذ ﴿تصطليح في ملكه السباع﴾^١.

هذا هو الحشر بالمعنى العام: الجمع عن التوحش، وأما فيما إذا كان الحشر إلى الله فهو الحياة بعد الموت لعامة ذوى الحياة ولتجزى كل نفس بما تسعى: ﴿وما من

١. نجد هذه الجملة في روايات مستفيضة اسلامية وآيات عدة من كتب الانبياء السابقين فصلتها في كتابي «رسول الاسلام في الكتب السماوية» ومنها: في كتاب أشعيا ١١: ١ - ١٠ «فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدى ويكون العجل والشبل والمعلوف معا وصبي صغير يسوقها ٦، ترعى البقرة والدب معا ويربض اولادهما معا والاسد يأكل الدب كالثور ٧. ويلعب المرضع علي حجر الافرعي ويضع الفطيم يده في نفق الارقم ٨، لايسيؤن ولايفسد في كل جبل قد سي لان الارض تمتلئ وفي ذلك اليوم اصل يسى القائم راية للشعب اياه تترجي الامم ويكون مثواه جيدا»^{١٠}.

دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يُحشرون (٣٨:٦).. وهذا هو الحشر بمعنى الإحياء في صيحة الإحياء، يشمل الدواب والطيور كلّها، وحشاً وسواها، إنساناً وسواه، وعلّ الدابة في الأرض تشمل ما تمشى عليها وما في جوفها وفي بحارها، دَبّاً على الماء والأرض وفي باطن الأرض.

وفيما إذا سُئلنا عن حشر الحيوان غير الإنسان: لماذا يحشر ويحيى؟ ألكي تجزى بما تسعى؟ فكيف تُجزى الدابة ولا عقلها ولا شرعة ومنهاجاً؟
فهنا الجواب: أن الجزاء يعم ذوى الشعور كما تشعر، إن عاقلة أم لا، فإنما المدار في الجزاء معرفة الله وإمكانية معرفته، وشعورٌ يميز بين العدل والظلم، كلُّ على قدره، والطيور والدواب كلها تعرف الله تعالى ون تكلف واكتساب: ﴿أم تر أن الله يسبح له من فى السماوات والأرض والطيور صافاتٍ كلُّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾ (٢٤:٢١) ﴿والله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض من دابةٍ والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ (١٦:٢٩).

ثم نراها قد تُظلم وقد تُظلم وهي شاعرة أنه قبيح والله لا يحب القبيح، فلولا شعورها بالقبح فلماذا تفر من الظلم، أو تعضّ وتركّل أو تفترس من يهاجمها من نوعها أو سواه؟

ثم الله أحل لنا أكل لحوم قسم منها، فعليه أن يبدلها - بما ذُبحت - برحمة منه فى حشرها.

وقد نرى الإنسان يظلم ما يملكها فلا يؤدى حقها، والله تعالى أعدل من أن يذرها سدى لا يقتص لها من ظالمها.

وكل ذلك يتطلب لها حياة بعد الدنيا، من عدل الله ورحمته، ولكي تجزى كلُّ بما تسعى.

هذه الآية هي الفريدة فى نوعها ومن حيث حشر الدواب، ثم تضاف الروايات تدلنا

على ما استوحينا منها!

❖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾:

البحار هنا هي كل البحار، أرضية وسماوية، والتسجير هو تهييج النار، من سجتُ التنور إذا أوقدتها، فكيف تهيج البحار بالنار، فأين الماء وأين النار؟
الجواب: أن الآية توحى للمصير الأخير للبحار يوم تكوير الشمس وانكدار النجوم، وأنها تنقلب ناراً بعدما كانت بحاراً كالترتيب التالي:

إن البحار تفجّر في البداية: ❖ وَإِذَا الْبِحَارُ فَجَّرَتْ ﴿٨٢﴾ (٣:٨٢) تفجّراً على أثر زلزال الأرض وانشقاقها، والتفجر هو الانشقاق الواسع، تفرقاً وانشقاقاً لمياهها، وتغلغلاً عن حراكها الشديدة - والحركة تولّد الحرارة - وعن ازدياد حرارة الشمس عند تكويرها. ثم تحوّلها بخاراً بخروج الكرة النارية المذابة من بطن الأرض، ثم تحوّل البخار ناراً كما كان بداية خلقه الأرض والسموات وهذا هو تسجير البحار، فإن التسجير هو تهييج النار وكما هم: ❖ في النار يسجرون ﴿٤٠:٧٢﴾ فكما النار تحرق بلهيباً دون اقتصار على الإغلاء، كذلك البحار تسجّر، تبدلاً إلى لهيب النار بعد أن تفجّرت، وكما البحر المسجور من العذاب الواقع: ❖ والبحر المسجور. إن عذاب ربك لواقع ﴿٥٢﴾:

١ . ففي نورالثقلين ١ : ٥٩٢ عن الفقيه أن النبي (ص) أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال: أين أصحابها؟ مروه فليستعد غذا للخصومة.
وفي الجمع عن أبي ذر قال: بينا أنا عند رسول الله (ص) إذا انتطحت عنزان، فقال رسول الله (ص): أتدرون فيما انتطحا؟ فقالوا: لاندري! قال: ولكن الله يدري وسيقضى بينهما.
وعن محمد بن جرير وغيره بزيادة: قال أبو ذر: «لقد تركنا رسول الله (ص) وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً». (الدر المنثور ٣: ١١).

وعن الكافي بالاسناد عن سماعة بن مهران قال: أخبرني الكلبي النسابة قال: قلت لجعفر بن محمد (ع) ما تقول في المسح علي الخفين؟ فتبسم ثم قال: إذا كان يوم القيامة ورد الله كل شيء إلي شئته، ورد الجلد إلي الغنم فتري أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم.

(٥ - ٤).

إن المواد الكيماوية كلما زيدت حرارتها تفسّخت وتفجرت عن تركيباتها وأخذت سبيلها إلى البساطة وإلى المادة الفردة الأولية، التي هي آخر المطاف في التقلبات الكيماوية، وهي تتحمل حرارة أشدّ وأكثر، كلما كان التحلّل عن التركبات أكثر وأكثر. لذلك نجد الشمس في مركزها أثقل وأحر مما في سطحها، إذ إنها تحمل أبسط الذرات الكيماوية: الهيدروجين ① التي هي آخر المطاف في التقلبات الكيماوية فيما نعرفه حتى الآن، وثم إلى المادة الفردة التي لا نعرفها حتى الآن، وقد تحمل مليارات المرات من الحرارة التي نجهها الآن.

وهذه هي مصير كل المركبات والعناصر الكيماوية، ترجع إلى ما كانت، ومنها الماء، فالبحار تفجّر وتسجّر، كما الكائنات كلها تسجّر، فلا يبقى إلا مسجور محروق. أجل - وإن الزلازل والبراكين سوف تزيل الحواجز بين البحار فتغلغل على أثرها، وسائر العوامل الحرارية المسبقة وإلى انفصال ذرتي الماء: الأوكسجين والهيدروجين، وإلى تفجرهما أيضاً.. وآخر المطاف أن البحار تسجّر: تصبح نيراناً ملتهبة هائلة لا يتصور مداها.

وأنّ تفجر قدر محدود من الذرات بالقدرة المحدودة البشرية في القنابل الذرية يحدث الهول الذي لا تتحمّله، فكيف بنا إذا انفجرت الذرات كلها ومعها البحار، بحار الأرض والسماء؟!

فعن القمى عن الصادق عليه السلام في الآية قال: ② تتحول البحار التي حول الدنيا كلها نيراناً ③.

④ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑤ (٧):

التزويج هو قرن كل شيء إلى شبيهه، أو مثله، أم ما يحق أن يقرب به، وعله لا يشمل هنا النكاح لأنه يخص أهل الجنة دون النفوس كلها، وأن الآية تستعرض قيامة الإحياء

قبل الحساب والجزاء ونشر الصحف وتسعير الجحيم وإزلاف الجنة، وقبل أن تعلم كل نفس ما أحضرت^١ اللهم إلا أن يعنى من تزويج الأشرار غير النكاح، وأن خلط الآيات فى القيامتين يسمح بشمول التزويج للنكاح وإن ذكر قبل الحساب^٢. إذن فهو التزويج العام يوم القيام، الشامل لكل نفس خيرة وشريرة، قرناً فى كل شىء.

من قرن الأجزاء الأصلية المعادة - لكل نفس - بعضها ببعض. دون أن تضل أو أن تتصل إلى غير بدنها، وقرن كل نفس ببدنها الأصيل الذى عاشته طوال حياة التكليف، دون تَقَمُّصٍ بغير قميصها، ودون أن تضل الأرواح ولا الأجساد: ﴿وقالوا إذا ضللنا فى الأرض إنا لفى خلق جديد. قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (٣٢: ١٠)^٣، وقرن كل نفس بما تجانس وتقارنه فى عقيدة الإيمان وعلم الإيمان من السابقين وأصحاب اليمين، أو ما تشاركه فى تركهما من أصحاب الشمال: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون﴾ (٥٦: ٣ - ٧)^٤، وقرن كل

١ . هذه الآيات تجمع بين علامات قيامة الاماتة والاحياء، فمن تكوير الشمس إلى تسجيل البحار تشير إلى الأولى، ومن تزويج النفوس إلى نشر الصحف إلى الثانية، ثم ترجع إلى الأولى فى كسط السماء، ثم بقية الآيات إلى الثانية، جمعا بين القيامتين لوحدتهما فى الطامة واتصالهما.

٢ . ويؤيده المروى عن الامام الباقر (عليه السلام) فى الآية قال: أما اهل الجنة فزواجا للخيرات الحسان، وأما اهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان، يعنى قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم (نور الثقلين ٥: ٥١٤ ح ٧ فى رواية أبى الجارود عنه (ع) أقول وهذا من بيان بعض المصاديق الظاهرة.

٣ . الدر المنثور ٦: ٣١٩ عن ابن عباس: ترسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله: «وإذا النفوس زوجت» ومثله عن أبى العالىة والشعبى.

٤ . فى الدر المنثور ٦: ٣١٩، أخرج ابن مردويه عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «وإذا النفوس زوّجت»: هما الرجلان يعملان العمل يدخلان الجنة والنار».

تابع بمتبوعه وكل مأموم بإمامه: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون فاهدوهم إلى سواء الجحيم﴾ (٢٢:٣٧) يوم ندعو كل إناس بإمامهم فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يُظلمون فتيلًا. ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴿١٧: ٧١-٧٢﴾ وقرن كل ساع بسعيه: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ وقرن المؤمنين بالمؤمنات والحواريات في الزواج، وغير ذلك من التشكيلات المتجانسة، عدلاً في كل مجالاته، إذ ليس الملك هناك إلا لله الواحد القهار، دون الحياة الدنيا التي يقرن فيها الشيء بضده.

﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٩):

المؤودة من ﴿وَأَدَّ مَقْلُوبٌ﴾ أَدَّ: أثقل، فهي المثقلة وكما توحى إليه آية الكرسي ﴿ولا يؤوده حفظها﴾: لا يُثقله ويتعبه ثقل السماوات والأرض، وكذلك المؤودة كانت ثقلاً عند العرب الجاهلي، وفي عصر الصاروخ أيضاً من جهات عدة. ان المؤودة، المسؤولة - عنها ولها - هي البنت إذ كانت عبثاً وثقلاً - زعم العرب الجاهلي - في الحياة: المادية منها والمعنوية سواء، ثقل المعيشة وثقل العار، فكانوا يتقلونها بالتراب تخفيفاً عنهم ثقل الحياة، وعلها سميت مؤودة لهذه الأتقال الثلاثة كلها.

ورغم أن الواد ﴿التقل﴾ الأول كان خاصاً بالفقراء، وأكثرهم كانوا فقراء: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق (خشية إملاق) نحن نرزقهم وإياكم﴾ (٦: ١٥١ - ١٧: ٣١). كان الأخيران يعم عرب الجزيرة كلهم: ﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشرَّ به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (١٦: ٥٧ - ٥٨).

وإذا المؤودة التي زُعمت ثقلاً: مادياً ومعنوياً - ولذلك كانت تُثقل بالتراب - إنها

أقول: وهو تزويج كل إنسان بعمله أي قرنه به، وفيه أخرج الفراء عن عكرمة في الآية قال: يقرن الرجل في الجنة بقريته الصالح في الدنيا ويقرن الذي كان يعمل السوء في الدنيا بقريته الذي كان يعينه في النار.

سئلت، بأى ذنب قتلت.

ولقد كان من هوان تاريخ الإنسان عادةً وأد البنات المظلومات خوفاً الفقر والعار، القرآن يندد بها فى مواضع عدة، وأنهن إذا كن عاراً فلماذا تنسبون إلى الله البنات: ﴿أَمْ لَه الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ (٥٢: ٣٩) ﴿أَمْ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ. وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَانِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٍ. أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ﴾ (٤٣: ١٦ - ١٨).

يختص القرآن هذه العملية الوحشية القاسية هنا بذكرها فى طيات علامات الطامة الكبرى وآثارها، إيحاءً إلى أنها من أقسى وأوحش ما مضى على تاريخ الإنسان، إنها طامة من الطامات، يحاسب بها فاعلها أول ما يقوم يوم الحساب، يذكره فى سياق هذا الهول الهائج كأنه حدث كوني من هذه الأحداث العظام. إن العرب الجاهلى الوائدين للبنات كانوا على فرق شتى، تعمها الصورة القاسية الوحشية لهذه العملية العارمة.

فمنهم من كانوا يجلسون المرأة حين وضعها فوق حفرة هياؤها من قبل، فإن كان المولود بنتاً رمى بها فيها ورُدمت.

ومنهم من كان يتركها إلى السادسة من عمرها ثم يقول لأُمها زينبها وطيببها لكى أذهب بها إلى أحمامها فيأخذها إلى حميم البئر، يدفعها فيها بكل قساوة وضراوة، ويهيل التراب عليها ﴿أَمْ يَدْسُهُ فِي التَّرَابِ﴾.

والبعض القليل كانوا يمسكونها مهينة ﴿أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونَ﴾ إلى أن تقدر على الرعى فيلبسها جبّة من صوف أو شعر ويرسلها فى البادية ترعى له إبله، وفيما إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه فألقى ثوبه عليها منعاً لها عن زواج آخر ثم يرثها أو تفتدى نفسها منه...

هذه وتلك كانت العادة الجاهلية بحق البنات عند العرب، فما كان لقبيل الأنتى أى كيان عندهم، بل كن أنزل مكانة من الحيوان أيضاً وأرذل كياناً.

ولقد كانت فى نظر بعض الأجيال صفراً وتحت الصفر، ففى الجيل الخامس

الميلادى كانت تعقد المجامع للنظر فى: هل هى إنسانة لها نفس إنسانية؟ أم هى دون الإنسان رغم صورتها الإنسانية، وهكذا كان العصر السابق على الإسلام عصر ضياع المرأة، وكان للرجل كل حق عليها وحتى وأدها دون أى نظام يطالبه بالتجريم أو يحكمه بالتجريم، كأن الوأد هو القانون، حتى جاء الإسلام مشنعاً بهذه العادات، ومنّعها بحقوقها واعتبرها بنتاً وزوجةً وأماً، وخلّصها من وأدها وحرمانها حقوقها، ورفع لها من درجاتها كما تحقق فى كافة مجالات الحياةً فرديةً وجماعيةً.

فهل تظن الآن أن البنات خلصن من الوأد، وفى عصر تخصّر المرأة وتقدمها مع كل ما وصلت إليه المدنية الحديثة؟.. كلا.. وإنما الآن مؤودةً أشر مما كانت فى الجاهلية الأولى.

إن الآيات تندد بمن يئد البنات أياً كان، وأداً فى التراب أم وأداً فى تياب، قبل الولادة وبعدها، جسدياً أم روحياً، وأحرى أن يسمى الوأد الروحى وأداً! فإنه بُعدٌ عن حياة الروح، وذلك عن حياة الجسم.

فإذا كانت الجاهلية الأولى تتد البنات، فالجاهلية المتحضرة تتدهن مع الذكور بعملية الإجهاض المتبعة فى كافة البلاد، وتتدهم جمعياً بالأمراض التناسلية الناتجة عن تفشى الفحشاء والخلط بين الجنسين، لحد تولّد الولائد المرضى، المبتلين بالأمراض المهلكة، أم تقتلها قبل ولادتها، وما إلى ذلك من ألوان الوأد لحدّ لا يحصى. وإذا كانت الجاهلية الأولى تدفن البنات تحت التراب مخافة الفقر أو العار، فالجاهلية الأخيرة تدفنهن بشبابها وتدفعها إلى كل عار ودمار وبوار خلقى ورجالاً جنسيةً همجيةً، وأداً لكرامتها ودفناً لإنسانيتها، جاهليةً أعمى من الأولى، غليظة الحس، حيوانية التصوّر، هابطةً فى درك البشرية إلى حضيض مهين وضلال مبين، فقدت المرأة ميزتها الإنسانية وانحطت إلى أحط الورطات والنكبات الحيوانية، لحدّ توزن بتقل جسدها وجمالها وشبابها ونضارتها الجنسية، كأنها حيوانة خلقت لإرضاء ناحية الجنس ليس إلا.

فإذ يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) الجاهليين الأولين بما يصف - والآخرون

أحرى بوصفه - يخاطب الناس فيه : ﴿أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول - إلى أن يقول: - ودفنوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم، أو لا يختارون دونهم طيب العيش ورفاهية حفوض الدنيا، لا يرجعون ثواباً ولا يخافون والله منه عقاباً، حيّهم أعمى نجس، وميتهم في النار مبلس فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى﴾^١.
 فهل يا ترى إن وأد البنات وقتلن في أجسادهن مخافة الفقر والعار المزعوم، هل إنه أوحش وأفحش، أم دفنهن في الملاهي والشهوات والدعارات وألوان العار والبوار، أن يصبحن لعبة للرجال دونما حسدٍ ولا حجز، نتيجة عدم الإكثارات بشأنهن؟
 فهذا دفن الروح والجسم معاً وذاك دفن الجسم، هذا دفن المثل العليا والقيم الإنسانية، وذاك دفن القيم الجسدانية، فهو أشد من قتل الأجساد ووأدها وكما توحى إليه آيات عدة: ﴿والفتنة أشد من القتل - أكبر من القتل﴾ (١٩٢:٢) (٢١٧:٢) وأية فتنة أشد وأكبر من فتنة اللامبالاة بين الفتيان والفتيات، الناتجة عن تركهم سدى في خوضهم يلعبون في غيهم يعمهون.

وقد يفسر الإمامان الصادق والباقر عليهما السلام القتل في الآية: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ (٣٢:٥) يفسرانه بقتل الروح وعلى حدّ قولهما: ﴿من أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها﴾ بيانا لأهم المصاديق، كما ويفسر الحياة أيضاً بحياة الروح ﴿ومن أحيها فكأنما أحيى الناس جميعاً﴾: من أخرجها من ضلال إلى هدى.^٢

فسؤال المؤودة يوجه إلى الآباء الحاليين قبل أن يوجّه إلى القدامى، حيث القتل في عصور الحضارة أشد وأكبر منه في الجاهلية الأولى.

إن مؤودة الجاهليات ﴿سئلت﴾ تسأل هي بأى ذنب قتلت: سؤال ترحمّ واعتذار، ويسأل وائدها سؤال تقحّم وإنذار، سئلت: ﴿لها وعنّها﴾.

١ . نورالثقلين ٥ : ٥١٥ ، الكافي بالاسناد عن مسعدة عن الصادق (ع) عنه (ع) .
 ٢ . المصدر ١ : ٥١٤ ح ١٥٣ . ومثله عن الباقر (ع) بسند آخر .

إن السؤال في لفظ الآية لم يوجّه إلى الوائد وهو المسؤول! إذ خرج بفعلته الوحشية عن أهلية الخطاب، والموؤودة هي المؤهلة للسؤال، أن تُسأل ترحمًا واعتذاراً بجنب المسؤول، وتنديداً وإنذاراً للمسؤول، وكما السيد المسيح سُئل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (١١٦:٥).
فقد انحطت درجة المسؤول هنا وهناك لحدّ لا يوجّه إليه وحتى خطاب العتاب فكيف بسائر الخطاب: ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤:٢).

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (١٠) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١١):

نشر الصحف وكشط السماء، فما هي الصحف المنشورة؟ وما هو كشط السماء؟ فما هي النسبة بينهما إذ قرنا؟

الصحيفة هي المبسوط من الشيء، وهي غير منشورة يوم الدنيا لأهلها، ثم تنشر: تبسط وتخرج عن الخفاء والخباء، وإنها: صحف الوحي، وصحف الأعمال من الأعضاء ومن الأرض، وصحف القلوب والصدور والأفكار، التي كانت مبسوطة، عليها سطور الهداية وسجلات الأعمال، ولكنها كانت خفية عن غير أصحابها، أو خفية عن بعض أصحابها، الذين خفيت صحائف عقولهم ﴿إِنَارَةَ الْعَقْلِ مَكْسُوفٍ بِطُوعِ الْهَوَى﴾ ﴿وَصَحَائِفُ قُلُوبِهِمْ﴾ كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴿١٤:٨٣﴾ ﴿وَزِين لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨:٢٩).
أخفوا على بصائرهم صحف الوحي، وأخفيت عن أبصارهم سجلات الأعمال، وحقائق الأعمال، وخفيت على أنفسهم أنفسهم فهم في غمرتهم وسكرتهم يعمهون وفي غيهم يترددون.. وكان بإمكانهم أن يرووا الصحف صحفاً منشورة عندهم، رغم خفائها على من سواهم، ولكنهم عموا وصموا حتى جاءهم وعد الله.

إن نشر الصحف هناك يفيد كشفها ومعرفتها فلا تعود خافية ولا غامضة وهذه العلنية الشاملة يوم المحشر أشد على إنسانها وأنكى، فكم من سوءة يخجل صاحبها منها في نفسه ويرجف ويذوب من كشفها، فكيف إذا رآها منشورة حاضرة مشهودة!

إن صف الإنسان تتكشف للجة والحساب، وكما يتكشف الكون، بأرضه كما عرفناه، وبسمائه إذا كشطت: تحللت عن كونها سماءً إلى ما كانت عليها من دخان: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١:٤٤) تكشط وتتكشف لتحضير موقف الحساب ومصير أهل الحساب: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ. وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

فذلك يوم الكشف والكشط، يوم ظهور الحقائق دون خفاء، فما هو إذن كشط السماء؟

إنه من كشط الناقة - أي تنحية الجلد عنها - ومنه استعير انكشط روعه أي زال، فكما الناقة تكشط بعد نحرها فتقطع، كذلك السماء سوف تكشط بعد موتها في الطامة الكبرى، ينحى عنها جلدها وجلدها، وينزع عنها رباطها، وترتجع إلى ما كانت ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ (٩:٨٦) وأنها تنشق بكشطها: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ. وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ (٨٤: ١ - ٢) انشقاقاً وافتراقاً عن امتدادها والتأمها، فكانت وردة كالدهان: ﴿فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٧:٥٥) واهية مسترحية: ﴿وَانشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦:٦٩) ويومئذ تتساقط وتنتشر أولادها من حجرها وتفرج: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٨:٧٧) ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ﴾ (٢:٨٢) وفتحت بعد غلقها: ﴿وَفَتَحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (٢٠:٧٨) وتمور وتكون كالمهل: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (٩:٥٢) ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (٨:٧٠)، وحينذاك ينقضى دور السماء كطى السجل للكتب ﴿١٠٤:٢١﴾.. يطوى طومار السماء كما تطوى طوامير الإنسان وصحفه، ثم تنشر الصحف المطوية بعد النشر وقيامه الحشر ولتجزى كل نفس بما تسعى.

إنها ليست هي السماء بمفردها التي تكشط وتسترخى عن الجاذبية العامة، إنها رخوة الكائنات كلها أن تعمل فيها فوضى الطاقات رجعا إلى حالتها الأولى، تدميراً شاملاً بعد تعمیر، فكما الله أعطى كذلك الله يأخذ.

هنا نعرف أن كشط السماء وقشطها ليس عن جلدها الظاهر فحسب، إنما عن

كيانها السماوى - ككل - وإلى طيّها، تبدالاً إلى غيرها: ﴿يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسماء وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (١٤:٤٨) وكما عن باقر العلوم (عليه
السلام) فى قوله: كسّطت، قال: أبطلت .

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣):

إن الجحيم قبل دخول أهلها غير بارزة ولا مسعرة، وإنما تسعيرها هو التهاب النار
فيها، وإنه بوقود الأجساد الجهنمية وأعمالها من الخالدين فيها، فإنهم ﴿سيصلون
سعيراً﴾ (١٠:٤) أى يوقدونها: ﴿مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾
(٩٧:١٧).

إن السعير هذا معدّ للكافرين مهما كانت أرضها حاضرة، والإعداد استعداد الواقع لا
الواقع نفسه: ﴿إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً﴾ (٣٤:٦٤).

﴿بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ (١٣:٤٧) ﴿إننا اعتدنا
للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾ (٧٦:٤).

فإعداد السعير شىءٌ وتسعير الجحيم شىءٌ آخر، إذ فالجحيم موجوده الآن دون
نار مسعرة، أو أن فيها نارٌ غير مسعرة.

وإزلاف الجنة تقربها لأهلها إذ قدموا وقربوا لها ما يؤهلهم لاحترازها، قرباً بقرب:
﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ (٥٠:٣١) أزلفت للمتقين - إليهم - وعلمها إلى
الجحيم أيضاً ليتراءى أهلوهما فتزداد رحمة أهل الجنة وعذاب أهل الجحيم بهذه
المواجهة.

وإزلاف الجنة للمتقين يوحى لمكرمتين: ١ - أنها كانت جنّة قبل القيامة لأنها من
فضل الله دون أن تختص بقدر الطاعات، وإن كانت تزيد نضارة وطراوة بدخول
أصحابها، ٢ - أنها على عظمتها تقرب إلى أهلها دون أن يتكلف أهلها لطفى مسافة
إليها.

١ . نورالثقلين ٥ : ٥١٦ ح ١٤ عن القمى فى تفسيره .

ذلك ولأن النار إنما هي على قدر الأعمال عدلاً من الله فلا تتأجج قبل أوانها، والجنة هي على قدر فضل الله فليس لها حدّ يعرف، وإن كانت الصالحات هي التي تؤهل لإزلافها ودخولها.

وحيث تسعّر الجحيم بوارديها وتزلف الجنة لروادها الموعودين بها أو الموعظين لها، عندئذٍ لا يبقى لدى النفوس أية ريبة في حقيقة ما أحضروها، إذ هم يرون أنفسهم في آثار الأعمال وحقائق الأعمال بعدما يرون صور الأعمال.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ (١٤):

بعد هذه الحوادث العظام، وعندما كانت النفوس جاهلة بما عملت، علمت كل نفس ما أحضرت من خير أو شرٍّ، علماً بما يرى ويسمع من أفعاله وأقواله: علم العيان: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ (٣: ٣٠).

تجدها وجداناً واقعياً فلا تملك إنكارها ولا أن تغير شيئاً منها ولا أن تزيد عليها أو تنقص منها، فقد جفّ القلم عما كان ولا يحضر إلا ما كان. صحيح أنه تبدّل كل شيء وتغير، ولكننا الأعمال لا تتغير، فإنما تبرز بحقائقها كما ارتجعت الكائنات كلها إلى حقائقها التي صدرت منها.

إن الحياة الدنيا رغم كونها حياة العناء، ولكنها حياة التقديم، تخلّص وتحضر للآخرة، وكتابها: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾.

إن الحياة الآخرة حياة العلم الضروري، تعلم فيها ما قدمت شئت أم أبيت، تعلم عن جهل أو تجاهل كما في الكافرين، أم بعد علم كما في المؤمنين، فهم وإن كانوا على علم - مهما اختلفت مراتبه - علم بما يحضرون، ولكننا الغفلة أحياناً من ناحية، والجهل بحقيقة الأعمال من أخرى، جعلاه جاهلاً، ثم يعلمها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، وإن كان أولياء الله الأكرمون يعلمون قبل الميعاد، وكما عن الإمام على عليه السلام: ﴿لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً﴾ والدينا كلها غطاء تكشف بالموت،

الموت الاختياري عن الشهوات: ❀ وموتوا قبل أن تموتوا ❀ أو الموت الاضطراري
❀ ولات حين مناص ❀ : ❀ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد ❀.

١٥

القيامة حاقّة قارعة

﴿سورة الحاقّة - مكية - وآياتها اثنتان وخمسون﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ (١) مَا الْخَاقَّةُ (٢) وَمَا أُذْرَاكَ مَا الْخَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا
عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخَلٍ
خَاوِيَةٍ (٧)

﴿الحاقّة﴾: من أسماء القيامة الكبرى، ذات الدلالة على حقيقتها وحقيتها، دلالة مزدوجة: بصيغة الفاعل وتاء المبالغة، حاقّة بالأدلة والآيات الآفاقية والأنفسية، حاقّة لمن يعرفها بثوابها، وحاقّة على من ينكرها بعذابها، بأحوالها الواقعة وأهوالها، وحاقّة بكل ما يحق عقلاً وعدلاً في قسطاس الإله العدل المتعال، تحقّق لكلّ عامل سعيه، خيراً وشرّاً، إظهاراً للحق المجهول والمتجاهل عنه يوم الدنيا، ليوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

﴿ما الحاقّة﴾؟ سؤال استعظام وإجلال لأمر الحاقّة.

﴿وما أدراك ما الحاقّة﴾؟ إعظام ثانٍ لأمرها: إنك - وأنت الرسول - ما كنت تدري ما هي لولا أن الله عرفك وأدراك بها!

﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾: ثمود هم قوم صالح من الثمّد وهو الماء القليل الذي لا مادة له، فهم وعاد قوم هود ألّعن حماقي الطغيان، وقد كذبتا - فيما كذبتا - بالقارعة، القيامة القارعة، التي تفرع الكون وتدكّه، تضرب الناس بفنون الأهوال وجنون الأحوال، والسماء بالإنشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والإنكدار ببعضه، فلما كذبتا بها حقت عليهما القارعة التي تفرعهم بالحق فيما تفرع.

﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾: بالصيحة الطاغية ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها﴾ إلا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً

لثمود ﴿١١:٤٨﴾، وبالرجفة الطاغية ﴿١١:٤٨﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴿٧:٧٧﴾ صيحة ورجفة خلّفتنا صاعقة: ﴿١٧:٤١﴾. فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴿١٧:٤١﴾، فغَتَوْا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴿٤٤:٥١﴾.

إنهم أهلكتهم قبلكم الطاغية بطغواهم.. طاغية بطاغية: ﴿١١:٩١﴾ ولقد اختُصرت تلکم الحادثة هنا - في الحاقّة - بحق الأمر الواقع من العذاب: ﴿١١:٩١﴾ الطاغية ﴿١١:٩١﴾ فائضاً بالهول المناسب لثورة السورة، تطويهم طياً، وتطغى عليهم بما بغوا وطغوا ﴿١١:٩١﴾ فهل ترى لهم من باقية؟! ﴿١١:٩١﴾ وإنه أهلك عاداً الأولى. وثمّو فما أبقى ﴿١١:٥٣﴾.

﴿١١:٥٣﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾: ﴿١١:٥٣﴾ صرصر ﴿١١:٥٣﴾ بالغة في الصر والبرد، عاتية: شديدة الهبوب والغلب وعلى حدّ تفسير الرسول الأقدس ﴿١١:٥٣﴾: ﴿١١:٥٣﴾ غالبية ﴿١١:٥٣﴾، عتت على خزائنها. وكما يروى عنه (ص) ﴿١١:٥٣﴾ ما خرجت ريح قط إلا بمكيال إلا زمن عاد فانها عتت على خزائنها، فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد ﴿١١:٥٣﴾.

﴿١١:٥٣﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾:

هذه الرياح الصرصر العاتية العقيم، سلّطت على هؤلاء الأوغاد في مثل هذه الليالي والأيام الحسوم: حسوماً بصرصرها، إذ حسمت وقطعت وأزالت كافة آثار الطغيان وكما تحسم المكواة بكرورها آثار الفوضى في الثياب، فقد حسمت الرياح الصرصر العاتية فوضيين طغاء مكابرين ﴿١١:٥٣﴾ فهل ترى لهم من باقية؟ ﴿١١:٥٣﴾

١ . ذكرت ثمود في ٢٦ موضعاً من القرآن مع طغاة كأمثالهم، كما ذكرت عاد ٢٤ مرة.
٢ . الدر المنثور ٦: ٢٥٩ - ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) في حديث قال الله تعالى: بريح صرصر عاتية، قال: غالبية.
٣ . نورالثقلين ٥: ٤٠١ من لا يحضره الفقيه قال رسول الله (ص).

﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ (١٥:٦٩): واقعة الاماتة والتدمير وتتلوها واقعة الإحياء والتعمير، ومن الأولى: ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية... ﴾ ﴿ ومن الثانية: ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ اعتبرت الثانية كأنها الأولى أو من الأولى لاتصالهما: ﴿ يومئذ ﴾ إذ دكت الأرض والجبال ووهت السماء.

﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ (١٦:٦٩): مسترخية بشد رباطها بعد شد قماطها، فلقد كانت سبعة شداداً: ﴿ وبيننا فوقكم سبعة شداداً ﴾ (٧٨ - ١٢).

فهذه السبع الشداد سوف تسترخي وتوهي: ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ﴾ (٤٨:١٤) تصبح السماء غير السماء مغايرة في الصورة والماهية، والمادة الاصلية هي نفس المادة، بانقلابها وانسلاخها عن ناموس العمار الى ناموس البوار.

﴿ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ (١٧:٦٩) إن الملك - عند انفراط الكون وتغيره بأرضه وسمائه - يخرج عن ميدان النضال الموت إلى الأرجاء: الجوانب، فراراً من الصعقة، إلى تحقيق أمر الله، بأمر الله ولعلمهم ملائكة خصوص ممن شاء الله. إذ يصعق وقتئذ من في السماوات ومن في الأرض: ﴿ .. والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون. ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٢٩:٦٨) فعلمهم هؤلاء الخصوص الذين شاء الله ألا يصعقوا، ولا سيما إذا كان ﴿ الملك على أرجائها ﴾ حالاً من انشقاق السماء ووهيها! ويؤيده المروي عن النبي (ص) أو علمهم كمن سواهم ممن هم قيام ينظرون في نفخة الإحياء، ولكنه يبقى السؤال: لماذا على الأرجاء؟ أقول: ولكي يحملوا مع العرش، يحملهم الثمانية ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴾: الملك الذين هم على الأرجاء ﴿ ثمانية ﴾: ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله ﴾ (٧:٤٠) فهم

١ . نورالثقلين ٥ : ٤٠٣ عن ارشاد المفيد عن النبي (ص) قال: ان الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت الا نشر، ولا حي الا مات، الا ما شاء الله. ثم يصاح بهم صيحة اخرى فينشر من مات... .

المحمولون مع العرش، ولكي يساعدوا الحملة في تحقيق أمر الله. فإذا ﴿ليس في طبقات السماوات موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد، أو ساع حافد﴾^١ فكونهم وفتنذ على الأرجاء، وباقي السماء منهم خلاء، ليس إلا أن منهم من صعق في الصيحة فانتهى دوره، ومنهم من لحق حملة العرش على الأرجاء، وهم ممن شاء الله ألا يصعقوا.

ما هو العرش هنا ومن هم حملة العرش؟:

إن لله عروشاً عدة، منها عرش الخلق والتدبير، ومنها عرش العلم، ومنها - كما هنا - عرش التربية: جسديّة، ونفسانيّة روحانيّة، يعنى به أعلى المقامات في أعلى الملائكة، يحمله من خلق الله الملائكة الأعلى ملائكة وبشريّة أم ماذا؟!.

فهو على أية حال ليس عرشاً كعرشنا يتكأ عليه، ثم خلقه يحملونه على عرشه، فيصبح في ازدواجية الحمل: محمولاً مرتين! وإنما العرش خلق من خلق الله يحيط بسائر الخلائق من مصادر الأمر العليا بشأن الكون، في تدبيره جسدياً وروحانياً.

فيوم الدنيا، لعرش العلم الإلهي حملة بين الخلق هم النبيون وأهلوهم المعصومون، وعرش التدبير حملة منهم ومن الملائكة المدبرات أمراً بأذن الله، والله خالقهم وخالق العرش، وهو من ورائهم محيط.

لقد ذكر العرش في واحد وعشرين موضعاً من القرآن، والكرسى في واحد، منها آيات استوائه تعالى على العرش، حينما كانت المادة الأولية دون أرض ولا سماء: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾^(٧:١١) ومنها ما في استوائه عليه بعد ما خلق الأرض والسماء: ﴿الرحمن على العرش استوى. له ما في السماوات وما في الأرض وما تحت الثرى﴾^(٦:٢٠) عرش الالهية والملك المطلق، ومنها ما يعنى به عرش التدبير: ﴿ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾^(٣:١٠) ومنها عرش العلم: ﴿ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله

١ . نهج البلاغة عن علي عليه السلام .

بما تعملون بصير ﴿٥٧:٤﴾.. وما إلى ذلك من عروش تناسب وساحة الألوهية والربوبية، والحامل الأول والأخير لهذه العروش هو الله تعالى، وقد يحملها من خلقه من يشاء، يحملونه بأذنه وكما يريد من مصالح الخلق، وكما في الحمل الثمانية: آيات ثلاث تحمل ذكر الحمل الثمانية، ثانيها: ﴿وترى الملائكة حائّين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴿٣٩:٧٥﴾﴾ تعنى العرش يوم قيامة الإحياء والحساب.

وآخرها: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴿٥٠:٧﴾﴾ وهى كذلك تعنى يوم الحساب. ثم عرش الحاقة يمتاز بأمر عدة: منها ذكر العدد ﴿ثمانية﴾ ومنها اختصاصهم بيوم الحساب ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ فهل لأنهم أقل منهم يوم الدنيا فزادوا يوم الدين، أم كانوا أكثر فقلوا؟

ثم الملائكة الحافون حول العرش ليسوا كلهم حملة، فمنهم محمولون ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ ولا ان الحملة هم الملائكة فحسب، كما أن آيتى الحمل لا تختصانه بهم: ﴿الذين يحملون العرش﴾ ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ فمن هم الثمانية؟ وهل كانوا يوم الدنيا أقل أو أكثر؟.

نقول: هنا عرش قبل خلق السماوات والأرض، وعرش بعدهما يوم الدنيا وعرش يوم الدين، كل حسب ما يتطلبه الخلق من حاجاتهم إلى الله فيما يصدر من لدنه تعالى، ولعل لكل عرش حملة، وآية الحاقة تصريحاً لحملة يوم الدين: ﴿ثمانية﴾ وتلويحاً لهم يوم الدنيا، لاندرى الآن عدّتهم.

ثم الثمانية يوم الدين: هل هم أشخاص أم أصناف ثمانية؟ أم طوائف ثمان، تأنيث العدد يوحي أنهم أشخاص، إذ الطوائف ثمان لا ثمانية؛ ولا بد للأصناف من دلالة زائدة، وإذا كانوا أصنافاً فلا دليل أنهم كلهم حملة العرش.

وبما أن العرش هو المقام العلى الذى ترجع إليه أزمة جميع التدابير التكوينية والتشريعية، فلتكن فيه جميع الوقائق والحوادث، إلا ما يستثنى الله تعالى، الخاص

بساحة الألوهية والربوبية، فلس العرش الذي تحمله ثمانية، هو الذى استوى عليه الرب، إنما قدر منه يقدر على حمله اصقياء من خلقه لتحقيق أمره فيكونوا على مستوى عظمة العرش، ومعنى الحمل للعرش.

فحملة عرش التربية هم العلماء الربانيون من الأنبياء المرسلين والملائكة الكروبيين، حملة الوحي إليهم، والمدبرين أمر الخلق بأمره.

وبما أن القيامة خلاصة النشأة الأولى وزيادة، فليكن حملة العرش فيها أكثر منهم يوم الدنيا، ويصدق هذا الإيحاء، إضافة إلى ﴿يومئذ﴾ الدال على اختصاص العدد بيوم القيامة، يصدق المروى عن الرسول (ص): ﴿يحملة اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية﴾^١ وروايات عدة أخرى تحصر الثمانية بيوم القيامة كالمروى عن الصادق (عليه السلام) قال: ﴿حملة العرش - والعرش العلم - ثمانية: أربعة منا وأربعة ممن شاء الله﴾^٢ لو عنى بـ ﴿منا﴾ الحملة البشر، أو حملته يوم الدنيا.

وبالنسبة لهؤلاء الأربعة لو نظرنا من زوايا عدة إلى نبوات عدة أصيلة كان الأربعة هم ﴿نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد﴾ (ص) ﴿فإن موسى والمسيح لم يحملوا إلا رسالة واحدة هي التورات، فهما إذاً واحد﴾^٣.

ولو نظرنا إلى القمة المقسمة على حملتها في الرسالة المحمدية الشاملة للرسالات كلها، المضيئة عليها كلها، كان الأربعة هم ﴿محمد وعلي والحسن والحسين﴾^٤ وعلي أية حال هؤلاء هم حملة العلم والتربية الإلهية تحقيقاً وجزاء.

١ . الدر المنثور ٦: ٢٦١ - ابن جرير عن ابن زيد قال: قال رسول الله (ص): وفى التفسير الكبير (ج) ٣٠ ص ١٠٩) عن النبي (ص): «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية».

٢ . نورالثقلين ٥: ٤٠٦ عن الصادق (ع).

٣ . راجع كتابنا «المقارنات العلمية وتفسير سورة الجن».

٤ . نورالثقلين ٥: ٤٠٦ عن تفسير القمي قال: حملة العرش ثمانية: أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الآخرون فمحمد وعلي والحسن والحسين، ومعنى يحملون يعنى العلم.

وعن الإمام أمير المؤمنين علي (ع): إذ سأله الجاثليق فقال: أخبرني عن الله عزوجل يحمل العرش أو العرش يحمله؟ فقال: الله عزوجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما وذلك قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾. قال: فأخبرني عن قوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾ فكيف ذاك؟ وقلت: إنه يحمل العرش والسموات والأرض! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةَ: نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ أَحْمَرَتِ الْحُمْرَةُ وَنُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ أَخْضَرَتِ الْخَضِرَةُ، وَنُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ أَصْفَرَتِ الصَّفْرَةُ، وَنُورٍ أَبْيَضَ مِنْهُ أَبْيَضَ الْبَيَاضُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَلَهُ اللَّهُ الْحَمْلَةَ، وَذَلِكَ نُورٌ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ. فَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ أَبْصَرَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ ابْتَغَى مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِالْأَعْمَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَدْيَانَ الْمُتَشْتَتَةِ، فَكُلُّ شَيْءٍ مَحْمُولٌ يَحْمِلُهُ اللَّهُ بِنُورِهِ وَعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاتًا وَلَا نَشُورًا، فَكُلُّ شَيْءٍ مَحْمُولٌ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُمْسِكُ لِهَمَا أَنْ تَزُولَا: وَالْمَحِيطُ بِهِمَا مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَنُورُ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، قَالَ لَهُ فَأَخْبِرْنِي أَيْنَ هُوَ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ هَيْهَنَا وَهَيْهَنَا وَفَوْقَ وَتَحْتَ وَمَحِيطٌ بِنَا وَمَعْنَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ فَالْكُرْسِيُّ مُحِيطٌ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ فَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمُ الْعُلَمَاءُ

١ . نورالثقلين ٥ : ٤٠٥ — عن اصول الكافي عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي رفعه قال: قال: قال الجاثليق امير المؤمنين (ع) فقال له: اخبرني عن قوله: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» فكيف؟ قال ذاك، وقلت: انه يحمل العرش والسموات والارض! قال (ع): ...

الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلقه الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفائه وأراه خليله فقال: ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ وكيف يحمل حملة العرش الله؟ وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته.

اقول: علّ الأركان الثلاثة الأولى هي مقادير التقدير والتدبير والإبرام في سائر الكائنات تكويناً، والركن الرابع هو زاوية العلم: تشريعاً وتكويناً وما أشبهها.

ثم الأربعة الآخرون يوم القيامة، علّمهم من الملائكة الكروبيين الخصوص، وانهم هم لا سواهم، إذ لو كانوا من الحملة يوم الدنيا لانتفى دورهم يوم الدين! وهؤلاء المكرمون الثمانية - أي كانوا - هم فوق الخلائق أجمع، ويحملون عرش الرب فوقهم اجمع: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾.

وعلمهم - كما احتملنا مسبقاً - ثمانية صفوف وُ صنوف، فلتشمل حملة الرسالات الإلهية، وحملة أمر الله تعالى: يوم الدنيا ويوم الدين، منقسمين إلى صفوف أو صنوف ثمانية، وانما ذكرت الروايات أولى العزم من الرسل لأنهم القمّة فيما يحملون، والأئمة فيما يحملون.

وأخيراً ما أروعه وأعمقه حديثاً عن العرش يروى عن الصادق عليه السلام، إذ يسأله حنان بن سدير عن العرش والكرسي فقال: ان العرش صفات كثيرة مختلفة، له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة، فقوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ يقول: رب الملك العظيم، وقوله: ﴿الرحمان على العرش استوى﴾ يقول: على الملك احتوى، وهذا علم الكيفوية في الأشياء، ثم العرش في الوصل مفرد عن الكرسي لانهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع، ومنها الأشياء كلها، والعرش هو الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشية وصفة الإرادة وعلم الالفاظ والحركات والترک وعلم العدد والبدء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه اغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال: ﴿رب العرش العظيم﴾، أي: صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في

ذلك مقرونان، قلت: جعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسی؟ قال عليه السلام: إنه صار جاره لأن علم الكيفوية فيه وفيه الظاهر من أبواب البداء وأنيتهما وحد رتقها وفتقها، فهذان جاران احدهما حمل صاحبه في الصرف، ويمثل صرف العلماء، وليستدلوا طي صدق دعواهما، لانه يختص برحمته من يشاء وهو القوى العزيز^١.

﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾: تعرضون على الله بشهود الأعمال، عرضاً حاضراً حاذراً مشهوداً، بعد ما كنتم معروضين عليه يوم الدنيا غير مشهودين، ثم ذلك عرض للحساب؛ وهنا عرض العلم، وفي ذلك العرض الشهادة الحساب ﴿لا تخفى منكم خافية﴾: خافية النيات والعقائد والاعمال والسرائر، مهما حاولتم في اخفائها، إخفاء عن الله؟ كلا! ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ (١٤:١٨) ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء﴾ (١٦:٤٠) بارزون لأنفسهم وسواهم، فكيف يخفى على الله منهم شيء، ولا تخفى عليه خافية!

وما أخطره هول المطع والعرض وما أفضعه وأصعبه، ألا إنه ليوم عصيب أعصب من ذك الأرض ومور السماء: وقوف الانسان عريان الجسد، عريان النفس، عريان الضمير، عريان الحاضر والغاير، عريان الآمال والاعمال ما ظهر منها وما استتر، أين؟ أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله، وامام عظمة الله وجلاله! إلا انه حقاً لأمر أمر من كل أمر وادهي، فليحسب له الإنسان حسابه، وليعد له عدته، سبحان الغفار العظيم!

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ آتَيْنَاهُ كِتَابَهُ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (٢٥) وَلَمْ أَدْرَمَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خُدُوهُ فَعُلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سُلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضِرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا

١ . التوحيد للصدوق باسناده عن حنان بن سدير:

طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾.

يومَ العرض الأكبر إذ يظهر لأهل الجنة كل ما ستر، يؤتى الأخيار والاشرار كتبهم: كتب الاعمال، فالحساب، فالسقوط أو النجاح، كتب تتناسب في التدليل على مواقف أصحابها، ولعلمهم قبل الكل تؤتاها كتب الشريعة.

﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه﴾: تدليلاً على أنه ناجح بما عاش يمين الحياة بيمين الكتاب الإلهي على ضوء تطبيقه ﴿فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه﴾: يقولها في فرحة غامرة بين الحشر تملأ الفرحة كيانه، وتظهر على لسانه هاتفاً أهل الجمع: ﴿هاؤم﴾: هاؤم ﴿اقرؤا كتابيه﴾: كتاب الأعمال والحساب والنجاح.

﴿إني ظننت اني ملاق حسابيه﴾.

والظن هذا أعلم ممن ظن القلب الذي يساور يقين العقل الذي يدفع للصلحات فإن من يقين العقل ما لا يدفع للصلحات فضلاً عن ظنه واعم من ظن العقل، فإن من المحشرين من يدخل الجنة بلا حساب ومنهم من يدخلها بحساب، فهو يظن نفسه من الآخرين متهما نفسه تخضعاً لله، فاذا هو من الأولين، وكما عن الصادق عليه السلام في ظن الشك الممدوح، وعن أمير المؤمنين (ع) في ظن اليقين^٢ ولفظ الآية يتحملها معاً حيث الظن يشملها هنا لفظياً ومعنوياً: اني ايقنت لقاء الحساب وظننت انني ادخل الجنة بحساب، فاذا بي ادخلها بلا حساب!، وتشمل الآية أيضاً من يدخل الجنة بحساب فيختص بالوجه الأول.

فهذا الكتاب يحمل حسابي بعلامة النجاح ﴿فهو في عيشة راضية﴾: عشيّة بالغّة

١ . نورالثقلين ٥ : ٤٠٧ القمي في الآية قال الصادق (ع) كل امة يحاسبها امام زمانها - الي قوله - فيعطوا اولياءهم كتابهم بيمينهم فيمروا الي الجنة بلا حساب.. فاذا نظر اولياءهم في كتابهم يقولون لاخوانهم: «هاؤم اقرؤوا كتابيه». اني ظننت اني ملاق حسابيه».

٢ . المصنوع في الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين (ع)، واما قوله: «وراي المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها» يعنى: تيقنوا انهم داخلوها، وكذلك قوله: «انني ظننت اني ملاق حسابيه» واما قوله للمنافقين: «وتظنون بالله الظنونا» فهو ظن شك وليس ظن يقين».

فى أنها مرضية لحد كأن الرضا أدغمت فى ذاتها فأصبحت راضية، كما يقال: شعر شاعر وليل ساهر وسحر ساحر، مبالغة فى كمالها وجمالها، راضية يوم الدين كما كانت راضية يوم الدنيا: صورة طبق الأصل، وتفضله هناك لظهوره تامة فيها، ولمزيد الرحمة الإلهية المضافة إليها.

❁ فى جنة عالية❁: عالية فى المكان والمكانة، وفى الرحمات الجسدانية والروحانية ❁ فيها ما لآعين رأت ولا آذن سمعت ولا خطر على قلب بشر❁ ❁ قطفوها دانية❁: أثمارها التى تقطف دانية إلى طلابها، لا تتكلف القيام ولا التوسل بأية وسيلة.

❁ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية❁: اكلا وشرباً هنيئاً سائغاً لا تنغص فيه فى الحلقوم، وذلك بما أسلفتموه من الصالحات فى الأيام الماضية: أيام التكليف يوم الدنيا.

❁ وأما من أوتى كتابه بشماله❁: علامة السقوط ❁ فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه❁: فإنه عذاب فوق العذاب وقبله: ❁ ولم أدر ما حسابه❁ فإنه يدخل النار بحساب، ودراية الحساب أيضاً قبل العذاب عذاب فوق العذاب، فإتيان الكتاب بالشمال عذاب، وعرفان الحساب عذاب، ثم بعدهما واقع العذاب بقدر الحساب. ❁ يا ليتها❁: القارعة المسبق ذكرها ❁ كانت القاضية❁: على، الماحقة لوجودى بعد الموت فحسب، دون أن تتلوها قارعة العذاب بعد صيحة الإحياء فى حياة الحساب، وهى تشبه مقالة الكافر: ❁ يا ليتنى كنت تراباً❁.

❁ ما أغنى عنى مالية❁: ما لى وما، لى: ما ادخرت من أموال، وما كنت املك من طاقات جسدانية ونفسية كنت احسبها تغينى، ومن أعوان وأنصار تكفينى، كل هذه ما أغنت عنى يوم الفقر الأكبر، الذى لم أحسب له حساباً.

❁ هلك عنى سلطانية❁: فلا ما له بقى ولا ما له وقد هلكا، ولا السلطان والقدرات فما بقى لها نفع، فسلطان الطاقات، وسلطان الأعوان والصدقات، وسلطان الجاه والمال كلها كانت قوى وهمية وواهية، انها هلكت وبقيت لى فقط سيئات الأعمال، وليس المآل إلا أمر الله المتعال.

✽ خذوه فغلوه ❶: كما غل نفسه يوم الدنيا باغلال الشهوات، واستغل معطيات الحياة كلها للحيونات ✽ ثم الجحيم صلّوه ❷: أو قدوه ناراً شديدة التّأجج، فبوقوده تتأجج فيحرق حوامش الضلالة ✽ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ❸: الغل الأكبر بعد الغل المسبق قبل الجحيم، والسلسلة السبعون تسلكه، وبعد ماذا؟ بعد ما يصدر من العلى الأعلى الامر بأخذ هذه الحشرة الصغيرة المكروبة المذهولة، فيبتدر لتحقيق أمر الله الملائكة الغلاط الشداد ومعهم من معهم من المنتدبين للتنفيذ، تدور السلسلة لحوله فتقيده، ولو كان هناك مجال لأصبحت السلسلة ملايين الأمتار لتسابق الناديين في سلكه بالسلسلة، لكننا المغلول محدود هكذا، ملايين الأمتار لتسابق الناديين في سلكه بالسلسلة، لكننا المغلول محدود هكذا، وأمر الله محدود بالسبعين، عله مقصود لحدّه، وعله كناية عن طوله ومدّه بالكثرة الكثيرة: ✽ لو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها ❹ ولماذا هذا العذاب الشديد؟

✽ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ❶: كأن كيانه بشره أصبح تائباً عن الإيمان بالله ✽ كان ❷ مستمراً معانداً دائماً ✽ لا يؤمن بالله العظيم ❸ الذى ترى عظمته فى الخلق أجمع، وفى ضمير هذا الصغير! وأقل جزاء له هذا العذاب الشديد.

✽ ولا يحضُّ على طعام المسكين ❶: فقد قطع حبلاً من الله إذ لم يؤمن به، وحبلاً من الناس إذ لم يحض على طعام المسكين: لا خير فيه لنفسه ولا لسواه، فأصبح صفر اليدين عما يفلح الانسان يوم الدين، لا ايمان بالله ينجيّه، ولا رحمة على عبادة تغنيه، إذ تركهما إلى الاضداد، فأصبح أسيره بما قدم.

✽ فليس له اليو ههنا حميم ❶ ✽ الا حميماً وغساقاً. جزاءً وفاقاً ❷ (٢٥:٧٨)

والا ✽ شراب من حميم وعذاب أليم ❶ (٤:١٠) و ✽ يصب من فوق رؤسهم الحميم ❷ (١٩:٢٢)، ✽ ثم ان لهم عليها لشوباً من حميم ❸ (٦٧:٢٧) ✽ فليس له اليوم هاهنا حميم ❹ ما يحمُّه من عذاب أليم، فهو يستحم فى الجحيم، رغم ما كان له

١ . نورالثقلين (٤٠٩:٥) الحديث ٤٤: عن محمد بن ابي عمير عن ابي بصير عن ابي عبدالله (ع) .

يوم الدنيا، فحميمه ينقلب عليه عدوًّا: ❀ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (٤٣:٤٧) ولو بقى له حميم، ف ❀ لا يسأل حميم حميماً ❀ (١٠:٧٠)، فالذى على غير هدى ولا تقوى، وانما على ضلال وطمغوى، فيوم تبلى السرائر وتنكشف الضمائر وتستقر الحقائق، فى هذا اليوم العصيب تتبدل هنا حمُّ الخاطيء إلى برودة، كأنهم لا يعرف بعضهم بعضاً، اللهم إلا عداً وبغضاً!

❀ ولا طعام إلا من غسلين ❀ وهو من الضريع يضرعه ويعذبه، بدل ان يلذه ويشبعه، والغسلين: غسالة أهل الجحيم من قيح وصديد، وهو يلائم قلبه المقلوب الخاوى من الإيمان بالله ومن الرحمة لعباد الله ❀ لا يأكله إلا الخاطئون ❀: خطأ معمداً معانداً.

القيامة واقعة

خافسة رافعة

١٧

❖ إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة. خافضة رافعة ﴿٣:٥٦﴾

الواقعة هذه هي واقعة الإمامة والتدمير، التي تتلوها قيمة الإحياء والتعمير، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، وحملت الأرض و، فيومئذ وقعت الواقعة ﴿١٥:٦٩﴾ :
الحادثة التي هي لا محلة واقعة الحد كأنها الآن واقعة، كما توحى له الفاعلة مرتين:
مرة لأن الفاعل لا بد و هو شامل للحال، مهما شمل - أيضاً- الإستقبال، و اخرى أن
كانت تاء الكاذبة ها للمبالغة ، كما قد تؤيده تاء قرن مبالغة الوقوع بمبالغة اللاوقوع.

و ❖ إذا الظريفة هنا.. قبل وقوعها، ليس لوقعتها كاذبة ظرف وقوعها، فإذا يجد
الكاذبة نفسه - هنا مضمّنة معنى الشرط، أنها غم ما كانت لها كاذبة والكون محذوف
يستوحى من ❖ ليس... خافضة رافعة ❖ . ثم ❖ كاذبة ❖ هي مبالغة ❖ كاذب ❖
كما ❖ الواقعة ❖ تبالغ في ❖ الواقع ❖ :

إن الذين كانوا يصرون مبالغين في تكذيبها يوم الدنيا، لبيسوا ليكذبوا بها في
الآخرة، فوقعتها- و هي وقوعها مرة دون مهل ولا تكرار - هي التي تنزّل عنهم
ذلك التكذيب الإصرار ، فتحولهم إلى التصديق والاقرار، حين لا يفيدهم تصديق ولا
إقرار، ولات حين فرار.

ثم ❖ خافضة رافعة ❖ قد تكون وصفاً لـ ❖ كاذبة ❖ : الذي يكذب بها خفصاً لها
عن دورها الموعود، في الحساب العدل والعقاب ، والفضل والثواب، رفعاً لها عن
الكيان والوجود: أن لا قيامة فلا حساب، فلا ثواب ولا عقاب!...

أو أنها خير محذوف المبتدأ : ❖ هي خافضة رافعة ❖ خافضة أقواماً ترفعوا يوم
الدنيا دونما حق أو صلاحية فرفضتهم ألى النار و بسس القرار، و رافعة آخرين تُنزلوا

عما يحق لهم، فرفعتهم إلى الجنة، ولأن الواقعة ظاهره حق وحساب دون الدنيا الفوضى اللاحساب!

أو أن الوصفين تشملان الواقعة والكاذبة بالمعنيين، فقد تتحملها الجملة أدبياً ومعنوياً: فلا كاذبة الواقعة حفصاً ولا رفعاً، بل هي خافضة لمكذبيها رافعة لمصدقها. وقد يتخطى نفس الكاذبة لها يوم الواقعة، إلى ما قبلها، أن تكون ❊ ليس لوقعتها كاذبة❊ وصفاً الواقعة قبل وقوعها^١. كما تصفها ليوم وقوعها: أن ليس لوقعة الواقعة قبلها، من يباليغ في التكذيب بها يوم الدنيا، كما ليس لها كاذبة يومها، سواء إذ لا سناد لمكذبيها يباليغون به في تكذبيها، إلا ظنوناً وأوهام أكاذيب، إذ لا يكذب بها الواقع بها، المتواجد عندها، فضلاً عن أن يباليغ في تكذبيها، حق يبرر نفي المبالغة.

فكما الواقعة يوم وقوعها واقع البرهان للموس على أنها واقعة، كذلك هي الآن و طوال أيام الدنيا، تملك من البراهين ما توضحها وضح النهار، وكأنها الآن واقعة، بما تمكّن من واقعها المستتب من براهين و ما تقرضها بعد أمكانيتها من براهين أخرى. فلا يملك أحد من ناكريها يوم الدنيا أن يكذب بها حفصاً عن شأنها، أو رفعاً و نكراناً لكونها، كما يملكون في الأخرى- ف: ❊ إذ وقعت الواقعة❊: قيامة الإماتة و الإحياء المتأكدتين ❊ ليس ❊ حينهما ❊ لوقعتها كاذبة❊^٢ من يباليغ في تكذبيها ❊ خافضة رافعة❊ لا تكذيب الخفض من دورها، و لا رفعها إزالة لها، كما و ❊ ليس ❊ الواقعة ❊ لوقعتها كاذبة❊ لا في الأخرى و لا الأولى ❊ خافضة❊ لها أو ❊ رافعة❊ ... بل هي الواقعة ❊ خافضة❊ لأقوام ❊ رافعة❊ لآخرين.

فهي هي خافضة لمن ترفع دون حق، و رافعة لمن تخفض بباطل، دون أن يملك أحد خفضها هي أو رفعها، إذ الملك يؤمئذ لله و له الحكم و اليه يرجعون، دون الدنيئة التي أكثر ملاكها ظالمون، خافضون دون حق و رافعون، كما و أنها خافضة للسماء

١ . الخصال للصدوق عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول في الآية: خافضة خفضت والله بأعداء الله في النار، رافعة رفعت والله أولياء الله إلى الجنة.
٢. فاللام هنا للتوقيت، وعلي الوجه الثاني للتعديّة.

المرفوعة بأنجمها، ورافعة للأرض المخفوضة يجنبها، خفض الزلزال ورفعه: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾.

ففى يوم الواقعة تختل الموازين و القيم الأرضية الواهية ، و تحتل مكانها القيم و الموازين الإلهية، بلا مؤاربة و لا مسايرة.

و ترى ماذا يحدث إثر حدث الواقعة، أو ماذا الذى يحدثها؟

﴿إذا رحّت الأرض رجًا و بُسّت الجبال بسًا. فكانت هباءً منبثًا﴾ (٤٦:٥٦)

... نموذج من مواصفات الواقعة فى الأرض والجبال ، فرججة الأرض واضطرابها، وانبساء الجبال و هباء ها ، هذا و ذلك من مئات المئات من واقعات الواقعة التى تشمل الأرض والسماوات، فلا تبقى ولا تذر.

إن للأرض رجفات أربع و رجرجات: دائبة هى حركاتها المتداخلة المعدلة ، هى رجة الإحياء بعدها، و رجة الإمائة هى الهائلة المخوفة، كما توحى لها ﴿رجًا﴾ و تعنى عظيمًا مهولًا، محولًا للأرض إلى غير الأرض: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض و السماوات﴾^١.

و بسّ الجبال إرساء ها و تسييرها- ﴿فكانت هباءً﴾ : ذرات فى الهواء^٢ ، و تفتيتها و بثها ﴿فكانت منبثًا﴾ كالعهن المنفوش، أفهذه الجبال الراسية تتحول هباءً بعد ما رست قواعدها فى الأرض، وعلت رؤسها فى الهواء؟ أجل و مع الأرض والجبال والسماء.

ترى ثم ماذا بعدقيامة التدمير؟ انها قيامة الإحياء والتعمير، وانقسام المكلفين الى أزواج ثلاث، حسب الأعمال والقابليات:

١. راجع تفسير سورة الزلزال ج ٣ ص ٤٠٦ - ٤٠٧
٢. الدر المنثور ١٦:٦ أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن على بن أبي طالب (ع) قال: اليباء المنبث و هج الذرات، و الهباء المنثور غبار الشمس الذى تراه فى شعاع الكرة.

❁ وكنتم أزواجاً ثلاثة ﴿٥٦﴾ : أقراناً تحشرون إلى الساهرة جنب بعض، وإنما تثلثكم سيرة مفارقات الأعمال و النيات، دون أن ينظر إلى صورة الأشكال أو مقارفات الأعمال ولما.

❁ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. اولئك المقربون ﴿٥٦﴾ (١١:٥٦)

❁ فأصحاب الميمنة ما أصحاب ميمنة ﴿٥٦﴾ : وهم الذين عاشوا يمن الحياة و يمينها، إيماناً بالله، يميناً في سبيل الله ، فيمنناً في مرضات الله: ❁ و ما أدراك ما العقبة. فك رقبه. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيماً ذا مقربة. أو مسكيناً ذا متربة. ثم كان من الذين آمنوا و تواصلوا بالصبر و تواصلوا بالرحمة. اولئك اصحاب الميمنة ﴿٩٠﴾ (١٨:٩٠). والميمنة هي ناحية اليمن و اليمين ... يميناً و بركة في حياتهم كل الحياة، و يميناً في التجاهل الحياة الى الدين، و يميناً يوم القيامة إذ يؤتون كتبهم بإيمانهم.

❁ واصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴿٥٦﴾ : (١٢:٥٦) ❁ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة . عليهم نار موصدة ﴿٩٠﴾ (٢٠:٩٠) شؤماً في الحياة حيث انحازوا الى شمالها، و لؤماً في العقائد و الأعمال و التصرفات إذ جدّوا في أهمالها، فالمشأمة هي ناحية الشؤم واللؤم قبال اليمين.

و السؤال في أصحاب الميمنة سؤال تبجيل و تجليل، كما أنها في أصحاب المشأمة سؤال تذييل و تهويل، و من ثم السابقون يؤتى بذكرهم دون سؤال عله لأنهم سبقوا السؤال و الجواب، و اجتازوا كل حساب، لأنهم مقربون! وهم ورثة الكتاب لأنهم مصطفون: ❁ ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴿٣٥﴾ (٣٢:٣٥).

❁ والسابقون السابقون. اولئك المقربون ﴿٥٦﴾ (١٤:٥٦) هل هم السابقون زماناً؟ وليس لسبق الزمن سبب في القرب و الزلفى! ثم و هم ثلث من الأولين قليل من الآخريين! أترى أن القلة الآخرة الاولى سابقة زماناً؟ ثم و هم ثلث من الأولين و قليل من الآخريين! أترى أن القلة الآخرة كالثلة الاولى سابقة زماناً؟ أم هم السابقون شرفاً و إيماناً فلماذا التكرار؟.

ترى لأن الثاني خبر الأول؟ و من شأن الخبر التنكر: ❁ سابقون ﴿١﴾ و أن يفيد، و ما هي افادة حمل الشيء على نفسه، حملاً ذاتياً أولياً لا يُعنى ألا في المنطقيات دون المعرفيات! أو انه وصف له؟ فكذلك الأمر! فالوصف يزيد الموصوف معناً، لا أن يكرره دون معنى و لا جدوى! أو أنهما وصفان للزوج الثالث من ❁ أزواجاً ثلاثة ﴿٢﴾ فالأول يعني السبق في الأولى، و الثاني سبق الاخرى نتيجة الاولى جزاء الحسنى؟ فهذا ما يقتضيه أدب اللفظ والمعنى فالسابقون بالخيت: ❁ و منهم سابق بالخيرات بإذن الله (٣٢:٣٥) إيماناً و عملاً صالحاً في الأولى، هم السابقون بالخيرات جزاءً فضلاً في الاخرى: ❁ الذين يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون ﴿٣﴾ (٦١:٢٣) فهم في صراع الحق و الباطل سراع الى الحق و سباق اليه دون مماطلة و مراهلة، ولا تلغثم و توان ف ❁ اولئك المقربون ﴿٤﴾ إلى الله زُلْفى، أئمة الهدى، بدو امة التقى، فلهم العقبى الحسنى كما أحسنوا في الاولى.

فالسابقون سبقوا أصحاب الميمنة في كافة ميادين سباق التقوى حالاً و مقالاً و إيماناً، من حمل الرسالات الالهية أصالة بالوحى، أو خلافة عن أصحاب الوحى، و من سن السنن الحسنه التي ظلت سبلاً للخيرات لأهل الخيرات، و من أى سباق فى أية صبغة أهية^١ فأصبحوا هم المقربين لهم الأرواح العليا، والدرجات، و أفضل الزلفى فى الاولى و ثم الأخرى، ازدواجية السابق: ❁ السابقون السابقون ... ﴿٥﴾ .

١ . كالسباق الي اجابة دعوات المرسلين، كما فى الدر المنثور ٦: ١٥٤ أخرج ان أبى حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس فى آية « السابقون » قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، و مؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى، و علي بن أبى طالب سبق إلى رسول الله (ص) و فيه أنها نزلت فيهم و كل رجل منهم سابق و على أفضلهم سبقاً.

٢ . فى أمالى الشيخ المفيد عن أمير المؤمنين (ع) فى آية السابقين: « فأما ما ذكره من أمر السابقين فإنهم أنبياء مرسلون و غير مرسلين جعل فيهم خمسة أرواح: روح القدس و روح الايمان و روح القوة و روح الشعرة و روح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين و غير مرسلين، و بها عملوا الأشياء و بروح الايمان عبدوا الله و لم يشركوا به شيئاً، و بروح

ثم ﴿المقربون﴾ هنا - لا ﴿المتقربون﴾ توحى بازواجية مكانة القرب لهم من الله: انهم تقربوا اليه كما اسطاعوا، و من ثم أكمل الله تقربهم اليه أن قريهم فأصبحوا ﴿مقربين﴾ : قربوا لسبقهم سواهم، فسبقوهم في الجنة لقربهم!

﴿في جنات النعيم ثلثة من الأولين و قليل من الآخريين﴾ (١٥:٥٦)

ترى من هم الأولون الثلثة؟ ثم الآخرون القلة؟ أهم الأولون والآخرون من هذه الامة؟ ولا يربوا الأولون منهم على الآخريين عدداً أو عدداً، اللهم في المعصومين الأربعة عشر، و السابقون يعمهم و كل سابق بالخيرات بإذن الله.

أو أن الثلثة و هي الجماعة العظيمة هي ممن قبل الرسالة الأخيرة، من أنبيائهم و أئمتهم و ربانهم، و لا ريب أنهم الكثرة الكثيرة، و القلة - و هي هنا يحنب ذلك الكثرة - إنها السابقون منذ الرسالة المحمدية الى يوم القيامة، من الرسول(ص) والأخصيين به: الأئمة الاثني العشر و الصديقة الكبرى (عليهم السلام)، و من أجلاء أصحابه و أصحابهم، ثم الربانيين القمة في هذه الامة الى يوم القيامة فهم كانوا

القوة جا هدوا عدوهم و عالجوا معائشهم، و بروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام و نكحوا الحلال من شباب النساء، و بروح البدن ديوا و درجوا فيها... أقول هؤلاء هم الرعييل الأعلى من السابقين المقربين، و يتلوهم الدرجات التاليين لهم، من الذين لم يوح إليهم، انما مثلوا رجالات الوحي في دورهم الرسالي إيماناً و أعمالاً و دعوات.

و في روضة الواعظين قال أبو الحسن موسى عليه السلام إذا كان يوم القيامة نادي مناد: أين حوارى محمد بن عبدالله رسول الله(ص) الذين لم ينقضوا العهد و مضوا عليه؟ فيقوم سلمان و المقداد و أبوذر، ثم ينادى: أين حوارى علي بن أبي طالب عليه السلام وصى محمد بن عبدالله رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي و محمد بن أبي بكر و ميثم بن يحيى التمار مولى بنى إسد و اويس القرني، قال: ثم ينادى المنادى: أين حوارى الحسين ابن علي ابن فاطمة بنت محمد بن عبدالله رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم)؟ فيقوم سفيان بن ليلى الهمداني و حذيفة بن اسيد الغفاري، قال: ثم ينادى: أين حوارى الحسين بن علي؟ فيقوم من استشهد معه و لم يتخلف عليه، قال: ثم ينادى: أين حوارى علي بن الحسين، فيقوم جدير بن مطعم و يحيى بن أم الطويل و أبو خالد الكابلي و سعيد بن المسيب، ثم

أصحاب اليمين منهم ثلثة كأوليين، فالمقربون منهم قلة دون الأولين، فأين عدد النبيين السابقين، وهم أئمة السابقين الأولين وأين هم المعصومون في هذه الامة وهم أئمة السابقين الآخرين؟ ومن ثم أوصياء كلِّ والأوفياء من أصحاب كلِّ، السابقين الى الايمان برسالتهم، أين هم يحنب الآوصياء الاثنى عشر و الصديقة (ع) في هذه الامة، والأوفياء السابقين القمّة فيهم؟! مهما كان السابقون القلة أعظم درجة من السابقين الثلثة و أتم عدداً، ولكن هؤلاء أكثر عدداً.

إذا فالسابقون السابقون، هم ثلثة من الأولين و قلة من الآخرين، و لقد اصطلحت الآخرون ﴿١﴾ لأهل الرسالة الأخيرة، كما ان رسولها رسول الساعة، و رسول آخر الزمن، و امتهما هي الامة الأخيرة، وانعطافاً الى ساير آيات الأولين والآخرين: ﴿٢﴾ قل إن الأولين و الآخرين، لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴿٣﴾. (٤٩:٥٦) كما و أن استعراض أحوال القيامة، الشاملة لأهل الجمع أجمع، يشهد لهكذا تفسير، ذلك، و كما يشهد له أئمة السابقين الآخرين صلوات الله عليهم أجمعين^١.

هؤلاء السابقون المقربون، هم ﴿٤﴾ في جنات النعيم ﴿٥﴾: جنات فوق سائر الجنات، و أفضلها جنات المعرفة الرضوان، في الاولى - والأخرى - في الأخرى، و هم في جناتهم:

ينادى: أين حوارى محمد ابن على و حوارى جعفر بن محمد عليهما السلام، فيقوم عبدالله بن شريك العامرى وزارة بن اعين و بريد بن معاوية العجلي و محمد بن مسلم و أبو بصير ليث المرادى و عبدالله بن أبي يعفور، الأئمة عليهم السلام يوم القيامة فهؤلاء أول السابقين و أول المقربين و أول المتحورين من التابعين.

أقول: والمذكورون ليسوا هم إلحاصون، و إنما القمّة منهم، أو أن هناك مهمة دعت ألي اختصاصهم بالذكر.

^١ في كتاب كمال الدين و تمام النعمة عن أبي جعفر عليه السلام و نحن السابقون السابقون و نحن الآخرون، و في روضة الواعظين عن الصادق عليه السلام ثلثة من الأولين: اين ادم المقتول و مؤمن آل فرعون و صاحب ياسين، و قليل من الآخرين: على بن أبى طالب، أقول و هذا تفسير ببعض المصاديق منهما، مختلف فيه كعلى عليه السلام، أو مشكوك المشمول كالثلاثة الاول.

❖ على سرر موضونة (١٥) متكتين عليهما متقابلين (١٦) يطوف عليهما ولدان مخلدون (١٧) بأكواب وأباريق وكأس من معين (١٨) لا يصدعون عنها ولا ينزفون (١٩) ①

❖ موضونة ② منسوجة نسج الدروع وعل نسيجها الذهب والفضة : ❖ متكتين على سرر مصفوفة ③ (٢٠:٥٢) . مرمولة : مزينة بهما والجواهر^١ فهي موضونة توضح بقضبان الذهب والفضة.

❖ متكتين عليها ④ : مطمئنين، حال كونهم ❖ متقابلين ⑤ فجلسة التقابل بين المتحابين خير الجلسات وأحلالها ❖ يطوف عليهم ولدان ⑥ غلمان حديثاء وليدة ❖ مخلدون ⑦ لا في المقامة بالخدمة فحسب، وإنما الخلود: كوناً وكياناً: خدمةً وولدنةً.

و ترى من هؤلاء الولدان، أهم ممن أنشأهم الله في الجنة؟ أم هم - أو معهم - ولدان توفوا قبل أن يبلغوا الحلم ، فلا يستحقون النار، ولا جنة الأبرار، فهم يخدمونهم دون تعب ولا شغب؟ قد يكون، و يوافق العقل والنقل.^٢

ثم ترى أهم من ولد المقربين، ولكي لا يكونوا مهانين بما يخدمون؟ عليهم هم: ❖ ويطوفون عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ⑧ (٢٤:٥٩) إذ توحى اللام باختصاصهم بهم ، أم انهم اختصوا بالمقربين دونما قرابة بينهم، وليس في تطوافهم عليهم تطفيف عن شأنهم وإنما ترفيع ولا تخفيف ، ولا سيما من كان منهم من ولد المشركين و كما يروى.

ثم و يكون طوافهم ❖ بأكواب ⑨ : أقداح، ❖ أكواب كانت قوارير ❖ قوارير من فضة قدروها تقديراً ⑩ (١٥:٧٦).

^١ الدر المنثور ٦: ١٥٥ عن ابن عباس قال: مرمولة بالذهب ، و مثله عن مجاهد و سعيد ابن جبير و قتادة.

^٢ المجمع عن علي عليه السلام أنهم أولادهم لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعافبوا عليها فأنزل، هذه المتزلة.

❖ و أباريق ❖ : أنية لها خراطيم و عُرى، كلُّ لما يناسبه من شراب ❖ و كأس من معين ❖ : خمر هيبى مأخوذة من عين جارية متلمعة: ❖ يطاف عليهم بكأس من معين. بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ❖ (٢٧:٤٧).^١

❖ لا يصدعون ❖ عنها صداع الرأس ❖ ولا ينزفون ❖: فراغ العقل.
❖ وَ فَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَ لَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَ حُورٌ عِينٌ (٢٢)
كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ❖

فاكهة حسب التخير: انتخاباً لأحسنها تفكهاً، و لحم طير من أى نوع يشتهون، و بأية طبخة يريدون، أو انطباخة دون طبخ، فالفاكة تختار، لأنها عن الشبع، واللحم يشتهى، فانه عند الجوع، فليس تعبير الاختيار و الإشتهاء، اشتهاً فوضى فى التعبير، إنما اختيار ببلاغة العليم الخبير.

❖ و حور عين ❖ : جمع عيناء : واسعة العيون الجميلة، تحير الناظر اليها. ❖
كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ❖ المصون عن كل لمسة و نظرة، أو آية عارضة، لم تنقبه يد، ولم تخدشه عين، كذلك الحور العين إذ ❖ لم يطمثنهن انس قبلهم ولا جان ❖ و يزيدهن لطفاً انهم طائفات حول أزواجهن^٢.

❖ جزاء بما كانوا يعلمون ❖ : لا بما كانوا يعلمون أى يأملون، أو بما كانوا يعتقدون أو يؤمنون، و إنما عمل الإيمان الذى كانوا به يداومون.

هذا طرف من نعيم الجنة الجسدانية، فإليكم طرفاً من الجنة النفسانية:

❖ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لا تَأْتِيَمًا (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا ❖ (٢٦)

فلماذا اللغو هنا و هم غارقون فى نعمة الله و معرفته، و لماذا التأثيم ولا إثم هناك و لا تأثيم، فإن بواعث اللغو، و هوا جس اللهوف و وساوس النفس هناك منفية، لأنهم ظهروا على الحقائق كلها و ظهرت لهم، و كملت عقولهم و أحلامهم ❖ و يخرج

^١ راجع ص ٢٢٧ ج ٣٠ من التفسير: خمر الدنيا و الآخرة .

^٢ لأن « و جور عين» عطف على «ولدان مخلدون» يطوف عليهم ولدان مخلدون و حور عين .

أضغانكم ﴿٣٦:٤٧﴾ فلا أضغان تدفع الى تناحرات، ولا غلّ يدعوا لتنافرات: ﴿٣٦:٤٧﴾ و
 نزعنا ما فى صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين ﴿٤٧:١٥﴾ فدافع اللغو و
 التأثيم، جهل تحوّل الى العلم و المقربون كانوا عالمين، أو طيش استقر بالنعيم، و هم
 كانوا يملكون طيشهم، أو جهالة تحولت إلى معرفة و هم كانوا عارفين، فلا لذّة لهم
 أحلى من العبودية، ولا ذلّة لهم أبلى من ترك العبودية، فحياتهم هناك حياة أمن و
 استقرار بإيمان، دون شغب و لا نصب، ف ﴿٣٦:٤٧﴾ لا يسمعون فيها لغواً و لا تأثيماً ﴿٣٦:٤٧﴾ فضلاً
 عن أن يأتوا به ﴿٣٦:٤٧﴾ الا قبيلاً سلاماً سلاماً ﴿٣٦:٤٧﴾ :

قيل من رب العالمين: ﴿٣٦:٤٧﴾ سلام قولاً من رب رحيم ﴿٣٦:٤٧﴾ و قيل من
 الملائكة المقربين: ﴿٣٦:٤٧﴾ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴿٣٦:٤٧﴾ فهى لهم
 سلام و دار السلام: ﴿٣٦:٤٧﴾ لهم دار السلام عند ربهم ﴿٣٦:٤٧﴾ ادخلوها بسلام
 آمنين ﴿٣٦:٤٧﴾ فليست لهم فيها إلا قبيلات السلام و حيات السلام يرف عليهم فيها
 السلام، فالجوّ كله سلام سلام، فانه دار السلام، و صاحبها هو الله السلام.

و من قيل السلام السلام، قبيلات تحمل تزويدهم بمعرفة الرحمان و ذكره بأسماء
 الحسنى و صفاته العليا، و هل يأنس المقربون - فى جنّة الرضوان - إلا بقبيلات تقربهم
 زلفى الى الحنّان المنّان؟

و من قبله محاورتهم فيها بينهم و سواهم من أهل الجنان، أنيسة حنونة أليفة ليس
 فيها ألا سلام سلام، فهم يسمعون سلام كما يُسمعون سلام!.

و ترى ما هو وجه التكرار فى ﴿٣٦:٤٧﴾ سلاماً ﴿٣٦:٤٧﴾؟ قد يكون رمزاً إلى مختلف السلام
 من الله و من أهل دار السلام، أو انه سلام لا يحمل ساماً كما فى سلام المنافقين
 والذين فى قلوبهم مرض، و إنما سلام يحمل سلاماً بكل ما له من معنى صادق لائق،
 وقد يكونان هما المعنيّان.

ثم و من هنا نتبين أن ﴿٣٦:٤٧﴾ سلاماً ﴿٣٦:٤٧﴾ خير تحية و إكرام، فلنستنّ بسنة أهل الجنة
 هنا فيسلم بعضنا على بعض.

﴿٣٦:٤٧﴾ و أصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين (٢٧) هم أصحاب اليمين المسبقين،
 يؤتون كتابهم بيمينهم و كما عاشوا يمين الكتاب والدين و ترى كيف سموا ﴿٣٦:٤٧﴾

أصحاب اليمين^١ عن ذكر الأقسام، و* أصحاب اليمين^٢ عن ذكر الإنعام؟ علّه لأن الميمنة هي سبب اليمين، فلولا ميمنة الدنيا و يمينها يمينها، لم يؤتوا في الاخرى كتابهم يمينهم، كما لولا مشأمة المشثومين يوم الدنيا لم يؤتوا كتابهم بشمالهم أو وراء ظهورهم.

ثم و أصحاب اليمين لهم درجة بعد السابقين، و ترى * ما اصحاب اليمين^٣ فى حالهم و تحالهم؟.

فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) شجر النبى * يخضده الله من شوكة^٤ فيستظل به أصحاب اليمين لكثرة غناء، فى الإضلال، لسعة ورقة و تداخل، فكما الله يبدل سيئاتهم حسنات، يبدل سيئة السدر حسنة لكى ينتفعوا بما كان يشيكنهم بشوكة، و ليتبرّدوا و ينتزهوا ببرده، أو و يأكلوا من فواكه.

ان الحدائق فى الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود

* وطلع منضود (٢٩) شجر الموز^٥، المقصود منه الثمر للاستغلال و هو من أقوى الثمر و أطفه و المرغوب منه الورق للاستغلال، و من جماله نضد الثمر و الورق،

^١ . الدر المنثور ١٥٦:٦ ، أخرج الحاكم و صححه البيهقي فى البعث عن أبي أمامة قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقولون: ان الله نيفعنا بالأعراف مسائلهم، أقبل أعرابى يوماً فقال يا رسول الله! لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية و ما كنت أرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ما هي؟ قال: السدر فإن لها شوكة، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أليس يقول الله: فى سدر مخضود، يخضده الله من شوكة فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، إنها تذبث ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين و سبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر.

^٢ . الدر المنثور ١٥٧:٦ أخرج عبد الرزاق و الفريابي و عبد من حميد وابن و ابن مردويه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه فى قوله «وطلع منضود» قال: هو الموز، كما أخرج جماعة عن ابن عباس و أبي سعيد الخدرى و الحسن قتادة و مجاهد. ورودى عن علي و أبي عبدالله عليهما السلام أنهما قرآ « وطلع منضود» و هذا زور و افتراء عليهما عليهما السلام فإنه خلاف القرآن المتواتر فليضرب عرض

قرناً إلى قدم، ثم نضد أغراسه، فهو في مثلث النضد: بعضه على بعض، وهو فاكهة وإدام مع بعض! وما أطفه أكلاً وهو حار الطبع، تحت سدر مخضود وهو بارد الطبع. ﴿وظل ممدود﴾ (٢٩:٥٦): ﴿وندخلهم ضلاً ضليلاً﴾ (٥٧:٤) فهو ظليل ممدود، منبسط لا يتقلص، دائم لا تنسخه أو تتفرج به شمس أو سواها، بسقف وأشجار و خيام أم ماذا؟ مما يدل - مع سدر مخضود - على وجود الشمس في الجنة، هذه التي تكوّر ثم ترجع، أم سواها من شمس يستظل عنها أهل الجنة فيها ف ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ (١٣:٧٦).

﴿وماء مسكوب﴾ : مصبوب من علٍ دون انقطاع، أو جارٍ في الأنهار تابعة دون أخايد وأحفار.

وفاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴿(٣٦:٥٦): كثيره الطعوم والألوان، وكثيرة الأنواع والأعداد، وكثيرة المدة والمدى دون انقطاع ولا امتناع، لا تقطع، لأنهار من الرحمة الواسعة اللامحدودة، ولا تمنع، ولماذا تمنع؟ أبخلاً من المضيف؟ أم مرضاً من الضيف؟ فلا بخل أيداً، ولا مرض هناك.

الحائط وما أسخفه رواية تروي عن علي عليه السلام « وطلح منضود» فقال علي عليه السلام ما يال الطلح ؛ أما تقرأ وطلح؟ ثم قال: وطلح نضيد، فقليل له يا أمير المؤمنين! أنحكها من المصاحف؟ فقال: لا يهاج القرآن اليوم (الدر المنثور ٦: ١٥٧). أقول: ما هي دلالة طلح نضيد هناك علي لزوم طلح - كذلك - في منضود هنا؟ ولو كان طلحاً هنا فعلي إمام المسلمين أن يثبته طلحاً و يمحيه طلحاً ، فأمثال هذه الروايات ليست إلا زوراً من هؤلاء الذين يصرون علي و صمة علي التحريف في القرآن، هم يستندون فيه الي ما نيسبونه زوراً الي الرسول والأئمة من آل الرسول عليهم السلام.

رغم المروى عن الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) أنه قرأ « وطلح منضود» كما أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة عن (صلي الله عليه وآله وسلم) وفسره علي (ع) بالموز، و تبعها الصحابة المذكورون مسبقاً، وقد ذكر النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في موضع آخر الموز من فواكه الجنة كما في كتاب صنعة أهل الجنة والنار عن أبي جعفر قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): ... ان دخل الجنة ... و موزها و رمانها أمثال الدلي...

و من ﴿ظل ممدود﴾^١ و أخرى، ظل الله الممدود على أهل الله في دار كرامة الله: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) (٢٥:٤٥) و من ﴿ماء مسكوب﴾^٢ اصول العلم الإلهي التي بها حياة أهل الجنة الروجانية، و من (فاكهة...) فاكهة المعرفة والعلم، التي يتفكها بها أهلها^١.

﴿و فرش مرفوعة﴾. إنا أنشأناهن إنشاءً. فجعلناهن أبكاراً. عرباً أتراباً. لأصحاب اليمين ﴿٥٦:٣٦﴾.

(و فرش): جمع فرش - و فراش، فراشاً للراحة إتكاءً أو نوعاً عليه، و فراشاً: حليئة بنام معها على الفرش (مرفوعة): من الأرض، فراشاً من حيث العلو معنوياً و مادياً، و من حيث الأشكال و الأنواع، و مرفوعة عن الدنات فراشاً بمن فيها من حليلات: مرفوعات جلالاً و جمالاً و أحوالاً.

ف: (إنا أنشأناهن إنشاءً): أولياً بابتداع كالحور العين، أو ثانوياً بعد ابتداء كالمؤمنات المنشآت في النشأة الأخرى، و كما عن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم): ﴿ان من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز شمطاً عمشاً رمصاً﴾^٣ ثيبات و أبكاراً^٣.

و ترى ما هي حاجة الأبكار من المؤمنات أو الحور المنشآت، أن نيشان أبكاراً كما الثيبات، فالأوليات كن أبكاراً، والأخريات حديثات الخلق المبدعات، لزامهن البكورة دون جعل حديث؟ علّ الوجه أن هذا الجعل هنا و هناك يجعل البكورة لهن

^١ . روي سعد بن عبدالله باسناده عن نصرب بن قابوس قال: سألت أبي عبدالله (ع) عن قول الله عزوجل «ظل ممدود و فاكهة كثيره لا مقطوعة و لا ممنوعة» قال: يا نصر! كانه والله حيث يذهب الناس، إنما هو العلم و ما يخرج منه. أقول: إنه من باب بيان أفضل المصاديق و أخفها.

^٢ . الدر المنثور ٦: ١٥٨ - أخرج من عدة طرق عن انس قال قال رسول الله (ص).

^٣ . الدر المنثور عن زيد الجففي سمعت النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول في قوله: إنا أنشأناهن إنشاءً قال: الثيب و الأبكار الآتي كن في الدنيا.

لزماً، لا تزول بزواج: ﴿ ف إن أهل الجنة إذا جامعوا النساء عدن أبقاراً^١ فلببكرات من الدنيا والحوار، تجعل بكورة الخلود، ولثبات ﴾ ﴿ إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبقاراً^٢ . كأن ﴾ ﴿ لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان ﴾ ﴿ إذا فهن سواء في خلود البكورة بما أنشأهن الله فجعلن أبقاراً، ومن ثم:

﴿ عرباً أتراباً ﴾ ... ﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ ﴿ (٥٢:٣٨) ﴾ ﴿ وكواعب أتراباً ﴾ ﴿ (٣٣:٧٨) فما هي العرب و ما هي الأتراب؟

فالعرب جمع عروبة و هي المعربة بحالها و أقوالها عن عفافها و تعشقها لزوجها فهن المتشقات لهم و المتغنجات، الجاذبات لهم والمنجذبات المتغزلات:

يعربن عند معولتهن إذا خلوا. وإذا هم خرجوا فهن خفار. فهن عرب بكافة مظاهر الزوجية و مآربها و معاربها، و بكافة مظاهر الجمال مع أزواجهن، و خفار مع سواهم، و من عرب مقالهن عريبة كلامهن ولغتهن^٣ فإنها أجمل اللغات، و هي لغة أهل الجنة، فهن عرب في الأقوال والأعمال والأحوال!

والأتراب هن لدات منشآت مع بعض، متماثلات متوافيات السن و الجمال مع لداتهن، و مع أزواجهن، متكافآت معهم في شؤون الزوجية، عبر عنهن بالاتراب لمهائلتهن الترائب: ضلوع الصدر المتقارنات المتقاربات: ﴿ انشأناهن ﴾ :

^١ . الدر المنثور أخرج الطبراني عن إبي سعيد قال قال رسول الله (ص) .

^٢ . الدر المنثور أخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة أن النبي (ص) أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله (ص) ! أدع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب يصلي ثم رجع فقالت عائشة: لقد لقيت من كامتك مشقة، فقال: إن ذلك كذلك- إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبقاراً.

^٣ . الدر المنثور ٦: ١٥٩- أخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عن قال: قال رسول الله (ص) في قوله عرباً: قال: كلامهن عربي، و في كتاب صفة الجنة والنار عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر (ع) في حديث أوصاف أهل الجنة: صاروا... و علي لسان محمد العربية.

﴿عرباً أتراباً لأصحاب اليمين﴾^١ فهن أتراب لأصحاب اليمين كما هن أتراب مع بعض، و ترب العمر بين الزوجين وإن كان مرغوباً عنه في الدنيا، ولكنه مرغوب فيه الآخري، لبقاء هما على حالهما هناك، و تغير هما عن أحوالهما هنا.^١

﴿لأصحاب اليمين﴾ (٣٨) ثلثة من الأولين (٣٩) و ثلثة من الآخريين (٤٠) ﴿١﴾
و مهما كان السابقون الآخرون قلة و جاه ثلثة الأولين، فأصحاب اليمين الآخرون ثلثة كما الأولون ثلثة، و أين ثلثة من ثلثة؟

وإذ لا تتاسخ في الأخبار، و إلا كان أحدهما كذباً أو كلاهما، فلا يعقل أن تتسوخ آيه ثلثة الآخريين من أصحاب المين، آيه قلة الآخريين و السابقين و كيف الموضوع أيضاً مختلف، فهنا أصحاب اليمين و هنا سابقون، فلتضرب أحاديث النسخ هنا عرض الحائط.^٢

و الآخرون الثلثة هنا من الأمة الإسلامية كما الآخرون القلة هناك، و كما يروى^٣ خلاف ما يروى ان ﴿هما جميعاً من هذه الامة﴾^١ فإذا كانوا جميعاً منهم، فما هو دور الأوسطين من المسلمين، و ما هو دور سائر الامم؟ أفليس منهم أصحاب اليمين؟

١ . ان مماثلة العمر بين القرناء من المرغوب فيه مبدئياً ، كتقارب العقلية و الفكر كتقارب الجسم ، و كونها مرغوباً عنها بين الزوجين إنما هو بأعتبار المستقبل حيث يستقبلان إستقبلاً إستقبلاً ، و المرأة أسرع فيها، و الرجل بحاجة دائمة إلى من تؤنسه، و أما إذا بقيا في عذفوان العمر فالمماثلة مرغوب فيهادون ريب.

٢ . الدر المنثور ٦: ١٥٥ - أخرج ابن مردوديه عن أبي هريرة قال: لما نزلت ثلثة من الأولين وقليل من الآخريين ضرب أصحاب رسول الله (ص) وقالت إذا لا يكون من امة محمد إلا قليل، فنزلت نصف النهار: و ثلثة من الأولين و ثلثة من الآخريين، و تقابلون الناس- فنسخت الآية وقليل من الآخريين. أقول: ولا يفسر القرآن هكذا إلا منسوخ عقله لا يميز بين السابقين القلة و أصحاب اليمين الثلثة.

٣ . الدر المنثور: أخرج الطبراني عن ابن مسعود عن النبي (ص) في حديث طويل: اني لأرجوا أن تكونوا شطر أهل الجنة فكبر القوم ثم تلا هذه الآية.

و ترى أية ثلة أكثر عدداً وأعظم عدداً؟ آية الثلثين لا توحى بشيء! فقد تكونان سواء ، أو إحدهما أوفر من الآخر لحدّ لا تجعلها قلة^١ وقد توحى ثلة الآخرين: أصحاب اليمين، ان الامة الإسلامية ككل أكثر عدداً من سائر الامم، فأطول زمناً منهم، فدور الرسالات الواجدة برسالتها بين الامم، اكثر انتاجاً من دور الفترة الرسالية، وإذا كان أصحاب اليمين من الرسالة الأخيرة ثلة كالأولين، من حيث العدد، فيكن الأولون قلة من حيث الزمن يحبهم أو ان اكثر التلة في الدولة الأخيرة الإسلامية المهديّة، فلا تتطلب هذه التلة زمناً أطول، فبالإمكان أن يكون زمن الأولين أطول من زمن الآخرين، لا ندرى!

❁ و أصحاب الشمال ، ما أصحاب الشمال ❁ (٤١:٥٦) وقد يكفى تعريفاً بهم انهم أصحاب المشامة الشمال ، إذ يؤتون كتبهم بشمائلهم إمارة السقوط، كما يؤتى أصحاب اليمين بأيمانهم علامة النجاح، وثم هنا الإجابة عن (أين مكانهم فى القيامة):
❁ فى سموم و حميم. وظلّ من يحموم. لا بارد و لا كريم ❁ (٤٤:٥٦)
❁ فى سموم ❁ فالسّمّ والسّمّ كل ثقب ضيق كسم الخياط، فالسموم هو النار والريح، احاملتا السّمّ، لطيفتا التأثير و مبالغته، تدخلان البواطن ثقباً و ثقباً، فالهواء هناك ساختة هباء تنفذ المسام بشواظ سامّة فتشوى الأجسام، فكيف إذا النار!
ثم الماء هنا ❁ حميم ❁ كالنار، لا يبرد و لا يروى ولا يغنى من اللهب ، لأنه نفسه لهب، وإذا كان المتسمم المحموم قد يخف عن سمّه وحمّه بظلّ، فلهؤلاء المناكيد ❁ وظل من يحموم ❁ : دخان الافح خانق: ❁ لا ظليل ولا يغنى من اللهب ❁ (٣١:٧٧) ❁ لا بارد ❁ يخفف عن وطأة السموم والحميم ❁ ولا كريم ❁

١ . الدر المنثور ٦: ١٥٩ عن أبى بكره عنه (ص) فى الآيه « هما جميعاً من هذه الامة ».

٢ . الخصال للصدوق عن سليمان بن يزيد عن أبيه قال: قال رسول الله (ص) أهل الجنة مائة و عشرون صفاء، هذه الامة منها ثمانون صفاء. أقول: الأربعون قبائل الثمانين، لا ريب و انهم قلة ، اللهم إلا إذا كانت صفوف المسلمين أقل عدداً من صفوف غيرهم حتى يتقارب أصحاب اليمين الأولين والآخرين.

معتدل قد يعدل من شظا حمته، أو يخففه عن قمته، وإنما يزيده تسمما و خنقا ولماذا هذا العذاب الخناق؟

❦ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . و كانوا يصرون على الحنث العظيم. و كانوا يقولون إذا متنا وكنا ترابا وض و عظاما إنا لمبعوثون ﴿٤٧:٥٦﴾. تألوث الكفر بالله و برسالات الله و بيوم الله.

فالمترف هو الذى أبطرته النعمة و أطغته ودلته، فأخذ من شهوته فيها مداها و انغمس فيها منتهاها، فليس هو كل ذى نعمة ولا كل طاع دون نعمة، و سواء أكانت نعمة المال التى أغفلته، أو نعمة القوة أو الجمال التى ألتهته، أو أية نعمة من شأنها الإبطاء والإطغاء ، فجاء هذه النعم ظرف لجماع البطر والطغيان، ثم و كل على حسبه. فالفقير الذى لا يجد مالا ولا مجالا لتحقيق آمال من قوة أو جمال، إنه مهما كان كافرا لا يصل إلى قمة الكفر والطغيان، اللهم هامشا للطغاة المترفين فهو أيضا من المترفين، إذ أترف فى نعمة العقل الداعى إلى عبادة الرحمن، إلى نعمة الطغيان، و غرته هؤلاء بما يعدونه و يؤتونه من تافه الأنعام، فالترف له دركات، و كما الخروج عنه درجات و المترفون بدركاتهم من أصحاب الشمال فهم فى النار، و سواهم بدرجاتهم من السابقين أو أصحاب اليمين فهم فى جنة .

هذا، ولكن الترف الذى بجعل صاحبه طرفا للسابقين و أصحاب اليمين، هو ذروته لأصول الضلالة والطغيان، وقد ينجوا لها مش ولو بعد زمان وكما يلمح به القرآن:

❦ وما أرسلنا قرية من نذير إلا قال مترفوها بما أرسلتم به كافرون ﴿٣٤:٣٤﴾
❦ وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على آثارهم وانا على آثارهم مقتدون ﴿٢٣:٤٣﴾ .

هذا و كما أنهم المعذبون الاصول، والسبب الرئيسى للعذاب ❦ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴿١٦:١٧﴾
فأمر الله الموجه إلى المترفين غير ما يوجه إلى غير المترفين، ولأنهم أولوا نعمة وقوة، فتكاليهم أثقل، و عذاب التخلف عنها اعضل.

و مما يدفعهم إلى الترف اصرارهم على الخلف والنقض العظيم: ❀ وكانوا يصرون على الحنث العظيم ❀ فالحنث هو الخلف و هو النقض و هو الميل عن الحق إلى الباطل، والقول غير الحق، والذنب، فالحنث العظيم و هو العظيم من كل، ولا أعظم من نكران وجود الله والشرك بالله، وتكذيب رسالات الله، و نكران يوم الله. ان حنث نكران القيامة هنا مفرد بالذكر، ولأن الأصل في نكران سواه أنكاره لا سواه ولكي يتخلصوا عن عب التكاليف الآلهية.

فنكران الالهية الحقّة حنث عظيم بكل معانيه الخمسة: فهو خُلفٌ للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ونقض لميثاق الفطره وحكم العقل، و ميل عن الحق الذي تتوفر له كافة البراهين ألى الباطل الذي ترفضه كل البراهين، فهو قول بغير حق وذنّب عظيم لا أعظم منه، و كما يتلو متفرعاً عليه حنث نكران الرسالات و نكران يوم القيام. هؤلاء المترفون، كان حياتهم الترف، والاصرار على الحنث العظيم، ومنه نكران اليوم العظيم: ❀ وكانوا يقولون إذا متنا و كنا تراباً إنا لمبعوثون. أو آباءنا الأولون. قل إن الآولين والآخريين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ❀ (٤٩:٥٦).

تقول عن استبعاد وبكل اصرار واستبداد: (أإذا متنا) وصرنا تراباً، ثم مضى زمن بعيد عن الكينونة الترابية: (و كنا تراباً) فبعد هذه المدة وهذا التحول (إنا المبعوثون) كما كنا من قبل: تنكر للبعث المؤكد المشار إليه باللام. (ل) تأكيدات للنفي، مقابلة الأصرار بالاصرار! (أو آباءنا الأولون) الذين هم أبعد منا زمناً، فهم في أمر مريح من ثالث الاستبعاد: بُعدين زمنيين بعد بُعد أصل البعث^١.

فما هو الفارق بين الأولين و الآخريين بعد كون الكل ميّتين، واستحقاقهم الحساب والثواب أو العقاب على سواء، ❀ قل أن الأولين والآخريين لمجموعون إلى ميقات

^١ . اقنومه الأول الموت والثاني الكينونة الترابية الماضي عليها زمن يعيد لهم. والثالث لمن هو أبعد منهم زمناً: آباؤهم الأولون.

يوم معلوم ﴿٥٦﴾ : وقت معين عند الله معلوم لدى الله ، مهما كان مجهولاً لدى غير الله ، جمعاً مؤكداً تؤكد البراهين^١.

﴿٥٢﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَأَكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٥) هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

﴿٥٦﴾ ان الشجرة الزقوم طعام الأتيم. كالمهل يغلى فى البطون. كغلى الحميم ﴿٥٦﴾ (٤٦:٤٤) ﴿٤٦﴾ أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم. انا جعلناها فتنة للظالمين. انها شجرة تخرج فى أهل الجحيم. طلعتها كأنه رؤوس الشياطين. فإنهم لآكلون منها فمائلون منها البطون. ثم ان لهم عليها شوباً من حميم. ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ﴿٥٦﴾ (٤٨:٢٧) هذه مواصفات للزقوم، أنها أحسن شجرة فى الجحيم صوره و سيرة ونبتاً: كما أن جرس اللفظ يصور ملمس المعنى: خشناً شائكاً فى الحلق، هائلاً فى العيون، كالمهل يغلى فى البطون، وما دامت هى من أصل الجحيم فهى أصل من الجحيم، و ما كان طلعتها كأنه رؤوس الشياطين، فهو تناسب أكلاً لرؤوس الشياطين.

و ترى إذ كانت هذه شجرة الزقوم فكيف يأكلها الضالون المكذبون؟ أليس الجوع أحلى من هذه الشائكة الفاتكة؟ لأن ﴿٥٦﴾ ابن آدم خلق أجوف لا بد به من الطعام والشرب ﴿٥٦﴾ والجوع طاغ، والمحنة طاغية! ولا طعام لهم إلهيه!

أفصبراً على الجوع المنهك المهلك ولحد الموت؟ فلا موت هنا ولا فوت أم لو قدر على الصبر فلا يطعم الزقوم؟ إنه طعامه شاء أم أبى! فليس طعام الإكرام حتى يختار، إنه طعام العقاب فلا بد منه ولو يختار، وكذلك طعام الدوام فى العذاب فليأكله بالاجبار، فالضالون المكذبون إذاً بين واجبين أمام ذلك الطعام، ذاتى ضرورة الحاجة إلى الأكل، و مفروض ضرورة العقاب والبقاء إلى أجل مفروض.

^١ . فـ «ان» و «ك» و صيغة المفرد الـ دال على إثبات «مجموعون» تؤكد إثبات ما نفوة و تصديق ما رفضوه .

^٢ . تفسير العياشى عن أبى عبدالله الصادق (ع) :

و مما يوحي باضطراب هم الثانوى فى أكله (فمالتون منها البطون) فالأولى منه يفرض ما يبقى الرمق لا ملأ البطون.

ثم أن ثلوث: حرارة الجحيم و شائكة الزقوم الحلوق والبطون، و ملأ البطون، لتدفع إلى الماء ، فترى ماذا تشربون؟:

❁ فشاربون عليه من الحميم ﴿٥٦:٥٦﴾ : الماء البالغ الحرارة : (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) (١٥:٤٧) و بعدما تقطعت و تفسخت بالزقوم، عذاباً فوق العذاب، و ترى - إذاً - يشربون منه قليلاً؟ كلا:

❁ فشاربون شرب الهيم ﴿٥٦:٥٧﴾ الهيام داء يأخذ الابل من العطش^١ ، فالهيم هى الأبل المراض المصابة بداء الإستسقاء و فى الرمضاء، إذ لا تكاد ترتوى من الماء ، فهم - إذاً - بطونهم مليئة من الزقوم ثم من الحيم، عذاباً دائماً لا يخف، ولا يخفف عن العطش و الجوع، رغم ملء الطعام و الشرب دونما انقطاع.

ومما يوحيه شرب الهيم، كراهة الشرب الكثير أو المتواصل، أو بنفس واحدة، فإن (ذلك شرب الهيم^٢).

❁ هذا نزلهم يوم الدين ﴿٥٦:٥٨﴾ والنزل ما يقدم للضيف إكرماً له عنده نزوله إلى المضيف، فالنزل للراحة والإستقرار، وإذ كانت هى نزلهم التى لا راحة فيها و لا قرار، فكيف إذا عذابهم فى حميم النار، نعوذ بالله العزيز الجبار.

^١ . وقد يسمى كل من ، أو ما يشرب الماء الكثير، كتلال الرمول الساخنة من حر الشمس، فإنها أيضاً هيم لا تروى من الماء، و كما يروى عن الإمام الصادق (ع) قال: ثلاثة أنفاس فى الشراب أفضل من نفس واحدة فى الشرب، و يكره أن يشبه بالهيم - قيل و ما الهيم؟ قال: الرمل، و فى نقل آخر عنه : هى الابل، و هو الموافق لأصل الغة.

^٢ . كما فى تهذيب الأحكام باسناده عن سليمان بن خالد قال. سألت أبا عبدالله (ع) عن الرجل يشرب بالنفس الواحد؟ يكره ذلك ، وذلك شرب الهيم - قال. و ما الهيم؟ قال: الابل.

القيامة

تأتى بدخان مبين

١٨

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

ربوبية وحيدة جامعة للكون أجمع من سماواته وأرضه و ما بينهما، ولأهل الكون أجمع ﴿ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ ﴿بل هم﴾ المشركون ﴿في شك﴾ من وحدة الربوبية رغم الاعتراف بوحدة الألوهية ﴿يلعبون﴾ لُعبةً بساحة الألوهية كأنه اقتسم ربوبية ما هو إلهه وخالقه، بينه و بين خلقه!

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

لانرى الدخان فى سائر القرآن إلّا هنا وفى فصلت ﴿ثم استوى إلى السماء و هى دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ (١١:٤١) أترى أنهما واحد أو من سنخ واحد أن ترجع السماء إلى ما كانت دخاناً و هو المستصحب مع اللهيب ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات و برزوا لله الواحد القهار﴾ (٤٨:١٤)؟ قد يكون هذا صحيحاً فى نفسه كما ﴿والسماوات ذات الرجوع﴾ - ومنه الرجوع إلى ما ابتدأت دخاناً- قد يأتى له شاهد، ولكن يوم الدخان هذا هو قبل القيامة الكبرى، فهى تتلوه: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ (١٦) فبطشة الدخان قد تكشف قليلاً و هى نفسها أقل من الكبرى، فليست هى الأخرى! وقد يعنى بطشُ الدخان المبين العذابَ الأدنى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ (٢١:٣٢) أو أنه العذاب دون الأكبر وليس الأدنى، اللهم إلّا أن يُعنى من الأدنى ضمنها، قياساً إلى الأكبر، أترى بعدُ هو هذا الدخان و متى؟ هل إنه مضى فيما مضى أو يأتى كشرط من أشراف الساعة الكبرى؟ لا نعرف فيما مضى

دخاناً يغشى الناس كلاً ولا جُلًّا أو بعضاً من السماء كعذاب أليم، فعَلَّهُ من أشراف الساعة كما يروى عن نبي الساعة^١.

وقد وصف ذلك الدخان بثلاث ١ * مبين ٢ * يغشى الناس ٣ * هذا عذاب أليم * مما يؤكد أنه من أشراف الساعة المستقبلة ، ف * مبين * قد يعنى إبانة الدخان عن أمر غير مبان وأهمه الساعة، فدخان الساعة رَجَعُ للسماء إلى ما كانت من دخان الغاز، و دون دخان من أشراف الساعة ، كما انشقاق القمر من قابل و هو من أشراف انشقاقه عند الساعة، و أين دخان من دخان وانشقاق من انشقاق، اللهم إلَّا أنهما من أشرافها.

و * يغشى الناس * ككل : * أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون * (١٠٧:١٢) والساعة غاشية * هل أتاك حديث

^١ . الدر المنثور ٦: ٢٩ - اخرج ابن جرير عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً أول الآيات الدجال و نزل في عيسى و نار تخرج من قعر عدل أ بين تسوق الناس أدلى المحضر ثقيل معهم اذا قالوا والدخان قال حذيفة يا رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) و ما الدخان؟ فتلا رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوماً وليلة، اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة، واما الكافر بمنزلة السكران ليخرج من منخريه واذنيه و دبره، و اخرج ابن جرير والطبراني بسند جيد عن ابي مالك الأشعري قال قال رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) ان ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن منه كالزكمة و يأخذ الكافر فينفخ حتي تخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال، و اخرج ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) قال: يهيج الدخان بالناس . . . و اخرج مثله عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن ، قال بلغني ان رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) قال: . . . و اخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن ابي حاتم عن علي (عليه السلام) قال: ان الدخان لم يمض بعد- ثم ساق مثله . . .

و في المعجم المفهرس لا لفاظ الحديث النبوي ٢: ١١٧ « طلوع الشمس من مغربها او الدخان او الدجان م فتن ١٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٢٩ ، د ملاحم ١٢ ، ت فتن ٢١ ، جه ٢٥ ، ٢٨ ، حم ٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧ ، ٣٧٢ ، ٤٠٧ ، ٤٤٦ ، ٥١١ ، ٤ ، ٧ و٦ .

الغاشية ﴿١:٨٨﴾ ﴿٥٥:٢٩﴾ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم و من تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴿٥٥:٢٩﴾.

يغشاهم ذلك الدخان أدنى من غشية الساعة، فيشملهم عذاباً ﴿٥٥:٢٩﴾ هذا عذاب أليم ﴿٥٥:٢٩﴾ ! و ترى الطغاة يغشاهم معهم هنا دون يوم الدين؟.

علّه لهم عذاب دونما للطغاة تخفيفاً عنهم و كما يروى عن الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) يأخذ المؤمن منه كالزكمة و ما الكافر بمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه و دبره ، فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ! فقد اختلف عذاب الدخان هنا بين المؤمن و الكافر و كما يختلف فى قيامة التدمير ﴿٥٥:٢٩﴾ يا ايها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم. يوم ترونها نذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿٥٥:٢٢﴾.

وحتى إذا لم يختلف عذاب الدخان هنا و الزلزال هناك، فهو للكافر عذاب قبل العذاب الأكبر، و للمؤمن عذبٌ حتى يخفف عنه من العذاب الأكبر، و كما فى الزلازل و البركانات التى لا تميّز بين مؤمن و كافر! و قد يشير ﴿٥٥:٢٩﴾ يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴿٥٥:٢٩﴾ إلى الاكثريّة الساحقة من نسناس الناس حينذاك فإنه من أشرط الساعة القريبة إلى الرجعة و قيام المهدي من آل محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) الذى به يملأ الله الأرض قسطاً و عدلاً بعدما ملأت ظلماً و جوراً.

وقد يعنى دخان السماء الغاشى ما يحصل فى الحرب العالمية الثالثة، التى يذهب فيه ثلثا الناس أو ثلاثة أرباعهم ، أو سبعة أو تسعة أعشارهم حسب مختلف الحديث ﴿٥٥:٢٩﴾ حتى إذا فتحت ياجوج و مأجوج و هم من كل حدب ينسلون. و اقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين ظلموا ﴿٥٥:١٧﴾ ﴿٨:١٧﴾ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء و كان وعد ربي حقاً.

و تركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض و نُفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ﴿٨:١٨﴾.

فنسل ياجوج و مأجوج من كل حدب مرتفع، تهجماً على من تحت كل حدب، قد يعمل دخاناً غاشياً كعذاب أليم، و كما نرى الطائرات الحربية كيف تُشعل ناراً و دخاناً في كل حدب؟.

و مهما يكن من شيء فدخان المساء الغاشي كل إنسان قبل الساعة هو من أضرار الساعة، سواء أكان من هذه الحرب العالمية، والنسل الياجوجي، أمّا ذا من عوامل الدخان بشرياً وإلهياً، اللهم لا علم لنا أّ ما علمتنا!
و ترى ما هو- إذا- لسان حال الناس و قالهم، أفهم تاتبون و إلى ربهم آتبون و من بعد الغفلة يتذكرون؟

رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ(١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ(١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ(١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ(١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ(١٦)

فمن الناس - حينئذٍ- النسناس الخناس، المتولّون من الرسول القائلون إنه مجنون، يقولون ❀ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ❀ نؤمن الآن أو آما و هم كاذبون، و ❀ أنى لهم الذكرى ❀ حتى يؤمنوا وقد تعرّق في أعماقهم الكفر حيث ❀ قد جاءهم رسول مبين ❀: لكل حق كالشمس في رابعة النار ❀ ثم ❀ بعد البيان ❀ تولّوا عنه ❀ وازدادوا كفراً حيث ❀ قالوا معلّم مجنون ❀ بدل أن يقولوا ❀ معلّم عاقل ❀ !

ورغم أننا عالمون بكيدهم في استكشاف العذاب و كيدهم في دعوى الإيمان ❀ إنا كاشفوا العذاب قليلاً ❀ تحقيقاً لما التمستم و إظهاراً لما كذبتهم و كدتم ❀ إنكم عائدون ❀ إلى ما كنتم ❀ و إن عُدتم عدنا ❀(٨:١٧) و كما يعود تطهيراً للإرض ❀ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ❀(٢١:٣٢) فذوق العذاب هو لمسّه، و كشف العذاب يعم قبل اللمس و بعده، أم لذوقه، دركات عدة بعضها تلو بعض!

وأما الناس المؤمنون أم غير المكذبين من دونهم لا يستكشفون العذاب، لأنهم ليس لهم عذاباً، أو يروونه تخفيفاً لهم عن آثام لهم فيقبلون، و إلى ربهم يُقبلون!

ثم لا يكفى فريق النسناس ذوق العذاب الأدنى وعوده - بل: ❀ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ❀ منهم!

و ترى ناكروا الرب إلحاداً وإشراكاً كيف يستكشفون العذاب وهم فى أعمق الكفر وأحمقة؟.. إنها نداء من عمق الفطرة عندما تتقطع الأسباب، فيظهر عنها ما تخفى تحت ستارات الذنوب والشهوات، وكما الله ينبه الغافلين ويوجههم إلى تلك الحالة، لَمَّا ❀ جاءها ريح عاسف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعواً الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. فلما أنجاهم إذا هم يبيغون فى الأرض بغير الحق.. ❀ (٢٢:١٠).

وكيف يكشف الله عنهم العذاب قليلاً وهو يعلم كذبهم ❀ إنا مؤمنون ❀ والإيمان عند رؤية البأس لا ينفع؟ إنه ليس من منافع الإيمان الكاذب حيث لم يُقبل، وإنما هو تأجيل للعذاب حجةً عليهم ولمن دونهم، أنهم، كاذبون، فكشف العذاب هنا وأصله هو من منافع الإيمان، وكشفه قليلاً هو من حجج اللأيمان! فتنة عليهم وأخرى لغيرهم^١.

و من ثم كيف تُحيل ❀ إني لهم الذكرى ❀ ذكرى الإيمان، بأن تولوا عن الرسول المبين وقالوا معلم مجنون؟ إنه استحالة بالإختيار، حيث زاغوا عن بيان ❀ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ❀ فلما زاغوا ازاع الله قلوبهم ❀ وجعل على سمعهم وبصرهم غشاوة ❀ بل طبع الله عليها بكفرهم فهم لا يؤمنون ❀. و ترى ❀ انا كاشفوا العذاب قليلاً ❀ تعنى تقليل العذاب كشفاً عن وطأته، أم تقليل الزمان كشفاً عن أصله؟ قد تعنى ❀ قليلاً ❀ كلتا القلتين إذ تحملهما إديباً ويناسبانه معنوياً، أو أن كشف العذاب يقتضى نفيه عن أصله زمنياً ❀ قليلاً ❀ إنكم عاعدون ❀ بعد قليل، فالقلة الزمنية مقصودة عن أية حال، والقلة الأخرى مشكوكة، أم إنها تقليل للفتنة والحجاج عليهم ولمن سواهم، فلتكن قلة زمينة لا غيرها!.

^١ . عليهم فتنة شر أن يبتلوا بعذاب اكبر و يظهر كذبهم لمن لم يظهر له أنهم كاذبون، و فتنة خير لغيرهم انبأها.

وإِذَا مَعَلَّمُ مَجْنُونٌ ﴿١٠٣﴾ فمجنونها يفسر معلّمها أن ليس تعليماً إلهياً حيث المشركون لم ينسبوا إلى الله فريّة الجنون أم تعليم الجنون، فإنما هو تعليم بشري في سحر و جنة ، أو في غيرهما: ﴿١٠٣﴾ وقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين ﴿١٠٣:١٦﴾.

﴿١٠٣﴾ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴿١٠٣﴾ إنتقاماً يستحقون، جزاءً وفاقاً بما كانوا يعلمون، حيث البطشة الدنيا هي ما دون الكبرى مهما كانت كبيرة.

﴿١٠٣﴾ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٠٣﴾ (١٠٣)

هذه أصرح آية في الجمع بين نفختي الصعقة والاحياء، ثم لا نرى صريحة فيهما إلا لإحداهما، والأخرى هي أكثر و من في الأرض إلّا من شاء الله وكل أتوه داخرين. و ترى الجبال تحسبها جامدة و هي تمرمر السحاب.. ﴿١٠٣:٣٧﴾ وقد عبر فيهما عن الناتج عن النفخة الأولى بالصعقة الفزع.

والنفخة هي الصيحة و هي كما هي مرتان للإماتة والاحياء، طالما بينهما معاكسة في قلة الذكر و كثرتها في الذكر الحكيم، فالنفخة أكثرها في الإحياء والصيحة في الإمامة.

و ﴿١٠٣﴾ ثم نفخ في أخرى ﴿١٠٣﴾ هنا دليل على أن الأولى هي نفخة الصعقة و صيحتها، والتعبير عنها بالصعقة، علّة تلميح أنها صعقة الروح حيث الجسم لا يصعق، والموت بخروج الروح عن البدن - و هو حي في يرزخة - ليس صعقة، لا للجسم ولا للروح، ثم و ﴿١٠٣﴾ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿١٠٣﴾ حيث تعم الأحياء هنا وفي البرزخ و هم أمواتٌ عما هنا، لمحّة كدلالة ثانية أن الارواح هي المُصعقة و فزعّة كما في آية النمل.

١ . راجع الجزء ٣٠ ص ٣٤ من الفرقان تجد تفاصيل النفخ في الصور.

ففى النفخة الصيحة، ليس لتموت - فقط - الأبدان، فإن أهل البرزخ منهم قد ماتت أبدانهم من ذى قبل، ولإن الأرواح يغشى عليها دون موت، لأنها نفخة الإمامة و من ثمَّ الإحياء، بل إنها تموت فى غشيتها و صعقتها، فلا أن لـ ﴿مَنْ فى السماوات والأرض﴾ صعقة دون موت ولا موته دون صعقة.

﴿وإنما جمع بين الأمرين، طالما الأحياء - إذاً - لا برزخ لهم ، والاموات تصعق أرواحهم فى البرزخ كما الأحياء هنا دون برزخ ، فعند ذلك تبطل الإشياء و تفنى فلا حس ولا محسوس...﴾^١

﴿إلا من شاء الله﴾ حيث يظّلون دون صعقة ولا فزعة، سواء الإحياء منهم - حينئذ - والاموات، فلا موت لهم بمعنى الفوت فى هذه الفترة لكرامتهم على الله، ولأنهم وجه الرب ﴿كل من عليها فان. وبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام﴾ فكما الله حى لا يموت، كذلك وجه الرب، و من هؤلاء الإكرام الذين كانت حياتهم فى كل وجهاتها وجناتها فى وجه الرب، فهم - إذاً - باقوت ببقاء الله، لاتصعقهم الصعقة ولا تفزعهم الفزعة.

١. ور الثقلين ٤: ٥٠٢ ح ١١٧ فى كتاب الاحتجاج للطبرسى عن أبي عبدالله (عليه السلام) حديث طويل و فيه قال السائل: افتلشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ (عليه السلام) : بل هو باق الي وقت ينفخ فى الصور- فعند ذلك ... ولا محسوس ثم أعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها وذلك اربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين، وقد يقربه ح ١١٥ عن ارشاد المفيد و لما عاد رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) من تبوك الى المدينة قدم عليه عمرو بن معدى كرب الزبيدى فقال له النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) اسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر فقال: يا محمد! و ما الفزع الأكبر فانى لا افزع! فقال يا عمرو! انه ليس كما تظن و تحسب ان الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت الانشر ولا حى الا مات الا ماشاء الله ثم يصاح بهم صيحة اخرى فينشر من مات و يصعقون جميعاً أقول: النشر الأول هو موت الاموات بارواحهم ، والنشر الثانى هو حياتهم بالصيحة الثانية.

أترى من هم ﴿﴾ إلاً من شاء الله ﴿﴾؟ لا ريب أن منهم الرعيل الأعلى من أصفياء الله، وهم الواحد والإثنان والخمسة والأربعة عشر المعصومين المحمديين صلوات الله عليهم اجمعين.

وعلىٰ منهم سائر اولي العزم وكما في المسيح (عليه السلام) ﴿﴾ و يوم ابعث حياً ﴿﴾ فإن الحي لا يبعث حالة الحياة إلا أن يكون من ﴿﴾ من شاء الله ﴿﴾ وإلا كان حق القول ﴿﴾ أبعث ميتاً ﴿﴾ فـ ﴿﴾ أبعث حياً ﴿﴾ إنتقاله من الحياة البرزخية إلى الآخرة، و من ثم يحيى (عليه السلام) كما فيه : ﴿﴾ يوم يبعث حياً ﴿﴾ بنفس الدلالة، أمّن ذا من اضرابهما بين النبيين.

وإذا كان الشهداء ممن شاء الله كما يروى^٢ فأحرى بالنبيين والصدّيقين وهم افضل منهم أن يكونوا ممن شاء الله، وقد تلمح آيتنا حياتهم عند ربهم أنهم ممن شاء الله، فلتكن حياة تخصهم بين الأموات فإن لهم حياة عامة يصعقون عنها إلاً من شاء الله. وإذا كان الشهداء وهم الدرجة الثالثة من الأصفياء ممن شاء الله، فليكن منهم جبرئيل و ميكائيل و ملك الموت و إسرافيل و حملة العرش و كما يروى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم)^٣ كما منهم كافة النبيين فإنهم قبل الشهداء بدرجتين اثنتين.

١ . الواحد هو الرسول محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) والإثنان هو وعلي، والخمسة هما و فاطمة والحسنان، والأربعة عشرهم والتسعة من ذرية الحسين (عليه السلام).

٢ . كما في الدر المنثور ٥: ٣٣٦ عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) قال: سألت جبرئيل عن هذه الآية... من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء مقلدون بأسيا فهم حول العرش تتلقاهم والملائكة عليهم السلام يوم القيامة ينجاؤن من ياقوت...

٣ . المصدر اخرج الفرياني و عبد بن حميد و ابو نصر السجزي في الابانة وابن مردويه وانس قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) و نفخ في الصور فصعق... قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله؟ قال: جبريل و...

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ
نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)

ثم ١ هنا قد تلمح أن ليس الفصل بين النفختين يقليل، و ٢ ينظرون ٣ هي
نظر العيون و نظيرة القلوب، حيث ينظرون ماذا يؤمر لهم من رب العالمين بعد نفخة
الإحياء حالات متتابعة لا تدافع بينهما: ٤ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى
ربهم ينسلون ٥ (٥١:٣٦) مسرعين ٦ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ٧
(١٨:٧٨) فإنهم بعد نسلهم إلى ربهم أفواجاً لموقف الحساب، قيامٌ ينظرون حسابهم،
وهنا:

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَ
قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) ٨.

الأرض هذه ليس هذه الأرض، حيث ٩ تبدل الأرض غير الأرض ١٠ (٤٨:١٤)
وحملة الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ١١ (١٤:٦٩) و إنما هي أرض القيامة
الساهرة ١٢ فإذا هم بالساهرة ١٣ (١٤:٧٩) و هي أرض الحشر الحساب، و من ثم
أرض الجنة، ١٤ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده و أورثنا الأرض نتبوء من الجنة
حيث نشاء فنعم أجر العالمين ١٥ (٧٤) أم أرض النار.

و ترى أن ١٦ نور ربها ١٧ هو ١٨ نور السماوات والأرض ١٩ كما في آية النور؟ و
هذا كائن منذ خلق الله الخلق ما هي كائنة! ٢٠ وأشرق ٢١ هي أشراقة بعد النفخة
الثانية! و نور الله أعم من نور الرب حيث تضمن ربوبيته! اللهم إلّا نور الهداية الخاصة
زمن الدولة الاخيرة الإلهية بالقائم المهدي (عليه السلام) حيث تتجمع أنوار الرسالات
الإلهية فتشرق الأرض بعد ظلامتها حيث تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً
وجوراً؟^١ ولكنه قبل قيامة الكبرى، و إن كان من مصاديق ٢٢ أشرق الأرض ٢٣
جريباً و تأويلاً.

^١ .نورالثقلين ٤: ٥٠٣ ح ١٢١ عن القمي عن المفضل بن
عمرانه سمع أبا عبدالله (عليه السلام) يقول في الآية :
رب الأرض يعنى إمام الأرض، قلت : فإذا خرج يكون

أم هي النور ربوبية الحساب عدلاً وفضلاً حيث يكشف الغطاء عن الأبصار: ﴿لقد كنت في غفلة من هذه فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (٣٣) و عن المبصرات والمسموعات: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تود لو أن بينها أمداً بعدياً﴾ (٣٠:٣) نور مطلق لا ظلام معها حيث ﴿تبلى السرائر﴾ (٩:٨٦) ﴿يؤمئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ (١٨:٦٩) ولكي يتم نور الربوبية لأهل الحشر في الحساب: ﴿وضع الكتاب﴾: كتاب الشرعة ميزاناً و كتاب الأعمال ليوزن به.

﴿وجيء بالنبين﴾ سؤالاً عن رسالتهم. ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ (٦:٧) و اتقاء لشهادتهم: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم و جئناك على هؤلاء شهيداً﴾ (٤١:٤).

﴿والشهداء﴾ بعدهم من الصديقين المعصومين كأئمة الدين: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبينا إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل و في هذا يكون الرسول عليكم شهيداً و تكونوا شهداء على الناس...﴾ (٧٨:٢٢).

فالأئمة (عليه السلام) شهداء من الرسول على الناس، و شهداء لأعمالهم تلقياً وإلقاءً، و شهداء في سبيل الله، فمن أحرى منهم - إذاً - في حظيرة الشهادة، و قد تعم الشهداء كل مستشهد في سبيل الله حيث هي جمع الشاهد والشهيد، فلتعهما معاً: الشاهد الشهيد و غير الشهيد.

ماذا؟ قال: إذاً يستغنى الناس عن ضوء الشمس و نور القمر و يكتبون بنور الامام، و رواه مثله في ارشاد المفيد عنه (عليه السلام): إذا قائم قائمنا... اقول لأن النور هنا هي نور الهداية التي يحملها القائم (عليه السلام) فقد يصح نسبتها الي القائم (عليه السلام) فقد يصح نسبتها إلي الامام مهما كان من الله تعالى.

^١ .تفسير البرهان ٤: ٨٨ ج ٤ القمي قال قال في الآية الشهداء الأئمة والدليل علي ذلك قوله في سورة الحج «ليكون الرسول...».

وكذلك سائر الصديقين ❀ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم... ❀ (١٩:٥٧) ❀ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ❀ (١٤:٣).

ومن الأرض بأكنافها وفضائها ❀ يومئذ تحدث أخبارها. بأن ربك أوحى لها ❀ (٥:١١) ومن الأعضاء : ❀ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ❀ (٢٤:٢٤) آمنن ذا وماذا من شهداء؟

وهناك ... وقد تمت شروطات القضاء العدل محكمة و شهاداً و مشهوداً عليه و أعمالاً، حيث ❀ أشرفت الارض بنور ربها ❀ وقضى بينهم بالحق ❀ الناصع الخالص دونما تخطو لاختطاً قيد شعرة ❀ وهم لا يظلمون ❀ نقيراً ولا فتيلاً.

وَوَفَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)

وهنا في ❀ ما عملت ❀ دون ❀ جزاء ما عملت ❀ دلالة واضحة على أن الأعمال - خيراً و شراً - هي بنفسها الجزاء بما تظهر في الملكوتها و حقائقها حيث ❀ أشرفت الارض بنور ربها ❀ و ❀ هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون ❀ (١٠:٣٧)؟.

ثم - وكل هذه الشهادات بحذافيرها ليس لتثبت شيئاً عند الله ❀ وهو أعلم بما يفعلون ❀ بل ولكي يعلم العاملون أن الله كان عليماً بما يعملون، و يعلموا هم ما ربما كانوا ينسون أو يجهلون فلا يكذبون.

هنالك يصدر حكم الله دون نقاش وجدال، فإنه مشهد النور والظهور، بشاهد العدل والرب النور، فلا كلمة تقال، ولا صوت يرتفع، فمن ثم :

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ ۖ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)

هنا زمر النار و من ثم زمر الجنة، فليس كل زمرة واحدة، حيث الكفر دركات فزمر النار دركات، كما التقوى درجات فزمر الجنة درجات.

للنار ❀ سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ❀ (٤٤:١٥) وللجنة ثمانية.

والزمره هي الجماعة، فهنا جماعات و هنالك جماعات بفارق مختلف الدرجات والدرجات ولأن النار طباق سبعة ولها سبعة ابواب فعل أهلها سبع جماعات، بفارق مختلف الشيطانات.

من لشیطان - وبقر - وتعلب فهذه ثلاث، و من شیطان بقر، او شیطان ثعلب - او ثعلب بقر و هذه ثلاث اخرى، و من شیطان ثعلب بقر، جامعاً ثلوث الشيطانات فانه فی الدرک الاسفل من النار^١ فكل درک شیطان، یدخل من بابه ﴿فادخلوا ابواب جهنم...﴾ وقد تكون اسماءها المأثورة تناسب درکتها^٢ و سوق هؤلاء الزمر الى جهنم سوف يكون مهاناً ﴿يوم يُدعون الى جهنم دعاء﴾ (١٣:٥٢) ﴿و نسوق المجرمين الى جهنم ورداً﴾ (١٩:٨٦).

أترى الذين كفروا تشمل اصحاب الكباثر غير التائبين و لا المشفع لهم؟ وهم بين مسلمين و مؤمنين آمن هم من غير الكافرين! وليسوا هم من الذين كفروا مستكبرين و فی جهنم خالدين و الآیة تعنيهم!

ام هم من الذين تقوا؟ وقد طغوا هؤلاء و بغوا، و اين الذين اتقوا من هؤلاء الذين طغوا مهما كانوا فی زمرة المؤمنین او مسلمين!

إنهم عوان بين هؤلاء، فلاهم من أهل الجنة بهكذا تكريم: ﴿سلام عليكم..﴾ ولا من أهل النار مستكبرين و خالدين، فإنهم آخر مصيرهم الجنة مهما دخلوا النار، أم عذبوا قبل النار، فإنه قضية العدل جزاءً و فاقاً.

﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ فأبوابها مغلقة - إذا - قبل أن يجيئوها، خلاف أهل الجنة، فإن أبوابها مفتوحة قبل أن يجيئوها المكان ﴿فتحت أبوابها﴾

١ . وهذه خصائل الانسان المرذولة المقسمة الي سبع .

٢ . نور الثقلين ٤: ٥٠٤ عن المجمع عن امير المؤمنين (عليه السلام) ان جهنم لها سبعة ابواب اطباق بعضها فوق بعض و وضع احدي يدي علي الاخرى فقال هكذا . وان الله وضع الجنان علي العرض و وضع النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم و فوقها لظى و فوقها الحطمة و فوقها سقر و فوقها الجحيم و فوقها السعير و فوقها الهاوية .

حيث الواو حاله تعنى أنها مفتوحة حين مجيئهم اياها: ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ (٥٠:٣٨).

﴿فتحت أبوابها﴾ و ﴿لما يدخلوها﴾ وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم ﴿من جنسكم، فالرسالة المجانسة بزوال مجانس للمرسل إليهم هي الحجة البالغة عليهم و كما فى يس و غيرها ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسول منكم...﴾ فرسول الإنس من الإنس و رسول الجن من الجن و كذلك التجانس فى سائر الأجناس و راء الإنس و الجن.

﴿رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و...﴾ فإنما إتيان الرسالة المجانسة و تلاوة آيات مبشرة و منذرة كحجة بالغة، فلا موقع لأبعاد الزمان والمكان و القوميات والإقليميات والعنصريات، و إنما رسالة إنسان إلى إنسان أم جن إلى جن أمَّن ذا، سواء أكان الرسول - بالفعل - فيهم، أم قضى نحبه و رسالة حاضرة، أو هو الذى يتلو عليهم آيات الله، أمَّن يحملون عنه رسالة، فإنما هي الحجة البالغة الإلهية الواصلة كالرسول يبلغ دون زائدة ولا ناقصة اللهم إلَّا فرعية لا تصطدم أصل الحجة كالزمن بعد كل نبى وإمام معصوم حجة، ولا سيما إذ كان كتاب شرعته حاضراً دون زيادة أو تقيصة كما القرآن العظيم.

فالركن الركين فى الدعوة الإلهية تلاوة آيات الله المبشرة والمنذرة:

﴿... يتولن عليكم آيات ربكم و يندرونك لقاء يومكم هذا﴾ :يوم السوق إلى

جهنم .

﴿قال بلى﴾ ﴿قد جاءتنا رسل منا يقصون علينا آياتك و يندروننا لقاء يومنا هذا﴾ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴿انهم كفروا بآيات ربهم، لا أنها حقت فكفروا.

﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم..﴾ ولماذا ﴿أبواب جهنم﴾ والباب يدخل منها دون أن تُدخل هي بنفسها ﴿وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد﴾ (٦٧:١٢)؟.

هنا ثانية (١٦:٢٩) و ثالثة (٧٦:٤٠) مثلها، قد تعنى كلها دخول كل زمرة من باب، و كما الدخول فى الأرض المقدسة: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة...﴾ (٢١:٥)

❖ وادخلوا الباب سجّداً ﴿٥٨:٢﴾ ، وقد تعنى أن هنا دخولين ، دخول كلِّ باب، ثم دخوله دركه من باب.

ولكن الجنة ولها أبواب دون طباق، لا يفترق دخولها عن أبوابها، فهولا يفترق زمر المتقين الداخلين فيها دخولاً من أبوابها، و كل يعرف قدره ومقامه ، وهم يتعارفون فى منازلهم على مختلف درجاتهم.

وَ سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾

هب إن هناك سوقاً للذين كفروا إلى جهنم لأنهم لا يجيئونها دون سوق فلماذا يساق الذين اتقوا إلى الجنة، ولهم إليها شوق دون سوق؟

هذا سوق الإحترام وذلك سوق الإخترام و اين سوق من سوق ، حيث يساقون إليها بكل يتجيل و تجليل، و لأن ❖ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴿٤٣:٤٧﴾ فلا يرضى أحدهم ان يسبق الآخريين مهما كان حقه السباق، فهم - إذا - يساقون مع الرفاق حيث لا يرضون السباق.

أم ولأن ❖ الذين اتقوا ﴿٥٨:٣٦﴾ فى إطلاقها هم الرعيل الأعلى، الذين لا يعذبون أبداً، هم - حينئذ - غارقون فى مشاهدة جلال ربهم وجماله، حيث يعيشون منذ بعثهم جنة الرضوان ، فلا تهمهم جنة الجنان، لذلك و ذاك و ذياك فهم يساقون إلى الجنة حتى إذ جاء وهم ﴿٥٨:٣٦﴾ والحال أنها ❖ فتحت أبوابها ﴿٥٨:٣٦﴾ من ذى قبل، تهيئة لهم و تهيئة ❖ وقال لهم خزنتها... ﴿٥٨:٣٦﴾ و هناك لا خبر عن الخبرك ❖ حتى إذا... ﴿٥٨:٣٦﴾ حيث فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لذلك فهناك لا خبر عن الخبر إلا ❖ وقال لهم خزنتها سلام عليكم - طبتم - فادخلوها خالدين ﴿٥٨:٣٦﴾ : ❖ سلام قولاً من رب رحيم ﴿٥٨:٣٦﴾.

❖ يساق المتقون إلى الجنة و(قد آمنوا من العذاب النقط العتاب و زحزحوا عن النار و اطمأنت بهم الدار و رضوان المئوى والقرار، الذين كانت أعمالهم فى الدنيا زاكية، و أعينهم باكية، وكان ليلهم فى دنياهم نهاراً تخشعاً و استغفاراً، و كان نهارهم

ليلاً توحشاً وانقطاعاً، فجعل الله لهم الجنة ثواباً و كانوا أحق بها و أهلها في ملك دائم و نعيم قائم^١.

❁ سلامٌ عليكم ❁ هنا كما سلمتم هنا لربكم ❁ طبتم ❁ هنا فطبتم هنا ❁ فادخلوها ❁ الجنة ❁ خالين ❁ و اين خالدين من خالدين؟ ❁ و قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعدّه و أورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين (٧٤) ❁

والأرض هنا- كما اسلفناها- هي ارض الجنة، و ❁ حيث نشاء ❁ ليس إلا حيث يشاء الله، إذ ما يشاءون إلا أن يشاء الله و كل عارف درجة و منزله و منزله ❁ فنعم أجر العاملين ❁ دون - فقط - المؤمنين، حيث العمل الصالح هو ركيزة الإيمان و ثمرة.

❁ و ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم و قضى بينهم بالحق و قيل الحمد لله رب العالمين (٧٥) ❁

العرش هنا مصدر الأوامر الربوبية لأهل المحشر، و الملائكة - عليهم - حملة تلك الأوامر تنفيذاً لها ❁ يسبحون بحمد ربهم ❁ لمسك الختام كما في وعد البداية ❁ و قضى بينهم ❁ و المكلفين المتخلفين، و طبعاً ليس منهم الملائكة الذين ❁ لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ❁ أم قضى بين الصالحين، أنبياء و أئمة و ملائكة أمّن هم؟ و بين الطالحين أياً كانوا ❁ بالحق ❁ في صراحة ❁ و قيل الحمد لله رب العالمين ❁ من قائل إلهي أو ملائكي أم و أهل الجنة أجمعين ❁ و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ❁.

^١ . في نهج البلاغة من خطبة لعلي (عليه السلام) لما قرأ « و سبق الذين التقوا الي الجنة زمراً. »

محاجة اهل النار

في دار القرار

وَ إِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَ ذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ لَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)

محاجة اهل النار عذاب فوق العذاب، إذ لا تبوء إلا إلى تباب، حسرة على حسرة و بواراً فوق بوار في النار: ❀ و إذ يتحاجون في النار ❀ الضعفاء و الذين استكبروا ❀ فيقول الضعفاء ❀ القاصرون عن تقصير، المقصرون في الحياة التبعية حيث تناسوا استقلالهم ، فاستغلوا لما لم يستقلوا فعاشوا أرذل حياة و أعضله و هي حياة التبعية الهامشية للمستكبرين، فأصبحوا أداة لا فتعاليانهم، آلات لتحقيق شهواتهم، دونما حظوة لهم أنفسهم إلا قليلة متبقية على هوامشهم، عبيد مرتزقة ، في الحياة العمالة الجهالة، و هم يحسبونهم معذورين حيث استضعفوا ❀ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهم أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ❀ كما أغنينا عنكم نصيباً من حياة العار و الدمار، نصيباً بنصيب و الله من ورائنا حسيب ، فيسمعون الجواب الحاسم الجازم ❀

إنا كلُّ فيها ان الله قد حكم بين العباد ﴿١﴾ فلا حكم لسواه إذ لا حاكم هنا سواه؟ حاكم عدل في ذلك العدل.

وهل ﴿٢﴾ يتحاجون ﴿٣﴾ هنا يخص آل فرعون لسابقة حالهم؟ علَّه نعم فإنهم المخصوصون بذكرهم، أو يعم سائر الكافر حيث المحاجة بين الضعفاء والذين استكبروا وهم أعم من آل فرعون مهما كانوا أنحس مصاديقهم فالمورد لا يختص حتى لو كانوا هم المورد؟ ﴿٤﴾ وقال الذين في النار.. ﴿٥﴾ بعدها يؤيد العموم، و منطلق الآية نفسها منطلق العموم! فهي - إذاً - محاجة بين ضعفاء التأريخ و مستكبريهم: ﴿٦﴾ وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴿٧﴾ (٢١:١٤).

و ﴿٨﴾ الضعفاء ﴿٩﴾ هنا لا كل تعنى كل الضعفاء، وإنما المقصرون في قصورهم و اتباعهم ، دون المستضعفين ﴿١٠﴾ من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ... ﴿١١﴾ (٩٨:٤) فضلاً عن مستضعفي المؤمنين فإنهم ليسوا ضعفاء في ذوات أنفسهم و أفكارهم مهما استضعفوا المؤمنون و فإنهم ليسوا ضعفاء في ذوات أنفسهم و أفكارهم مهما استضعفوا في حركاتهم و سكناتهم و بظاهر حياتهم ﴿١٢﴾ و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمةً و نجعلهم الوارثين.. ﴿١٣﴾ (٥:٢٨).

بل هؤلاء المقصرون هم الضعفاء المستضعفون ﴿١٤﴾ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم و ساءت مصيراً ﴿١٥﴾ (٩٧:٤).

فما لم يكن ضعيفاً في نفسه لا يُستضعف في دينه، بل يتبلور إيمانه مهما استضعف إلا الضعيف القاصر غير المقصر.

إن الضعفاء المقصرين تنازلوا عن كرامات الله و تغافلوا عن كرامة الإنسانية المستقلة الحرة المختارة، وناساقوا أنسياق الشياة وراء المستكبرين والطغاة و لم يسمحوا لأنفسهم أن يقولوا ﴿١٦﴾ لا ﴿١٧﴾ اللهم إلا بل في كل بلاءٍ لعناء أوردوهم فيها، ولا

سمحوا أن يفكروا في هذه الحياة الرذيلة الهزيلة، زاعمين أن المستكبرين يُغنون عنهم في الأخرى كما أغنوا- فيما خيل إليهم- في الأولى، فجاء الجواب حاسماً لأوهمهم ﴿إنا كلّ فيه إن الله قد حكم بين العباد﴾ ﴿ولو هدانا الله لهديناكم﴾ لا محيين إلى استحالة في هدى الله إذ لم يكونوا من أهلها، ولكن أضلنا الله فأضللناكم!. و في محاجة أخرى ﴿أنكم كنتم تأتوننا عن اليمين. قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ (٢٩:٣٧) فقد كنتم ضعفاء في أصل الإيمان فاستغللناكم باستضعاف على ضعفكم ظلمات بعضها فوق بعض.

﴿إنا كلّ فيها﴾ فإن كلنا ضعفاء لا نقدر على شيء، فلا نجد لنا نصيراً ولا مصيراً إلا النار ولا يغنيا عنها شيء إلا البوار، هنا يبأس الضعفاء عن الكبراء فينعطفون إلى خزنة جهنم:

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩)
قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)

﴿الذين في النار﴾ في نفسها تعم الخالدين والآبدين وغيرهما، وتخفيف يوم من العذاب ، يعنى المستحق الذي لا يقبل العفو، مهما كان من اللذين يخرجون عن النار بعد رُدح بعيد أو قريب من الزمن ، ولكن الآية التالية تختصهم بالكافرين الناكرين للرسالات وللمبدء والمعاد، فهم الآبدون في النار دون من يخرج فإنهم يستحقون تخفيف يوم و أيام من العذاب حيث مصيرهم الجنة والثواب. ولماذا ﴿لخزنة جهنم﴾ لمكان البعد البعيد عن الرب وألّا جواب لهم منه ، ولذلك ﴿أدعوا ربكم﴾ دون ربنا أو رب العالمين، حيث انقطع عنهم عطف الربوبية بكفرهم.

و ﴿يوماً من العذاب﴾ قد يعنى زماناً ما ملموساً من العذاب، حيث المتقاضى في ذلك السعير الحارق البالغ، و من أهل النار عالمين أنهم يستحقونها جزاءً وفاقاً، إنه ليس بطبيعة الحال إلا أقل زمان، فعله واحد من الزمن الأخرى أيّاً كان، فاليوم في

القيامة بين أدنى الزمان و طائله و بينهما عوان، و يعرف كل حسب القرائن، كمثل اليوم في الدنيا و بينهما البرزخ العوان.
و هنالا جواب لأهل النار من خزنتها إلّا التائب العتاب، تذكيراً بسبب الدخول في النار:

﴿ قالوا ﴾ ألم تك عندكم آيات من الأنفس والآفاق لكم فيها عبرة، فان لم تكن أو لم تعتبروا ﴿ أو لم تك تأتيك رسلكم بالبينات ﴾ و ترى معاصروا الرسل أتتهم رسلهم بالبينات فما بال الغيب يعاتبون يعتبهم فيعذبون عذابهم؟ القصد من إتيان الرسل إتيان الرسالات ببلاغها و بلوغها، فما عاشت الرسالة بحملتها رسولاً و كتاباً أمّن ذا، فالحجة بالغة دامغة و إن كان الرسول قضى نحبه، كما قد لا تبليغ الرسالة و الرسول حتى يرزق، فالمدار على بلوغ الرسالة الحجة ببيناتها، و كلما كانت أقوى فناكرها أخزى في حياته أم بعد مماته - ﴿ قالوا بلى ﴾ قد أتتنا رسلنا بالبينات ﴿ قالوا فادعوا ﴾ تعجيزاً في دعائهم ﴿ و ما دعاء الكافرين إلّا في ضلال ﴾ فكما عاشوا في حياة التكليف ضللاً، فسوف يعيشون حياة الجزاء ضللاً في دعائهم أمّاذا!.

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٥١) ﴿ وعلّ هذه هي سابق وعد الله و سابغه : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصرون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ (١٧٣:٣٧) الذين آمنوا هم منصورون كما المرسلون، فهم جميعاً جند الله الغالبون! قاعدة صارمة مطرده طول التاريخ الرسالي دونما استثناء.

هنا تأكيدات أربع لتحقيق ذلك الوعد ﴿ إن - نا - ك - ننصر ﴾ إثنان لجمعية الصفات و هي أقوى تأكيداً، والأخريان من أداء التأكيد.

وذلك تعقيب جاسم جازم يناسب الموقوف الحاسم الباصم ، أن جند الله غالبون و منصورون من رسل و مؤمنين، لا فقط ﴿ يوم يقوم الأشهاد ﴾ بل و ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ و بينما نشاهد في تاريخ الرسالات أنهم بين شريد و جريح و مهتوك و قتيل و مكذوب من الأكثرية الساحقة بين المرسل إليهم، فأين - إذاً - وعد الله لهم بالنصر

في الحياه الدنيا؟ و من هنا يدخل الشيطان في النفوس و يتدسس ضعاف النفوس ،
ليحملهم إلى التشكك في صدق الوعد. أو التكذيب بصادق الوعد.

ولكن المناسبة بين الحكم والموضوع تقضى أن النصره هنا تدور حول موضوع
الرسالة والإيمان ، و هما أمران معنويان، والناس يقيسون بظواهر الأمور، و في فترة
قصيرة من الزمان و حيزه محدوده من المكان، ولكن فسيح الزمان و وسيع المكان بما
فيهما زمن دولة القائم المهدي من آل محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) يجعل
الإنتصار في المجموعه لـ ﴿﴾ رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴿﴾ في السلطه
الزمينه إلى السلطه الروحيه^١ مهما اختصت قبل ذلك الزمن بالأخيره.

ولو نظرنا إلى بعدى الرسالة والإيمان معها لرأيتنا هما تنتصران دون ريب، فأول ما
تطلبه منهم الرسالة و يطلبه صارم الإيمان أن يفنوا في سبيل تحقيقها حتى يُبرزوها
بصورة أسمى و أقوى، ولكي يعلم الناكرون أنها أئمن عند أصحابها من كل قيم الحياة،
فإنها كلها زهيدة ضئيلة أم قضية الرسالة والإيمان!

إبراهيم يلقي في النار ليلقى و يلغياها، ولكنه لا يرجع عنها إلّا في هزيمة قصيره
وانتصار كبير ﴿﴾ يا نار كونى برداً و سلاماً على إبراهيم فأرادوا به كيداً فجعلناهم
الأسفلين ﴿﴾ فحتى لو أنه أحرقت كما اكثره الكثره من حملة الرسالات قُتلوا في هذه
السبيل، فالمنتصر في سبيلها هو أصحابها، حيث لا يقتل إلّا الرسل دون الرسالات، و
هي تزدهر و تنمو بهذه التضحيات.

و سيد الشهداء الحسين بن علي صلوات الله عليهما يستشهد في تلك الصورة
المفجعه، اتراه منهزماً في هذه المعركة؟ في الحق إنه منتصر على يزيد الطاغية، فانه

^١ . نور الثقلين ٤: ٥٢٦ القمي باسناده عن جميل عن
ابى عبدالله (عليه السلام) قال قلت قول الله تبارك و
تعالى « انا لتنصر رسلنا ...» قال: ذلك والله في
الرجعة اما عملت ان انبياء كثيرة لم ينصروا في
الدنيا وقتلوا ائمة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا
وذلك في الرجعة اقول:يعني مجموع النصريين و هو
تفسير باكمل المصديق، والا فالنصر الروحي حاصل
لهم علي طول الزمن.

أبرز للأجيال مدى صمود الإيمان أم أنحس الطغاة حيث لا يرحم رضيعاً، وأصبحت معركة العاشور مدرسة عالية في القمة لمواصلة الفداء والتضحية في سبيل الله، فقد نُصر هو والمؤمنون معه في سبيل هذه الرسالة السامية.

هنالك النصر على اللذات والشهوات والرغبات في طريق تطبيق الرسالات، صموداً صارماً حتى التضحية بالنفس والنفيس، وتقديم كل غال و رخيص، ولكي تبقى العقيدة، و يبقى الحق و يزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

أذلك هو النصر أم أن يبيع إيمانه بالثمن الأرخص الأركس: الحياة الدنيا بزهرتها و زهوتها؟

و في كلمة قصيرة غير قصيرة إن نصر الله يُرى ❀ لرسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ❀ في غلب الحجة حيث تغلب الباطل ولا تغلب، والغلب في بيئات الحق و زهوق الباطل، الغلب الكامل في العاقبة فإن ❀ العاقبة للمتقين ❀ و هي الدولة الأخيرة زمن القائم المهدي (عج الله تعالى فرجه) حيث يرجع المرسلون والذين آمنوا إلى الإيمان.

ليس النصر للذين آمنوا في الحياة الدنيا إلّا إذا نصروا الله و هو محض الإيمان ❀ يا ايها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ❀ (٧:٤٧) و ❀ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ❀ (١٦٠:٣) ❀ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ❀ (٤٠:٢٢) ❀ و كان حقاً علينا نصر المؤمنين ❀ (٤٧:٣٠).

وأما الرسل فهم منصورون على أية حال مهما اختلفت صور النصر فإن سيرها واحد هو انتصار الرسالة روحياً، وقد تنتصر زمنياً، حتى يتم لها الانتصار في الدولة الاخيرة ❀ إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنتين إذ هما في الغار... ❀ (٤٠:٩) أنتصاراً لتداوم حياة الرسول. تكملة للرسالة في القدر الذي قدره الله، و كما نصره الله بفتح مكة نصراً عزيزاً ❀ إنا فتحنا لك فتح مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و يتم نعمة عليك و يهديك صراطاً مستقيماً و ينصرك الله نصراً عزيزاً ❀ (٣:٤٨).

ولقد نصر نوح بعد ردح بعيد من الزمن زمناً بعد نصره على طول خط الرسالة روحياً: ﴿ قال رب النصرني بما كذبون فأوحينا إليه أن أضغ الفلك.. ﴾ (٢٣:٢٧).
 وفي إبراهيم ﴿ قالوا حرقوه ونصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وادوا به كيداً فجعلناهم الأخرين. و نجيناها و لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ (٢١:٧١).

وفي موسى: ﴿ ولقد مننا على موسى و هرون. و نجيناها و قومها من الكرب العظيم . و نصرناهما فكانوا هم الغالبين. و آتيناها الكتاب المستبين. و هدينا هما الصراط المستقيم. و تركنا عليهما في الآخريين ﴾ (١١٩:٣٧).

و في عيسى بن مريم: ﴿ فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله و اشهد بأنا مسلمون. و مكروا و مكر الله و الله خير الماكريين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك و رافعك إلى و مطهرك من الذين كفروا و جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.. ﴾ (٣:٥٥) ﴿ و ما قتلوه و ما صلبوه ولكن شبه لهم و إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلاً اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً. بل رفعة الله إليه و كان الله عزيزاً حكيماً . و إن من أهل الكتاب إلاً ليؤمننَّ به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ (٤:١٥٩).

ثم و لمن قبلهم و بينهم و بعدهم من النبيين انتصارات توحدتها غلبة الحجة بنصوح لمحجة، زيادات في سلطات زمنية ما قل منها أو كثر وحتى يأتي صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهناك يتم الإنتصار و يعم البسيطة و كل العالمين.

هناك أنتصار لهم في الحياة الدنيا و من ثم ﴿ يوم يقوم ﴾ الشهداء ﴿ وهذا تعبير فريد في القرآن تسمى فيه القيامة بـ ﴿ يوم يقوم الشهداء ﴾ و ما هي الصلة الوطيدة بينه و بين نصر الرسل؟ إنه سمعة لجانب من القيامة و هو قيامة الشهداء ، حيث الشهداء ينصرون الرسل و الذين آمنوا في شهاداتهم في مربع الشهادة ، و هي أنتصار لهم فوق أنتصار.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (٥٢)

حيث الأَشهاد يشهدون عليهم دون أبقاءٍ فلا تنفعهم معذرتهم بل ❀ هذا يوم لا ينطقون. و لا يؤذن لهم فيعتذرون ❀ (٣٦:٧٧) و ترى إذا لا يؤذن لهم فيعتذرون، فكيف لا تنفعهم معذرتهم و هي تلمح أنهم يعتذرون؟.

لا يؤذن لهم نهى عن الاعتذار إذ لا ينفع: ❀ يا ايها الذين كفروا لا يعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ❀ (٧:٦٦) فعدم نفع الاعتذار على فرضة مهانة، و عدم الإذن فيه مهانة أخرى، خلاف جند الله إذ كان لهم انتصار فوق انتصار! ❀ ولهم اللعنة ❀ من الله والملائكة والنبیین والمؤمنين، وبالنتيجة ❀ ولهم سوء الدار ❀ بما قدمت أيديهم، لعنة بما يقوم الأَشهاد و سوء الدار بما تقبل شهاداتهم عليهم، قدر ما أساءوا في هذه الدار.

❀ وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَ ذِكْرًا لِلأُولَى الْأَلْبَابِ (٥٤) ❀

وهذه جماع الرسالة الموسوية على طولها حيث ختمت بانتصارها، نموذجاً من نماذج الانتصار الرسالي، بعد صبر و انتظار:

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ (٥٥)

يا حامل الرسالة الأخيرة و هي أثقل و أطول و أكمل من كافة الرسالات، عليك بالصبر الجميل الطويل ❀ إن وعد الله حق ❀ أن ينصرك الله نصراً عزيزاً ❀ في الحياة الدنيا و يوم يقوم الأَشهاد ❀ و عليك في هذه السبيل الشاق الطويل المليء بالأشلاء و الدماء أن تستغفر لذنبك ، لذنبك الرسالة التي، تعيشها بأخطارها ، والدوائر المتربصة بها حتى يغفرها و يسترها عما يمسها بسوء و كما غفر الله بما فتح مكة نصراً زميناً إلى روحى ، و من قبل منذ الرسالة من الناحية الروحية.

و إن تستغفر لذنبك: السيئات التي تعترضك قضية السلطة الزمنية ، و كذلك الروحية ، أن تدفعها عن ساحتك قبل أن تدنسها، بكل ما تملك من أمكانيات، و تفوض أمرك إلى الله فيما لا تسطع على دفعه حين تقوُّض ظهرك، فتصبح في مثلث الإستغفار عن ذنبك، في العصمة المطلقة الآلهية و قمتها، و لا رابع من ذنب مقترف و

عصبان حيث الساحة الرسالية بريئة عن كل عصيان، فضلاً عن رسول الرسل و سيدهم (صلى الله عليه وآله وسلم)!

❁ وسيح بحمد ربك ❶ لا تسبيحاً فقط ولا حمداً فحسب، وإنما تسبيح بالحمد، أن تصفه كما وصف به نفسه، و تنزهه عن صفات المخلوقين، وعن زيادة الذاتية منها على ذاته أو تركبها، فقولك ❁ عالم ❷ تعنى منه ❁ لا يجهل ❸ - ولا أن ❁ علمه كسائر الخلق ❹ فلا نحيط بعلمه شيئاً ولا ندرك منه كما هو شيئاً. وهذا تسبيح بحمده، و اما حمده دون تسبيح به فقد ينجرف الى اثبات صفات تشبه صفات المخلوقين اّماذا مما لا يليق بساحة رب العالمين.

❁ بالعشى و الإبكار ❶ و هل إنهما فريضة الفجر والعصر^١ حيث السورة مكية والفرض في ربح من العهد المكي كان لهما! حيث الصلاة بادئة بدء النبوة، والآية بسورته نازلة ربحاً بعد النبوة!

أم إن العشى والإبكار كليل نهار تعنى الوقت كله ، وقد ذكر طرفاه لأنهما أهم الأوقات للذكر و الذكرى في مجموع الليل و النهار، نيامة في العشى و إفاقة في الابكار، ففى افاقة الإبكار مثال للحياة بعد الموت، وفى نيامة العشى مثال للموت بعد الحياة، فهما وقتان لهما أهميتهما الذكرى؟

أم إنهما تعينان أوقات الصلاة كلها^٢ وقد ذكرنا بينها كأهم الصلوات والأوقات، والقصد إلى الصلوات المفروضات في مجموعة الليل والنهار؟

التسبيح بالعشى و الإبكار مكرور، فى آيات مدينة : ❁ سبح بالعشى و الإبكار ❶ (٤١:٣) ❁ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ❷ (٢٨:١٨) و كما فى أخرى - مثل هذه - مكية: ❁ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى (٥٢:٦)

^١ . الدر المنثور ٥: ٣٥٢ - اخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد عن قتادة فى الآية قال: صلاة الفجر والعصر.
^٢ . المصدر اخرج ابن المنذر عن الضحاك فى الآية قال: صل لربك بالعشى و الابكار قال: الصلوات المكتوبات.

انتنان بانتنتين، في ابكار مرتين و غداء مرتين والعشى في الأربع كلها، فلا نحتمل أنها
الفرضان حيث الخمس فرضت قبل المدينة بردح من الزمن.

ثم للإحتمالين الآخرين مجال، والخمس المفروضات تشترك فيهما، فأما أن
تعنيها الآية بخصوص، أم في عموم التسييح و هي أهمه!
❖ **إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ
مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)** ❖.

ليس جدال هؤلاء الحماقى إنتصاراً لهم على الرسالة الإلهية، فإنه ❖ بغير سلطان
أتاهم ❖ و هو يعم نفى أى منه، كالذى يجادل دون أى برهان، أم سلطان الباطل: ❖
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ❖ و كلاهما سيان فى أنهما ❖ بغير سلطان
أتاهم ❖ .

هؤلاء الطغاة لا يجادلون فى آيات الله بسلطان قاطع ولا ريبه أو شك هما فى
سبيل تحقيق الحق و إبطال الباطل، حيث الشك فى هذه السبيل شك مقدس، فليس
فى صدورهم واحدة من هذه العاذرة ❖ **إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ** ❖ متناسين أنفسهم و
متجاهلين أنهم مهازيل ضعاف، لا حول لهم ولا قوة إلا بالله ، لذلك فهم يتنفخون و
يتنفجون فى تشامخ و تعال و حتى على الله و آياته ❖ وما هم بباليغيه ❖ كبر فى
صدورهم خيل إليهم، يدفعون إلى بلوغ فى واقعهم أمام آيات الله ❖ وما هم ❖ على
أية حال، وفى أى حل و ترحال و بأية وسيلة و إدغال ❖ بباليغيه ❖ فإنهم داحضون
بكبرهم و بحجتهم أمام حجج الله، و متى رأيت فى تاريخ الرسالات أن يبلغ مناوئوها
بكبر فى صدورهم، يبلغوا دحضها إلا دحض أنفسهم وفضحها ❖ فاستعد بالله ❖ من
كيد هؤلاء و ميدهم حين يحاولون تضليل المستضعفين ❖ إنه هو السميع ❖ و مقالكم
و مقالهم ❖ البصير ❖ بأحوالكم و أحوالهم، فإنه ينصر حقه و يهدر باطلهم.

❖ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ (٥٧)** ❖

^١ . راجع تفسير الآيات الثلاث الاخرى فى محالها .

❖ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها؟ بل هي أكبر وأشد من خلقهم مهما كان الإنسان أحسن تقويماً! وليس الأكبر والأشد في الخلق في ميزان الله، فكل خلق له هين، إنما هو في ميزاننا، ولما يقبس الإنسان نفسه إلى السماوات والأرض وهما مجموعة الكون، يطامن من كبريائه متصاعراً متضائلاً، إلا أن يذكر خلقه ❖ في أحسن تقويم ❖ وليس إلا في استعداده القمة للإيمان القمة حيث الكافر ❖ في أسفل سافلين ❖! ولكن أكثر الناس لا يعلمون ❖ وهم الأكثرية الكافرة بالله، المكذبة بآيات الله، فلا أنهم ❖ لا يعلمون ❖ متجاهلين متغافلين ف ❖ إن في صدورهم إلا كبر ❖ ولكن ❖ ما هم ببالغيه ❖.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

الأعمى والبصير مثل للجاهل والعالم، والآخرا للمؤمن الصالح وسواه، ولماذا ❖ ولا المسيء ❖ بدلاً عن ❖ والذين آمنوا ❖ علةً يعنى نفى المساواة بين أفراد ❖ المسيء ❖ بعد نفيها بينه وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات بحذف الآ فيهم عطفاً على ❖ وما يستوى الأعمى .. ❖ فقربنة العطف ونفى الإستواء بين المسيء تكفيان دلالة على حذف الآ عن الذين آمنوا.

فهناك سلوب ثلاثة في الإستواء ثالثها بين أفراد المسيء المنقسم إلى المسيء إيماناً وعملاً فأسوأهم، والمسيء إيماناً لا عملاً حيث يمكن فسئتهم، والمسيء عملاً لا إيماناً فأقل سوء، هم لا يستوون عند الله، كما لا يستوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع مثل المسيء، وتشبهها ❖ لا تستوى الحسنه ولا السيئة ❖ وقد مضت، والآ استواء في مطلق الحسنه يعنى حسنة الإيمان والعمل الصالح مفرداً وجمعاً، وهنا جمع بينهما، فالإستواء حاصل بينهم لحد ما مهما اختلفت درجاتهم ❖ قليلاً ما تتذكرون ❖.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)

وهذه الأكثرية بين من يعلم ثم يجحد ولا يؤمن ❖ وجحدوا بها واستبقنتها أنفسهم ❖ ومن لا يعلم متجاهلاً حتى يجهل رغم توفر البراهين يعلمون، لذلك يؤتى

به دون ❁ لا يعلمون ❁ إضافة إلى أن توفّر البراهين عليه لا تفسح مجالاً ك❁ لا يعلمون ❁ إلاّ تجاهلاً مهما بلغ حد الجهل، فإنه جهلٌ من يعلم! ❁ ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ❁ (٢٦:٤٥) الجهل ولاسيما المركب منه - مصدر البليات كلها، فالجاهل يسيء إلى نفسه و إلى ذويه، و يحسب أنه يحسن صنعاً فهو من الأخسرين أعمالاً.

٢١

انما هي زجرة واحدة

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)

هنا أمران عجيبان هما عجاف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أصرار حماقى الطغيان على نكران المعاد وأدلتُه واضحة وضح النهار، إذ هم معترفون بأشد من المعاد وهو الخلق الأول للمعاد، وخلق السماوات والأرض.

ثم عجابهم من أصرار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعجابه حين ينكرون، لحدّ ❀ و يسخرون ❀ من ملحمة المعاد الحساب، ولأنهم غافلون فلا يتذكرون ما هو أشد وأصعب من المعاد ولكن:

❀ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) ❀

كلّما توالّت عليهم ذكريات المعاد لإمكانية بأحرى من الخلق الاول، ولوجوبه قضية العدل والحكمة الإلهية: ❀ لا يذكرُونَ ❀ - ❀ صم بكم عمى فهم لا يرجعون ❀ عن غيهم على عيهم في الإجابة عن أسئلة الوحي حيث تبكتهم و تسكتهم!

❀ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) ❀

فآيات الله البارعات التي هي مواد الذكرى والإيمان بالله، تنقلب عند هؤلاء - المقلوبة قلوبة قلوبهم والمعقولة عقولهم - مواداً للسخرية، يطلبونها و سائل الهزء بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و دعوته ماءً يزيدهم عطشا ودواءً و تزيدهم داءً: ❀ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً و لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ❀ :

❀ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) ❀

فهل ❀ هذا ❀ نبأ الرسول العظيم أنكم ستحضرون؟ وليس النبأ أيّا كان سحراً مهما كان كذباً! أم ❀ هذا ❀ برهانه القاطع و تبيانه اللامع الذي لا قبل له ولا جواب عنه، فهو يقنع العقول في كافة الحقول؟ ❀ أفسح هذه أم أنتم لا تبصرون ❀

(١٥:٥٢) أفكلما يلائم أهواءكم و ما تشتتهون، إنه سحرٌ مهما برهنت له براهين حسية و عقيلة و فطرية ❁ و ماذا بعد الحق إلّا الضلال المبين ❁!

الرسول يدعى أمراً ببرهان، و يدعوكم لتصدقوه دون مجازفة، ثم أنتم تنكرونه و تكذبون دونما برهان، إلّا دعوى جازفة جارفة ❁ إن هذا إلّا سحر مبين ❁ فما دألكم؟ و ما دوائكم؟! ❁ أفسحر هذا❁ لقليلكم:

❁ أ إِذَا مِنَّا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) ❁

وقد خلقكم أوّل مرة ولم تكونوا شيئاً مذكوراً! وقد خلق السماوات والارض و هو اشد من خلقكم اعيانكم و امثالكم!

❁ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) ❁

وهم أبعد عهداً في موتهم، فترايبهم و عظامهم؟ و هم أعظم منا فأبعد أن يتقبلوا إعادة في المعاد؟ و هم و آباؤهم سواء أمام القدرة الحكيمة! ولقد كان تأصيل الآباء القدامى - في أى أصل - من الخرافات الجارفة عند الجاهليين، فإذا تسهلوا في أمرهم انفسهم استصعبوا ذلك الامر كانوا أبناء آباء لهم قبلهم و حتى ينتهى إلى آدم ❁ خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ❁ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ❁ والجواب الصارم عن كل هذه الاستبعادات:

❁ قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) ❁

❁ نعم ❁ ليس أجابة عن سؤال أستعجاب مجرداً عن دليل، حيث البراهين تحتف بهم من بين أيديهم و من خلفهم و هم بكم عن جوابهم أنفسهم ❁ نعم ❁ و هنا إضافة ❁ و أنتم ❁ الأبناء الآخرين والآباء الأولين ❁ داخرون ❁: إذلاء صاغرون، أمام القدرة الحكيمة: ❁ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيد خلون جهنم داخرين ❁ .
وليس يطلون بين ❁ نعم ❁ في أجابة لفظية، و بين ❁ نعم ❁ في أجابة واقعية فإذا هم أمام مشهد من مطوّلة المشاهد و مهوّلتها، يلتقى فيها الوصف بالحوار ولات حين فرار:

❁ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) ❁

في غمزة عاطفة، و ومضة خاطفة - فقط - قدرما تطلبه زجرة واحدة:

﴿فانما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾ (١٣:٧٩) ﴿فإذا هم ينظرون﴾ ما كانوا ينكرون، ينظرون أنفسهم مبعوثين، و ينظرون حق الوعد يوم الدين بعدما كانوا يوم الدنيا عنه عمين! ﴿ثم نفخ في أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾. الخلق الأول لبني الإنسان كان يتطلب تدرجاً في تنقلات بزجات واقعية: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ (٩٠:٤) و في المعاد زجرة واحدة: طردة بصوت قارح هو الصيحة والنفخة الثانية في الصور، و نقره في الناكور ﴿فإذا هم ينظرون﴾ و كما في خلق آدم الأول ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ (٢١:١٠٤) ﴿و ما أمر الساعة إلاّ لكبح البصر أو هو اقرب ان الله على كل شيء قدير﴾ (١٦:٧٧) ا ترى كما النفخة هي للناكرين يوم الدين زجرة، كذلك هي للمصدقين زجرة؟ و هي بداية العذاب! كلا، فانها لمن ﴿قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين﴾ كأولى ويلة لهم! دون سواهم. ثم ﴿هي﴾ في ﴿إنما هي﴾ تعنى الصيحة والنقره والنفخة، فهي للناكرين زجرة وللمصدقين نفحة، مهما ليس هي في ذاتها إلهية، فلكل شاكلته يوم الرجعة ﴿فإذا هم ينظرون﴾... بالساهرة! ﴿و قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين﴾ (٢٠)

نقلة قاصدة من برهان الواقعة - لما لم يك ينفع - إلى واقعة البرهان، تستعرض معرض الويل والعويل من حصيلة الزجرة الواحدة عليهم ينتبهون، و عن غيهم يرجعون!

﴿يا ويلنا﴾ كيف كذبنا يوم الدين رغم براهينه القطعة! ﴿يا ويلنا﴾ مما وقعنا فيه نتيجة تكذينا ف ﴿هذا يوم الدين﴾: الطاعة، حيث تبرز في جزاء وفاق: ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾. و بينا هم في قولتهم الويلة، إذا لهم أخرى تفرعهم من حيث لا يحتسبون، كما لم يحتسبوا حسباً ليوم الدين:

﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ (٢١)

خطاب العتاب لأهل العذاب و التباب من رب الأرباب، أمن يؤمرون بهذه القولة العاتبة، وليس من كلامهم، إذ ﴿كنتم﴾ خطاب، فمن هو المخاطب منهم الخارج عن

❖ تكذبون ﴿١﴾ ؟ وقضيته - إذا - ❖ كنا به نكذب ﴿٢﴾ تلاوماً بينهم أنفسهم، ثم ❖ احشروا .. ﴿٣﴾ تلوّه دليل ثان أنه خطاب الله.

❖ هذا يوم الفضل ﴿٤﴾ بين المكذبين والمصدقين: ❖ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴿٥﴾ (٤:٩٠) و ❖ يوم الفصل ﴿٦﴾ بين كل حق وباطل مزيجان يوم الدنيا، و كذلك كل فصل يتطلبه ❖ يوم الدين ﴿٧﴾ فضلاً بالعدل و الفضل و من ثم خطاب للزبانية تحقيقاً لجزاءهم الوفاق مع كل الرفاق:

❖ اخشروا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) ﴿٢٣﴾

و ترى هؤلاء ❖ الذين ظلموا ﴿١﴾ يُحشرون إلى صراط الجحيم ، فما ذنب أزواجهم بعولة أم زوجات؟ فإن كانوا من الذين ظلموا شملتهم ❖ اللذين ظلموا ﴿٢﴾ و إن كانوا من الذين عدلوا فقد سبقت لهم الحسنى، ف ❖ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴿٣﴾ (١٠١:٢١) بعولة أم زوجات أو سواهم؟.

❖ الذين ظلموا ﴿٤﴾ هنا هم أصول الظلم و الضلال، ف ❖ ظلموا ﴿٥﴾ تضرب إلى عمق الماضي و تجعل حياة أصحابها ظلماً ، فهم الذين عاشوا ظالمين بحق الحق و بحق أنفسهم و عباد الله، ف ❖ أزواجهم ﴿٦﴾ هم أشباههم^١ و قرنائهم الذين عاشوا على هامش هؤلاء الضالين يتبعونهم فيه هم ، بعولة أم زوجات أم أية أقارب أو أغارب، و لذلك يتباغضون في حوار: ❖ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿٧﴾ فالأولون هم فروع الضلالة والأخرون المسؤولون هم الأصلاء.

وهل ان ❖ ما كانوا يعبدون ﴿٨﴾ تشمل كل المعبودين من دون الله ملائكة و نبيين إلى جنب طواغيت و أوثان؟ كلاً! حيث المعبودون الثلاث لا يستحق كلهم الجحيم، فإذا الطواغيت يعذبون لطغيانهم و تألُّهم لأنفسهم، ثم الأوثان والأصنام تُحشر مع عابديها الجحيم تعذيباً ثانياً للعابدين، فما بال المسيح (عليه السلام) و ملائكة معبودين

^١ نور الثقلين ٤: ٤٠١ ح ١١ - القمى قال قال : اشباههم .

يعذبون و هم براء: ❀ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس أتخذوني و أمى إلهين من دون الله قال إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلّا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم..❀ (١١٧:٥) و ❀ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيبها و ❀ هم فىا اشتتت أنفسهم خالدون❀ (١٠١:٢١).

لذلك تأتى هنا ❀ ما❀ دالة على غير ذوى العقول من أصنام، أم و طواغيت برذفها فى أنهم لا يعقلون، و كما أتت فى غيرها ❀ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون❀ (٩٨:٢١) ❀ يوم يحشرهم و ما يعبدون من دون الله❀ (١٧:٢٥)

وحتى إذا أتت فيما أتت ❀ من❀ اختصت بغير ❀ الذين سبقت لهم منا الحسنى❀ و لأنهم صالحون.

أحشروهم: جمعاً بينهم بحيث يتراءون بعضهم البعض ❀ فاهدوهم إلى صراط الجحيم❀ فإذ لم يهتدوا يوم الدنيا إلى صراط مستقيم، فليهدوا يوم الدين إلى صراط الجحيم و الصراط هو السبيل المستقيم الذى يبتعل سألکه دونما انحراف ، فأهل الحق إلى صراط الجنة المستقيم، و أهل الباطل إلى صراط الجحيم، كل إلى ما خطط لنفسه من هدأ و صراط وما ريك بظلام للعبيد.

وبا لها من لهجة جازمة فى تهكّم عارم، وها هم أولاء قدهدوا إلى صراط الجحيم ولماً يصلوها، إذ يبادرهم أمر الإيقاف.

❀ وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ❀ (٢٤)

إنه ليس سؤال استعلام عن مجرمين و سواهم ❀ فيؤمئذ لا يُسئل عن ذنبه إنس ولا جان.. يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام❀ (٤١:٥٥) ❀ ولا يُسأل عن دنوبهم المجرمون❀ (٧٨:٢٨) و إنما هو سؤال تنديد و تكييت عن المجرمين، ثم لا سؤال عن سواهم إلّا بياناً لموقفهم أمام أهل الحشر أجمين تبجيلاً لهم أو تخجيلاً:

❖ ولنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين. ولتقصدن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴿٧:٧﴾ ❖ ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً ﴿٨:٣٣﴾

وقد يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه فإنني مسؤول وإنكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ الرسالة وأما انتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي^١ و (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^٢.

وليس المسؤولية بالنسبة للمكلفين فحسب بل ❖ اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ﴿٣﴾ ف ❖ ما من داع إلى شيء إلا كان موقوفاً، يوم القيامة لازماً به لا يفارقه وان دعا رجل رجلاً^٤.

فلآية الوقوف مرفق خاص بين آيها تختص فيه بالجرمين، وموقف ثان يعم الخلق أجمعين، وفي ذلك الموقف يعمهم السؤال عن الولاية: ولاية الله والرسول

^١. نور الثقلين ٤: ٤٠٢ ح ٢٢ عن اصول الكافي باسناده عن جابر عن ابي جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): ..

^٢. حديث مشهور عنه في كتب عدة وفي المصدر ح ١٥ في اعتقادات الامامية لصدوق قال زرارة للصادق (عليه السلام) ما تقول يا سيدي في القضاء والقدر؟ قال: ان الله تبارك وتعالى اذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد اليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم وفي ١٦ عن العيون في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الاخيار. المتفرقه حديث طويل وفي آخره ثم قال- وقد ذكر علياً (عليه السلام)- حاكياً عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): وعزة وربي ان جميع امتي لموقوفون يوم القيامة ومسؤولون عن ولاية، وذلك قول الله عز وجل «وقفوهم انهم مسؤولون». ^٣. المصدر عن نهج البلاغه عن الامام علي (عليه السلام): ..

^٤. الدر المنثور ٥: ٢٧٣- اخرج البخارى في تاريخه و الترمذى والدارمى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه عن انس قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): ؟.

ولأئمة ، ولإن الأخيرة مختلف فيها بين الأمة، ترى تظافر الروايات أنهم، مسؤولون عن ولاية علي بن ابي الطالب (عليه السلام).

❖ ما لكم لا تناصرون (٢٥) ❖

وقد كنتم تزعمون شركاءكم لكم أنصاراً، فأين نصرتهم لكم وأنتم معهم محضرون؟ أم نصرتمكم له موعد كنتم لهم ❖ جند محضرون ❖؟ أم نصره كل من الظالمين لأنفسهم، وأزواجهم لأنفسهم؟ أم نصره الظالمين لأزواجهم أمأ هي من نصره ؟

بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)

١ . وقد أخرجه فيمن أخرج الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي النصر العياشي في تفسيره باسناده عن مندل الغزي يرفعه إلي النبي (صل الله عليه و آله و سلم) في قوله « وقفوهم انهم مسؤولون » قال: عن ولاية علي (عليه السلام) و رواه مثله عن أبي سعيد الخدري و منهم الحموي في فرائد السمطين بسنده عن أبي سعيد الخدري و أخرجه مثله عنه الزرندي في نظم درر المسطين ص ١٠٩ و مثله عنه البدخشي في مفاتيح النجا ٤١ مخطوط والموفق بن احمد في المناقب ١٨٦ عن أبي اسحاق والعلامة العيني في مناقب علي ٥٧ عن أبي سعيد عنه (صل الله عليه و آله و سلم) والحافظ الحسين الجري في تنزيل الآيات ٢٦ عن ابن عباس: عنه (صل الله عليه و آله و سلم) والسيد علي بن شهاب الدين همداني الحسيني في مودة القربي ٩٢ والعلامة القندزي في ينابيع المودة ٢٥٧ عن أبي سعيد عنه (صل الله عليه و آله و سلم) والعلامة الأمرتسيري في ارجح المطالب ٥٦٥ و ٥٤٩ نقلاً عن تفسير الواحدي عنه (صل الله عليه و آله و سلم) والسيد ابوبكر الحضرمي في رشفة الصادق ٢٤ عن الواحدي عن (صل الله عليه و آله و سلم) اي عن ولاية اهل البيت ، وقال الحافظ جمال الدين الزرندي عقيب حديث الولاية قال الامام الواحدي: هذه الولاية التي اثبتها النبي (صل الله عليه و آله و سلم) و هي مسؤول عنها كما في قوله تعالى: « وقفوهم انهم مسؤولون » (ملحقات احقاق الحق ج ١٤ ص ١٨٢ - ١٨٥ و في كفاية اخصام ص ٣٥٩ في كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي باسناد عن أبي سعيد عنه (صل الله عليه و آله و سلم) مثله وقد اخرج فيه روايات ثمان من طرق اخواننا السنة .

ليس لهم آية قوله أو فعلة إلا أن يؤذن لهم، وليس لهم إلا استسلامهم عابدين و معبودين لحكم أحكم الحاكمين، وقد يؤذن لهم في حوار لا تأتي لكل إلا البوار وناراً على نار:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧)

البعض الأزواج يساءل البعض الذين ظلموا لماذا أغويتمونا خادعين، ﴿وإن ذلك حقّ تخاصم أهل النار﴾ (٣٨:٤٤)

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ (٢٨)

وهكذا يحملون أزوارهم على الذين حملوهم على الضلالة كأنهم براء عما كانوا يفعلون، فيجيئهم الذين ظلموا:

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩)

حوار ما أطفه بين أهل النار تأتي لهم بكل بوار: ﴿ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين. قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم قوماً مجرومين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله و نجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ (٣٤:٣٣).

و خلاصة دعوى أزواجهم المستضعفين أننا كنا مؤمنين فصددتمونا عن الهدى إذ ﴿كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ في ﴿مكر الليل والنهار﴾ واليمين في المكر هو الإتيان من واجهة الحق و صورته بسيرة الباطل و سريرته أن تجعل آيات الله و بيناته ذرايع لنكرانها من حيث لا يعلمون: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمنهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (٧:١٧).

و خلاصة الرد من المستكبرين الذين ظلموا ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم قوماً مجرمين﴾ - ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين﴾ فالإيمان على بصيرة و يقين لا يزعه مكر الليل والنهار والإتيان عن اليمين، فإن حجة الإيمان بالغه و حجة الكفر داحضة، وأين بالغه

من داحضة؟ وإن كانتا في سراع دائب، فإن سعى الكفر - أياً كان - خائب (فالمؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف)!

و كيف يزول إيمان بقوة و سلطان بل ❁ و ما كان لنا عليكم من سلطان ❁! والسلطانُ الحجةُ منفي عن أهل الباطل، والسلطان القدرة ليس ليغير الإيمان ❁ إلا أن تتفوا منهم تقاء ❁ في البعض من أعمال الإيمان.

هنالك ثلاث ❁ بل لم تكونوا مؤمنين - بل كنتم قوماً مجرمين - بل كنتم قوماً طاغين ❁ تفسح المجال لكل مضلل، فإن مادة الضلال كائنة، والمضلل بيرزها و ميدها، وليس له من سلطان مع وجود الإيمان ولا معه.

فالمستضعف المقصر في ضلاله بمضللين ليس إلا ردفاً لمستكبرين ضالين، وإن كان التقصير دركات، فعلى كل دركه قدر ما قصر، ثم المستضعفين القاصر لا يُردفون بمستكبرين ❁ ان الذين توفاهم الملائكة ظالماً أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيله ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم و كان الله عفواً غفوراً ❁ (٩٩:٤)

فالمستضعفون المقصرون هم من الظالمين، و من أولياء الشياطين، يفتنهم الشيطان عن الإيمان وما هم بمؤمنين: ف_ ❁ إنما بدء وقوع الفتن أهواء تُتبع وأحكام تُبتدع يُخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالاً فلو أن الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغت ومن هذا ضغت فميزجان فيجيتان معاً فهناك استحوذ الشيطان على أولياء و نجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى ❁^١.

^١ . الامام امير المؤمنين (عليه السلام) ينقله عنه في اصول الكافي، وفي النهج باختلاف يسير في بعض الفاظه.

نتعرف من هنا هناك مدى فرض التحقيق في الإيمان ، حتى يتحقق لحد لا يفتتن صاحبه بأية فتنة ، فإن وصل إلى قمة فهو الهمة ، وإن لم يصل - و كثير ما هم غير اصلين - فعلى صاحبة أن يأخذ حذرة سلباً في القرار عن المضللين ولحد الهجره ❁ ألم تكن أرض الله فتهاجروا فيها ❁ وأيجاباً أن يكون دائب التفتيش عما يحقق إيمانه و يبعده عن الفتن ، إلاً المستضعفين في كلا السلب و الإيجاب ❁ لا يستطيعون حيلة ❁ لتقوية الإيمان و مقاومة الفتن ❁ ولا يهتدون سبيلاً ❁ للفرار عن حكم المستكبرين، استضعافاً في بُعديه يجعلهم قاصرين دون تقصير ، اللهم إلاً الذين يُعفى عنه لانه تقصير قصير!

❁ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) ❁

مادة الضلال كانت فيكم موجودة ، ومادة الإضلال لمن آمن حقاً فينا غير موجودة، و إنما ضعف فيكم يفسح مجال الإضلال لا سيما ❁ بل كنتم قوماً طاغين ❁ في حد أنفسكم، فنحن زدناكم في طغيانكم، حيث تعاضدنا في الطغيان.

المستكبرون يتزايدون في حوارهم رداً على المستضعفين في ثالوث: ❁ بل لم تكونوا مؤمنين ❁ جواباً عن ❁ كنتم تأتوننا عن اليمين ❁ في وجه أول هو الدين، ثم ❁ و ما كان لنا عليكم من سلطان ❁ في وجه ثان من يمين و هو القوة والسطان، و من ثم ❁ بل كنتم قوماً طاغين ❁ فحتى إذا لم نأتكم عن اليمين فسلب الإيمان و إيجاب الطغيان كان يكفيكم ضلالاً!:

❁ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاً أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم ولا أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ❁ (٢٢:١٤)

إذا فكل من المضلل والمضلل ظالم مهما اختلفت دركات الظلم:

❁ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) ❁

لقد حَقَّتْ علينا حقاً كلمة العذاب بما ظلمنا او ظَلَمْتُمْ بما اجرتهم، فالظالم والمظلوم هكذا كلاهما في النار، حيث المظلوم المقصر في دفع الظلم عن نفسه أو فُضِحَ الظالم، ظالم بحق نفسه و بحق الآخرين ، و من ﴿قَوْلِ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ : ﴿إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا. لِلطَّٰغِيْنَ مَا بَآءَ﴾ (٢٢:٧٨) ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٣٧:٧٩)

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ (٣٢)

أغويناكم كما غوينا، فإن كلاً يجر النار إلى قرصته: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غْوَيْنَا..﴾ (٦٣:٢٨).

يقولون قولتهم هذه كأنهم يعتذرون ولكنهم لا يُعذرون كما المضللون المقصرون، وقد تكون عذراً لهم في حوار المستضعفين، أن ليس الإضلال كله منا، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِيْنَ مَجْرِمِينَ﴾ بل لم تكونوا مؤمنين ﴿وَإِنْ كُنَّا نَحْنُ مُشَارِكِينَ لَكُمْ فِي الظلم و الطغيان:

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣)

في أصل العذاب، إنهم كانوا ظالمين، ولكن دركاته ليس إلّا حسب دركات الظلم، فالظلم بحق نفسه له عذاب واحد، والمضلل الظالم بحق غيره له ضعف العذاب قدر ما ضلّ، و كما العادل له ثواب مدى عدله إهداءً و و إهداءً : (من سن سنة حسنة كان له مثل أجر من عمل بها إلى يوم القيامة ولا ينقص أولئك من أجورهم و من سن سنة سيئة كان عليه وزر من عمل بها إلى يوم القيامة ولا ينقص من أوزارهم) ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢٥:١٤) ﴿وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ إِثْقَالَهُمْ وَ لِيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٢:٢٩).

اترى إذ كان ضعف العذاب لمضللين وضعفه لمضللين فماذا تعنى ﴿وقالوا ربنا هؤلاء أضلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ (٣٨:٧)؟ هنا الفريقان من المستكبرين المضللين، مهما كان الآخرون ضلوا بسبب الأولين فلكل ضعف، مهما اختلف ضعف عن ضعف حسب اختلاف البادى فى الإضلال و

الماشى سبيل الضلال و الإضلال: ❁ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. فمن أظلم ممن أفتري على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا و شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين. قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمم لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أخرجهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا..❁(٣٨:٣٦:٧).

ثم هناك ضعف آخر أشد من ذلك و هو الإنظام فى الإضلال ثم ظلم فى الضلال، و من ثم عذاب واحد لمن ضل دون إضلال، فلا هو أضل من سواه، و لا هو ضل بمن سواه، فله عذاب واحد.

فمن دون الآخرين هم فى العذاب الضعف المشتركون مهما اختلف ضعف عن ضعف ثم الثلاث فى أصل العذاب مشتركون.

❁ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ(٣٤)❁

أصيلين و فرعيين، دون أن نعذر الآخرين لأنهم مستضعفون، فإنهم كالأولين ظالمون، و كلُّ يلقى أمه كما ظلم قدره، و لا يُظلمون فتيلاً.

والمجرمون فى إصطلاح القرآن هم الكافر الناكرون التوحيد المبدء و المعاد حيث أجمروا الحياة و قطعوها عن أصلها و أتأقلوا ألى الحياة الدنيا و زينتها:

❁ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٥)❁

إستكباراً عن توحيد الله و تخاذلاً فى الإشراك بالله مستهينين برسول الله، و يكأن شركائهم أعظم من الله و أكرام:

❁ وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ(٣٦)❁

يعتبرون الدعوة إلى التوحيد شعراً و جنّة، فالدعوة إلى الشرك شروبل عقلية، تسمية للشىء باسم ضده، و تحويلاً لحق الله إلى نده.

❁ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ(٣٧)❁

لا هو شاعر ولا مجنون فيما يحمل من دعوة الرسالة، فإنها حق بما تملك من بينات، و بما صدق المرسلين فيما أرسلوا به ، فهل الرسل كلهم شعراء و مجانين رغم كافة البراهين، ثم أنتم بشر كائكم عقلاء ❀ فأين تذهبون. إن هو ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم ❀ لينذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين ❀.

فما دواء كم بعد ذلك الداء العضال إلّا:

❀ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) ❀
ليس عذابكم الأليم إلّا جزاء لكم ، وليس الجزاء إلّا أعمالكم، فإنها تبرز يوم تبلى السرائر بحقائقها الشريفة.

ف- ❀ ما كنتم تعملون ❀ هي جزاؤكم بكمها و كيفها، فهي داؤكم معكم لزاماً إلى يوم الدين، تبرز جزاءً وديناً.

❀ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (٤٠) ❀

أترى ❀ إلّا ❀ استثناء؟ فعماً هي تُستثنى؟ عن ❀ ذائقو العذاب الأليم ❀ و هم أولاء المجرمون! دون شمول لفسقة المؤمنين فضلاً عن المخلصين؟
ولو توسعنا في ❀ إنكم ❀ تعنى كل المكلفين، فحق الإستثناء ❀ إلّا المؤمنين ❀ دون ❀ المخلصين ❀ حيث يظل المخلصون و من إليهم من المؤمنين من ذائقى العذاب الأليم!

أم هي إستثناء من ❀ ما كنتم تعملون ❀ فى وجهها الشامل لكل المكلفين، إن الجزاء العدل الوفاق للمجرمين ليس إلّا ❀ ما كنتم تعملون ❀ و أما المخلصون فلهم اجرهم الوفاق و زيادة ، فضلاً إلى عدل؟ و ❀ للذين أحسنوا الحسنى و زيادة ❀ مخلصين كانوا ام مخلصين أم أياماً من المحسنين!

أم هي استثناء متصل عن ❀ وقفوهم إنهم مسؤولون ❀ فى وجهها الشامل ، و منقطع عن ❀ ذائقو العذاب الأليم ❀ و متصل عن ❀ ما كنتم تعملون ❀ حيث المخلصون و هم أصحاب اليمين والسابقون المقربون لا سؤال عنهم إلا تجليلاً و تجليلاً ، وليسوا رهناً أعمالهم و ما كسبوا: ❀ كل نفس بما كسبت رهينة. إلّا اصحاب اليمين ❀ (٣٩:٧٤)

❖ أَوْلَيْكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) ❖

آية منقطة النظير في سائر القرآن تحمل ميزات المخلصين بـ ❖ رزق معلوم ❖ فما هي الميزة في ❖ رزق معلوم؟ ❖
 إنه رزقهم عند ربهم في بُعديه مادياً و معنوياً ، و من الثاني أنهم لا يُسألون: ❖
 ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ❖ وغيرهم ككلّ - من المحضرين المسئولين،
 مجرمين و مؤمنين مخلصين ❖ إلّا عباد الله المخلصين ❖.
 ومنه ❖ أفما نحن بميتبين ٥٨ إلّا مؤتتنا الأولى ٥٩ ❖ ولمن سواهم موتة ثانية هي
 عن الحياة البرزخية إلى الحياة الآخرة:

❖ وُفُخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ
 اللَّهُ ❖ فَاَلْمَخْلُوصُ هُمْ ❖ مِنْ شَاءَ اللَّهُ ❖ أَلَّا يُصْعَقُوا بَعْدَ صَعَقَتِهِمُ الْأُولَى وَ هِيَ مَوْتُهُمُ
 الْأُولَى.

و منه أنهم ليسوا رهناء أعمالهم ❖ كل نفس بما كسب رهينة . إلّا أصحاب
 اليمين ❖ فليس جزاءهم كالمجرمين قدر أعمالهم، ولا كسائر المحسنين، إنهم يُسألون
 فيتابون قدر أحسانهم وزيادة قدرهم، فإنهم لا يحاسبون ولهم أجرهم من غير حساب
 ولا حدود، لأنهم كانوا مخلصين في عبودية الله دون حساب ولا حدود.
 فذلك الرزق المعلوم ، نعلم طرفاً منه كما هنا في سائر القرآن ، و نجهل طرفاً
 آخر، فهو لنا معلوم لحدّ، ولله معلوم دون حدّ ، ولعمّاله يوم القيامة معلوم كما يحدّ.
 وهنا حسب السنة القرآنية يبتدىء بطرف من الرزق المحسوس، ترغيباً لأحاسيس
 المؤمنين، و من ثم طرف كما تطرّفناه من الرزق غير المحسوس و أخيراً ❖ لمثل هذا
 فليعمل العاملون ❖:

❖ فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) ❖

فواكه غيرهم ❖ كثيرة و منها تاكلون ❖ (١٩:٢٣) ❖ فواكه مما بشتهون ❖
 (٤٢:٧٧) ❖ إنها قد لا تمازجها أكراميات سواها، أم لهم منها قدرهم كجزائهم بفضلهم
 المقرر لهم ، فلهم مطلق الأكرام، ولكن أولئك لهم الأكرام المطلق دون جدّ وهم
 يأكلون فواكههم مكرمين و متفكهين.

❁ في جنات النعيم (٤٣) ❁

آى الجنات النعيم فى سائر القرآن سبع^١، اثنتان منها، و هذه منهما - تختصان بالمخلصين والسابقين المقربين: ❁ والسابقون السابقون. أولئك المقربون. فى جنات النعيم ❁ (١٢:٥٦) والخمسة الباقية تعم المتقين، ولكن اين نعيم من نعيم؟ فنعيم المخلصين المقربين هو أصل النعيم المطلق: ❁ صراط الذين أنعمت عليهم ❁ ونعيم الباقين مطلق النعيم الفرع، و كما هم ❁ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين و حسن أولئك رفيقاً ❁ (٤:٦٩)

❁ على سرر متقابلين (٤٤) ❁

تقابلهم على سررهم فى أصله يختص بهم، فهو يعمهم وسائر أهل الجنة، وإنما يمتاز المخلصون ألا يقابلهم إلا من هو منهم لا دونهم، فالمكلفون هناك أشتات حسب شتات الدرجات أو الدركات ولا يظلمون تقيراً، فالمقابلة على السرر فى جنات النعيم الأصيلة تختص بأهلها، مهما كانت لمن دونهم معهم لقاءات وزيارات. وحين نجد فى هذه المواصفات ما تعمهم وكل أصحاب الجنة، تعمهم فى درجاتهم، أو أن هذه المجموعة من مميزاتهم مهما عمتهم مفردات بسواهم.

❁ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بِيَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) ❁

تذكر خمر الجنة فى آيات عدة لسائر أهل الجنة، بمواصفات له فصلناها فى طياتها، ولكنها هنا لا تذكر للمخلصين بلفظ الخمر، إكراماً لهم زائداً على من سواهم من أصحاب الجنة، و تختص لهم بـ ❁ بِيَضَاءٍ ❁ إبعاداً للونها كإسمها و سماتها عن خمر الدنيا، ثم ❁ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ❁ وفى تنكير ❁ لَذَّةٍ ❁ إعظام لها لحد لا يحد ولا يوصف ❁ أنهار من خمر لذة للشاربين ❁ (٤٧:١٥)

^١ هذه و $\frac{5}{65}$ ، $\frac{10}{9}$ ، $\frac{22}{56}$ ، $\frac{31}{8}$ ، $\frac{52}{17}$ ، $\frac{56}{12}$

❖ لا فيها غَوْلٌ ﴿٢٠﴾ هي ثانية البيضاء في ميّزات معين المخلصين ❖ ولا هم عنها ينزفون ﴿٢١﴾ تعمّمهم و سواهم: ❖ لا يُصدّعون عنها و لا ينزفون ﴿١٩:٥٦﴾ فالنزف هي النزف ، و علّ الغَوْل - كذلك - هي التصدّع، بفارق أن الغول هو إهلاك الشيء من حيث لا يُحسُّ به ، والتصدع اشقاق الرأس وصداعه من الوجع.

إنه ❖ كأس من معين ﴿٢٢﴾: جار- نهراً وسواه ، ما يزيد في طراوة ❖ بيضاء ﴿٢٣﴾ كأحسن لون وأنظره للناظرين، ففيها ❖ لذة للشاربين ﴿٢٤﴾ نظراً كما هي لهم طعاماً و شربةً ، ففيها كافة محاسن المشروب، بما ينفي عنها كافة مضاره ❖ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴿٢٥﴾ و يُنزحون، نزف الجسم ونزحةً، أم نزح الروح و نزفةً ، بل وتزيد في الجسم طراوة و طلاوة ، وفي العقل نراهة و علاوة .

خمر الدنيا تخمر الجسم والعقل تنقيصاً ، و خمر الآخرة تخمر النفس والجهل تمحيصاً، و تجعل شاربيها سكراناً في الله، غفلاناً عما سوى الله، إذ تزداده معرفة باللّه هيماناً في الله، و كما تُبلور جسمه أكثر مما كان!

نزيف خمر الدنيا في انتزاح الجسم وافتضاح الروح، و اغتياله لكلا الجسم والروح ، يجعلها تخمر الإنسانية و تسترها، و خلافه المضاد في خمر الآخرة يجعلها تخمر كل نقصان، فإنها ❖ بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون. يتنازعون فيها كاساً لا لغو فيها و لا تأثيم ﴿٢٣:٥٢﴾.

في خمر الدنيا كل لغو و تأثيم و كل تصدّع و نزف و كل غَوْل، و بخلافها خمر الآخرة التي تزيد شاربيها كل لذة و معرفة، لذة حسية و معرفية. جسمية و عقلية، أمّا هي من لذات لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!

❖ وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴿٢٤﴾

❖ هم ﴿٢٥﴾ الذكور هنا للأغلبية الساحقة حيث المخلصات كالصديقة الطاهرة و مريم عليهما السلام أمّن هي، هن بينهم قليلات، و ❖ قاصرات ﴿٢٦﴾ تعم الإنسيات والحوريات والجنيات، فإن بين الجن مخلصين كالإنس مهما اختلف الدرجات.

و ﴿قاصرات الطرف﴾ عن أزواجهن، لا تعدوهم عيونهن حتى طرفاً، وكذلك حياتهن و عفافهن الظاهر في قصور الطرف و خفضه، فهن اللواتي جعلن نظرهن مقصوراً على أزواجهن، و حسبن نظرهن عليهم فلا يتعدينهم إلى غيرهم. وإنما تقع الكناية عن ذلك بقصور الطرف، لأن طمّاح الأعين في الأكثر يكون سبباً لتتبع النفوس و تطرب القلوب.

وانك إن أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

و من قصور طرفهن أنهن لم ينظرن قبلهم إلى أزواج آخرين :

﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان﴾ (٥٥:٥٦) و

﴿عين﴾ هي واسعات العيون و جميلاتها.

﴿كأنهن بيض مكنون﴾ (٤٩)

بيض مكنون بريشها، مخبوءة عن سائر طلابها إلا أصحابها، فلا تبتذله الأيدي ولا العيون، و علّها بيض النعام فان كنها أحفظ وأستر من سائر الكين، و هي أجمل من سائر البيض حيث يكنها الريش في عش عشيش، فلا يمسه الأيدي و يغبرها الغبار، فهي على صفائها كما بيضت، بيضاء تميل إلى صفراء، وذلك الخلط الغالب عليه البياض من محاسن النساء.

﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ (٥٠)

وهم ﴿على سرر متقابلين﴾ يتسائلون عما مضى من حوارهم مع أصحاب

الجحيم أمّاذا من تساءل حبيب حميم:

﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ (٥١) يقول أ إنك لمن المصدقين﴾ (٥٢) إذا

متنا و كنا تراباً و عظاماً أ إنا لمديون﴾ (٥٣)

عرض لطرف مما مضى من المكذبين ليوم الدين، ثم استعراض الجزاء تكذيبهم

وواقعه في الجحيم أنهم فيها مدينون:

﴿قال هل أنتم مطعون﴾ (٥٤)

تطلّعاً إلى من في الجحيم ليروا مصير المكذب بيوم الدين.

﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ (٥٥)

ووسطه، حيث عاش في أوساط المكذبين.

أترى كيف يختار المخلص قريباً من المكذبين؟ إنه قرين لا صديق حميم، ولكل إنسان قرناء في الحياة جيراناً أو متعاملين، كما كان لرسول الهدى قرناء مشركون، ولكن المخلص لا يتأثر بسوء قرينه، فقد يؤثر فيه أم لا يؤثر، ولا يتأثر مهما كان قرينه من أقوياء المضللين لحد قال عنه أحد المخلصين:

❁ قال تالله إن كدت لتردين (٥٦) ❁

❁ كدت ❁ من الكيد شرطاً ك- ❁ إن ❁ وجزاءه ❁ لتردين ❁ إسقاطاً إلى الجحيم كما أنت ، بتساقط عن الإيمان كما أنت ، ولكن الله صدّ عنى كيدك وميدك بنعمته ❁ ولولا نعمة ربي... ❁.

أو من كاد يكاد أن قربت منى مؤثراً في بكيدك لتردين ❁ ولولا نعمة ربي.. ❁.
أو المعنيان معنيان، إن قربت منى وذنوت كوداً وكيداً لتردين ❁ ولولا نعمة ربي ❁.

أم ❁ إن ❁ ❁ إن ❁ مخففة ، والله إنك قربت أن تهلكنى، ولكنه يقتضى لام الغاية دون التأكيد، وهنا تأكيدٌ دون غاية ، وقد نعني ❁ إن ❁ كلا الشرط والوصل ، كما تعني ❁ ك ❁ الغاية والتأكيد تغليباً للأخير.

❁ وَ لَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (٥٧) ❁

وهذه النعمة هي التسديد العصمة فإنه مخلص من ❁ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ❁ نعمة روحية قمة تعصم المنعم عليه من أية زلة و تقمة، و من أعلاها ❁ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ❁ (٢:٦٨) ❁ وإما بنعمة ربك فحدث ❁ (١١:٩٣) و من أوسطها ❁ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم ❁ (٤٩:٦٨).

و تلك النعمة العصمة بأنهم من المخلصين، تجعلهم لا يحضرون لسؤال : ❁ فإنهم لمحضرون. إلاً عباد الله المخلصين ❁ (١٢٨:٣٧) هناك رؤية القرين في الجحيم و هو المخلص في جنة النعيم تتير شعوره بجزالة نعمة فيفصح بميزة له أخرى عن أصحاب الجحيم.

﴿ أَمْ مَا نَحْنُ بِمُتِّينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾

هنا يقتصرون موتهم في الأولى التي كانت عن الحياة الدنيا و يحتصرونها عن موة
البرزخ و في الحياة الأخرى، و لمن سوى المخلصين - لأقل تقدير - موتان أخراهما
عن الحياة البرزخية: ﴿ ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين ﴿ و اعترافاً من أهل النار ،
ثم هم يموتون ثانية حين تموت النار فلا نار - إذاً ولا أهل النار.
وسائر أهل الجنة يظلون فيها ﴿ عطاءً غير مجدوذ ﴿ دونما انقطاع، فلا موت
لهم في الجنة كما لا خروج لهم عنها، ولكنهم ماتوا قتلند كسائر المكلفين موة ثانية
هي عن الحياة البرزخية:

﴿ و نفخ في الصور فصعق من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله ﴿
فالمخلصون هم ممن شاء الله إلا يصعقوا بالصيحة الأولى و سائر أهل الحشر يصعقون.
وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاً وَ رءِياً (٧٤)

إن القرون الهاكة المالكة هي أكثر مما يملكون و ﴿ أحسن أثاثاً ﴿ الظاهرة ،
بأحسن منهم مظهراً ﴿ ورئياً ﴿ إنها ليس قلة منسيّة ، فعاد ﴿ و ثمود الذين ﴿ جاؤا
الصخر بالواد. و فرعون ذى الاوتاد. الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد. فصب
عليهم ربك سوط عذاب ﴿ هؤلاء واضرابهم هم أحسن منهم أثاثاً و وسائل العيشة
ورئياً: منظرأ في انفسهم و اثاثهم و بيوتهم و ما يملكون، فقد هلكوا بما ملكوا، ﴿ فأى
الفريقين خير مقاماً و أحسن ندياً؟! ﴿

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا
الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعفُ جُنْدًا (٧٥)

﴿ من كان في الضلالة ﴿ غارقاً، و مضى على ضلالته ربح من الزمن فهو لا
يهتدى، أترى ماذا يفعل به الرحمن؟ أحماً على الهدى و هو مصر على الردى؟ ام لا
يمده في هوى أو ردى و كفى به - لو امكن - استمراراً في الردى! دو ﴿ فليمدد له
الرحمن مداً ﴿ جزاءً وفاقاً إملأء: ﴿ وأملى لهم ان كيدى متين ﴿ (٧: ١٨٣) ﴿ ولا

يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴿٣:١٧٨﴾

﴿فليمدد له الرحمن مدّاً. حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب ﴿١﴾ قبل الساعة كتقدمة ﴿٢﴾ وإما الساعة ﴿٣﴾ التي هي بداية العذاب الأصيل و هنا او هنا ﴿٤﴾ فسيعلمون ﴿٥﴾ عين اليقين ﴿٦﴾ من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴿٧﴾ وجاء ما كانوا يقولون للذين آمنوا ﴿٨﴾ اى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴿٩﴾ حيث يرون أنفسهم شراً مكاناً رغم ما كانوا يزعمونهم ﴿١٠﴾ خير مقاماً ﴿١١﴾ و كانوا فى زعمهم أحسن ندياً :

نادى الأعوان الجنود ونادى الشهوات ، فيرونهم ﴿١٢﴾ أضعف جنداً ﴿١٣﴾ ! فلا تنفعهم جنود النوادى أياً كانوا بل يضرّونهم كما كانوا يضلّونهم:

فقد زادوا ضلالاً على ضلال فى الدنيا ثم هم يوم القيامة من المرذولين و اما الذين اهتدوا:؟

﴿و يزيد الله الذين اهتدوا هدى و الباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً و خيرٌ مردّاً﴾ (٧٦) ﴿١٤﴾

كما هناك مدٌ للذين كفروا، كذلك هنا مد للذين آمنوا وأين مدٌ من مدٌ : ﴿كلّا نمد هولاء و هولاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً﴾ (١٧:٢٠):

فمدّ الهدى يتبنى قبلها كمدّ الردى ﴿١٥﴾ والذين اهتدوا وزادهم هدى و آتاهم تقواهم ﴿١٦:٤٧﴾ و الخير فى هذا البين ليس الذى يزعمه الدين كفروا من أثاث و رؤى يفنى، بل ﴿١٧﴾ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً و خير مردّاً ﴿١٨﴾ المال و البنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً و خير املاً ﴿١٩﴾ (١٢:٤٦):^١

الأقوال و الأعمال كلها باقية بما يستنسخها الله ﴿٢٠﴾ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴿٢١﴾ و لكنما ﴿٢٢﴾ الباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً ﴿٢٣﴾ يشوب و يرجع الى

^١ راجع تفسير الآية فى الكهف فلا نعيده هنا الاما اشرنا اليه .

الإنسان حالاً و استقبلاً حيث الثواب هو رجوع الشيء إلى حالة المقدره المقصوده
❁ و خيرٌ مراداً ❁ مكان ردها و زمانه في الجنة يوم القيامة و ما قبلها.

واما الطالحات الزائلات بشهواتها و لهواتها، الباقيات بخطاتها التي هي لزام فاعليها ،
إنها شر عند ربك عقاباً و شر مردداً ، فمن هو إذا خير مقاماً و أحسن ندياً و أثاثاً و
رئياً و خير مكاناً و أقوى جنداً؟ أهم أصحاب الباقيات الصالحات، ام الزائلات
الباقيات الطالحات؟!

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَ وَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ
عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَ نَرِيهِ مَا
يَقُولُ وَ يَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)

❁ افرايت ❁ استفهام عجاب و استنكار في ❁ الذي كفر بآياتنا ❁ الدالة على
توحيد الربوبية و معادها و الرسالة الإلهية بينهما، كفراً بمثلت الآيات آفاقية و أنفسيه.
فرغم أنه ❁ كفر بآياتنا ❁ كله دون إبقاء ، يتميع بما اليه انه يتمتع ❁ وقال لأوتيين
مالاً وولداً ❁ هنا ام في الحياة الأخرى، وانا رابع في الاولى الواقعة ، وفي الأخرى لو
انها واقعة ❁ ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ❁ (٣٦:١٨).

طنطنة حمقاء ، و همهمة جوفاء ، و يكأن و فرأ من المال و الولد هو جزاء الكفر
بآيات ربنا! ❁ أطلع على الغيب ❁ فيما هنا ام هناك ❁ ام اتخذ ❁ هنا لما هنا و
هناك ❁ عند الرحمن عهداً ❁ فلا غيب له مطلع، ولا عهداً عند الرحمن فانهما أو
واحدهما لزامهما صلة عريقة مع الرحمن ، وقد ❁ كفر بآياتنا ❁ فما قولته الجوفاء إلا
طنطنة خواء و هرطقة هراء والله منها براء:

و انها قوله تكرر من حماقى الطغيان ، كانهم يملكون الكون بمكوّنه، فهم يحاسبون
بديل ان يحاسبوا ، فكما هم اولاء هنا غارقون فيما يشتهون، كذلك هم في الأخرى -
لوكانت - فيما اشتتهت انفسهم خالدون:

وهل ان ❁ الذي .. وقال ❁ شخص كافر غابر ليخصه التعجيب التأنيب؟ علّه نعم
حيث العبارة العامة ❁ الذين .. يقولون ❁ ! او علّه لا مهما كان مورداً لنزول الآية
حيث المورد لا يخصص ، ف (لا تكونن ممن يقولون في شيء انه في شيء واحد) .

ويظهر من ❊ كفر ❊ حادث الكفر بعد الايمان ، ام زيده دون ايمان، فيعم التعرق في الشراك كالذى خاطب خباب بن الأرت حين طالبه ديناً كان له عليه فاجاب بما أجاب : (معود ما بينى و بينك الجنة فوالله لأوتين فيها خيراً مما اوتيت فى الدنيا) ^١ كما يعم ضعيف الايمان الذين كفروا حين خيل اليه ان الكفر يجلب مالاً وولداً! ❊ كلاً ❊ ! ليس كما يهرف بما لا يعرف ❊ سنكتب ❊ عليه ❊ مايقول ❊ قوله نكراء و هى وبالة عليه ❊ ونمدله ❊ هناك ❊ من العذاب مدأ ❊ بدلاً عن اى مال وولداً! ❊ ونرثه ما يقول ❊ لو اوتى هنا او هناك مالاً وولداً فـ ❊ انا نحن نرث الارض و من عليها والينا يرجعون ❊ (١٩:٤٠) ❊ ويأتينا فرداً ❊ دون مال ولا ولد فمم يكون له - اذا- مال وولداً! :

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا (٨٥) وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا (٩١) وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَ كُلَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ❊ ونادوا أصحابالجنة أن سلام عليكم ❊ برهان قاطع لا مراد له على أنهم هم الأعلون فى المحضر المعشر، حيث يحملون -هم- سلام الله إلى أهل الله، لمكان ❊

١ . رواه فيمن رواه القمي عن ابي الجارود عن ابي جعفر (عليه السلام) و مثله فى معناه فى الدر المنثور عن خباب بن الأرت قالت كنت رجلاً قيناً و كان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال فابى إذا مت ثم بعثت جئتني ولى ثم مال وولد فاعطيك فأنزل الله الآية . أقول: تخصيص نزول الآية بموردها هذا بعيد، إلا ان يكون من مصاديقها .

سلام قولاً من رب رحيم ﴿١﴾ ولا يحمل سلام الرب الرحيم إلى عباده الصالحين إلا أصلح الصالحين الذين يمثلون أمره و يحملون القمّة العليا من رسالته الربانية، ولو أنهم من المرجين لإمر الله إذ خلطوا عملاً صالحاً وآخر شيناً، كانت حالهم تشغلهم عن سواهم!

وأما لم يدخلوها وهم يطمعون ﴿٢﴾ فليس لتعني رجال الأعراف، حيث كونهم على الأعراف يعرفنا أنهم لما يدخلوها، فلا مبرر ﴿٣﴾ إذاً لذلك التكرار، مع أن أقرب المرجعين المحتملين لضمير الجمع هم ﴿٤﴾ أصحاب الجنة ﴿٥﴾ كما ﴿٦﴾ ادخلوا الجنة ﴿٧﴾ الآتية صراحة أنهم ﴿٨﴾ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴿٩﴾.

كما وأن ﴿١٠﴾ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴿١١﴾ لا تدل على أنهم من الأذنين، فانها دعاء لأصلح الصالحين إلى من دونهم من سائر الصالحين.

وقد تعني ﴿١٢﴾ مع ﴿١٣﴾ هنا معية المكان، ألا يوقفنا ربنا في هذا الموقف صرفاً لأبصارنا تلقاء أصحاب النار إلا قدر واجب الحوار و تقرير المصير، و معية الشفاعة منا لمن لا يستحقونها، و نحن غير مأذونين فيها، و أخيراً معيتهم في دخول النار تخذلاً و تذلاً لأنفسهم أمام الله كأنهم لا يستحقون الجنة فإنها قضية فضل الله و رحمته و ليست قضية عدله.

ثم ﴿١٤﴾ نادى أصحاب الأعراف رجالاً.. ﴿١٥﴾ في ذلك التأييب العجيب، ليس في ذلك الموقف الرهيب إلا من ممثلين لأمر الله، المرسلين من قبل الله، في ذلك الحوار الحاسم وفي تقرير المصير.

و أخيراً ﴿١٦﴾ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴿١٧﴾ ولا نجد أمراً لأصحاب الجنة بدخول الجنة في القرآن كله إلا من قبل الله إذ ﴿١٨﴾ يا عباد.. ادخلوا الجنة ﴿١٩﴾ (٧٠:٤٣) حيث يعني طليق الدخول في الجنة برزخاً وفي الآخرة.

ثم ليس إلا من ملائكة الرحمة خطاباً للصالحين إذ يتوفونهم:

﴿٢٠﴾ سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴿٢١﴾ (٣٢:١٦) و هو خاص بجنة البرزخ، و من ثم ليس إلا ﴿٢٢﴾ وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴿٢٣﴾ (٧٣:٣٩) وقد تعني ﴿٢٤﴾ خزنتها ﴿٢٥﴾ ملائكة خصوصاً، أم هم رجال الأعراف،

أم و هما معاً ، فمن ثم خطاب وسيط بين المرحلتين هو ثانى الخطابين فى المحتد، حيث يعنى جنه الآخرة كما هنا:

﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ ﴿ فهمما كان ﴾ ﴿ ادخلوا الجنة ﴾ ﴿ ميزة لرجال الأعراف بين كل أهل الجنة.

إذاً فرجال الأعراف هم أعلى موقفاً و محتداً من ملائكة الله، و من كل أهل الحشر دونما استثناء.

هذه تعريفات بهم فى مواقفهم على الأعراف، ثم لا نجد ولا لمحة أنهم بحاجة إلى شفاعه أماهيم من مكفّرات، إنما هم: ﴿ على الأعراف رجال... ﴾ ﴿ بهذه المواصفات الست، المنقطعة النظير عن كل بشير و نذير، اللهم إلا لأعراف العارفين بالله، و اعبد العابدين الله، و أقرب المقربين إلى الله، فهم الممثلون أمر الله فى حوارهم هناك و فى تقرير المصير، و السلام على أصحاب الجنة و أمرهم بدخولها، فهل هم - بعد - الذين استوت حسناتهم و سيئاتهم؟ كلاً ثم كلاً.

ذلك ، ولكن جواباً عن سؤال : فأين - إذاً - موقف ﴿ مرجون لأمر الله إما يعذبهم او يتوب عليهم ﴾ (١:٥) و ﴿ آخرون اعترفوا بذنبيهم خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم .. ﴾ (١٢:٩)؟.

نقول: لأنهم - إذاً - ليسوا - بعد - لا من أصحاب النار ولا من أصحاب الجنة، فليكونوا فى موقع من الأعراف دان، إذاً فأصحاب الأعراف اثنان، هما رجال الأعراف و أصحابهم، فالأولون يذكرون فى هذه الآيات أصلاء لأنهم يحملون أمر الله بحوار و سائر الأمر بين فريقى الجنة و النار، و الآخرون هم على هامش أصحاب الجنة ينتظرون حيث هم مرجون الأمر الله فهم - إذاً - راجعون، و الشافعون لهم بعد كل المكفّرات هم رجال الأعراف.

فالأحاديث المفسرة لأصحاب الأعراف بأنهم الرفيق الأعلى^١ تعنى الأولين، و
المفسرة لهم بأنهم الرفيق الأدنى^١ تعنى الآخرين، و المفسرة لهم بأنهم الفريقان^١

١ . نور الثقلين ٢: ٣٢ في تفسير القمي قال (عليه
السلام) كل أمة يحاسبها أمام زمانها ويعرف الأئمة
أولياءهم و أعداءهم هم كتابهم يمينهم فيمروا إلى
الجنة بلا حساب و يعطوا أعدائهم كتابهم بشمالهم
فيمروا إلى النار بلا حساب ، وعن معاني الأخبار خطبة
لعلي (عليه السلام) و فيها يقول (عليه السلام) : و
نحن أصحاب الأعراف أنا و عمي و أخي و ابن عمي والله
فالق الحب والنوي لا يلج النار لنا محب ولا يدخل
النار لنا مبغض لقول الله عز وجل «وعلي الأعراف رجال
..» ، وفيه عن الكافي عن صفوان قال سمعت أبا عبد الله
(عليه السلام) يقول : جاء ابن الكوا إلى أمير
المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين «
وعلي الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم» . فقال: نحن
علي الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم و نحن الأعراف
الذين لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا و نحن
الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة علي الصراط
فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا و عرفناه ولا يدخل
النار إلا من أنكرنا و أنكرناه ، وفيه عن كشف الغمة
عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل فيه :
فالأوصياء قوام عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل
الجنة إلا من عرفهم و عرفوه ولا يدخل النار إلا من
أنكرهم و أنكروه ، لأنهم عرفاء العباد عرفهم الله أيهم
عند أخذ الموائيق عليهم بالطاعة لهم فوصفهم في
الكتاب فقال عز وجل :
«وعلي الأعراف رجال..» و هم الشهداء علي الناس
والنبيون شهدائهم يأخذهم لهم موائيق العباد
بالطاعة ، وفي تفسير العياشي عن علي (عليه
السلام) قال: أنا يعسوب المؤمنين و أنا أول
السابقين و خليفة رسول رب العالمين و أنا قسيم
الجنة والنار و أنا صاحب الأعراف ، وفيه عن هشام
عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:
سألته عن قول الله عز وجل لتعرفوا من فيها من صالح
أو طالح؟ قلت : بلي، قال: فنحن أولئك الرجال
الذين يعرفون كلاً بسيماهم ، وفيه عن زاذان عن
سلمان قال: سمعت رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم)
يقول لعلي (عليه السلام) أكثر من عشر مرات : يا
علي أنك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنة والنار
ولا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفت موه ولا يدخل
النار إلا من أنكركم و أنكرتموه، وفيه مثله عن سعد
بن طريف عن أبي جعفر (عليه السلام) وعن الثماني
عنه (عليه السلام) وفي مصباح الشريعة قال الصادق
(عليه السلام) :

ولأهل التواضع سيماء يعرفه أهل السماء من ملائكة و أهل الأرض من العارفين، قال الله تعالى: «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم». . حول الآية ممن نقل نزولها وفي أحقاق الحق (٣: ٥٤٣) الهيثمي في الصواعق المحرقة (١٦٧) والقندوزي في ينابيع المودة (١٠٢) وفي (٣٩٨-٣٩٦: ١٤) و منهم الثعلبي في الكشف والبيان (٣٥٣) و ابن طححة في مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (١٧) و الذهبي في ميزان الاعتدال (٢: ٣) والحسكاني في شواهد التنزيل (١: ١٩٨) و ألبدخشي في مفاتيح النجا (٣٨) والشافعي في المناقب (١٥٦) والحضرمي في وسيلة المال (١٢٢) والأمر تسرى في أرجح المطالب (٨٤) والبدهشي في مفاتيح الذجا (مخطوط) عن علي كرم الله وجهه في الآية قال: نحن أصحاب الأعراف من عرفناه بسيماهم أدخلناه الجنة.

١ في الدر المنثور ٣: ٨٧- أخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته علي سيئات مثقال صوابه دخل الجنة ومن رجحت سيئاته علي حسناته مثقال صوابه دخل النار، قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن استوت حسناته و سيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون أقول: أقل ما فيه أن حصر أصحاب الأعراف فهم لا ينامون أبداً من هذه الآيات، ثم وزن السيئات ينافي «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» اللهم إلا أن يختص بمن ليس له حسنات، و كذلك الحديث «السيئات خفة الميزان والحسنات ثقل الميزان» و في أخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي زرعة عمرو بن جرير قال سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أصحاب الأعراف؟ فقال: «هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بن العباد قال أنتم قوم أخرجتم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم» وفيه أخرج البيهقي في اليعث عن حذيفة أراه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يجمع النار يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة و يؤمر بأهل النار إلى النار ثم أقل لأصحاب الأعراف ما تنظرون؟

قالوا: نتظر أمرك، فيقال لهم «إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا الجنة بمغفرتي و رحمتي» وفيه عن عبد الرحمن المزني قال سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أصحاب الأعراف فقال: «هم قوم قتلوا في سبيل الله في معصية آباءهم فمنعهم من النار قتلهم في سبيل الله و منعهم من الجنة معصية آبائهم». أقول:

معصية الآباء في القتل في سبيل الله هي من المكفّرات ،
وكما قال الله: «.. وقَاتِلُوا وُقَاتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْ فِيهِمْ جَنَاتٌ..» (٣: ١٩٥) ، وهذا إذا لم
يكن التقاتل واجبا معينا فإن فيه لا عصيان، وفي غير
المعين يجبر العصيان بالشهادة وفيه أخرج الطبراني
وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال:
سئل رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) عن أصحاب
الأعراف فقال: هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة
لآبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم
المعصية أن يدخلوا الجنة وهم علي سور بين الجنة
والنار حتى تذبل لحومهم وشحومهم حتى يفرغ الله من
حساب الخلائق فإذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم
تغمدهم منه برحمة فأدخلهم الجنة برحمة، ورواه
مثله معنويا أبو هريرة و عبد الله بن مالك الهلالي عن
أبيه وابن عباس و حمد بن المنكدر عن رجل من مزينة
عنه (صلي الله عليه وآله وسلم) ، وفيه أخرج
البيهقي في البعث عن أنس بن مالك عن النبي (صلي
الله عليه وآله وسلم) أن مؤمني الجن لهم ثواب و
عليهم عقاب، فسألناه عن ثواب فيقال: «علي الأعراف
وليسوا في الجنة و ليسوا مع أمة محمد (صلي الله
عليه وآله وسلم) فسألناه وما الأعراف؟ قال حائط
الجنة تجرى فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار
والثمار» أقول : هذا خلاف الضرورة القرآنية في عدم
التفرقة بين الجنة والناس و سائر المكلفين في
الجزاء الوفاق ، و علي أية حال فهذه الأحاديث لا
توافق القرآن في مواضع عدة .

و من طريق أصحابنا في نور الثقلين ٣٤:٢ عن أصول
الكافي بسند متصل عن حمزة بن الطيار قال لي أبو
عبدالله (عليه السلام) : الناس علي ستة أقسام، قال قلت
: تأذن لي أن أكتبها؟ قال : نعم، قلت : ما أكتب؟
قال: أكتب: أصحاب الأعراف، قال قلت: وما أصحاب
الأعراف؟ قال: « قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فإن
أدخلهم النار فيذنوبهم وان أدخل الجنة فبرحمتهم » .
أقول: قضية ذلك الإستواء تكفير الذنوب وإن بدخول
النار ردحا من الزمن ثم دخول الجنة بحسناتهم ،
اللهم إلا أن تعني مكوث الأعراف غفر سيئاتهم دون
عذاب. وفيه عن القمي عن زرارة عن أبي جعفر (عليه
السلام) قال: أقبل إن دخلوا الجنة فهم مؤمنون و إن
دخلوا النار فهم كافرين .

فقال: والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين، ولو كانوا
مؤمنين لدخلوا الجنة كما دخلها المؤمنون ولو كانوا
كافرين لدخلوا النار كما دخلها الكافرون ولكنهم
قد استوت حسناتهم و سيئاتهم فقصرت بهم الأعمال،
وانهم لكما قال الله عز وجل، فقلت : أمن أهل الجنة
هم أم من أهل النار؟ قال : أتركهم حيث تركهم الله ،
قلت : أفبرجتهم ؟ قال : نعم أرجئهم كما أرجاهم الله
، إن شاء أدخلهم الجنة برحمة و إن شاء ساقهم إلي
النار بذنوبهم ولم يظلمهم ، فقلت : هل يدخل الجنة

تعنيهما تفسيراً للأولين و تأويلاً للآخرين، فقد تصدق هذه الثلاث إلا ما فيها من شطرات لا تلائم القرآن.

ذلك، وإلى تفصيل لكل مقاطع الآيات الأربع بشأن رجال الأعراف وأصحاب الجنة والنار:

❁ وبينهما ﴿ بين الجنة والنار، أو بين أصحاب الجنة والنار و هو الأظهر قضية ذكرهم من ذي قبل أم هما معنيان معاً.

❁ وبينهما حجاب ﴿ عله ﴿ سور له باب ﴿: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات انظرونا نقتبس من نورك قيل ارجعوا وراءكم فالتسموا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قائل بلى ولكن... ﴿ (١٤:٥٧).

كافر؟ قال لا ، قلت : فهل يدخل النار إلا كافر؟ قال: فقال: لا ، إلا أن يشاء الله ، يا زرارة إنني أقول ما شاء الله، و أنت لا تقول ما شاء الله، أما إنك ان كبرت رجعت و تحللت عنك عقدك.

١ . في المجمع قال أبو عبدالله (عليه السلام) : الأعراف كذبان بين الجنة والنار يوقف عليها كل نبي وكل خليفة مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه : انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا فيسلم عليهم المذنبون وذلك قوله: ونادي أصحاب الأعراف... ثم أخبر سبحانه أنهم لم يدخلوها وهم يطمعون، يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة و هم يطمعون أن يدخلهم الله بشفاعه النبي والإمام و ينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين - ثم ينادي أصحاب الأعراف و هم الأنبياء والخلقاء رجالاً من أهل النار قائلين لهم « ما أغني عنكم جمعكم و ما كنتم تستكبرون هؤلاء الذين أقسمتم - يعني هؤلاء المستضعفين كنتم تستضعفونهم و تحتقرونهم بفقرهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ، ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله بذلك لهم: « أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» وروي القمي في تفسيره عنه (عليه السلام) ما يقرب منه عنه (عليه السلام).

ف ﴿ الأعراف ﴾ هي أعراف الحجاب بينهما، والحجاب هو السور المضروب بينهما، و هو بطبيعة الحال باطنه - و هو جانب اصحاب الجنة - فيه الرحمة، ﴿ و ظاهره ﴾ وهو جانب أصحاب النار ﴿ من قبله العذاب ﴾.

وهنا بجانبى السور الحجاب حوار بين أهل الجنة والنار ، و حور لرجال الأعراف مع الفريقيين بتقرير المصير بعد بيان المسير.

﴿ ونادوا ﴾ رجال الأعراف ﴿ أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾ سلاماً قبل دخول الجنة إذ ﴿ لم يدخلوها و هم يطمعون ﴾ : أن يدخلوها. وترى كيف ﴿ هم يطمعون ﴾ دون ﴿ يوقنون ﴾ و هم ﴿ أصحاب الجنة ﴾ حسب النص؟

إنهم ﴿ أصحاب الجنة ﴾ حيث هم مسيرهم الجنة بعد عفو الله و غفره و بمنه و حنانه ، ف ﴿ أصحاب الجنة ﴾ بشارة لهم من رب العزة ولما يدخلوها، أم لَمَا يعلموا أنهم من أصحابها، فلأنهم درجات حسب درجات إيمانهم و عمل الصالحات، فالحالة العامة لهم هي ﴿ و هم يطمعون ﴾ رجاء تكفير سيئاتهم دون عذاب ، وحتى إذا بشرُوا بالجنة و هم يعلمون ، فهم - بعد- بين الخوف والرجاء ، خوف من قصورات لهم تقصيرات، و إنهم مهما كانوا صالحين دون تقصير فلا يستحقون الجنة بأعمالهم ، اللهم ألا برجاء الرحمة الربانية ، إذا ﴿ و هم يطمعون ﴾ .

ذلك وقد تأتي ﴿ يطمعون ﴾ فى مورد العلم تذللًا و تظمنًا أمام رب العزة، و كما قال إبراهيم:

﴿ الذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ﴾ (٨٢:٢٦) وكذلك الذين اتبعوه من النصارى المؤمنين بهذه الرسالة السامية : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم ففيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكبتنا مع الشاهدين . و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحق و نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ (٨٤:٥) .

و كذلك السحرة المؤمنون أفضل إيمان من أعزل كفر و أذله: ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين﴾ (٥١:٢٦) وفي هذه الآية المرحومة: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً﴾ (١٦:٣٢) .
فالطمع الصالح الدخول الجنة هو للصالحين مهما كانوا من المعصومين كإبراهيم ، فضلاً عن كل أصحاب الجنة حيث هم ﴿ لم يدخلوها و هم يطمعون﴾ قبل صدور الأمر الذى يحمله رجال الأعراف بـ ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون﴾ .

﴿ و إذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٧)

هنا ﴿ صرفت﴾ دون ﴿ صرفوا﴾ تلمح بانصرافهم تلقاء أصحاب النار دون صرف منهم بالاختيار، فانما هو صرف ربانى و أمرٌ من ساحة العزة أن يصرفوا أبصارهم تلقاء أصحاب النار لواجب تقرير المصير بواجب الحوار.

و هنا حيث يفاجئون برؤية هؤلاء الظالمين أبتداء و بدعاء: ﴿ قالوا ربنا﴾ الذى ربانا بهذه التربية القمة العالية المرموقة: ﴿ لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ لا فى الجنة ولا فى النار، فالظالمون الذين لا يستحقون الجنة، لا تجعلهم فيها معنا، ولا تجعلنا معهم أولاء فى النار، ولا تجعلنا مع المحكومين بالنار فى شفاعة لهم، ولا تجعلنا معهم قبل دخول الجنة والنار، أكثر من الحوار و تقرير المصير.

فالمعية بين رجال الأعراف و أصحاب النار فى أية مرحلة – إلا الحاسمة القاسمة بينهم – هى معية بعيدة عن الرحمة، مهما لم تكن فيها زحمة العذاب، فلو دخلنا النار بعذاب لهم ولنا دون عذاب، فحق لك يا رب إذ لا نستحق نحن الثواب مهما لانستحق العقاب، فإلى المفاصلة التامة الطالمة بيننا و بين الظالمين الذين لا يستحقون الجنة، وحتى إذا دخلوا الجنة باستحقاق بعد ذوق عذاب مستحق، متخلصين عن أباء الظلامات، ففضية مختلف الدرجات ألا تجعلهم معنا فى مقامنا فى الجنة، مهما ﴿ نزعنا ما فى صدورهم من غلّ تجرى من تحتهم الأنهار﴾ !.

ولكن فلنكن في مقامنا كما نستحق ، و كما يستحقون في أماكن و مكانات، في الأصل و بمعرفة أصحاب الجنة.

فقد تطلبوا في ﴿ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين سد هذه الأبواب السبع من المعيات المعنيات من ﴿ مع القوم الظالمين ﴿.

ذلك ، وقد يلمح ضمير الجمع - الجائز الرجوع هنا إلى اصحاب الجنة لأنهم الأقربون مرجعاً ، والرجوع إلى أصحاب الأعراف لأنهم الأقربون موقعاً، فإنهم محور الكلام هنا - يلمح بعناية أصحاب الجنة مع أصحاب النار، فلئن كان القصد إلى خصوص أصحاب الأعراف لذكروا كما يذكرون في التالي : ﴿ ونادى أصحاب الأعراف ﴿ وذلك في تفسير الظاهر، ثم في التأويل يعنى معهم، الأذنين في الأعراف، فهذه الدعاء هي طبيعة الحال في الفرق الثلاث، مهما كان للآخرين رجاءً باحتمال النجاة ، وللأوسطين أرجى، ولأصحاب الأعراف فوق الرجاء، ولكل في هذه الدعاء موقع يناسبه ، في نفسه و باختلاف الدركات المعيات المعنية من ﴿ مع القوم الظالمين ﴿ ألا تجعلنا معهم ، سواء فيما يجوز عدلاً أما لا يجوز.

فجعلهم كلهم مع القوم الظالمين في عذاب النار أم في مقامات الجنة بعدما ذاقوا عذاب النار فاستحقوا دخول الجنة كبعضهم ، ذلك خلاف العدل، فالدعاء بالنسبة لمعيتهم يصبح كـ ﴿ رب احكم بالحق ﴿ فانه صرف الإلتجاء في الدعاء و كما يلحق هنا ﴿ ربنا الرحمن المستعان على يصفون ﴿ (١١٢:٢١).

وأجعلهم معهم في المحضر أكثر من تكملة الحساب والحوار، أم بقاء الترائي بعد الدخول في الجنة والنار، أم دخولهم مع أصحاب النار في النار دون أن يشاركوهم في عذابهم ، ثم دخول هؤلاء معهم في الجنة دون أن يشاركوهم في ثوابهم أماذا من خلاف الفضل، فليس من خلاف العدل.

والدعاء على أية حال لا يعنى جواز عدم تحقق المدعو به لولا الدعاء كالحق في ﴿ رب احكم بالحق ﴿ بل هو تعلق بالله و تذلل أمام الله، وان حكمه حق على أية حال و إن كان في ظاهر الأمر غير حق حيث لا يلائمنا.

وذلك أدب الدعاء في كافة الأحوال، وحتى إذ كان الداعي في حال وقوع المدعو به فضلاً عما قبله.

وَ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أ هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)

هذه الرسالة الغالية أن يكونوا مذيعين لفصل الحكم من رب العالمين، إنها منقبة لا تسامى بسواها ولا تساوى، ثم ❀ ادخلوا الجنة ❀ هي رسالتهم الأخيره حيث أمروا بأمر الله أن يخاطبوا أصحاب الجنة بدخولها.

إذ فمناذات أصحاب الجنة والنار هي قبل الدخول فيهما، و هي مواقف العالين من رجال الأعراف حسم الموقف، ثم هم يدخلون الجنة و معهم قسم من الأدنين الذين هم معهم ❀ على الأعراف ❀.

ذلك مما يؤيد أصالة القصد الى أعالي رجال الأعراف دون الأداني، أن الآخريين غير محصورين في الرجال، بل و نساء هم أكثر من رجالهم ، و أما الأؤلون فهم بطبيعة الجال رجال كالمعصومين المحمديين (عليهم السلام) ، و أما فاطمة الصديقة فقد تكون منهم كما في ❀ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.. ❀ أم هي غير مشاركة معهم لمكان أنوثتها، وعلى أية حال فخصوص القصد من رجال الأعراف الأدنين مرفوض.

كما ولا تعنى ❀ رجال ❀ الملائكة إذ لا نساء فيهم ولا رجال هؤلاء يقابلون نساء من جنسهم، مهما عنت رجالاً من الجن على هامش رجال من الإنس كرسل منهم عالين، حاكمين على قبيلهم، أم لهم بين فريقى أصحاب الجنة و أصحاب النار من الجن.

ثم مكانهم المتميز ❀ الأعراف ❀ و معرفتهم المتميزة أصحاب الجنة و أصحاب النار لحد يعرفون المستكبرين من أهل النار بينهم ، لا فقط معرفة إجمالية بسيماهم المعروف لدى الكل حيث هنا ❀ وجوه يؤمئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة. ووجوه يؤمئذ عليها غبرة . ترهقها قتره ❀ (٨٠:٤١)، وهناك ❀ يعرفون كلاً بسيماهم ❀ أى

كل واحد من آحاد الفريقين، لا - فقط - كلاً من الفريقين، تثبت لهم معرفة قمة متميزة بسيما كل واد منكم، حيطة معرفة بما عرفهم الله ليحكموا هنا بما يحكم الله. هذا التمييز وذلك هما مما يميزهم عن كل أصحاب الجنة، فهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمحمديون من عترته (عليه السلام)، المتميزون على كافة السابقين والمقربين وأصحاب اليمين.

فرجال الأعراف حيث يكلمون كلا الفريقين بما يكلمون هم الشهداء المخصوصون بالكرامة ❁ لا يتكلمون إلّا من إذن له الرحمن وقال أهل الحشر أجمع بما يشاء الله و يرضى، أفهم بعدد من الأذنين و ليس للعوان بينهم و بين العالمين ذلك المنصب المتميز يوم الدين.

كل ذلك، إضافة إلى أنا لا نتلمح آية فرعة و هول لهم في أعرافهم، في أقوالهم و أفعالهم و أحوالهم، والهول شامل ذلك اليوم كل أهل الحشر ❁ فإنهم لمحضرون. إلّا عباد الله المخلصين ﴿١٢٨:٣٧﴾ - ❁ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيها و هم فيها إشتهت أنفسهم خالدون. لا يحزنهم الفزع الأكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴿١٠٣:٢١﴾!

إذا فقد لا تشمل رجال الأعراف في ظاهر التفسير إلّا أقرب المقربين، أسبق السابقين، دون الذين استوت حسناتهم و سيئاتهم، فلا هم - بالفعل - من أهل الجنة ولا من أهل النار، - اللهم إلا تأويلاً أنهم على هوامشهم، ثم ولا صراحة هنا ولا لمحأة أن رجال الأعراف يتطلبون إلى الله السماح فإنما هو الحكمية بين الفرقين والحكم بدخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار.

إذا فعساكر البراهين القرآنية في آيات الأعراف وسواها تقرر موقفاً حاسماً لرجالها لا يناسب كل المعصومين فضلاً عن الأذنين من المؤمنين، فلا يصغى إلى أحاديث الأذنين تفسيراً، إلا تأويلاً .

❁ ونادى أصحاب الأعراف درجالاً يعرفونهم بسيماهم ﴿١٠٣:٢١﴾ معرفة متميزة عن كل أصحاب الجنة فضلاً عن أصحاب النار، و ❁ رجالاً ﴿١٠٣:٢١﴾ هنا هم رجال متميزون بسماهم من أصحاب النار ف ❁ قالوا ﴿١٠٣:٢١﴾ لهم ❁ ما أغنى ﴿١٠٣:٢١﴾ عنكم جمعكم ﴿١٠٣:٢١﴾ أموالاً

و أولاداً و سائر الجموع المحتشدة حصولاً على العزة القوة ، ❀ و ❁ لا ❀ ما كنتم تستكبرون ❁ بجمعكم على الله و على عباد الله و رسالته.

❀ أهؤلاء ❁ الأكارم من أصحاب الجنة ❀ الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ❁ كأنكم أنتم أصحاب الرحمة دونهم ، أم هم و إياكم سواء في العذاب؟ ! كلاً، بل : ❀ أدخلوا ❁ أنتم الصلحاء ❀ الجنة لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون ❁ .

أجل هؤلاء رجال الأعراف ، فمكانهم في المحشر ❀ الأعراف ❁ أعراف الحجاب و السور المضروب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، و مكانتهم أنهم رسل من الله في ذلك الموقف الحاسم. رسل شهود في معرفة كل بسيماء، يشاهدون كل نفس خيرة و شريرة في مقامها الخالص من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، و رسل قضات في تعيين المقامات هناك، ثم هم خارجون عن القبيلين إذ لا محاسبة لهم لدخول الجنة، و هم المومنون أن يأمرُوا أصحاب الجنة لدخول الجنة كما أن مؤذنتهم يؤمر بذلك الاذان فرسالة ربانية عالية، مما تدل على أنهم هم الأعلون في تلك العرصات.

❀ و إنما الأئمة قوام الله على خلقه و عرفاء على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه ❁ .^١

و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً و غرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا و ما كانوا بآياتنا يـجـحـدـون (٥١)

حوار بين اهل الجنة والنار في دار القرار، يوم التناد، يخيل فيها إلى أهل النار أن لأهل الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله كما كانت هناك إفاضة في دار القرار، فإذا هم مفاجئون بـ ❀ إن الله حرمهما على الكافرين ❁ تحريماً بحريم

١ . نهج البلاغه الخطبة ٢٥٦/١٤٢ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الإضطرار دون اختيار، إذ مضى يوم التكليف الإختيار، ولات حين فرار، و هم ❀ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً❀:

اتخذوا طاعتهم الحقّة و هي الدين الحق ❀ لهواً❀ يلتهمون به حيث يلهيهم عما يعنى لهم ❀ ولعباً❀ به يلعبون حيث كانوا به يستهزءون، فاتخذوا دينهم: الطاعة، مخلداً إلى أرض الشهوات، فلا يطيعون - إذاً - إلا لهواً ولعباً❀ غرّتهم الحياة الدنيا❀ بما انغروا بها حيث أبصروا إليها فأعمتهم ولم يبصروا بها لتبصّرهم ❀ فاليوم ننسأهم❀ نعاملهم معاملة الناسى إياهم على علمنا بهم، تحريماً عليهم ما يقدم للضيفان من النعم ❀ كما نسوا لقاء يومهم هذا❀ عامدين لاهين لا عبين، و ك ❀ ماكانوا بآياتنا يجحدون❀ فنحن نجحدهم كما جحدوا، وننسأهم كما نسوا جزاءً وفاقاً.

ذلك إكيف لا يشغلهم ما هم فيه من النار عن الماء و سائر رزق الله؟
حيث الماء يخفف عن حر النار و سائر رزق الله يسد عن الجوع، والعطش والجوع
هما مما لا نسيان في أية ملاسبات^١.

١ . نور الثقلين ٢: ٣٦ في كتاب الإحتجاج عن عبد الرحمن بن عبد الله الزهرى قال : حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكياً علي يد سالم مولاة و محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليهم جالس في المسجد فقال له سالم: يا أمير المؤمنين هذا مجعد بن علي بن الحسين، فقال، هشام: المفتون به أهل العراق؟ قال : نعم ، قال اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس و يشربون إلي أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : يحشر الناس علي مثل قرصة النقي فيها أنهار منفجرة يأكلون و يشربون حتي يفرغ الناس من الحساب، قال: فرأي هشام انه قد ظفر به قال: الله أكبر اذهب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يؤمنئذ؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : قولهم فقال أبو جعفر (عليه السلام): هم في النار أشغل ولم يشتغلوا عن أن قالو: أفيدوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فسكت هشام لا يرجع كلاماً. وفيه في تفسير العياشي عن أحدهما (عليهما السلام) قال: « إن أهل النار يموتون عطاشاً ويدخلون قبورهم عطشاً و يدخلون جهنم عطاشاً فترفع لهم قراباتهم من الجنة فيقولون: أفيدوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»

وفى تقدم ❀ الماء على ❀ ما رزقكم الله ❀ ذكرأ تقدم له على سائر رزق الله واقعاً حيويأ فللماء دور دائر فى الحياء ليس لسائر رزق الله، وقد قال الله تعالى: ❀ وجعلنا من الماء كل شىء حى ❀ (٣٠:٢١) وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ❀ أفضل الصدقة سقى الماء ❀^١.

ذلك ، ولأن الغرور هو إظهار النصح واستبطان الغش و هما من فعل المختار، فتراه كيف ينسب إلى الحياء الدنيا وليس هى مختارة؟

والجواب أن الحياء الدنيا هى حياة الإنسان فيها دون نفسها، فالغرور - إذاً - هو من فعل الإنسان حيث ينظر إلى الدنيا فينغر بها ، ولا ينظر بها فيبصر، فالحياء الدنيا هى بطبيعتها حياة الغرور : ❀ وما الحياء الدنيا إلأ متاع الغرور ❀ (٢٠:٥٧).

ثم النسيان من الله هو تناسى العارف و كما هم تناسوا عارفين، فلقد تناسوا لقاء يومهم هذا عارفين، فالله يتناساهم عن الرحمة عارفاً فلا يفيض عليهم منها إلأ عذاباً مهيناً.

و ❀ دينهم ❀ كما لمحنا تعم الدين الحق فطرياً و عقلياً و شرعياً حيث اتخذوه لهواً يعرضون عنه ، ولعباً يلعبون به ويستتهزون، والدين الباطل و هو الشهوة المطاعة، توغلاً فى اللهو واللعب: ❀ وذو الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً و غرتهم الحياء الدنيا و ذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب إليهم بما كانوا يكفرون ❀ (٧٠:٦)

و هكذا ❀ حيل بينهم و بين ما يشتهون ❀ (٥٤:٣٤) فمهما كانت المشتبهات مشتركة بين قبيلى الإيمان والكفر يوم الدنيا فهى خاصة بالمؤمنين يوم الدين: ❀ قل

١ . الدر المنثور ٣: ٨٩٠ عن ابن عباس انه سئل إى الصدقة أفضل؟ فقال : قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): . . ألم تسمع إى أهل النار لما إستغاثوا بأهل الجنة قالوا أفوضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله.

من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴿٣٢:٧﴾.

وحقاً أقول: ❁ ما الدنيا غرتك، ولكن بها اغتررت ، ولقد كاشفتك العصات، وآذنتك على سواء ، ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك، والنقص في قوتك ، أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرّك ، ولرب ناصح لها عندك متهم، وصادق من خبرها مكذب ، ولئن تعرّفتها في الديار الخاوية، والرُبوع الخالية ، لتجدنها من حسن تذكيرك ، و بلاغ موعظتك بمحله الشفيق عليك ، والشحيح بك، ولنعم دارٌ لم يرض بها داراً، و محلٌّ من لم يوطنها محلاً ، و إن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم ﴿الخطبة ٢١٤﴾.

ف ❁ يا أيها الإنسان ما جرّاك على ذنبك ، وما غرّك بربك وما آنسك بهلكة نفسك ، أما من داءك بلول، أم ليس من نومك يقظة، أما ترحم من نفسك ما ترحم به غيرك، فلربما ترى الضاحي من حر الشمس فتظله، أو ترى المبتلى بألم يُمضُّ جسده فتبكي رحمة له ، فما صبرك على داءك، وجلدك بمصائبك، و عزاك عن البكاء على نفسك و هي أعز الأنفس عليك، و كيف لا يوقظك خوف بيات نعمة وقد تورطت بمعاصية مدارج سطوانة ، فتداو من داء الفترة قبلك بعزيمة، و من كبرى الغفلة في ناظراك بيقظة، وكن الله مطيعاً، وبذكرة أنساً ، و تمثل في حال توليك عنه إقباله عليك يدعوك إلى عفوه، و يتغمدك بفضله، و أنت متولّ عنه إلى غيره فتعالى من قوى ما أكرمته، و تواضعت من ضعيف ما أجراك على معصيته ، و أنت في كنف ستره مقيم ، و في سعة فضله متقلب، فلم يمنعك فضله ، ولم يهتك عنه ستره، بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك، أو سيئة يسترها عليك، أو بلية يصرفها عنك ، فما ظنك به لو أطعته، و أيم الله لو أن هذه الصفة كانت في متفقيين في القوة، متوازنين في القدرة، لكنت أول حاكم على نفسك بزميم الأخلاق و مساوىء الأعمال

إذا ف ❁ كونو عن الدنيا نزاهاً، وإلى الآخرة وُلاًهاً ، ولا تضعوا من رفعته التقوى، ولا ترفعوا من رفعتة الدنيا ، ولا تشيموا بارقها ، ولا تسمعوا ناطقها، ولا تجيبوا ناعقها،

ولا تستضيؤا بإشراقها، ولا تفتنوا بأعلاقها، فإن برقها خالب، ونطقها كاذب و أموالها محروبة، و أعلاقها مسلوبة، ألا و هي المتصدية العنود الصدود، والحيود المنود، حالها انتقال، و وطأتها زلزال، و عزها ذل، و جدها هزل، و علوها سفل، دار حرب و سلب، و نهب و عطب، أهلها على ساق و سياق، و لحاق و فراق، قد تحرت مذاهبها، و أعجزت مهاربها، و خابت مطالبها، فأسلمتهم المعائل، و لفظتهم المنازل، و أعيتهم المحاول، فمن ناج معفور، و لحم مجزور، و شلو مذبوح، و دم مسفوح، و عاض على يديه، و صافق بكفيه، و مرتفق بخديه، و زار على رأيه، و راجع عن عزمه، و قد أدبرت الحيلة، و اقبلت الغيلة، و لات حين مناص، هيهات هيهات قد فات ما فات، و ذهب ما ذهب، و مضيت الدنيا لحال بالها ❀ فما بكت عليهم السماء و الأرض و ما كانوا منظرين ❀ (الخطبة ٢٣٣).

❀ و لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ❀ (٥٢)

لقد تمت الحجة عليهم يوم الدنيا إذ ❀ جئناهم ❀ بجمعية صفات الهدى ❀ بكتاب ❀: قرآن ❀ فصلناه ❀ تفصيلاً لكل شيء ❀ على علم ❀ منّا رباني يخلق على كل شيء، حالكون الكتاب ❀ هدى ورحمة لقوم يؤمنون ❀ وهم أولئك الذين حالتهم حالة الإيمان بالحق المرام وان كانوا لما يؤمنوا حيث لم تصلهم دلائل الإيمان، فهم مؤمنون فطرياً و عقلياً، و هم ناظرون دلائل كامل الإيمان شرعياً، ❀ فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ❀ .

ذلك، و هنا ❀ لقد جئناهم ❀ إضافة إلى ما فيها من مثلث التأكيدات بحرفى التأكيد و جمعية الصفات، نجد فى مفعوليه ❀ هم ❀ ك ❀ جئنا ❀ السببية: جئنا إليهم بسبب الكتاب، و مصاحبين الكتاب، و مثلها: ❀ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيراً ❀ (٣٣:٢٥) - و لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ❀ (٧٨:٤٣) .

فلقد أراهم نفسه لم يزداهم معرفة على ما عرفهم إياه بكتابه، و لذلك أصبح شاهداً لنفسه رباً، و لرسوله رسالة، و لكل ما أرادهم منهم دلالة باهرة جاهرة: ❀ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليكم الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون. قل كفى

بِاللّٰهِ بَيْنِي و بَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ و الْأَرْضِ.. ﴿٥٢:٢٩﴾ ✻ لَكِن اللّٰهُ
يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ و الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ و كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦:٤﴾.
✻ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي و بَيْنَكُمْ و مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ ﴿٤٣:١٣﴾ ✻ قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي و بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
بَصِيرًا ﴿٩٦:١٧﴾.

٢٤

للمحسنين

الحسنى و زيادة

❖ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

❖ للذين أحسنوا ﴿٢٦﴾ قوله و معرفة و عقيدة رطوية و نية و عملية فردية و جماعية بمرضات الله ❖ الحسنى ﴿٢٦﴾ و هى الحياة الحسنى هنا و فى الأخرى: الجنة ، والسلام لعهد لذكر المعروف فهو الجنة لمكان ❖ دار السلام ﴿٢٦﴾ ف ❖ الحسنى ﴿٢٦﴾ هى أحسن من إحسانهم علها المذكورة فى ❖ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴿٢٦﴾ (١٦٠:٦) ثم و زيادة حسب زيادة الإحسان، ف ❖ الحسنى ﴿٢٦﴾ زيادة أولى على أحسانهم ، ثم ❖ و زيادة ﴿٢٦﴾ زيادة أخرى فى درجات حسب الدرجات، ثم ❖ ولا يرهق ﴿٢٦﴾ و يغشى ❖ وجوههم قتر ﴿٢٦﴾ : غبار و سواد و كدره اللون من الحزن والضيق، فلا يُقتر بحقهم فى حسناهم ولا تغبر وجوههم بغبار التخجل ولا ذله وانكسار ❖ بعد نظرهم إلى الله عز وجل ﴿٢٦﴾ فلا يغشى وجوههم قتره ولا تكسوا ملامحهم ذلة ، والتعبير يوحى أن قضية الموقف من الزحام والهول الكرب والمهانة ما يخلع آثاره على الوجوه إلاً الوجيهة بالله، ف ❖ أولئك أصحاب الجنة فيها خالدون ﴿٢٦﴾ .^٢

^١ . الدر المنثور ٣: ٣٠٧ عن صهيب عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » قال: بعد نظرهم إلى الله عز وجل.

^٢ . فى مجمع البيان روى التفضيل بن يسار عن إبي جعفر الياقر (عليهما السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) : ما من عين ترقرت بماء ها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار فإن فاضت من خشيه الله لم يلحق ذلك الوجه قتر ولا ذله ، وفى تفسير العياشى نحوه

وقد تعنى ❀ زيادة ﴿ زيادة على ما عنت الدينان، كما في رواية^١ حيث الدنيا هي الحاضرة من حسنى الآخرة لمن يجعل دنياه آخرة وكما وعد الله : ❀ ولوأن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴿ (٩٧:٧).

وزواية ثالثة من ❀ زيادة ﴿ هي النظر إلى وجه الله ، معرفة عالية غالية كما يمكن في حقهم الأحق بالمعنى من ﴿ زيادة ﴿ فإنه زيادة على دار السلام الجنة ، وقد تعينها ❀ وجوه يؤمئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة ﴿ (٢٣:٧٥) ، و في الحق إنه هو الزيادة الغالية التي لا تقاس بشيء من الحسنى هنا و في الآخرة.

أجل وفيما يروى لهذه الزيادة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ❀ ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حدود ولا صفة معلومة ﴿^٢ وقد تعنى - فيها عنت -

^١ . نور الثقلين ٢: ٣٠١ في أمامى الشيخ الطوسي باسنادة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: قال الله تعالى: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» والحسنى هي الجنة و الزيادة هي الدنيا، وفي تفسير القمى عن أبي جعفر (عليهما السلام) في الآية قال: أما الحسنى فالجنة و أما الزيادة فالدنيا ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم في الآخرة و يجمع لهم ثواب الدنيا والآخرة ، وفيه عن أصول الكافى قال أبو جعفر (عليهما السلام) عندما قرأت عليه هذه الآية قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن».

^٢ . الدر المنثور ٣: ٣٠٥ - أخرج ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» قال : ينظرون إلى ربهم ... وفيه عن صهيب أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تلا هذه الآية قال: إذ دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله وعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون : و ما هو؟ ألم نثقل موازيننا و تبيض وجوهنا و تدخلنا الجنة و ترحمنا عن النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه . فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لإعينهم ، وعنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «الزيادة النظر إلى وجه الله، وفيه عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادى يا أهل الجنة بصوت يسمعه أولهم وآخرهم : إن الله وعدكم الحسنى و زيادة ، فالحسنى الجنة و الزيادة النظر

هذه الزيادة ❀ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ❀ (٣٥:٥٠) حيث الرحمة اللدنية الجامعة التي لا تقاس بسائر الرحمة هي النظر إلى وجه الله، خارجاً عن مأمولهم. ذلك ، فهؤلاء الكراهم في مُطَبَّق ❀ الحسنى ❀ ومثلث ❀ زيادة ❀ و رأس زاوية هو النظر إلى وجه الله، كما الإحسان هو القول و العقيدة والعمل لوجه الله. أجل ❀ فأما الذين آمنوا و عملوا اصالحات فيوفيهم أجورهم و يزيدهم من فضله ❀ (٣٨:٢٤) ❀ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرء أعين ❀ (٣٢:١٧) و هي في القمة: النظر إلى وجه الله.

❀ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بَمِثْلِهَا وَ تَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ❀ (٢٧)

هناك ❀ وجوه ناضرة إلى ربها ناظره ❀ زيادة على الحسنى ، و هنا ❀ وجوه يومئذٍ باسرة. تظن أن يفعل بها فاقرة ❀ و هما وجوه القلوب لمكان ❀ تظن ❀ وترهقهم ذلة .. ❀ إذ ❀ كسبوا السيئات ❀ كلها بكل حقولها وجاه كل الحسنات فلا تعنى الفساق من المؤمنين إذ هم مهما فسقوا ليسوا ليكسبوا كل السيئات فإنما هم ❀ من كسب سيئة فاحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ❀ (٨١:٢)

إلى وجه الرحمن ، و فيه عنه (صلي الله عليه و آله و سلم) قال : للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنين هي الجنة و زيادة النظر إلى وجه الكريم ، و فيه عنه (صلي الله عليه و آله و سلم) : من كبر علي سيف البحر تكبيرة رافعاً بها صوته ولا يلتمس بها رياءً ولا سمعة كتب الله له رضوانه الأكبر و من كتب له رضوانه الأكبر جمع بينه و بين محمد و إبراهيم عليهما السلام) في داره ينظرون إلى ربهم كما ينظر أهل ادنيا إلى الشمس والقمر في يوم لا غيم فيه ولا سحابة وذلك قوله : «للذين أحسنوا الحسنى و زياده» ، فالجسني لا إله إلا الله و الزيادة الجنة والنظر إلى الرب أقول: يعنى من النظر إليه بلا حجاب كل حجاب إلا حجاب الذات القدسيه فإنه لن يرتفع لأحد حتي أقرب المقربين و أول العابدين.

ذلك إضافة إلى صراح آيات أن تلك هي وجوه الكفرة: ﴿وجوه يومئذ عليها
غيرة. ترهقها قتره. أولئك هم لكفر الفجرة﴾ (٤٢:٨٠) ﴿فأما الذين اسودت
وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾ (١٠٦:٣) ﴿وترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة﴾ (٦٠:٣٩) .

فـ ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾ دون زيادة، مما يدل على أن النار أبدية دون نهاية
إذ لا تماثل اللانهاية السيئات المحدودة التي لها ولاآثارها نهاية : ﴿جزاء سيئة
مثلها﴾ (٤٠:٤٢) - ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ (٤٠:٤٠) - ﴿ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ (٨٤:٢٨) - ﴿ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها و هم لا يظلمون﴾ (١٦٠:٦)

فهؤلاء ﴿ترهقهم﴾ و تغشاهم ﴿ذلة﴾ ذليلة ثم و ﴿ما لهم من الله من
عاصم﴾ ولا عاصم اليوم إلا الله، كأنما أغشيت وجوههم المقترة الذليلة المغبرة
المظلمة ﴿قطعا من الليل مظلماً﴾ ظلمات بعضها فوق بعض ﴿أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون﴾ ﴿وما بخارجين من النار﴾ وفناء من في النار مع النار هم
فيا خالدون ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ وفناء من في النار مع النار ليست
خروجاً من النار، وقد حدد خلود النار بما شاء الله في آيات ك ﴿النار مثواكم خالدين
فيها إلا ما شاء الله﴾ إن يجمع بين خروج عن النار للمستحقين الجنة، وعدمه لغيرهم
حيث تخمد النار بمن في النار.

وما أمثله تمثيلاً لهذه الوجوه المظلمة ﴿كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل
مظلماً﴾ الليل مظلماً و هو غسقه دون نور، ثم ﴿قطعاً﴾ منه ركماً، فلا نور فيه أبداً
﴿و من يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ فقد رقت وجوههم المظلمة برقع من
أظلم ظلم الليل فاصبحت ملفعة بأغشيته البهيمه.

ورغم أن الليل لا يوصف بقطع متفرقة و أجزاء منتصفة ، فقد يعنى هنا ﴿قطعاً﴾
أنه لو كان مما يتبعض و ينفصل لأشبهه سواد وجوههم أبعاضه وقطعه، و هنا
﴿مظلماً﴾ حالاً من ﴿الليل﴾ لأنه قد يكون مقمراً و أخرى مظلماً، فالتشبيه هنا
واقع بموقع أسود ما يكون الليل جلياباً و أثواباً.

ف ❁ الذين كسبوا السيئات ❁ تغشاهم و تركبهم و تكربهم قتر و ذلة و ظلمة خالصة كالسنة عن أي نور، فلأنهم كانوا هنا أصحاب العار فهناك ❁ هم أصحاب النار هم فيها خالدون ❁ في ظلام النار و قناتها، و هم رفاقها ماداموا و دامت جزاء وفاقاً محدوداً بحدود سيئاتهم دونما مزيد لأنه من عدله، و هناك مزيد لأنه من فضله.

ذلك و من الواجهة الأدبية، الواو في ❁ والذين ❁ عطف على ❁ للذين أحسنوا ❁ ف ❁ للذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها ❁، دون الأسوء فضلاً عن زياده لأنهم ظلم تعالى الله عنه، و إنما ❁ سيئةً بمثلها ❁ فهي محدودةً بحدودها دون خلود لا نهاية له كما يفترى على الله!

❁ و يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَ قَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ❁ (٢٩)

❁ نحشرهم ❁ أولاء المحسنين، و المسيئين بشركاء ❁ جميعاً ❁ دون إبقاء فإنه يوم الجمع الأكبر حيث لا يبقى ولا يذر ❁ ثم نقول للذين أشركوا ❁ بالله - ككل - دون إبقاء أيأ كانوا من دركات الإشراف و أيان، ألزموا ❁ مكانكم ❁ متميزين عن الموحدين في مكان كما في مكانة: ❁ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ❁ (٥٩:٣٦). ❁ مكانكم أنتم شركاءكم ❁ دون أي حراك أو عراق ❁ فزيلنا بينهم ❁ تنزيلاً للحجب التي حجبت بعضهم عن بعض فاوردتهم في هوات الإشراف بهم كما حجبت عنهم سائر الحقائق المعنية، و ذلك تزييل ثان في الأخرى بعد الأول في الأولى حيث زيل بين كل المشركين و شركاء هم غشاء الإشراف بما فطرهم الله - كسائر المكلفين - على التوحيد، إضافة إلى سائر مراحلها، و من الفارق بين التزييلين، أن الأول يعني التزييل بين المكلفين و الحقائق المعنية بتزييل المساعي للحصول عليها جهاداً متواصلاً لإزالة كل الغشاوات و الحجابات بينهم و بينها، سواء التي تحصل على أنفسهم الأمارة بالسوء، أو التي يختلقها شياطين الجن و الإنس، ثم تبنى الفطرة و العقلية الإنسانية و الشرعة الربانية لتكامل المعرفة و صالح العقيدة و العملية و فقها.

ولكن التزييل في الأخرى لا يكلف تزييلاً لمساعى حيث النقضى دورها بانقضاء دار التكليف بدورها، فلا معنى لما يزيل الله في الأخرى وفي الأولى غطاء آفاقية و أنفسية، وحجج الله بالغة في التزييل هنا وليس الضلالة إلا ترك المساعى المعنية فى دار التكليف.

ولا فارق بين التزييلين إلا أن الأولى لم يكن عياناً قضية دور التكليف، وإنما كان بياناً فى كتابى التكوين والتشريع، ثم عياناً يوم الحساب قضية كشف الغطاء عما يصح كشفه و يصلح، فرحة للصالحين و قرحة للطالحين.

❖ وقال شركاءهم ❖ ككل من جماد أو نبات أو حيوان أو ملك أو جان أو إنسان دونما استثناء لشريك مختلق إلا و ❖ قال ❖ كما حشر مع عابدين.

و ترى كيف ❖ قال ❖ و لا قال إلا لذوى القال المعروف قوله؟ ❖ قال ❖ هنا بالنسبة لغير ذوى القال باللسان هو ❖ قال ❖ الحال بعد ذلك التزييل، مسموعاً بسمع القلب بعيان الحال، و كما فى السماء والأرض بعد قول الله لهما: ❖ وقال لها وللأرض اثبتينا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ❖ (١١:٤١) قولاً بحال التذلل والإتياد و الطواعية لأمر الله دون أى تمنع.

ثم هو النسبة لذوى القال من ملك أو جان أو إنسان، هو قول اللسان كلمة واحدة: ❖ ما كنتم آيانا تعبدون ❖ .

و تراه كذباً، إذ كانوا إياهم يعبدون؟ و ❖ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ❖ (٣٨:٧٨) وذلك كذب تباب، وحتى لو أذن لهم فى كذب قضية الفضيحة هناك على رؤوس الأشهاد فلا بد - إذا - من الرد عليه قضية أن القرآن كتاب هدى لا يحمل ضلالاً إلا لتزييفه.

هنا ❖ ما كنتم آيانا تعبدون ❖ أن كانت ❖ ما ❖ نافية، تعنى سلب الحصر قضية تقديم المفعول، كما العكس فى ❖ إياك نعبد وإياك نسعين ❖ وهذا صدق دون ريب، لأن العابدين من دون الله ما كانوا يحضرون عبادتهم فيما يعبدون، فهم كأصل إنما كانوا يعبدون أهواءهم، و على هامشها يعبدون ما يعبدون من شركاءهم، إشراكاً بينها دونما توحيد.

فقد يتبرء الشركاء تخفيفاً عن محظور عبادتها أن لم تكن فى ذلك الميدان مختصين بتلك العبادة ، فإن هناك الشريك الأكبر هو أهواءهم ، و من وراءها عبادتنا كشركة متساهمه، إذاً فنحن كلنا مؤأخذون فيما دعونا إلى عبادتنا أم قبلناها دون دعوة، إلا ﴿الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ (١٠٢:٢١) و هم الصالحون إذ لا قصور لهم و لا دعوة ولا إستجابة فى حقل عبوديتها للمشركين، و معهم غير الطواغيت، من جماد و نبات و حيوان، قضية خروجها عن محور الدعوة و التكليف.

وقد يتأيد ذلك السلب بـ ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ما كنتم إيانا تعبدون﴾ و الله خلقكم و ماتعملون ﴿فالصالحون هنا كما هنا يستنكرون، لماذا عبدتمونا، فرحين أن لم يقصروا، والطالحون هنا فرحون لماذا قصروا هناك فقصروا هنا عن جبره هنا إذ لات حين مناص ، و قد مضى يوم خلاص.

إذاً فـ ﴿ما كنتم إيانا تعبدونن صادقة فى وجهى الأخبار والإنشاء، أنكم كنتم تعبدون أهواءكم و من خلفياتها أن عبدتموا على حوامشها، فالمعبود الأصيل هو أهوائكم ، ثم سائر المعبودات كطقوس ظاهرة أم أسماء سميتوا أنتم و آباءكم . ذلك ، و أما ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا و بينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ فتراهم ككل كانوا عن عبادهم لغافلين؟ والطواغيت يحاولون ليل نهار أن يُعبدوا لأنفسهم المستضعفين، ولهم كبريائية حين يُعبدون من دون الله! فكيف ﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ .

ثم الملائكة والنبيون الذين عُبدوا من دون الله لم يكونوا غافلين عن عبادتهم ولا سيما الآخرون، فإن قضية الرسالة بلاغياً صد العابدين لهم عن عبادتهم كزواية أولى لدعواتهم الرسالية حيث ﴿لا إله إلا الله﴾ فكيف ﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ ؟.

فهما كان غير العقلاء من المعبودين من دون الله ﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ كالجماادات و النباتات و الحيوان ، فالعقلاء من المعبودين - الراجع إليهم ضمير الجمع كأصل - ما كانوا عن عبادتهم لغافلين!.

هنا في وجهه ﴿٤٤﴾ إن النافية، ليس موقف المعبودين إلّا تزييف العابدين إضافة إلى الأول، أننا لم نكن عن عبادتكم لغافلين، فيختص سلب الغفلة بعقلاءهم، أم يعمهم إلى سواهم، إذ ﴿٤٥﴾ إن من شيء إلّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿٤٦﴾ (١٧:٤٤) و من الممكن أنها كما تشعر تسبيح ربها كذلك تشعر من يعبدها فتشهد على عابديها يوم يقوم الأشهاد.

ثم في وجهه ﴿٤٧﴾ إن المثبتة هي غفلة قاصرة من غير ذى العقول منهم، وغفلة مقصرة لذوى العقول منهم القابلين لعبادتهم غير الراضين بإهااف إن ﴿٤٨﴾ كنا عن عبادتكم ﴿٤٩﴾ إيانا ﴿٥٠﴾ لغافلين ﴿٥١﴾ عن التوحيد الحق، و عن كوننا كما أنتم عباد الله. ثم بالنسبة للصالحين هي غفلة التغافل التناسي في واقع العبادة، مهما كانوا ذاكرين في حقل الدعوة.

فهم - إذاً - كانوا بين غفلة ولا غفلة، غفلة تصغيراً لأنفسهم و تعظيماً لله تناسياً لتلك العبادات الشركية، ولا غفلة إعتباراً بصددهم في دعاياتهم الرسالية عن الإشراك بالله.

ذلك، ومن واجهة أخرى قد يسمح للمشركين أن ينكروا إشراكهم حتى يكذبهم الله: ﴿٥٢﴾ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين. أنظر كيف كذبوا على أنفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون (٦:٢٤) فين يضل عنهم ما كانوا تفترون بما زيل الله بينهم و بين ما كانوا يعبدون، يستجرون أنفسهم هنا إلى الدنيا مدّعين أننا كنا على حالتنا الحالية من ذى قبل، فقد كانوا يشهدون يوم الدنيا لشركائهم ثم فى الأخرى ينكرونهم: ﴿٥٣﴾ ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد و ضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل و ظنوا مالهم من محيص ﴿٥٤﴾ (٤١:٤٨).

و حين يدعون أن شركائهم هم الذين سيروهم إلى الإشراك بهم يكذبون: ﴿٥٥﴾ يوم يحضرهم و ما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادى أم هم ضلوا السبيل. قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم و آباءهم حتى نسوا الذكر و كانوا قوماً بوراً. فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطعون صرفاً ولا نصراً ﴿٥٦﴾ (٢٥:١٩).

فالإضلال المنفى هو الحمل على الضلال تسييراً ، فلا ينافى واقع الإغواء تخييراً :
 ❁ قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تيرأنا
 إليك ما كانوا إيانا يعبدون. وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا
 العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ❁ (٢٨:٤٤)

فقد يتواتر على المشركين تكذيبهم في نكران إشراكهم و ذلك عذاب فوق العذاب.
 ❁ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ❁ (٣٠)

❁ فكيف لو تناهت بكم الأمور و بعثت القبور؟ هناك ❁ تبلوا كل نفس ما
 أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق و ضل عنهم ما كانوا يفترون ❁^١
 ذلك و على حد قول الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) : يمثّل يوم القيامة
 ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونهم حتى يوردوهم النار ثم تلا ❁ هنالك تبلوا كل
 نفس ما أسلفت.. ❁^٢ ولكن إن الذين سبقت لهم منا للذين دعوا إلى أنفسهم ولعابدين،
 أم لم يمنعوهم عن عبادتهم، ثم والأصنام المعبودة من دون الله خزياً لعبديها.
 و ❁ تبلوا ❁ من البلوى الاختيار، ف ❁ تبلوا كل نفس ما أسلفت ❁ تعنى
 اختبارها حقيقة ما أسلفت دون غطاء و غشاء ، ف ❁ قد كنت فى غفلة من هذا
 فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ❁ (٥٠:٢٢).

فإختيار الإشراك والشركاء فاصحاً واضحاً لا غبار عليه أنهم ما كانوا شركاء ، و
 أن عبدتها ما كانت فى الحق تعبدها ، إنما كانت تعبد أهواءها الناحية منحة رغباتها.
 و ❁ كل نفس ❁ تعنى كل نفس خيرة أو شريرة ، و بمناسبة المقام الأخيرة إذ
 ❁ ضل عنهم ما كانوا يفترون ❁ .

١ . نور الثقلين ٢: ٣٠٢ عن نهج البلاغه .

٢ . الدر المنثور ٣: ٣٠٧- أخرج ابن مردودية عن ابن مسعود قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم

فكل ما أسلفت و قدمت من خير أو شر هنالك تبلوها ، إختباراً بصورها
المستنسخة الحاضرة يوم الحشر، و بسيرها الحاذرة شراً ، و البارة خيراً و هي هيه
جزاءها، و في خيرها ❀ لدينا مزيد ❀ .

ذلك و عين الحق تبلوا هنا ما أسلفت و كما زيل الله بين المكلفين والمعبودين من
دون الله فطرياً و عقلياً و شرعياً، و بكل الآيات الآفاقية و الأنفسية، و قد يعنى المضى
فى : ❀ زيلنا ❀ ذلك التزييل المستمر مهما كان تزييله يوم الحساب أكثر و أوفر إذ
لا يبقى أى غشاء و غطاء.

فحين يقول الله ❀ وهديناه النجدين ❀ الخير و الشر على مرتفع باهر فقد زيل بين
المشركين و شركاء هم، ولكنهم غطوا على أنفسهم الحق و تورطوا فى الباطل، ثم الله
يزيل بينهم تزييلاً لا يمكن الغطاء عليه يوم يكشف الغطاء.

و ترى أن هنا تضاداً بين ❀ مولا هم الحق ❀ و ❀ أن الكافرين لا مولى لهم ❀
حتى يخرف فُهرَف بأن الثانية ناسخة للأولى، و لا نسخ فى حقل الحقائق الثابتة؟.
كلّا، فإن ❀ مولا هم الحق ❀ فى كافة النشآت، ولكنهم تركوا ولايته يوم الدنيا ،
فهو لا يعاملهم معاملة المولى يوم الأخرى، إذاً فلا مولى لهم : إذ ❀ اليوم نسا هم كما
نسوا لقاء يومهم هذا ❀ (٥١:٧).

وهكذا يتجلى المشهد الحى فى ساحة الحشر بكل حقائقه و رقائقه الدقائق، و بكل
وقائعه و مؤثراته و إستجاباته ، تعرضه تلك الكلمات الرفراقة القلّة، فتبلغ أعماق
الأنفس ما لا يبلغه مجرد الإخبار كقصّ عما يستقبل.

ومن حول الحشر وحوالته بهولته، حيث تتساقط الدعاوى الباطلة و يتجلى فيه أن
الله هو الحق لا سواه، و هو المولى لا سواه، إلى جولة الواقع المُعاش، و كل المشاهد
الآفاقية و الأنفسية التى يشهدونها ليل نهار:

❀ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ مَنْ
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَ
فَلَا تَتَّقُونَ (٣١) ❀

هنا عرض لجوانب هامة من الربوبية الوحيدة لله تعالى في خماسية رزق السماء والأرض، وملك السمع والأبصار وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي و تدبير الأمر كل الأمر في الخلق، وهؤلاء المشركون مصدقون أنها كلها الله ﴿فقل أفلا تتقون﴾ الله، أن تتخذوا من عباده له شركاء، والأمر كله لله.

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ و هو الرزق كله من أكناف الكون؟ ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق وأعبوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ (١٧:٢٩) ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾: ﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ (٢٣:٦٧) ﴿قل رأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصار على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾ (٤٦:٦) ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾؟ ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً﴾ (٣:٢٥).

﴿ومن يدبر الأمر﴾؟ إنه هو ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ (٥:٣٢) و من قبل ﴿ثم استوى على العرض يدبر الأمر﴾ (٣:١٠) ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (٢:١٣) ف ﴿الله الأمر من قبل و من بعد﴾ (٤:٣٠) ﴿إلا له الخلق الأمر﴾ فقد اعترفوا بأن الأمر كله الله ثم خرفوا و هرفوا و احترفوا له شركاء ما نزل الله بها من سلطان!

ذلك، ولأن العبادة في الأكثرية من العابدين تقصد الأرتزاق من المعبودين، فحصر الرزق بالله يحصر العبادة فيه، ورزق ﴿السماء﴾ هو كل آت منها من بُعد أو قرب إلى الأرض وجوؤها، كما أن ﴿رزق الأرض﴾ هو كل ناتج منها من الثرى أو ما تحت الثرى براً و بحراً.

ثم الإنسان يستفيد من رزق السماء والأرض بسمعه و بصره الشاملين لسمع القلب و بصره، فهو بما أوتى من وسائل الإستثمار يستثمر الأرض و يستعمرها بمالها من رزق السماء، والسمع والبصر كرزق السماء والأرض كلها من مُلكة ربنا.

كما أن إخراج الميت من الحي إخراج الحي من الميت ، فى الأحياء والميتات النباتية والحيوانية والإنسانية، و فيها الحياة المادية والروحية و مماتهما، كل ذلك يملكه ربنا.

وفى جملة مختصرة محتصرة: هو الذى يدبر الأمر سواه خلافة أماهيمه من تخويلات مزعومة.

❁ فقل أفلا تتقون ﴿١﴾ الله حيث تشركون به من لا يملك منها شيئاً ، لا وحتى نفسه فضلاً عن عبده!.

ذلك ، و ترى لماذا ❁ يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي ﴿٢﴾ دون ❁ يخلق ﴿٣﴾ حتى يكون كل من الحي و الميت بديعاً؟.

❁ يخرج ﴿٤﴾ تعبير قاصد يدل على أن الكائنات هى مزيجة من الحياة الموت، حياه كامنة فى الميت و موت كامن فى الحي، و كما الله خلقها كذلك، هو يخرج كلاً من الآخر.

ففى إخراج النبتة من الحبة والحبة من النبتة، و إخراج الفرخ من البيضة والبيضة من الفرخ، وما إلى ذلك من مختلف أشكال الأخرجات يتبين تقدير القدير العليم. و مثلاً ماثلاً بين أيدينا نحن أنفسنا حيث يخرج الله الروح من أبداننا الميتة كما يقول الله: ❁ ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿٥﴾ فالروح الكامنة فى الجنين ليس ليخرج من حصاله أجزاءه و أعضائه إلا بانشاء أحسن الخالقين فكما المادة تتبدل بغير ذراتها و جزيئاتها أصلاً أو فصلاً، كذلك حياءً و موتاً، فالحياة الكامنة فى أصول المواد تخرج بإذن الله.

ذلك، فأين كانت تكمن السنبلة فى الحبة، و أين فيها اللب واللحاء والساق السامقة والعراجين والألياف و الطعم والنكهة واللون والرائحة والبلح والتمر والرطب والبسر؟.

و أين كان الفرخ فى البيضة بعظمه و زغبه و ريشه ولونه و شياته و رفرقاته و أصواته؟.

و إين كان الكائن الإنسانى فى البويضة ، فى النطفة الجرثومية بلامحه و سماته المنقولة عن وراثات موعلة فى الماضى، المتشعبة المنابع والنواحي وأين كانت نبرات الصوت ولحظات العين والفتات الجيد و استعدادات الأعصاب، و وراثات الجنس والعائلة والوالدين، و أين و أين كل هذه المخرجات الحية من الميتات و الميتة من الأحياء بتفاصيلها و محاصيلها.

نحن - على التقدم العلمى البارح- لا نستطيع أن نخرج أياً من هذه الإخراجات اللهم إلا أن نكون أسباباً قدرها الله للبعض منها كاللقاح حيث ينتج الحمل ، والمُخرج على أية حال هو الله تعالى شأنه العزيز.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢)

﴿ذلكم﴾ البعيد المحتد عن معرفتكم حقاً، القريب بآياته حقاً، هو ﴿الله ربكم﴾ دون غير الله من أرباب اتخذتموها له شركاء ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ أياً كان بعده و إيان ﴿فأنى تُصْرَفُونَ﴾ و تُخْرَفُونَ فُتْهَرَفُونَ و تُجْرَفُونَ؟. ذلك ، فكل شىء، و كل قول أو فعل أو نية أو علم و ما أشبهه، هو بين حق و ضلال عن الحق، فلا عوان بينهما مهما كان الحق درجات و الضلال دركات.

فالله الحق حق ، وغيره ضلال عن ذلك الحق، إلا من هداه فهو على هامش الحق قدر نصيبه، وكل ما شك فى حقه و ضلاله فليعرف حقه و ضلاله من أله الحق فإنه الحق المطلق المطبق.

فليس الحق زاوية ثالثة من هندسة الكون حتى يقاس حتى الله بذلك الحق، بل هو بنفسه حق، والمدار الأصيل لكل حق نسبي سواه، فالحق الثابت الذى لا عوج له ولا حول عنه ، والحق المصدق الذى لا ضلال فيه ولا كذب ، والحق فى كل حقوله الحق الحقيقية الطليقة هو الله الحق لا سواه.

٢٥

وقوف

في اليوم الآخر عند الرب

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نَتْرُكُ... ﴾

(٣١)

قوله جاهلية قاحلة من ﴿ الذين كفروا ﴾ في استحالة الايمان بالقرآن وما بين يديه من كتاب! فحتى لو تاكدوا- فعلاً- من بطلانه لكانت الإستحالة باطلة، حيث الحال لا تحكم على الاستقبال، فربّ حال ترى أنها من المحال لقصور في العلم او القدرة، ثم يتحول في الاستقبال من راجحة الأحوال.

اجل في الضروريات العقلية الثابتة لدى كل عاقل قد يصح القول الصامد ﴿ لن - او - حتماً ﴾ مستحيلاً أم واجباً، وأما غير الضروريات البدائية، فضلاً عما تدل بنفسها على حقها كما القرآن، فكيف يصح القول ﴿ لن نؤمن بهذا القرآن ﴾ اللهم ألّا ان يخبروا بمدى لتآمتهم و عنادهم للحق، دون قصور في القرآن، ولكنهم على عنادهم قد يتحولون إلى حالة أخرى!

ف- ﴿ لن ﴾ في مثل القرآن ليس لتصدّق أو تصدّق على أية حال، وهم يرفضون بها حاضر الايمان و مستقبله بالقرآن، عناداً.

فالقرآن بنفسه شاهد صدق يفرض على من يتدبره الإيمان به، و يرجح لمن لم يتدبر، و اما إحالة الايمان فليست إلّا من إغلاق باب العقل والفترة لحدّ ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٢٦:٤١)!

و ﴿ الذين كفروا ﴾ هنا هم المشركون واضرابهم من غير الكتابيين مهما كانوا موحدين، و ﴿ الذى بين يديه ﴾ صيغة دائبة في سائر القرآن عن سائر كتابات السماء، إلّا فيما تقرن بقرينة تدل على الحياة الاخرى ﴿ ... ثم لا تينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيماهم.. ﴾ فانها الحياة الأخرى بعد مستقبل الاولى، ولكن ﴿ بين يديه ﴾ تخصّه بضميرها المفرد ولا تخصه الاخرى، إضافة الى قرن ﴿ الذى بين

يديه ﴿١٠﴾ ب - ﴿١١﴾ هذا القرآن ﴿١٢﴾ فما بين يديه قرآن غير هذا من التورات والإنجيل، مهما كان اطلاق القرآن منصرفاً إلى هذا القرآن!

ولما وصل الحوار إلى هذه الحال من اللعنة النكراء ، فلا تفيد بعدئذٍ مواصلة الحوار، من هنا يستعرض حوار اهل النار، كجواب لهم عما هنا:

﴿١٣﴾ ... وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴿١٤﴾

ترى كيف ﴿١٥﴾ لو ترى.. ﴿١٦﴾ و ﴿١٧﴾ لو ﴿١٨﴾ تحيل مدخولها؟ علها الرؤبة يوم الدنيا، ف- ﴿١٩﴾ لو ﴿٢٠﴾ تلوى للترجي: يا ليت ترى في الحال حوارهم البائس في الاستقبال؟ وكما في ﴿٢١﴾ ولو ترى إذ وقفوا على النار.. ﴿٢٢﴾ (٢٧:٦) ﴿٢٣﴾ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴿٢٤﴾ (٣٠:٦) ﴿٢٥﴾ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ﴿٢٦﴾ (٩٣:٦) ﴿٢٧﴾ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ﴿٢٨﴾ (٥٠:٨).

ثم لما يحضر واقع المسرح للأخرى كأنه الحال ﴿٢٩﴾ و ترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الاصفاد ﴿٣٠﴾ (٤٩:١٤) ﴿٣١﴾ وترى الأرض بارزة ﴿٣٢﴾ (٤٧:١٨) ﴿٣٣﴾ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴿٣٤﴾ (٤٩:١٨).

﴿٣٥﴾ .. إذ الظالمون ﴿٣٦﴾ في العقائد الرئيسية كالذين ذكروا ﴿٣٧﴾ موقوفون عند ربهم ﴿٣٨﴾ زجاً في سجنه وقفه الحائرين الذعرين نظرة الحكم من رب العالمين ﴿٣٩﴾ يرجع بعضهم الى بعض القول ﴿٤٠﴾ الظالم المستضعف إلى الظالم المستكبر وعكساً، حيث يلوم بعضهم بعضاً، و يؤنب بعضهم بعضاً ، إلقاءً لتبعة ما هم فيه على بعض، و ﴿٤١﴾ القول ﴿٤٢﴾ هو ﴿٤٣﴾ يقول الذين استضعفوا ﴿٤٤﴾ مقصرين لا قاصرين ﴿٤٥﴾ للذين استكبروا ﴿٤٦﴾ مقصرين ﴿٤٧﴾ لو لا انتم لكانا مؤمنين ﴿٤٨﴾ ! وليس التبعة إلا عليكم، إذ كنا نحن قاصرين، ولو خيلنا و أنفسنا لكانا مؤمنين.

قولة جاهرة اليوم وقد سقطت القيم الزائفة وواجهوا واقع العذاب، وهم قبل اليوم لم يكن يخلد بخلدهم أن يولون ، حيث التخاذل، والضعف القاصد، والاستسلام المصلحي، و بيع الحرية والكرامة بالأركس الأدنى، كانت تحول دون هذه القولة الجاهرة، و هنا الجواب الحاسم من الذين استكبروا.

❁ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا أ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

والهدى تحل محلها من قلوب صافية ضافية، فليست لتصد بعد اذ جاءت ❁ بل كنتم قوماً مجرمين ﴿٣٢﴾ قبل ان نصدك ، فقد أجرمتم ثمرة الحياة تغاضياً عن فطركم وعقولكم، و تحكيما لحاضر شهواتكم ، ثم نحن واصلنا في إضلالكم: ❁ ظلمات بعضها فوق بعض ﴿٣٢﴾ فنحن واياكم صادون عن الهدى عن سواء، فان كنا نحن مجرمين مستكبرين ، فقد كنتم انتم مجرمين مستضعفين ، وكل اناء بما فيه يشرح! ثم يرجع المستضعفون بما يخفف عنهم في زعمهم عذابهم، و يتقل على المستكبرين:

❁ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا.. ﴿٣٣﴾

لو أننا يقينا على جرمننا دون مكر و أمر منكم لخف الوطاء عنا و كنا اقل منكم عذاباً ❁ بل مكر الليل والنهار ﴿٣٣﴾ من ناحية و نحن ضعاف العقول، و ❁ إذ تأمروننا.. ﴿٣٣﴾ من اخرى و انتم اقرباء ولكن الذي جائئة الهدى على بيته كيف يُمكر، ام الذي يؤمن بها كيف يكفر حين يؤمر؟ والكفر والايمن من الامور القلبية لا اكراه فيهما...

هناك يدرك الفريقان من الظالمين أن ليس الحوار ليثمر تخفيفاً عن عذاب أم تأجيلاً، فلكل جريمته و إئمه ما هو ظالم قدره، ثم على المستكبرين تبعه زائدة لإضلال الآخرين، المستضعفون عليهم و زرهم باتباعهم مقصّرين، لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين، كما لا يعفى المستكبرين أن هؤلاء كانوا مجرمين.

فهناك تُختم الحوار برؤية العذاب و حيث لا تفيد الحوار:

❁ ... وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

كل من المستضعفين والمستكبرين ❁ وجعلنا الإغلال في اعناق الذين كفروا ﴿٣٣﴾ و هى فى الحق تلکم الاغلال التى غلّوا بها انفسهم، غلّ الاستضعاف وغلّ الاستكبار، و

أين غل من غل؟ و أين عذاب من عذاب؟ ❀ هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون ❀ غلًا بغل: و ❀ لقد كنت في غفلة من هذه فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد❀!
❀ و ما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلّا قال مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ❀
(٣٤)

فلا ماهية الرسالات الإلهية و طبيعتها هي الحفاظ على العدل بين الناس ، والقضاء على تطاولات المستكبرين والطغات والمترفين في اللذات والحيونات، ذلك كانت تعارض منذ بزوغها من قبل المترفين فلم تكن - إذاً - خلاف ما يزعم - بجانب الرأسمالية و تخديراً للمستضعفين.^١ ف _ ❀ أنا بما ارستم به كافرون❀ دون تأمل و تحليل، و تغاضياً عن كل دليل، هي كلمة المترفين على مر الزمن الرسالية ، معادة مكرورة في كل قرية، حيث الترف يغلظ القلوب و يفقدها كل حساسية عقيلة و لمسة فطرية ، لحد يحسبونهم هم الموضوع الرئيسي والمحور الأساسي في الحياة، و إن اموالهم و اولادهم هي ما نعتهم من العذاب في الأخرى كما تمنعهم في الأولى!:

❀ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ❀ (٣٥)

و لو كان هنالك عذاب فانما هو للمستضعفين فلنا الترف في كل طرف من اطراف الحياة ❀ و لئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مستة ليقولن هذا لي و ما اظن الساعة قائمة و لئن رجعت إلى ربّي ان لي عنده للحسنى❀ (٤١:٥٠).

^١ الدر المنثور ٥: ٢٣٨ - أخرج ابن ابي شيبة و ابن المنذر و ابي حاتم عن ابن زيد قال كان رجلان شريكان خرج احدهما الي الساحل و بقي الآخر فلما مرضي النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) كتب إلي صاحبه يسأله ما فعل فكيف اليه انه لم يتبعه أحد من قريش الارذالة الناس و مساكينهم فترك تجارتة و اتي صاحبة فقال له ذلني عليه . و كان يقرأ الكتب فاتي النبي (صلي الله عليه و آله و سلم): الي كذا و كذا، قال: أشهد انك رسول الله قال ما علمك بذلك قال: انه لم يبعث نبي لا اتبعه رذالة الناس و مساكينهم فنزلت هذه الآيات.. فأرسل اليه النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) ان الله قد انزل تصديق ما قلت.

وى! كانما الاموال والاولاد هى التى تقربهم إلى الله زلفى فلا يعذبون، وليس هى من حسن اعمالهم، ولا انها منهم حتى ولو كانت حسنة لهم:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(٣٦)

أنهم يحسبونهم أن بايديهم بسط الرزق و قدره، وهم يرون كثيراً ممن يسعى مجدداً فلا يجد سعة إلا قدرأ، و آخرين لا يسعون كثيراً، ام ولا قليلاً ولهم بسط في الرزق . و هذا لا ينافى الضابطة المطردة : ﴿ و أن ليس للانسان إلا ما سعى ﴾ فانما بسط الرزق و قدره فى أكثرية ساحقة خارجان عن مدى السعى والبطالة ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

٢٦

بروز الجميع الله

يوم الله

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

﴿الم تر﴾ يا رسول الهدى - أستفهام تقرير - : رؤية المعرفة اليقين القمّة وهو الحق اليقين ببصيرة الفطرة والعقل ، المزوّد بالوحي ، و ﴿الم تر﴾ ايها المخاطب العاقل رؤية دون الوحي من انسان وجان و سواهما من العالمين المكلفين الصالحين اخطابات الله شرعية و تكليفته. ﴿ان الله خلق السماوات والأرض﴾ و هما الكون كله ﴿بالحق﴾ : الله بالحق، خلق بسبب الحق و مصاحبة و غاية، و بالارادة الحقّة والنظام الحق، دون فوضى جزاف في كمّ الخلق و كيفية ، في بدايته دو غايته و نهايته، و من هذا الخلق انتم المخاطبون المكلفون من الجنة والناس و اضرابكم.

فالخطاب هنا مطلق لا يقيد بالناس، مهما يخص في الفاطر بالناس كأصدق مصاديقه: ﴿يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد. ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد﴾ (١٦) و الخلق الجديد هنا _ اعم من الناس.

﴿خلق .. بالحق﴾ فان اخلدم الى الباطل ﴿ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد﴾ جديد قد لا يكون هم من الناس: ﴿ان يشأ يذهبكم ايها الناس و يأت بآخرين﴾ (١٣٣:٤) ام جديدهم من الناس و لكنهم قرن آخرون : ﴿وربك الغنى ذو الحرمة ان يشأ يذهبكم و يستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرون﴾ (١٣٣:٦).

وهكذا يتهددنا ربنا ان عشنا خلافه ﴿و ما ذلك على الله بعزير﴾ و كما قضى على قوم نوح اجمعين إلا شرذمة صالحين، ثم اتى منهم بآخرين.

﴿ وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٢١) ﴿

ترى و متى برزوا لله جميعاً وهم بارزون منذ كونهم في كونهم و قبل كونهم في علم الله بكيانهم، هل هويوم القيامة؟ ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم الله الواحد القهار ﴿ (١٦:٤٠) و هم في مثلث الزمان، و في اللازمان بارزون لله جميعاً! ﴿ ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ﴿ (٥:٣).

ان واقع بروزهم لله كائن على أية حال، ولكنهم لكفرهم بالله يخفى عنهم يوم الدنيا بروزهم لله، ثم هم بعد الدنيا بارزون في اعترافهم بالله: ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ﴿! ومن ﴿ هذا ﴿ بروزهم بأعمالهم لله سرّاً و علانية.

بارزون لا يقدر على تستر واستخفاء رغم ما كانوا يظنون: ﴿ بل بدل لهم ما كانوا يخفون من قبل ﴿ (٢٨:٦) ﴿ يؤمئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴿ (١٨:٦٩) ثم وصيغة الماضي ﴿ وبرزوا ﴿ تبرز مضي واقع البروز لله منذ برزوا الى الوجود و بروزهم لعلمه قبل الوجود مهما كان البروز هو الظهور بعد الاستتار ، فحين كانوا مستترين عن اصل الوجود كانوا بارزين لله كعلم سابق، وحين اوجدهم كانوا بارزين كما كانوا على سواء مهما خيل اليهم انهم بأعمالهم مستورون عن الله، و حين يردون على الله في يوم الله يتحقق بروزهم بكل زواياه، حيث هم يعلمون بروزهم لله ، فهم بارزون لله قبل بروزهم إلى الوجود وبعد موتهم و بعد بعثهم و بعد موت من في النار مع النار، و بقاء من في الجنة عطاءً غير مجذوذ ﴿ لا يخفى منهم خافية ﴿.

كما و إن هذه الصيغة الماضية بجنب هذه اللامحة اللامعة ، تُحَقِّقُ مستقبل بروزهم كأنه ماض، فقد كانوا بارزين لله لا يخفى عليه منهم شيء ، و سوف يبرزون دون أية غطاء ولا في أنفسهم أنهم بارزون لله!.

ولما ﴿﴾ برزوا الله جميعاً ﴿﴾ كافة المكلفين، وفيهم الضعفاء والذين استكبروا، ﴿﴾ فقال الضعفاء ﴿﴾ تقصيراً دون قصور، حيث الضعف القاصر عاذر كما ﴿﴾ المستضعفين ... الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴿﴾ و إنما ضعفٌ من ضعف مقصر، حيث سامح عن عقله ، و تغافل عن فطرته، وتغرّب عن إنسانيته، تنازلاً عامداً عن اخص خصائص الانسان و هو الحرية والاستقلال فى التفكير وانتخاب المسير والمصير، فقصارى ما يملكه المستكبرون هى تحديد الحياة المادية و تجسيها ، اما الحياة الروحية والفطرية والعقلية فلا مدخل لأى مستكبر اليها إلا من الضعفاء الذين يفتحون ابواب ارواحهم بمصارعها لاي غادر مغادر.

إن المستضعفين هم ثلثة على طول الخط، والمستكبرون قلة ، فلماذا تخضع تلك الثلثة لهذه القلة، إلا لضعف الروح، و سقوط الهمة ، وعدم استقلال الارادة ، والتنازل الداخلى عن آية كرامة انسانية موهوبة لكل إنسان.

ولقد بلغ بهؤلاء الأندال الذل و حياة التبعية اللاشعورية لحدّ يستطير الى مسرح الآخرة حيث يسألونهم ﴿﴾ انا كنا لكم تبعاً ﴿﴾ عرضاً لموقفهم المتخاذل أمامهم كأنه يحرضهم او يمكّنهم لمقابلة الحسنى بالحسنى و هنا ﴿﴾ تبعاً ﴿﴾ مصدرأ مفردأ دون أتباع جمع ﴿﴾ تابع ﴿﴾ وقضية الجمع فى ﴿﴾ انا كنا ﴿﴾ هى ﴿﴾ أتباع ﴿﴾ علّة تأشيرأ إلى مبلغ هذه التبعية اللعينة الأعمى كأنهم نفسها دون فاعل لها، فهم كأنهم تجسيد لأصل التبعية ، إذ لم يبق من كيانهم إلهيه ﴿﴾ فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء ﴿﴾ ذلك العذاب الأليم الذى هو من خلفيات تلك التبعية الملعونة.

وقد تلمح ﴿﴾ هل أنتم مغنون ﴿﴾ بمقال سابق للمستكبرين و كما كانوا يقولون للمؤمنين: ﴿﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلناو لنحمل خطاياكم و ما هم بحاملين من خطاياهم من شىءٍ إنهم لكاذبون. وليحملن اثقالهم و اثقلاً مع اثقالمهم و ليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴿﴾ (٢٩:١٣).

ثم ﴿﴾ من عذاب الله من شىء ﴿﴾ و تشنية ﴿﴾ من ﴿﴾ المبعضة تشنى التبعض، عناية إلى بعض من بعض، استئصالاً لإغناء هم عنهم شيئاً من عذاب الله وان قليلاً فى ذلك

اليوم العصيب: ❁ واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار. قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ﴿٤٨:٤٠﴾ .

فحين ❁ كنا لكم تبعاً ﴿٤٨:٤٠﴾ في مطلق التبعية كالعبودية المطلقة ، فهل يقابلها هنا - وفي كما الحاجة والإضطرار - أن تغنوا عنا شيئاً وإن ضئيلاً قليلاً من عذاب الله؟! ❁ قالوا لو هدانا الله لهديناكم ﴿٤٨:٤٠﴾ وعلها هدى الأولى والأخرى، إنا أن ❁ لو ﴿٤٨:٤٠﴾ في الأولى أحالة للهدى بما زاغوا فأزاع الله قلوبهم ، فلما لم يهتدوا لم يكن منهم إلا الإضلال لأتباعهم وامتناع الهدى بالاختيار لا ينافي الاختيار حيث اختاروا الضلال فلم يكن الله ليهديهم سبيلاً إلا سبيل جهنم ، ثم ❁ لو ﴿٤٨:٤٠﴾ في الأخرى أحالة الهدى الثواب، أو التنحي عن العقاب، فمثلنا كمثلكم سواء ❁ سواء علينا ﴿٤٨:٤٠﴾ جميعاً ضعيفاً و مستكبراً ❁ أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴿٤٨:٤٠﴾ .

ان الضال في طبعه ، هو من طبعه الإضلال ، كما المهتدى في طبعه من طبعه الإهداء ، فكونكم تبعاً لنا ككوننا جميعاً تبعاً للشيطان لا يبررنا حياة التبعية الضالة ، فكما كان مسيرنا واحداً في ضلال، كذلك مصيرنا و ❁ ما لنا من محيص ﴿٤٨:٤٠﴾ حيث الآخرة هي مثال الدنيا في ضلال و هدى:

❁ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴿٤٣:٧﴾ .

لقد قضى الأمر، وانتهى الجدال، و ما كاد تنفع الحوار، و بجنبنا الشيطان هاتف الغواية لنا جمعاً يعترف بمثواه و مأواه ، محلّقاً في إذاعة جهنمية على كافة الضالين من الضعفاء والمستكبرين، مندداً بهما جميعاً، و مردداً ضلاله و ضلالهم جميعاً ، كافراً بما اشركتموه من قبل ❁ ان الظالمين لهم عذاب اليم ﴿٤٣:٧﴾ :

❁ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَ

لُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

أجل! إنه يعظم إبليس لجهنم^١ و يقول قولته النادمه الصارخة الصارحة للحق، إذاعة بمذياعه الحاشر أتباعه الحاسر عن مكائده و مصائده وعن كل شيطاناته طول حياة التكليف، فتبدوا شخصيته هناك على أتمها كما بدت شخصية الضعفاء والمستكبرين ، في طعنة نافذة ناشزة، حيث لا يملكون عليه رداً، ولا لانفسهم مرداً، فانه مصارحة له ❁ لما قضى الأمر ❁ وما هو ذلك الأمر؟ هل إنه أمر حياة التكليف منذ الموت في الحياة البرزخية؟

و لما يقض كل الأمر إلا إشخاص الأمر لأشخاصه! ❁ وقال ❁ تلمح لمرء واحدة في ذلك الخطاب للضالين كلهم! والحساب فيه مؤقت برزخ! أم إنه التكليف ككل عند قيامة الإحياء قبل الحساب؟ ولم يقض كل الأمر ، فان امر الحساب أمر هو أمر من أصل القيامة!

أم انه امر الحساب حين استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار؟ و هناك امر لم يقض بعد و هو خروج جمع من اهل النار من النار! و أمر الخطاب هذا لأتباعه عذاباً فوق العذاب ليس إلا بعد قضاء كل أمر!

١ . الدر المنثور ٤: ٧٤- أخرج ابن المبارك في الزهد والن جرير والن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه و ابن عساكر عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) و قضى بينهم، و فيه ذكر تسلسل الشفاعة من آدم الي محمد (صلي الله عليه و آله و سلم) ثم : ويقول الكافرون عند ذلك قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ما هو الا ابليس فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم انت فاشفع لنا فانك انت اضللتنا فيقوم ابليس فيثور مجلسه من انتن ريح شمها أحد قط ثم يعظم الجهنم و يقول عند ذلك : أن الله وعدكم وعد الحق..

قد يجمع الأمر هنا كل أمر يرجع إلى أهل الجمع وقد قضى الأمر كله، و كما يلح له لام الاستغراق في الأمر، مهما شمل مثل الأمر قبله، و رباعية الأمر لا تنافي ❀ وقال ﴿فانه كل قالة من الشيطان تختصر و تختصر في هذه القالة.

و ترى ❀ الشيطان ﴿هنا تعم شياطين الجن والإنس؟ و ظاهر الصيغة إفراده، و إلاً لكان ❀ الشياطين ﴿كما في أمثالها السبعة عشر الأخرى! و انه رئيس الشياطين والمضللين: ❀ قال فيعزتك لأغوينهم أجمعين ﴿(٨٣:٣٨) ! وان ❀ كم ﴿فى ❀ وعدكم ﴿ و ❀ وعدتكم ﴿ تشمل كافة الضالين من مستكبرين و مستضعفين من الجنة والناس اجمعين! ولم يذكر ❀ الشيطان ﴿ فى موارد السبعين إلاً ويعنى ابليس - فقط - دون حزبه، اللهم إلا بقريئة كـ ❀ طائف من الشيطان ﴿ (٢٠١:٧) و ❀ شيطاناً مريداً ﴿ (١١٧:٤) و ❀ نقيض له شيطاناً ﴿ (٣٦:٤٣).

فالشيطان - إذاً - هو الشيطان، رئيس المضلين منذ التكليف الى يوم الدين. فى هذه المحاضرة الشيطانية - المحاذرة، ينهار سائر الشياطين صغاراً و كباراً، و على هامشهم كل من استجاب له.

ويا لها من كلمة قصيرة الاداء طويلة المدى، بعيدة الصدى ، تضرب الى الاعماق، و تخرق الآفاق، فتضيف الى جحيم النار لأتباعه جحيم الندامة والحسرة الحاسرة، حيث يُعرّف بنفسه هناك كما عرّف الله به هنا، والقرآن يجمع بين ما هنا و هناك، حجة قارعة بارعة لمن القى السمع و هو شهيد.

❀ قال.. ان الله وعدكم وعد الحق ﴿ وعداً يملك كل مؤشرات و براهين الحق من برهان الواقع وواقع البرهان، دونما تخلف لوعده عن حكم الفطره والعقل والشرعة والواقع يوم الدنيا، والذي سوف يقع يوم الدين.

وقد يعنى المضى فى ❀ قال ﴿ إضافة إلى مستقبل متحقق الوقوع، قاله فى ماضيه منذ اصطكاكه بالمكلفين، و طبعاً لا يتفهمه إلا من يعتقد فى قضاء الأمر، حيث يتعرف الى قاله من افعاله، والى افعاله من قاله.

ثم ﴿ وعد الحق ﴾ دون ﴿ الوعد الحق ﴾ يلمح لتحقيق الوعد الحق فى كل حقوله، دون الوعد فقط، فمن الواعدين من يعد حقاً ثم يمنعه مانع ام يقضى نحباً قبل قضاء وعده ، وقد لا يعد أمراً ثم يحققه، ولكن وعد الله هو وعد الحق. وقد تعنى اضافة ﴿ وعد ﴾ بـ ﴿ الحق ﴾ كل تقديراتها، وعداً بالحق و وعداً فى الحق و وعداً للحق و الى الحق، حقاً فى الوعد و فى تحقيقه و فى تطابقه لقضية الفطر والعقول، فلا تجد اى تخلف فى وعد الله الحق، مستغرقاً كل حق موعود دونما استثناء ، حقاً فى الأولى و فى البرزخ والأخرى، و قد تبين لهم كله فى الأخرى، و هنالك يخسر المبطلون.

﴿ و وعدتكم فأخلفتكم ﴾ إخلافاً فى اصل الوعد لكذبه، و إخلافاً فى تحقيقه حيث لا يقدر عليه ولو صدق إذ لا يملك من دون الله من شىء. و ذلك الإخلاف ليس - فقط - يظهر ﴿ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ بل و يوم الدنيا لمن أبصر بها فبصرتة، دون من أبصر إليها فأعمته.

فوعده - إذاً - وعد الباطل، و جاء وعد الحق لله، و ﴿ كان وعد الله مفعولاً ﴾ و مقروناً بكل مؤشرات الصدق و بينات الحق، دون وعد الشيطان اذ ليس له من سلطان: ﴿ وما كان لى عليكم من سلطان ﴾ سلطان البرهان، ام سلطان القوة السالبة الإختيار فانه - ككل - من السلاطة و هو الممكن من القهر أياً كان، كما وقد يلمح ﴿ من ﴾ لإستئصال اى سلطان للشيطان، وليس له إلا كيد و ﴿ ان كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (٧٦:٤) ﴿ والله الحجة البالغة ﴾.

ثم ﴿ وما كان ﴾ تضرب إلى اعماق المضى مهما مضى و لاقل تقدير منذ التكليف لأهله.

﴿ وما كان .. إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴾ : دعوة فاضية خاوية، دون ان تملك اى صاد بها ولا يكاد إلا من تناسى كرامة العقل والفطره و هدى الشرعه، و بصيغة عامة من تغافل عن آيت الله آفاقية و أنفسية، و أخذ إلى الارض واتبع هواه

وكان أمره فرطاً: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ التَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٢:١٥).

فهنا الاستثناء منقطع، حيث السلطان السالب للاختيار ينافي تكليف الإختيار، والدعوة الكائنة الصائفة السائفة في كل حركات الشيطان لا تجد سبيلاً لتحقيقها في ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿(١٦:١٠٠)﴾ سلطانٌ ليس إلا استجابةً من الذين يتولونه و يتقبلونه، فليس - إذاً - سلطاناً مستقلاً قاهراً، بل مستغلاً ظاهراً حين يجد له ظرفاً مطاوعاً.

فلان سلطانه على الذين يتولونه تابع لمطاوعتهم فليس هو سلطاناً له عليهم ، بل تسليطاً له منهم عليهم.

فان صدق عليه سلطانٌ - ولا يصدق - فهو سلطانٌ لا ينافي التكليف، والإستثناء إذاً متصل، ولكنه لا يلائم معناه لغوياً و هو التمكن من القهر إذ لا قهر في سلطانه، إلا تجريداً له عنه القهر في المستثنى، فهو مطلق التأثير، إذاً فرق معنوياً بين انقطاع الإستثناء واتصاله ما لم يكن له سلطان القهر.

و هذه و خزة معيرة مغيرة على أتباعه إذ قضى الأمر فلا مناص وولات حين خلاص : ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَجِبْتُمْ لِي﴾ .

دعوة تزين لهم الباطل فيحسبونه حقاً، و تُصور لهم الحق باطلاً، فهنالک استحوذ الشيطان على اوليائه و نجى الذين سبقت لهم من الله الحسنی. وللشيطان دعوات هدة في مختلف الحقول، ولمختلف العقول، لا تملك أية برهنة و سلطان إلا نفسها بكل زور و غرور فانه غرور.

﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَجِبْتُمْ لِي﴾ تشمل كافة دعواته كافة الإجابات له على طول الخط ، مهما اختلفت في الصورة، فانها سيرة واحدة.

ليست دعوة الشيطان لغير المخلصين على حدّ سواء، بل له خطوات يخطوا بها الى أهدافه حسب الظروف والإمكانيات.

فقد يدعوا و يستجاب بسهولة ، وهذه لمن يتوَلَّونه و هم مشركون، و أخرى بصعوبة و محاولات عدة و هى لمن يؤمنون بالله، و هنالك صراعات و صدامات بين الشيطان بخيله و رجله و بين هؤلاء قد يغلبون و قد يُغلبون و أخرى عوان بين ذلك، و ثالثة مستحيلة و هى بالنسبة للمخلصين من عباد الله حيث أخلصوا أنفسهم فاخلصهم الله ، فلا سبيل إليهم من الشيطان. و بصيغة جامعة الغاؤون هم الذين له اليهم سبيل و عليهم سلطان.

❁ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ❁
 واوليائه، و يا للسخرية المرهفة، حيث الصبر الآن صبرٌ على النار ❁ و ما أصبرهم على النار ❁ وليس الصبر الذى يعقبه الفرج حتى يبدل مره حلواً لآجل الفرج ، و إنما هو النار المثنوى للقرار و لوات حين فرار!

ليس لهم وإن يستعتبوا طلب العتبي و الرضا، فما هم بمرضيين، و الإعتاب هو استصلاح الجلد بإعادته فى الدِّبَاغ، و هؤلاء لم يبق لهم مجال الإستصلاح حيث تردوا بكاملهم إلى الفساد فلا مثنوى لهم إلا النار ❁ إصلوها فالصبروا أولاً تصبروا سواء عليكم ❁ (١٦:٥٢).

و معنىً ثانٍ للعتبي هو العتاب الشديد، فإن طلبوا عتابهم فلا يعتبون، كناية عن غاية تردُّ لهم لحد يخاطبون حتى خطاب العباب ❁ فيومئذ لا ينفع الذين كفروا معذرتهم ولا هم يُستعتبون ❁ (٥٧:٣٠) و قد جرت العادة أن الذى يطلب العتاب يطلبه كذريعة لما يرجوه من الصفح و الرضا تغاضياً عن الأسباب، فاليوم يغلق باب العتاب متاباً و عتاباً. فالإعتباء يعنى كلا السلب و الإيجاب ، العتبي وازالة العتبي، كما الإطاقة هى سلب الطاقة ❁ فان يستعتبوا ❁ طلب سلب العتاب بعنبي الإستصلاح فما هم بمعتميين، و إن يستعتبوا إيجاب العتاب التنديد فما هم بمعتميين! ❁ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ❁ جزع الصراخ أم طلب الإصلاح، أم طلب العتاب، فقد سدل الستار و أغلقت الأبواب و تمت كلمة زبك بتمام العذاب!

❖ وَ قَيَضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ❖
 ولإنهم عشوا عن ذكر الرحمن فعاشوا عشو الشيطان ❖ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهوله قرين ﴿٣٦:٤٣﴾ لذلك ❖ وقيضنا لهم قرناء.. ﴿٨٣:١٩﴾ ❖

فالتقييض هو الإرسال، فكما الله يرسل للمؤمنين مؤيدين لا كتمال الإيمان ثواباً وفاقاً، كذلك يرسل للكافرين مؤيدين عقاباً وفاقاً، أم ليس التقييض - فقط - الإرسال وإلا جيء بصيغته الشهيرة ❖ أرسلنا ﴿٢٥﴾ كما في آية الأخرى، بل هو الأرسال التبدل، أن بدلناهم عن الهداة التقاء بغات طغات، إذ بدلوا نعمة الله كفراً و ❖ ذلك بأن الله لم يكن مغيراً ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿٢٥﴾ فلما بدّلوا دعوة الهدى إلى الردى ❖ قويضنا لهم قرناء ﴿٢٥﴾ ليواصلوا في الردى ❖ ونمدهم في طغيانهم يعمهون ﴿٢٥﴾، ❖ فزيّنوا لهم ﴿٢٥﴾ ثانياً بزيادة، ما تزين لهم أنفسهم بما ظلوا و تعاموا وعشوا ❖ زينوا لهم ما بين أيديهم ﴿٢٥﴾ من شهواتهم الحاضرة و دنياهم المستقبلية و يوم القيامة ❖ وما خلفهم ﴿٢٥﴾ ما خلفوها و جعلوها سنة، أم فعلة عابرة غابرة، و من سنن الغابرين أمثالهم، فعند ذلك تمادوا في العصيان و تعاموا في الطغيان.

ومن تزيين دنياهم بين أيدهم و خلفهم أنهم يصورونها بمكائد و أكاذيب صورة المطلوب و الغاية القصوى من الحياة: ❖ إن هي الا حياتنا الدنيا نموت و نحيا.. ﴿٢٥﴾ و من تزيين عقابهم الأولى تشجيعهم على جبران ما فات منها، عرضاً للمستقبل أعرض مما مضى، و من تزيين عقابهم الأخرى، تزيين نكرانها، أم وعلى قبولها لمن ليس لينكرها، تزيين حسابها حيناً لا يعتد به، أم غفراناً للمجرمين قضية الرحمة الواسعة الفوضى الجزاف، أم و ❖ ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴿٢٥﴾ أماذا من تحريف للآخرة و حسابها، و تجديد فيها و تجريف لها يخرجها عما يحمل على التقوى و يذر على الطغوى فهده هي المهلكة العظمى و المصيبة الكبرى و المنحدر الذي ينتهي الى كل بوار ❖ جهنم يصلونها و بسس القرار ﴿٢٥﴾ و هم من ❖ الأخرين أعمالاً

الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿١﴾ وأولئك لهم سوء الدار ﴿٢﴾.

لذلك ﴿٣﴾ وحق عليهم القول ﴿٤﴾ كلمة العذاب ﴿٥﴾ قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك و ممن تبعك منهم أجمعين ﴿٦﴾ (٣٨:٨٥).

﴿٧﴾ في أمم قد خلت ﴿٨﴾ مضت ﴿٩﴾ من قبلهم ﴿١٠﴾ فإن أصحاب الجنة يتواردون ردف بعض تلوأ، لادفعة واحدة ﴿١١﴾ من الجن والإنس ﴿١٢﴾ قضية إشتراك التكليف فاشتركا في عقاب أو ثواب ﴿١٣﴾ إنهم كانوا خاسرين ﴿١٤﴾.

﴿١٥﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ (٣٣:٤٨).

إقتراح متعنت مكرور على السنة الناكرين ليوم الدين^١ كأنه حجة على المصدقين، وما هي الصلة بين كونهم صادقين وأن يعلموا متى وعد يوم الدين؟! أليس يعلم كل منا بيقين انه سوف يموت ولكنه لا يدري متاه ومُدها، فهل لنا نكران موتتنا إذ لا نعلم وقته بيقين؟ إن هي إلا هرطقة حمقاء يخيلون إلى الحمقاء كأنها حجة على كذب هذا الوعد!

ولا جواب لهذا السؤال - و بعد كافة البراهين القاطعة على إمكانية ضرورة المعاد - لا جواب إلا واقعه، إذ لا انتظار بعد لجواب آخر:

﴿١٧﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١٨﴾ (٣٣:٤٩).

و إنها صيحة الإمامة لقيامه التدمير، و تتلوها صيحة أخرى لقيامه التعمير، وترى كيف ينظرونها و هم ينكروها؟ إنه واقع الإنتظار وإن كانوا ينكرون، حيث المنتظر لهم واقع الجواب، فإذا لا تقنعهم البراهين القاطعة فلتكفهم صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون.

إنهم ما ينظرون إجابة عن ﴿١٩﴾ متى هذا الوعد ﴿٢٠﴾ فحتى لو حُدد لهم كذبوه و زيادة، فليس لهم - إذا - إلا واقع الإنتظار لواقع الجواب، وآخر الدواء الكي!

^١ نجد نفس الصيغة في ١٠ : ٤٨ و ٢١ : ٣٨ و ٣٤ و ٢٥ : ٢٥ و آية يس خامستها.

إن الصيحة الواحدة تأخذهم على غفلة ونكران، إذا فالإرتجاف أتم والإيخاف أعظم وأطم، و تكفيهم إجابة عن سؤالهم المستهزء المتعنت، ثم الصيحة الثانية واقعة وليست إجابة بعد الأولى، ولذلك ❀ ما ينظرون إلا صيحة واحدة ❀ لا أكثر، ❀ وما ينظر هولاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ❀ (١٥:٣٨) وتلكم الصيحة الواحدة تجعلهم حيارى لحد: ❀ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ❀ (٥٠:٣٣).

أهلهم كأمثالهم في أخذة الصيحة، فأين التوصية لهم أو الرجوع إليهم؟ وحتى اذا لم تأخذهم! فالصيحة هي المانعة لهم عن هذه أو تلك وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، و لتقومن الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقى فيه، و لتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، و لتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فمه فلا يطعمها.)^١

ثم تتلوا الصيحة الواحدة نفخة هي الصيحة الثانية للإحياء: ❀ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ❀ (٤٢:٥٠).

❀ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ❀ (٥١:٣٣)
ليس الصور جمعاً للصورة، وقرائة الفتح مردودة لمخالفتها المتواترة، ولرجوع ضمير المفرد المذكور إليه في سائر القرآن: ❀ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ❀.

وهنا نفختان هما الصيحتان، وصيحتان هما النفختان: ❀ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ❀ (٦٨:٣٩) ❀ ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله و كل أتوه داخرين ❀ (٨٧:٢٧).

١. الدر المنثور ٥ : ٢٦٥ - اخرج سعيد بن منصور والبخاري و مسلم و ابن المنذر و ابو الشيخ عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): ...

والصور هو البوق الصارخ في أعماق الأرواح فتفريق عن صعقتها الناتجة عن النفخة الأولى بأبدانها المتألية، وفي نسل الأبدان الدنيوية على قدر. وهو نقره الناقور^١ تضرب إلى الأعماق ❀ فإذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون ❀.

فكما الصيحة الأولى أماتهم لوطئتها، كذلك الثانية تحييهم لوقعتها، إزعاجة لها فاعليتها، إماتة مرة وإحياءة أخرى، ولا عوان بين إماتة وإحياء للأرواح، إلا من شاء الله .

مُصَعِّقَةٌ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى، كَمَا الْأَبْدَانُ مَبْتَتَةٌ، فَنَسَلُهُمْ مِنْ أَجْدَاتِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ هُوَ إِفَاقَةُ الْأَرْوَاحِ وَرَجْعُهَا إِلَى أَبْدَانِهَا ❀ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ❀ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ❀ وَ.

وترى ما هو نسلهم من أجداتهم إلى ربهم؟

الأجدات هي القبور: الأمكنة التي تحوى الأجساد برزخية ودنيوية بأرواحها، سواء أكانت تحت الأرض أمأذا؟ مجموعة الأجزاء أم متفرقة، منضمة إلى أشياء أو أبدان أخرى أم مستقلة، فإنها لا تضل عن علم تضمنها: ❀ وقالوا إذا ضللنا في الأرض أينا لفي خلق جديد... قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ❀ (١١:٣٢) ❀ يوم يخرجون من الأجدات سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ❀ (٤٣:٧٠) ❀ خُشِعَا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاتِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ❀ (٧:٥٤): خروجاً للأرواح داخله في أجسادهم على قدر اللازم في المعاد.

والنسل هو الانفصال ❀ وهم من كل حذب ينسلون ❀ (٩٦:٢١)

انفصلاً من كل المرتفعات، كما انفصال الذرية عن الآباء: ❀ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ❀ (٨:٣٢) ❀ وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ❀ (٢٠٥:٢).

١. راجع ج ٣٠ ص ٣٤ - ٣٦ من تفسير سورة النبأ ففيه نبأ فصل عن الصور.

أفترى أن نسلهم من أجداتهم هو - فقط - انفصالهم عنها بأجسادهم؟ وليس كل انفصال نسلًا بل هو انفصال خاص في انفعال خاص كنسل الذرية عن الآباء وهو الخاص بيوم الدنيا، و نسل الإنسان مرة أخرى يوم الأخرى دون آباء ❁ كما بدأكم تعودون ﴿٢٩:٧﴾ ولكنه ينسلون هنا سراعاً دون مكوث الأولى في رحم أمّأذا؟ فإذا كان العود كالبدء إلا في الآباء و الملكوت في الأرحام، فليكن ❁ ينسلون ﴿٢٩:٧﴾ خلقاً لهم جديداً لهم كما خلقوا أوّل مرة.

إنهم ينفصلون بكل أجزاءهم عن كل اتصال غريب، ثم تنفصل اجزاءهم الأصلية التي عاشوها في حياة التكليف وكل الحيات، ثم تنسل هذه الأجزاء لخلق آخر كالأوّل، دون اختلاف عن الخلق الأوّل إلا فيما نعلمه هنا أمّأذا؟ سراعاً ودون أصاب و أرحام! فنظفته التي خلق منها أوّل مرة بطول الآماد والأبعاد، يُخلق منها مرة أخرى دون أبعاد وآماد، و دون أصلاب و ارحام.

وهنا نسل الأرواح هو انفصالها عن صعقتها، ونسل الأبدان كما بيناه، ثم الأرواح ترجع إلى ابدانها، وهذا النسل المثلث يكون إلى ربهم ❁ فإذا هم قيام ينظرون ﴿٢٩:٧﴾! إن النفخة الثانية تنسلهم إلى ربهم سراعاً دون مهل، خلاف ما كانوا ينسلون من الأصلاب والأرحام يوم الدنيا، وانهم يوم الدنيا كانوا ينسلون إلى ربهم ربوبية الإمتحان التكليف، وفي الأخرى ينسلون الى ربوبية الجزاء دون التكليف، وأين نسل من نسل، يوم الوصل و يوم الفصل؟

❁ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢:٣٣﴾

الويل والعويل هناك ليس إلا لمن كذب الرحمن والمرسلين و كذب بيوم الدين، ولكنما المرقد يعمهم وجميع المكلفين، وما أحسنه و أوضحه تعبيراً على الحياة

١. كخروج النطفة من الصلب والترائب واستقرارها في الرحم طول مدة الحمل، و تنقلها من صورة إلى صورة حتي أنشأها الله خلقاً آخر.

البرزخية بالمرقد ضلع متضلع بين مربع الإحتمالات في الحالة البرزخية^١ و هي الآيه الوحيدة اليتيمة التي تحمل لها سمة المرقد، والرقدة هي النومة مقابل اليقظة ❀ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود❀ (١٨:١٨) فالمرقد هو الرقدة و زمانها ومكانها. ولأن القرآن كتاب هدى وبيان، فليس ينقل مقالة زائفة زائغة إلا زيفها، فهم - على كفرهم - مصدقون في ❀مرقدنا❀ لاسيما وهم في نهاية البرزخ و بداية القيامة، فليسوا ليكذبوا على الله وهم في يوم الله.

إنهم حينذاك ❀قالوا يا ويلنا❀ وقد كنا نكدب بيوم الدين وهذا يوم الدين ❀من بعثنا من مرقدنا❀ و قد كنا راقدين قبل بعثنا في برزخنا.

أترى كيف يعبر عن الحياة البرزخية بالمرقد وهم فيها أحياء يرزقون أو يعذبون؟ لأن الغالب لهم فيها الرقاد دون رزق فيه ولا عذاب، فإنما اليقظة لهم بكرة وعشى ❀ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً❀ (١٩:٦٤) ❀وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب❀ (٤٠:٥٠).

وكما أن غرفة النوم يغلب فيها النوم واليقظة قلة قليلة كمقدمة له ومؤخرة عنه، كذلك البرزخ هو كغرفة النوم، وهذا هو الذي يحملهم أن يقولوا ❀لبئنا يوماً أو بعض يوم❀ أماذا من قلة قليلة من لبثهم في برزخهم.

وترى كيف يستنكرون بعثهم عن مرقدهم في عجب، وبحسبهم الحياة البرزخية دليلاً صارماً على حياة الحساب الجزاء بعد الموت؟

❀يا ويلنا❀ ليست إلا تصديق الويل لهم ما لم يكونوا يحتسبون و ❀من بعثنا❀ ليس استنكاراً، بل هو استعجاب، ولم تبرهن لهم الحياة البرزخية إلا نفسها ولما يعلموا بيقين أنهم مبعوثون ليوم الدين، إذ تعرقت الكفر في أعماقهم لحد لا يخرج

١ فبعد التأكد من الحياة البرزخية كنا بين محتملات اربع رابعها المرقد، والثلاثة الأخرى هي اليقظة الدائمة و الرقدة الدائمة وغلب اليقظة على الرقدة، وعكسها وهي الرابعة.

إلّا بواقع الحياة الحساب، فقالوا ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ ثم أجابوا هم أنفسهم ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ أن نبعث من مرقدنا ﴿وصدق المرسلون﴾ فيما أرسلوا به و منه بعثنا، أو أن الجواب من الله أو من يجيبهم عن الله؟ قد يعنيهما هذا... ﴿ولو خُصَّ بغيرهم لجبىء بما يخصه، كـ ﴿قيل﴾ أو ﴿قلنا﴾، ثم ﴿الرحمن﴾ دون ﴿الرحيم﴾ مما يلمح أنه قولهم مهما هم غيره، فلو كان قول الرحمن لكان ﴿وعد الرحيم﴾ حيث الرحمة الرحيمية هي المقتضية للحياة الحساب، مهما اقتضت الرحمانية إمكانية العود في المعاد، وليس - أخيراً - وعد الرحمن إجابته تعالى عن فاعل البعث، وإنما تحقيق الوعد وتطبيق الصدق.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٥٣:٣٣)
 ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ النفخة الثانية في الصور كما الأولى ﴿إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾ فالنفخة هي الصيحة النقرة ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ (٥٤:٥٠) دون تكلف الزيادة، فصيحة واحدة تأخذهم إماتة، وصيحة واحدة تُحضرهم لدى ربهم إحياء! أترى ليسوا هم أولادهم محضرين عند ربهم حتى يصبحوا في الأخرى محضرين؟.. بلى قد كانوا ولكنهم في امتحان ولا إختيار، فهم فيها ﴿جميع لدينا محضرون﴾ حضوراً مطلقاً بعدما كانوا عنه بمطلق الحضور، وأين حضور من حضور؟ حضور قد يتخلف عن مرضاته وليس فيه هناك حساب ولا عقاب، وحضور لا يتخلف وفيه الحساب فالعقاب أو التواب.

و ﴿جميع﴾ تجمع الأولين والآخرين خروجاً عن خصوص الكافرين: ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى يوم الدين﴾ فـ ﴿ذلك يوم الجمع﴾ أم يخص الكافرين حيث المحضّر تلمح لحضور مكره، وليس في حضور المؤمن لذلك المحضّر أي مكره! وآيات ﴿المحضرين﴾ تخص الكافرين.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٤:٣٣)
 لا تظلم نفس أنتقاضاً فلي ثواب يستحقه بفضل الله كما وعد، أم في عقاب بزيادة فإنه يعدل الله كما أوعده، وعلى أية حال فـ ﴿لا ظلم اليوم﴾ فلا نفس تظلم نفسها

حيث الحقائق مكشوفة والظلم نتاج الجهل او الجهالة، ولا أية نفس تظلم غيرها - وكذلك الأمر - ولا أن الله يظلم نفساً، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، فلا المظلوم يوم الدنيا يُظلم في الأخرى ألا يُقتص من ظاله كما يحق، ولا الظالم يُظلم ان تزداد عقوبته على ظلمه، فالجو هناك جو العدل و الفضل، و في ﴿اليوم﴾ لمحمة باهرة بانحصار الظلم في حياة التكليف الدنيا، واما في البرزخ و الأخرى فـ ﴿لا ظلم اليوم﴾ خلاف ما في الأولى ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (٣٣:١٦).

ثم وليس هناك جزاء ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ عمل الجوانح والجوارح في عقائد و أعمال صالحة أم طالحة، وأما النيات فما هي بأعمال على أية حال، وإن كان المؤمن يثاب بنية الخير فبفضل الله وليس جزاء إذ لا عمل، كما وفضل الثواب له عدةٌ ومُدَّةٌ إنما هو بفضل الله، لا جزاءً يزيد عن العمل، ثم العدل في عقاب الطالحات يقتضى جزاءً وفاقاً، ومن أقله تجاوب الجزاء و العمل في كونهما محدودين عدةً وعدةً و تأثيراً.

وترى كيف يصدق ﴿ما كنتم تعملون﴾ على عقيدة القلب، و كيف تمثّل بخيرها وشرها جزاءً وفاقاً؟ العلم حين يقابل الإيمان فهو عمل الإيمان، وحيث يطلق يعمّه و عمل الجنان، بل هو أخرى بصيغة لعمل حيث يصاغ العلم عن العقيدة، ولأن العلم هو بملكوته و حقيقته هو الجزاء فليتمثل أياً كان من عمل الأركان والجنان، بل والبيئة الصالحة تتمثل كم الأعمال، كل على حدة.

ولئن لم تعن ﴿ما كنتم تعملون﴾ عقيدة القلب - إذا - فلا جزاءً بها إلا ما يُعمل وفقها أو خلافها، اللهم إلا بتأويل أن العمل هو الجزاء ليس إلا، حيث العقيدة تبرر في الأعمال على أية حال، ثم صالح العمل مشروط فيه صالح العقيدة والنية كما طالح العمل بطالحها، صالحاً بصالح و طالحاً بطالح.

ولأن المجزيين لا يُجزون إلا ما كانوا يعملون، فلا موقع للظلم، فحتى أن الجزاء ليس إنتقاماً في العقاب أو ثواباً في الصواب، فإنما العمل والعمل فقط هو الجزاء يوم الجزاء بفضل الله أو عدله.

ولئن سُئنا فما هو - إذاً - موقف الحسنات الحابطة بأسبابه والسيئات المعقوة بأسبابه؟ فالجواب أن الجزاء هو العمل الذي يبقى مع الإنسان إلى يوم البقاء، دون الحابط المعفو، فالتائب عن الذنب كمن لا ذنب له كما الحابطة حسناته لا حسنات له! ثم إنَّ العمل أيّاً كان فهو محدود بحدود، فالجزاء الذي هو العمل كذلك محدود بحدود، ومهما خرج الثواب عن حدود ❀ ما كنتم تعملون ﴿١﴾ فانما هو بفضل الله، فقولة القائلين بالعذاب لغير النهاية للخالدين المؤبدين فريئة ظالمة هاتكة لساحة رب العالمين وارحم الراحمين، ولقد بينها في طيات آياتها كراراً ومدراراً.

❀ ما كنتم تعملون ﴿٢﴾ في بُعديه جانحةً وجارحةً، فإنه في باطن ملكوته يوم الملكوت هو الجزاء، فليس الجزاء العقاب يومئذٍ إنتقاماً، بل هو ظهور ما كان خفياً في عالم الخفاء ويصبح جلياً في عالم الظهور: ❀ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴿٣﴾ و على حد المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما هي أعمالكم ترد عليكم) فأهل العذاب ❀ ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿٤﴾ (٥٤:٢٩). وهم في الدنيا، في غفلة عنها، ثم ويحيط بهم وهم يحرقون بها! وأهل الثواب: ❀ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴿٥﴾ (١٧:٣٢) ولا إخفاء إلا لكائن حاله، ولا خفاء في الدار الآخرة حيث ترى نفس كل جزاءه بالحسنى، فإنما الخفاء هنا، فالصورة الجلية للصالحات أتعاب وحرمانات، ثم الصورة المخفية ثواب ورحمات ❀ جزاءً بما كانوا يعملون ﴿٦﴾ يحمله العمل بملكوته!

لقد طويت الحوار حول يوم القرار في سرعة خاطفة، عاطفة تلك المشاهد الثلاثة ببعض، متخفية إلى حالات لكل من أصحاب الجنة وأصحاب النار:

❀ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٧﴾ (٥٥:٣٤)

إنهم والحمد لله - في شغل عمن سوى الله وعمما سوى الجنة ❀ فاكهون ❀ متفكهون فيها متنعمين بنعمها كلها ❀ ورضوان من الله أكبر ❀ فهم ❀ فاكهون ❀ بكل فكاهاة و فاكهات الجنة، فلا تعنى ❀ فاكهون ❀ أكل الفاكهة إذ يأتي بعد هنيئة ❀ لهم فيها فاكهة ❀ ثم ❀ فكة ❀ لا تعنى أكل الفاكهة مهما شمله، فإن من الفكاهاة حديث ذوى الأنس ❀ وإذا انقلبوا إلى اهلهم انقلبوا فكهين ❀ (٣١:٣) ❀ ونعمة كانوا فيها فاكهين ❀ (٢٧:٢٤) ولا تختص النعمة بالفاكهة بل هى مطلق النعمة روحية ومادية: ❀ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ❀ (١٨:٥٢) ومن كونهم فاكهين التفكة بالعدارى ❀ حواجهن كالأهله وأشفار أعينهن كقوادم النور ❀^١.

وكان الفاكهة أيضاً من الفكاهاة فإنها نافلة الطعام وزهرته، وعل كل نافلة عن اللازم فاكهة، من عدارى الحور فإنهن نافلات الزوجات الإنسيات، ومفاخر الملابس والمساكل، ومونسات المقالات والمبصرات أمآذا من الماديات، وكذلك من المعنويات، ولذلك ترى الآيات التالية تذكر موارد من هذه كمصاديق لـ ❀ فاكهين ❀ ومنه فاكهة الأزواج:

و ❀ فى شغل ❀ دون ❀ على ❀ أو ❀ الشغل ❀ يشغل البال بحيطه الفاكهة عليهم كأنهم فيها غارقون، لكان ❀ فى ❀ وأن شغلهم لا يوصف عدده وعدة لكان التنكير ❀ فى شغل ❀!

وأفضل الشغل يوم الله وفى دار الله وبجنايه وحضرته القدسية: ❀ ورضوان من الله أكبر ❀ فأشغل ❀ شغل ❀ له مالحالة الروحية الغالية بلقاء المحبوب، ومن ❀ ثم فى شغل ❀ هامشى بمظاهر النعم، وذلك هو المشغول فيه.

١. نورالثقلين ٤: ٣٨٩ ح ٦٥ فى مجمع البيان فى الآية وقيل شغلوا بافتضاض العدارى عن ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن الصادق (عليه السلام) قال: حواجهن... .

وأما المشغول عنه فهو الطريق الشاق الطويل يوم الدنيا، المليء بالأشلاء والدماء، بالمرجوحات والحرمانات وطول التصبر عن اللذات والمحرمات. فهم يومئذ في شغل عن كل ذلك وعن كل مُسَابِبٍ و مُنَاسِبٍ لا يناسب رحمة الله ولا تناسبه.

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونِينَ ﴾ (٥٦:٣٣)

وترى من هم ﴿ أزواجهم ﴾؟ أم حلائلهم؟ ولكن كلهن من أصحاب الجنة! والتي هي منهم تشملها ﴿ أصحاب الجنة ﴾!

﴿ أزواجهم ﴾ هم قرانهم الأتباع في الصالحات، وكما ﴿ أزواجهم ﴾ في الصفات هم قرناء أهل النار وأتباعهم في الطالحات: ﴿ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون. من دون الله فاهدوهم إلى صراطى الجحيم ﴾ (٢٣:٣٧). ف ﴿ أزواجهم ﴾ هنا وهناك هم الأتباع سواء أكانوا من أزواجهم سبيياً كالبعولة والزوجات، أم سواهم، ف ﴿ هم ﴾ فيهما تعنى الأصلاء من أصحاب الجنة وأصحاب النار رجالاً ونساءً، و ﴿ أزواجهم ﴾ هم الفروع منهما رجالاً ونساءً، مهما شملت الحور العين^١ وبين البعولة وزوجاتهم من أهل الجنة والنار عموم من وجه!

إذاً ف ﴿ هم ﴾ لا تختص بالبعولة، كما ﴿ أزواجهم ﴾ لا تختص بالزوجات، فمن الزوجات من هن أصيلات وبعولتهن الفروع، أم هم من أهل النار، كما العكس كذلك، فتفسير ﴿ أزواجهم ﴾ بحلائلهم تفسير ردىء لا إجابةً صالحةً عن مشاكله...

و ﴿ في ظلال ﴾ هنا وفي سائر القرآن لأصحاب الجنة لمحطةً صريحةً أن هناك شمساً يستظل منها، وإلا فلا موقع لظلال إذ لا شمس مشرقة وحارة ف ﴿ دانيةً عليهم ظلالها ﴾ (١٤:٧٦) وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴿ (٥٧:٤) و ﴿ ان المتقين في ظلال

^١ المصدر في روضة الكافي عن نبي جعفر (عليه السلام) قال سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - حديث طويل وفيه عن حال أهل الجنة - والمؤمن ساعة مع الحوراء وساعة مع الآدمية وساعة يخلو بنفسه على الأرائك متكئاً ينظر بعض المؤمنين الي بعض.

وعيون ﴿٤١:٧٧﴾ وظل ممدود ﴿٣٠:٥٦﴾ و ﴿أكلها دائم وظلها﴾ ﴿٣٥:١٣﴾ آيات بينات تجاوب ﴿في ظلال﴾ أن هناك شمساً، ثم آية الزمهير تُصارع: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهيراً﴾ ﴿١٣:٧٦﴾.

إن ظل الجنة عن الشمس هو من ميزات أصحابها والسالبة بانتفاء الموضوع مسلوبة عن مذهب الفصاحة والبلاغة، مهما ذهب إليها المنطق تجويزاً عقلياً، ثم في ظلال لا يختص بظلال الأنبياء والأشجار وسائر المظلات، بل وقبلها الأهم منها و أخرى ظل الله وظل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الطاهرين (عليه السلام) وقد تشير إليها ﴿في﴾ حيث المظلات الظاهرية هي فوق المستظلين وهم تحتها لا فيها، ولكن ﴿في﴾ تعنى فيما تعنى مع الظلال الظاهرة، الظلال الباطنة التي يُستظل فيها، كما وأن تنكير ﴿ظلال﴾ يلمح بذلك، فإنه ظل ظليل بمدّ طويل يشمل الأرواح والقلوب والأفئدة.

﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ ﴿٥٧:٣٣﴾

﴿فاكهة﴾ كما يشتهون من كمها وكيفها و ﴿يدعون﴾ كما يشتهون.

وماذا تعنى ﴿ما يدعون﴾؟ إنه من الإِدْعَاء: الإِفتعال من الدعوى، أى: ما يتطلّبون لأنفسهم ويتمنون دونما حد ولا حدود: ﴿ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم ما تدعون نزلاً من غفور رحيم﴾ ﴿٣٣:٤١﴾ وعلّ الفارق بين الإِشتهاء والإِدْعَاء أن الثانى إِشتهاء ظاهر فى طلب، والأول يعمّه ودون طلب، وأنه يعم الإِدْعَاء فى الأولى كما الأخرى، والأول اشتهاه يوم الأخرى: ﴿وقيل هذا الذى كنتم به تدعون﴾ ﴿٢٧:٦٧﴾.

وكما أن فى حصول ما يشتهون دون طلب حفاوة وإكراماً كذلك فيما يحصل بطلب، حيث المطلوب هو الرب الرحيم، والطلب منه تعالى بحصول المطلوب رحمة على رحمة وحفاوة على حفاوة، فمن العباد من يعطيهم ربهم هنا بعض ما يشتهون دون طلب لكيلا يطلبوا فيسمع دعاءهم لبعدهم عن ساحته، فمهما لم يكن فى الجنة بُعداً لأهلها ف ﴿لهم ما يدعون﴾ إكرام لهم بصورة أخرى بعد ﴿لهم ما يشتهون﴾!

ثم ولهم في كونهم فاكهين: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨:٣٣) هم في دار السلام لهم سلام من الله الرحيم السلام، سلامٌ قولاً منه هنا دون وسيط كما سلامٌ حالاً وفعلاً هناك، سلام على سلام! فإنها ﴿دار السلام﴾. ﴿لأصحاب الجنة كل سلام ولأصحاب النار كل ساءم، قولاً لهؤلاء﴾ ﴿سلام﴾ ولأولاء في كلمة خاطفة:

﴿وَامْتَاذُوا الْيَوْمَ أَيَّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٩:٣٣): أمر تكويني للذين أجموا بامتيازهم وانفصالهم عنهم مكاناً و مكانة وخطاباً وحالاً و مقالاً أم أياً كان مما يكون و ما كان.

إنهم يتلقون كل تحقير و ترذيل يستحقونه بما كانوا يجرمون في كل الجهات والجنبات بأمرٍ إمري: ﴿وامتازوا﴾.

ان زلزلة الساعة شىء عظيم

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآنَهُ يُضِلَّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلًا يَعْلَمُ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ (٨) ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبُعِيدُ (١٢) يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَ لَيْسَ الْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿ (١٦) ﴾

سورة تسمى باسم افضل فريضة من فرائض الله واشملها تحليقاً على كل شرعة الله، حيث تضم كل مردادات الله من الأمة المرحومة في سبيلها الى الله، فكأنها هي القرآن كله، وكما فضلت سورتها - فيما فضلت - على سائر القرآن بسجدين اثنتين، وقد يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ❀ فمن لم يسجدهما فلا يقرءهما❀^١ والثانية اوجب وأحرى بها لمكان الأمر بها.

ومدنية السورة لائحة من آي الهجرة، والإذن للقتال، وناصية القوة في العدة للمسلمين، المعدة للنضال، وقد يلمح الإذن للقتال مع بعض السياق من آياتها، انها من المدنيات الاوائل حيث أسست دولة الإسلام جديدة قائمة على ساق، محضرة نفسها لغزوات، وكما الظلال المحلقة على جو السورة هي ظلال القوة والهيمنة والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى على الطغوى.

فانها تبدء بمشهد القيامة مزلزلاً مزمجراً، ثم عذاب الذين كفرو ❀ قطعت لهم ثياب من نار❀ ومثل الشرك بالله ❀ فكأنما خر من السماء❀ ومن يبأس من نصر الله ❀ فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع❀ ثم مشهد القرى الكافرة ❀ فكأين من قرية امليت لها❀ والى الاذن فى القتال: ❀ اذن للذين يقاتلون..❀.

ذلك كله جو القوة مهما لمعت شذر من أيها كأنها مكيات ام نازلة بين مكة والمدينة، فان جو السورة جو مدنى إلا ما لمحت من هذه او تلك، مهما شابهت بعض الشيء الجو المكى لأنها فى بداية الهجرة، فليكن جواً هو عوان بين العهدين إلا فى امثال آيات القتال، والعقاب بالمثل، وقد يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

١. هما الآية (١٨) و (٧٧) وفي الدر المنثور ٤: ٣٤٢ - اخرج احمد و ابو داود والترمذي والحاكم والبيهقي في سننه و ابن مردويه عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) نعم فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما، وفيه عن خالد بن معدان ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: فضلت سورة الحج على القرآن بسجدين، واخرج ابن ابي شيبة عن علي و ابي الدرداء أنهما سجدا في الحج سجدين.

حين بايعه المدنيون وعرضوا عليه ان يميلوا على اهل منى من الكفار فيقولهم، قوله: ﴿اننى لم أؤمر بهذا﴾ حتى تمكنت دولة الاسلام فيها، فعندئذ ﴿اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم..﴾. تبءء السورة بزلال الساعة وتختم بالجهاد حق جهاده ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده..﴾ جهاداً فى الله بكل الجنبات، وبينهما متوسطات من توجيهات صادرة من مصدر القوة و الشوكة الحالقة البالغة.

﴿يا أَيُّها الناسُ اتَّقوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١:٢٢)

خطاب هام عام يشمل كل الناس، استجاشة لتقوى الله بدرجاتها، تهويلاً مجملاً فى تجهيل: ﴿ان زلزلة الساعة شىء عظيم﴾ يستحث عظيم التقوى العميم، اتقاء عن عذاب يوم عظيم.

زلزلة الساعة وما ادراك ما زلزلة الساعة؟ انها تعم الكائنات كلها، سماوية وارضية بما تُزلزل السماء بأنجمها وطبقاتها، وتزلزل الكائنات برُمَّتْها إلا من شاء الله: ﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء الله﴾ (٦٨:٣٩).

اجل - اذا نفخ فى الصور ونقر فى الناقور، ترى النقرة النافخة والنفخة الناقرة تزلزل كل شىء عن كيانه وحيويته، فلا يبقى ساكن إلا ويسير، ولا متحرك ماكن الا ويرجف فيدمر، وتلك هى قيامة الإمامة والتدمير، ومن ثم الإحياء والتعمير ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾.

وقد تكون هذه الزلزال من أشراف الساعة، فهى - اذاً - قبل النفخة النقرة، إلا ان الزلزلة الثانية المحيية - كما تعنيها آيات الزلزال - قد تلمح ان الأولى هى المميتة، المتدرجة من اشرافها الثلاثة الى تلك الصعقة الشاملة: ١ وكما آية الراجفة تقرر

١. تفسير الفخر الرازي ٢:٢٣ روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث الصور «إنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع و نفخة الصعقة و نفخة القيام لرب العالمين، وان عند نفخة الفزع يسير الجبال و ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ

رجفتين وهما صيغة أخرى عن الزلزلتين: ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧:٧٩).

رجفة الإحياء الرادفة لرجفة الإماتة، ثم لا رجفة قبلهما تعتبر زلزلاً هي من اشراط الساعة، وفي هذه الزلزلة الهائلة رَجَفَانِ فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَوْفٍ، وَزَلَّاتِ الْأَقْدَامِ مِنْ رُوعَةِ الْمَوْقِفِ.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢:٢٢) ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ : زلزلة الساعة، ورؤيتها هي لمسها بواقعها، وقضية الجمع في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ هي جمعية تلك الرؤية لاهل الجمع كلهم.

والذهول هو الذهاب والانصراف عن شىء بدهشة، فقد يكون اقوى من ذهولها عن نفسها، حيث المرضعة يهملها ما ارضعت اكثر من نفسها، فهي إذاً خالية عن نفسها، خاوية عن كل ما يهملها، من هول الموقف المزلزل كل شىء.

ثم ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ لوقته ام قبله لوقعة الزلزال وانقلاب الحال، وقد تكفى هاتان الحالتان الهائلتان عرضاً عن حالات الآخرين، الواصلة لحدّ يبذل ﴿تَرَوْنَهَا﴾ بـ ﴿تَرَى﴾ حيث لا يتأثر بالزلزال، لأنه ممن شاء الله:

﴿وترى الناس سكارى﴾ كأنهم سكارى الشرب ﴿وما هم بسكارى﴾ الشرب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فهم كما السكارى يتموجون في قالاتهم و حركاتهم كالمجانين خوفاً من عذاب الله الذى يرصدهم، وتأثراً من زلزلة الساعة التى تحشرهم. وكما أن شديد السكر والذهول قد يغشى ويغشى ثم يُميت، كذلك تكون هذه الزلزلة المذهلة المسكرة: ﴿فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء الله﴾ ومنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يرى الناس سكارى وليس هو منهم.

واجفة و تكون الأرض كالسفينة تضربها الامواج او كالتنديل المعلق ترجرجه الرياح».

ذلك ❊ يوم يجعل الولدان شيباً. السماء منفطرُ به كان وعداً مفعولاً❊ (١٨:٧٣).
وترى الناس كل الناس إلا من شاء الله ❊ ذاهباً عقولهم من الحزن والفزع
متحيرين❊^١.

❊ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ❊ (٣:٢٢)
❊ وَمِنَ النَّاسِ ❊ المخاطبين بواجب القوى، المكلفين بالتجنب عن الطغوى، مَنْ
هُوَ فِي الْحَقِّ نَسْنَسُ: ❊ من يجادل في الله بغير علم❊ فالمجادلة في الله بعلم فطرى
ام عقلى ام تجريبى، بصورة مجردة غير دخيلة بالهوى، توصل صاحبها الى حق في الله
كوناً وكياناً وتوحيداً، حيث الكون بكافة ما فيه، من ظاهره وخافيه، مستخدم في الحق
للحصول على معرفة بالله قدر المحاولات اللاتقة اللابقة في هذه السبيل.

ذلك وان كان الله لا يجادل فيه، ولكن الشك القاصر شك مقدس، لا بد من إزالته
بمجادلة قدسية هادفة لتخطى الشك الى اليقين وهذه من المجادلة في الله بعلم حيث
تنتهى الى علم اذ تهدف العلم، واما المجادلة المشككة المقصرة فهى على أية حال
لا تملك اى برهان اياً كان وايان، فهى - اذاً - مجادلة في الله بغير علم، لا يتبع صاحبها
علماً، وانما ❊ يتبع كل شيطان مرید❊ من شياطين الجن والانس، المجادلين في الله
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

والمجادلة المشككة في الله تعم اصول الدين وفروعه، مبدء ومعاداً وما بينهما من
وحى ومواده، حيث الكل لله ومن الله لا سواه، والتحرى عن الحق لا يتطرق طريق
الجدال في الله لانها مخاصمة لاتعنى إلا إبطال الحق في الله و ❊ ما يجادل في آيات

^١. تفسير القمي قال قال (عليه السلام) في الآية: ...
وفي كتاب طب الأئمة (عليهم السلام) باسناده الي
سليم بن قيس الهلالي عن امير المؤمنين (عليه السلام)
قال: اني لا عرف آيتين من كتاب الله المنزل تكتبان
لدمرأة اذا عسر عليها تكتبان في ورق ظبي وتعلقه
عليها في حقويها» بسم الله و بالله ان مع العسر يسراً -
سبع مرات - يا ايها الناس اتقوا ربكم - آلي -
شديد.

الله الا الذين كفروا ﴿٤٠:٤٠﴾ ولا مصير لهم فى ذلك المسير إلا أن يأخذهم الله
 ❁ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب ﴿٥:٤٠﴾!
 وهذا الذى ❁ يتبع كل شيطان مرید ﴿٥:٤٠﴾: المرتفع الأملس، المتمرد على علم، هو لا
 سواه يعيش حياته الشيطانات والضلالات والتضليلات عائدةً عامدةً، جامعةً كل ضروبها
 من شتات اصحابها، حيث الشيطانات دركات، كما الهدايات درجات، ولكن:
 ❁ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آيةً
 لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلاً
 ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿٧:١٤٦﴾.
 اصرهم عن آياتى ختماً على قلوبهم فهم لا يعقلونها جزاءً بما كانوا يعملون؛ وصدأً
 لهم عن الوقعة فيها وصرف المؤمنين عنها.

وكضابطة ادبية - فى الحوار عامة - إن الجدل بالباطل ممنوع، سواءً أكان لدحض
 الحق ام اثباته، فان واجب الجدل على اية حال ان تكون بالتى هى احسن
 ❁ وجادلهم بالتى هى احسن ﴿١٦:١٢٥﴾ والجدال بغير علم باطل على أية حال،
 واذا كان الجدل بعلم بغير الاحسن - كالحسن - ممنوعاً، فباحرى الجدل بغير علم
 فانه سىء ام أسوء.

ويا ليت الذين يجادلون فى الله جادلوا بعلم، لا بغير علم، تطاولاً مجرد عن كل علم،
 ناشئاً من اتباع كل شيطان مرید، فهو ركام من الجهالات والضلالات دون اية بارقة من
 حق، فلذلك:

❁ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢:٤﴾
 ❁ كتب عليه ﴿٢٢:٤﴾: كل شيطان مرید ❁ انه من تولاه ﴿٢٢:٤﴾ اتباعاً له فى ضلاله واضلاله،
 كما ❁ كتب عليه ﴿٢٢:٤﴾: ❁ من يجادل فى الله بغير علم ﴿٢٢:٤﴾ ❁ انه من تولاه ﴿٢٢:٤﴾ فرأس

١. فى الوجه الاول «كتب عليه..» مواصفة لكل شيطان
 مرید، و فى الثانى خبر بعد خبر لـ «من يجادل..»
 والوجهان معنيان لأنهما معنيان صالحان، ولو كان
 مخصوصاً بالاحتمال الاول لوجب جمع الضمير «عليهم»

الضلالة مكتوب عليه، سواءً أكان كل شيطان مريد، أمَّن يتبعه في خطواته ❀ انه من تولاه فإنه يضلّه ❀ دون شك ولا ريبه، لأن الضلال والاضلال كيانه، وهو شغله الشاغل في حياته، فلا يهديه الى حق ابدأ، بل ❀ ويهديه الى عذاب السعير ❀ هدىً الى غاية الضلال ومصيره، وهذا تهكُّم في التعبير اذ يمسي قيادته الى عذاب السعير هداية، انه لا تتأتى منه هداية الا الى عذاب السعير، وما الطفه جمعاً بين الاضلال والهداية عنايةً لمعنى واحد هو الضلالة!

وهذه الكتابة هي القضاء الرباني على الولي والمتولي، حيث ان كيان الضلال لا يصدر منه إلا ضلال، وليس الله بمنج من يضل بغير علم، أمَّن يتولاه عل علم بضلاله، ام غير علم بهداه، اللهم إلا القاصر في تحريره عن الحق فعسى الله ان يهديه سواء السبيل.

فلا تعنى ❀ كتب عليه ❀ ان الله فرض ضلال من ضل باضلال من أضل تسييراً دون تخبير الى ضلال، وانما هو بيان للواقع حسب الاسباب والمقتضيات، أن المتحرى عن باطل ليتبعه ليس بحرى الا ان يحيق به الباطل الذي تحرى عنه وتمناه، معاكسةً للمتحرى عن الحق ❀ وان ليس للانسان إلا ما سعى ❀.

ومن المجادلة في الله هي المجادلة بغير علم في يوم الله، إحالة له بمحاولات جاهلة قاحلة، والله يبرهن لحقه وواقعه هنما بواقع الحياة الاولى، وهم مصدقوها، دون إبداء مادة للبرهان بعيدة عنهم، بل هي ما يعيشونها طول حياتهم:

❀ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ

اعتبار بكل شيطان مريد، كما ولا يصلح اختصا صه بالثاني لأن الاول احري معنوياً لأنه اصل الاضلال، اذا فد «عليه» راجع الي كل واحد منهما علي البذل، جمعاً بين المعنيين.

يُرَدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٢٢:٥﴾

❁ يا ايها الناس ❁ ملحدين ومشركين او موحدين مرتابين فى البعث، حيث البرهان الحاضر ليس حاصرا فيمن يعتقد فى وجود الله، فان خلق الانسان من تراب ثم.. ليس ينكره احد، طالما المادى يزعم ان الخالق هو المادة، ويرى المشرك أنه الله، والموحد لا يشرك فى خلق وسواه، فالقدرة الخالقة للانسان من تراب هى هى الخالقة له فى المعاد، فالخلق اول مرة دليل امكانيته مرة ثانية بل ❁ هو أهون عليه❁!.

❁ ان كنتم فى ريب من البعث ❁ بعد الموت، والريب هو شك مسنود الى برهان ام زعم البرهان، فلئن صدقناكم فى ريبكم، فواقع خلقكم اول مرة يزيل واقع ريبكم، حيث الريب لا يصارع واقع البرهان اياً كان.

❁ فانا خلقناكم ❁ وجمعية الضمير فيها تعنى جمعية الصفات فى خلقنا، علماً وقدرة وحكمة وتصميماً و ارادة اما هيه من صفات ربوبية متطلبية فى ذلك الخلق المنضد المتدرج العظيم، لأجنة مختلفة فى الصور والسير، مقررّة فى الارحام او ملفوظة ساقطة، ثم الطفل الخارجون عن الارحام بين بالغ أشده او متوفى قبله، او مؤخر الى اردل العمر، فصورة الخلق وسيرته تدلانا على ارادة وتصميم باختيار، دونما صدفة فوضى جزاف!

❁ خلقناكم من تراب ❁ خلق الانسان الاول من تراب قفزة دونما تطور معود فى خلق سائر الانسان، ثم وخلق أنساله متدرجاً حيث البداية هى التراب، من نطفة هى من دم هو من غذاء هو من نبات وحيوان هما من تراب.

فخلق الانسان من تراب ضابطة صارمة تعم الانسان الاول وأنساله، من ابوين كسائر الانسان، ام دون اب كالمسيح (عليه السلام) وقد تلمح ❁كم ❁ فى خلقناكم، ان الانسان بجزئيه مخلوق من تراب، فطالما اختلفا فى حاضرة الصورة والسير، الا ان اصلهما كليهما هو التراب، ❁ ثم من نطفة ❁ تراخياً عن الخلق الاول بأنساله، وفى سائر الخلق بإنساله، فاين النطفة من الخلايا المنوية الحية مسافة هائلة!

والنطفة هي الدودة العلقية المتحوّلة بعد مراحل الى جنين، وهي واحدة من ملايين العلقات في البحر المنوى وهو قطرة ام قطرات! فنقطة واحدة من تلك الملايين هي الدودة التي تلحق البويضة من ماء المرأة في الرحم وتتحد به فتعلق في جدار الرحم فتصبح علقه:

❁ ثم من علقه ❶ متحوّلة عن نطفة، الكامنة فيها كل خصائص الانسان المقبل.
 ❁ ثم من مضغفة ❷ وهي اللحمه الصغيره المتحوّلة من العلقه، قدر ما يضغ
 ❁ مخلّقه وغير مخلقه ❸ فما هي المخلقه وما هي غير المخلقه؟
 التخليق هو التحليق في الخلق، فهو كمال الخلق الصالح لتحوّله الى جنين صالح، وغيره هو غير الصالح، سواء سقط^١ ام اصبح جنيناً ناقصاً في عضو او اعضاء.
 ومن تخليق المضغه خلقها عظماً، ثم كسوتها لحماً ثم انشاءها خلقاً آخر وهو كما الجنين مهما كان ناقص الخلقه: ❁ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين. ثم جعلناه نطفه في قرار مكين. ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين ❹ (١٤:٢٣).
 ذلك ❁ لنبين لكم ❺ و هنا محطه للتبيين بين التراب والمضغه، وبينه وبين الطفل، تبييناً للقدره القاصده المصممه في خلقكم، وانها هي الخالقه لكم في بعثكم مرة اخرى.
 فقد توقّف فتسقط المضغه مخلّقه، واخرى ❁ تقر في الارحام ما نشاء ❻ من مضغه مخلقه او غير مخلقه ولكنها صالحه لتحوّلها جنيناً مهما كانت ناقصه الخلقه، فقد تقر غير المخلقه وتسقط المخلقه، واخرى المعاكسه مهما كانت هي الاكثريه المطلقه الثلثه، وتلك هي القله.

١. نورالثقلين ٣: ٤٧١ عن تفسير القمي قال قال: المخلقه اذا صارت تامه وغير مخلقه قال: السقط. اقول وهذا تفسير باحد المضداقين لغير المخلقه، فلا بد له مصداق آخر وهو من يولد ناقصاً قضية العموم في «انا خلقناكم».

فليس إقرارها في الارحام لزاماً لكونها مخلّقة رغم انه طبيعة الحال فيها، ولا اسقاطها عنها لزاماً لكونها غير مخلّقة، رغم انها خلاف طبيعة الحال ❁ لتبين لكم ❁ ان هناك القدرة القاصدة عاملة، دون خلقه او توماتيكية فوضى جزاف.

❁ ونقر في الارحام ما نشاء ❁ من مخلّقة وغير مخلّقة، و ❁ ما نشاء ❁ من تشكيلات وحالات ❁ الى اجل مسمى ❁ في الذكر الحكيم المقرر عندنا، المقدر بارادة عالمة حكيمة وتصميم، من ستة اشهر الى تسعة، بزيادة طفيفة ام تقيصة.

❁ ثم ❁ بعد قضاء مسمى الأجل ❁ نخرجكم طفلاً ❁ والطفل هنا جمع لا ينافيه ❁ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم ❁ (٥٩:٢٤) مفرداً ومجموعاً، لأنه مفرد وجمع، ومن جمعه ❁ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ❁ (٤٠:٤٧) ❁ او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ❁ (١٤:٣١) وتأويل كونه مصدراً يراد به الجمع عليل، حيث الظهور على عورات النساء ليس للمصدر، بل هو للصادر منه الظهور وهو هنا ذات الجمع، ثم ❁ طفلاً ❁ في ❁ نخرجكم طفلاً ❁ اخراج لذوات الاطفال دون طفولتهم.

وكون ❁ الطفل ❁ - الخارجين صغاراً يصح التعبير عنهم بالمصدر - مبالغة في الصغر كرجل عدل، تنافيه مبالغة الكبر في ❁ الطفل الذين لم يظهروا.. ❁ إذ لا تشمل الولائد الجدد، إلا الغلّمة المدركة المشرفة لذلك الظهور، كصاحب العشر وحواليها، فان الادنى منها خارج عن مقسم السماح والتحریم، فمن المضحك المبكى القول: بأنه يجب التحجب عن ابن خمس وحواليها، اذا طفولة التأويل، وتأويل الطفل الى المصدر توجيهاً لجمعية الموقف.

❁ ثم لتبلغوا اشدكم ❁ شد الجسم والعقل والحكمة الجماعية، استيفاء لنموكم العضلي والعقلي والنفسي، شدات ردف بعض و لصق بعض بنفس الترتيب في الاكثريّة المطلقة، قياماً على سوقكم في متطلبات الحياة، خروجاً عن كافة الطفولات الفردية والجماعية، العقلية والجسمية، ويا لها من قدرة حكيمة او دعت الوليد كل خصائص

الانسان الرشيد الشديد، التي تتكشف كل في اوانها المقررة له، كما اودعت النطفة كل خصائص الطفل وهي ماء مهين!.

فبلوغ الأشد هي الغالة القصوى من ذلك الإخراج، وهي أشد الانسانية السامية، دون البدنية الحيوانية الا ذريعة وساعداً لشد الإنسانية.

❁ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى اردل العمر ❁ وهذه المقابلة دليل ان التوفى هنا هو الاخذ وافياً في حياة الأشد، ترقية لشدات الانسان الى القمة الصالحة، ثم إماتة له في تلك الحالة ❁ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى اردل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ان الله عليم قدير ❁ (٧٠:١٦).

فلا يعنى التوفى هنا - فقط - الإماتة فانها تعم من يرد الى اردل العمر، بل هو التعمير بحالة الأشد، ثم الإماتة عنها، خلاف من يُردُّ الى اردل العمر، اذ لم يتوف من الناحية الأولى، ام هدمت أشده التي تخطاها بأردل العمر.

ولان العُمُر هو منذ الولادة حتى الموت، اذا فأردل العمر هو عمر الوليد الجديد - : ❁ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ❁ فمحور الرذالة هو اللاعلم عقلياً و معرفياً، دون النكسة البدنية، وهما الشدان الإنسانيان، والثالثة البدنية هي الحيوانية المستخدمة المقارنة لهما زمنياً في الاكثريّة المطلقة.

فيا ويلاه حين يرد الى اردل العمر، مرتداً الى طفولته الطفلاء، في عواطفه وانفعالاته، في وعيه ومعلوماته، في تقديراته وتديراته، اقل شيء يضحكه ويرضيه، واقل شيء يسخطه ويبيكه، ناسياً اوائل الامور قبل انتهاءه الى اواسطها واواخرها، فالتأ عن عقله الناضج وعلمه الهائج، المتخايل بهما المتطاول فيهما، ثم:

❁ وترى الارض هامدة ❁: عواناً بين الموت والحياة، مستعدة للحياة فالهامد هو الحيوان الذي همد وسكن بعد حراكه، وخشع بعد تطأه واشرافه لعله طرأت صبر الى

١. هنا قول فصل في تفسير اذل العمر فراجع سورة النحل.

ذلك، ثم افاق من تلك الغمره وصحا من هذه السكرة فتحرك واستهتبع بعد هموده و ركوده.

وكذلك حال الأرض اذا اماتها الجذب واهمدها المحل، ثم حالها اذا نضحها الغيث بسجاله، وبلها القطر بباله، واهتزت نباتاتها ناضرة، وربت عبد الجفوف متزيلة، وذلك تقدير العزيز العليم!.

وهكذا التراب المخلوق منه الانسان فى المبدء والمعاد، ﴿فاذا انزلنا عليها الماء﴾ ﴿١٨:٧١﴾ فحييت ف ﴿اهتزت وربت﴾ فتراها فى حركة اهتزازية رابية نامية، وكأنها حيوانة عطشانة تشرب الماء وتهتز بعد مخود وتفز بعد جمود ﴿وانبتت من كل زوج بهيج﴾ بهجة مختلفة الحيوانات النباتية والحيوانية فان ﴿الله انبتكم من الأرض نباتاً﴾ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخرجاً ﴿١٨:٧١﴾.

ف ﴿كل زوج﴾ لا اقل من ان تعنى كل الأزواج النباتية والحيوانية والانسانية النابتة من الأرض، اضافة الى معادن نابتة نتيجة نزول الماء ومزيجه ثم ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ تعم كافة جنبات الحياة النابتة عن الماء.

ذلك، وبالتالي تستنتج من هنا وهناك خلفيات ولزومات خمس لا نكير لها إلا المتجاهل عن ذلك الخلق المتواصل الذى يعيشه طول حياته:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧:٢٢﴾

﴿ذلك﴾ الإحياء المتواصل لميتات الانسان والارض بكل نباتاتها ﴿بان الله هو الحق﴾ لا سواه، وكل حق سواه يتمحور الله الحق، فلا باطل منه أو اليه، وقضية الحق الطليق طلاقة الرحمة المتمركزة على الإحياء بغية بلوغ الاشد للإنسان، وسائر البلوغ لسواه، ولو ان الحياة انحصرت فى هذه الدانية الفانية كان الخلق عبثاً باطلاً ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً﴾ ذلك ظن الذين كفروا ﴿٢٧:٣٨﴾.

❁ وانه يحبى الموتى ❁ فى المعاد كما يحبى هنا، فلولا الإحياء الآتى لكان الإحياء الأول باطلاً، ❁ وانه على كل شىء قدير ❁ سواء فيه شىء الإحياء الاول وسواه، ام اى شىء صالح للخالق والإحياء اياً كان وايان.
فكما الحكمة فى القدرة الطليقة تقتضى الإحياء فى الخلق الاول، كذلك وبأحرى فى الثانى ❁ وهو اهون عليه ❁ (٢٧:٣٠) ❁ أفعيننا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق حديد ❁ (١٥:٥٠).

❁ وان الساعة آتية لا ريب فيها ❁ قضية الحق فى الخلق والخلق الحق، ساعة يحاسب فيها اهل التقوى والطغوى ❁ ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ❁ (١٥:٢٠) واتيان الساعة هو قضية السنة الحق المستمرة، ان لكل عملية ساعة تظهر فيها كما هيه، ساعة غير مجازية ولا مجازفة.
❁ وان الله يبعث من فى القبور ❁ وهم الاموات حيث البعث حقهم العادل برحمة الرحيم الرحمان ❁ فبأى آلاء ربكما تكذبان ❁؟

فحين تثبت امكانية الإحياء مرة الاخرى بمرور الإحياء آت فى حياتنا الدنيا، وان الخلق حق دون اى باطل، فلولا البعث لكان الخلق باطلاً ولعباً حين لا يُقتص للمظلوم من الظالم، ولا تظهر حقائق المساعى لكل ساع.
وهذه الإمكانية بأولويتها الذاتية، هى ضرورة التحقق بدليل ان الله هو الحق فخلقه حق، ولان كتابات الوحي مخبرة بتلك الضرورة، وحتى لولاها لكان دليل العقل بالعدل فيه الكفاية لاثباتها.

اترى ان الحق يطوّر الانسان من تراب الى نطفة والى اكتماله ليبلغ اشده فى هذه الأدنى، وما هو وبالغها تماماً سعياً ونتيجة قضية العرقات والزحامات، ثم لا يطوّر بعد موته الى حياة ارقى ليبلغ اشده بمبلغ ما بلغها فى الدنيا، حين ❁ يجزاه الجزاء الاوفى ❁؟

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٨) ثانياً
عَطْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩)
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٢﴾ (١٠)

مقابلة ﴿ بغير علم ﴾ ب ﴿ ولا هدى ولا... ﴾ تدلنا ان القصد منه هو العلم الذاتي،
عقلياً او فطرياً او سواهما، فلتعن ﴿ هدى ﴾ العلم المكتسب من مكسب الحق اليقين
تلقيناً، ثم ﴿ كتاب منير ﴾ هو كل كتاب ينير الدرب على كل متحرٍ للحق، وطبعاً هو
كتاب الوحي.

والمجادلة في الله - اذا صحت وسلمت - لا تخرج عن هذه الثلاث، بعلم هو حجة
الحق وافضله الوحي المكمل لعلمه الفطرة والوحي، ام هدى من اصحاب الوحي
مشافهة حاضرة، ام بالاخير ﴿ كتاب منير ﴾ فيه العلم والهدى، وهذه تشرك في انها
حجة الحق دون ريب، وقد عبر عنها في آية مضت ب ﴿ علم ﴾ وحقاً هو التعبير
الصالح عن كل حجة صارمة، وهي كل ما يفيد علماً، دون ان يعارضه ما ينقضه او
ينقصه، وقد تتفارقان ان الاولى بشأن المقلدين لمكان ﴿ يتبع ﴾ والثانية بشأن
المقلدين لمكان ﴿ ليضل ﴾ بعدها كفاية لاصحابها.

وذلك ترتيب رتيب في الحجة بدءاً بالعلم، ففيه الكفاية لمن يعلم، ثم هدى لمن
ليس له علم فيهدى بعلم غيره، ومن ثم ﴿ كتاب منير ﴾ فيه كل علم ذاتي ومستفاد.
وقد تعنيها الآية ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ان المسع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (٣٦:١٧) وان كان ترتيبها غير ترتيبها، فالسمع هو هدى،
والبصر كتاب منير، والفؤاد هو العلم المتفند في القلب.

﴿ ثاني عطفه ﴾ حال انه يشنى وبكسر عطفه، لياً بشدقه وعنقه، كبراً متعجرفاً،
واعراضاً ونأياً بجانبه، اعراضاً عن سماع الرشد واتباع الحق، يصرف دونه بصره ويشنى
عنه عطفه وعنقه بكل رعونة ودلال، رغم انه ليس الا في ضلال، مخيلاً اليه كأنه
يملك ما يعوضه الحق، فهو - اذاً - احق من كل حق، ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾:
يجادل.. ليضل، وثاني عطفه ليضل، قرناً لإعراض الحال بإعراض المقال، ليحق الباطل

والضلال بحال بعد مقال، وذلك اوقع في الإضلال، ان المجادل في الله بغير حجة، يثني عطفه متظاهراً انه يملك الحق كله، بل هو الحق كله، وسواه باطل كله! ❀ وليس احدٌ أشد عقاباً ممن لبس قميص النسك بالدعوى بلا حقيقة ولا معنى ❀^١.

❀ له في الدنيا خزي ❀ معنوياً أمام دعاء الحق وأهله، وأمام اصحاب العقول في كل الحقول، وخزي بعذاب الاستئصال والمعيشة الضنك رغم كل دلال ❀ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ❀ كما احرقوا هنا عقول الناس بحريق الجهل والتجاهل جزاءً وفاقاً، ويقال له حينذاك:

❀ ذلك بما قدمت يداك ❀ يد الروح والجسم، يد الجدال بغير علم وثنى العطف، يد العقل المدخول، والنفس الامارة بالسوء، وقد تعنى ❀ يداك ❀ كافة الطاقات التي كان يملكها، سلبية وايجابية. ❀ وان الله ليس بظلام للعبيد ❀.

فمن كونه ظلاماً للعبيد ان يجبرهم على الضلال والإضلال ثم يخزيهم بعذاب الدارين، ومنه ألا يعذبهم كما لا يعذب عباده الصالحين، تسوية بين المحسن والمسيء، او يعذب المضللين دون المضللين، او يعاكس امرهما أماذا من ظلم هو بالنسبة لرب العالمين ان يكون ظلاماً للعبيد.

❀ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ❀ (١١:٢٢)

ذلكم الناس مقلدين ومقلدين كانوا هم النسناس المشركين، لا يعبدون الله على اية حال، وهؤلاء ناس موحدون، ولكنهم لانحرافهم في حرفهم لعبادة ربهم خاسرون، فما هو ذلك الحرف الهارف الجارف الذي يزلُّ به الأقدام ويُضِلُّ به اقوام؟

حرف الشيء طرفه وجانبه وهامشه، دون اصله و متنه، ولكنه جانب له يربطه بغيره عند عدم الارتباط، اذاً فهو في اصله لا اصل له ولا معنى في ذاته ربطاً وسواه،

^١. مصباح الشريعة عن الإمام الصادق (عليه السلام).

ولذلك سمي الحرف في الكلام حرفاً لأنه جانب غير اصيل يربط اصيلاً بأصيل، اسماً باسم ام بفعل، فلا معنى له في نفسه.

وعبادة الله كسائر الافعال قد تكون متأصلة في حياة العابد، متعركة في قلبه والى جوارحه، فسائر افعاله حرف، وسائر حيوياته هامشية على ذلك المتن المتين المكين، فلا ينحرف او ينجرف عن عبادة ربه مهما قاست الظروف وعرقلت الحياة، بل و تزدهر وتنبر تحت الضغوط و تلك عبادة الأحرار.

و تقابلها العبادة الحارفة المحترقة، التي هي حرف وأداة لما يهواه من حياته وشهواته، فأصله في حياته ما يهواه، فإن يعبد الله فهي على حرف وطرف وهامش من الحياة ام وجه واحد من وجوه العبادة، وهو وجه التجارة الدنيوية، فلا يعبد ربه على كل الوجوه، عبادة طليقة عن هواه ورضاه، فانما اتخذ إلهةً هواه يهوى منه كما يهوى من هواه، اذا فهو عابد هواه دون الله.

فهى تزداد إذا زادت فيها نزوات الحياة، وتنقص ام تنقص الى ضدها اذا نقصت او نقصت فيها نزوات، فليست عبادة الله له اصلاً يُهدف، فانما هي حرف يُحرف ويهرف. يحترف بها لحيونة الحياة وشهواتها، ام اذا قارنتها فنعمها هي، واذا فارقتها فبسما هي:

❖ فإن اصابه خير ❖ بحرف العبادة ام في ظرفها ❖ اطمأن به ❖ بخيره لا بعبادته إلا كأداة وقرين، فعبادته اذا ذريعة اطمئنانه بخير يهواه، فان كانت المعصية توصله الى ذلك الخير انقلب اليها لفسن الاطمئنان.

❖ وان اصابته ❖ بها او في ظرفها ❖ فتنة ❖ وابتلاء ❖ انقلب على وجهه ❖ وعلّه حرفه الذى كان يعبد الله عليه حيث كانت العبادة وجهاً ظاهراً حارفاً لحياته دون اصالة، فهو ينقلب على حرفه ويترك العبادة حيث يراها - بزعمه - سبب الفتنة ام قرينة لها.

وهذه صفة الانسان المضطرب الدين، الضعيف اليقين، الذي لم تثبت في الحق قدمه، ولا استمرت عليه مريته، فأوهى شبهة تعرض له ينقاد بقيادها، ويفارق دينه لها، كالثائم على حرف مهواة، فادنى عارض يزلقه، وأضعف دافع يطرحه. وقد أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام، فأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ﴿اقلنى فقال: ان الإسلام لا يقال، فقال: لم اصب في ديني هذا خيراً، ذهب بصرى ومالى ومات ولدى، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا يهودى! الإسلام يسبِك الرجال كما تسبِك النار خبث الحديد والذهب والفضة، ونزلت الآية ﴿١﴾.

و ﴿٢﴾ كان ناس من الاعراب يأتون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسلمون فاذا رجعوا الى بلادهم فان وجدوا عام غيث و عام خصب و عام ولاد حسن قالوا إن ديننا صالح فتمسكوا به، وان وجدوا عام جذب و عام ولاد سوء و عام قحط قالوا ما فى ديننا هذا خير فانزل الله الآية. ٢

ثم ﴿٣﴾ يعبد الله على حرف ﴿٤﴾ قد تعم اصل العبادة وفرعها، فالاولى هى العبادة الطليقة عن طقوس مقررة فى الشرعة المرضية، والثانية هى المرضية، ومن الأول ﴿٥﴾ هم قوم وحّدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله فخرجوا من الشرك ولم يعرفوا ان محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله فهم يعبدون الله على شك فى

١. الدر المنثور ٤: ٣٤٦ - اخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابي سعيد قال: اسلم رجل...
٢. المصدر اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال كان ناس...
وفيه عن الحسن كان الرجل يأتى المدينة مهاجراً فان صح جسمه وتتابعت عليه الصدقة وولدت امراته غلاماً وانتجت فرسه مهراً، قال والله لنعم الدين وجدت دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا ما زلت اعرف الزيادة فى جسدي وولدى وان سقم بها جسمه واحتديت عليه الصدقة وازلقت فرسه وأصابته الحاجة وولدت امراته الجارية قال والله لبئس الدين دين محمد؛ هذا والله ما زلت اعرف النقصان فى جسدى واهلى وولدى ومالى.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جاء به فأتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا: ننظر فان كثرت اموالنا وعوفينا في انفسنا واولادنا علمنا انه صادق وانه رسول الله، وان كان غير ذلك نظرنا... ﴿١﴾.

هؤلاء الأغبياء، بعبادتهم الجوفاء قد يخسرون الآخرة والاولى بترك الدنيا للدنيا، متذرعين بعبادتهم والتظاهر بزى الصالحين، لذات هذه الادنى كالرئاسة الباطلة^٢ يفضلونها على سائر اللذات وهيئات هيهات من هذه الهوات، التي هي اركس من كافة الحيوانات والشهوات، يترك لذات ظاهرة تكشفه وعبادته ﴿٣﴾ وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ﴿٤﴾ ترك الظاهر الى متروك الباطن ﴿٥﴾ خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴿٦﴾.

فـ ﴿٧﴾ السائر في مفاوز الاعتداء، والخائض في مراتع الغي وترك الحياء باستحباب السمعة والرئاء والشهوة والتصنع الى الخلق، المتزبي بزى الصالحين، المظهر بكلامه عمارة باطنه وهو في الحقيقة خال عنها، قد غمرتها وحشة حب المحمودة، وغشيتها ظلمة الطمع، فما أفتنه بهواه وأضل الناس بمقالته؟! ﴿٨﴾.

ذلك بالرغم من ان العقيدة الصالحة هي الركيزة الثابتة الدائمة في حياة المؤمن، يدأب في تكميلها، ويعبد الله بحبها قدر المستطاع كالاصل القمة أو الوحيد في حياته،

١. نورالثقلين ٣: ٤٧٣ عن الكافي بسند متصل عن زرارة عن ابي جعفر (عليه السلام) قال سألته عن هذه الآية قال: هم قوم... قال الله عزوجل «فان اصابة خير اطمأن به» يعني عافية في الدنيا «وان اصابته فتنة» يعني بلاء في نفسه «انقلب على وجهه» انقلب على شكة الي الشرك...

٢. نورالثقلين ٣: ٤٧٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن الرضا (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: فان في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك للدنيا ويرى ان لذة الرئاسة الباطلة افضل من لذة الاموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك اجمع طلباً للرئاسة الباطلة.

٣. المصدر عن مصباح الشريعة عن الإمام الصادق (عليه السلام): واما السائر...

تضطرب الدنيا وأهلها من حوله وهو ثابت لا تزعه أو تتجاذبه الأحداث، وتهاوى حوله الأسناد وهو مستند في كل ذلك الى قاعدة الايمان القائمة على أية حال. ليس الايمان والعبادة هنا له رأس مال يتجر بهما لمتعة الحياة الدنيا، فلا يعبد الله نَظْرَةً جزاءً في هذه الأدنى، مهما كان ناظراً إلى الأخرى، بل هي هنا في ذاتها جزاءً فإنها الحمى الذى يلجأ اليه ولا يفجع لديه ❀ ألا بذكر الله تطمئن القلوب! ❁

أليس ذلك جزاءً أنه لا ثابت المطمئن في مهب الرياح، ومن دونه من تتجاذبهم الرياح، وتتقاذفهم الأرباح، وهو كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، ثابت الصلة بالله راضياً بمرضات الله؟

والعبادة على حرف هي بصيغة اخرى عبادة التعابد، يعبد ربه اذا عبده واطاعه رؤيه في هواه، كأنه يقول في ذلك الحرف: اعبدك حين تعبدني، ولا اعبدك حين لا تعبدني، تجارة فاجرة في العبادة، وهي في الحق عبادة الهوى، المتظاهرة بالهدى، وهي انحس من تركها، حيث التارك لها كافر، والعامل لها على حرف منافق أشر من كافر. ان اصابة الخير الرخاء والفتنة البلاء عند العبادة كلتاهما فتنة وبلاء ❀ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ❁ بل الفتنة في الرخاء اقنن وابلى منها في البلاء، فكيف عبّر هنا عن فتنة الرخاء بالخير واختص التعبير بالفتنة للبلاء؟

ذلك، لأن من هذه عبادته لا يرى الخير بلاءً اذ لا يثقل على طبعه، والبلاء في مقياس الأغفال هو ما يثقل على الطبع، والمنافق لا يرى الخير إلا ملائم طبعه و مؤصل شهوته.

وتراه إن أصابته فتنة كيف ينقلب على وجهه، ولم تكن عبادته عبادةً من أوّل امره؟ ذلك لأن وجهه هو حرفه في عبادته، فان أصابته فتنة ترك ذلك الحرف الظاهر ايضاً كما كان تاركاً لحق العبادة منذ كان ❀ وذلك هو الخسران المبين ❁.

لقد كان يدعو الله في ظاهر الحال في إصابة الخير، ثم يجاهر في دعوة غير الله عند الفتنة:

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّالُّ
الْبَعِيدُ﴾ (١٢:٢٢)

وهنا ﴿لا يضره ولا ينفعه﴾ قياساً الى بغيته من دنياه، اذ لا ضار ولا نافع إلا الله لا سواه، والإنتقال من دعاء الله الضار النافع الى يدعاء غير الله غير الضار ولا النافع ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ فان ترك أية دعوة كان ضلالاً قريباً علّه ينتبه فيدعوا الله، ولكن الإنتقال من دعاء الله الى دعاء غير الله ضلال بعيد ما بعده! وليس فحسب انه لا يضره ولا ينفعه، بل

﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَ لَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ (١٣:٢٢)

ومن ضره الأقرب خسار الدنيا والآخرة، وليس نفعه إلا تخيلاً لا يملك أية حقيقة وواقعية، فان من يدعوه من وثن او شيطان او طاغ او سند من بنى الانسان، ضره فى عالم الضمير اذ يتوزع القلب اثقالاً بالوهم والذل، وضره فى عالم الواقع ولا سيما اذا وقعت الواقعة انه ﴿اقرب من نفعه﴾ قرباً واقعياً على اية حال، مهما كان نفعه المتخيل اقرب زمنياً فى الخيال.

ذلك، واما المؤمن الذى يعبد الله اصلاً - لا حرفاً - وعلى ايه حال، ولا يتخذ مولى ولا عشيراً الا الله، فهو رابح فى كل الاحوال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤:٢٢)

وليست هى فقط جنات الآخرة، بل وجنة الاطمئنان والرضوان هى عشيرته فى دنياه والى عقباه، بل المؤمن هو جنات فى عقلية ونفسية، فى عقيدته وعملية، جنات فى حياته كلها مهما اعترضته البلايا والرزايا، فانها ليست بشىء بجانب رضوان من الله واطمئنان بالله.

ذلك لـ ﴿ان الله يفعل ما يريد﴾ ولا يريد إلا خيراً، عدلاً او فضلاً، ومن دون الله ليس ﴿يفعل ما يريد﴾ ان كان ممن يريد، اذ لا تحلق قدرته على كل مراده، فضلاً عن لا يريد من اوثان وأصنام!.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥:٢٢)

هذه الآية من معارك الآراء بين المفسرين فهي حريّة بتدبر لائق بالغ علنا نفسرها كما هي دون تحميل ولا تأويل، سرداً لمحتملات ثم سبراً و تقسيماً لكي نحصل على المعنى الأليق بلفظ الآية وموقفها.

الذي يبدوا من جو الآية أنه كان هنالك غيظ من ظن لعدم النصره الآلهية في الدنيا والآخرة، ثم تعجيز بسبب ظاهر مقترح كيداً لإذهاب ذلك الغيظ ولن يذهب بأى كيد حيث الله هو الفاعل للنصر في الدنيا والآخرة وهو التارك له.

والسبب في اصل اللغة هو الحبل الذي يصعد به النخل، ثم كل ما يتوسل به الى شيء مادياً ومعنوياً، فاعلياً ام ظرفاً معبداً لفعل، فهو - اذاً - يعم كل وسيلة لكل ما يتوسل اليه كما ﴿تبرء الذين أتبعوا من الذين أتبعوا ورأوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب﴾ (١٦٦:٢).

ومن الاسباب ما هي ظاهرة، ومنها غير ظاهرة يمكن التوسل اليها، ومنها ما لا يمكن التوسل اليها وبها الا بما يسببها الله تعالى كما ﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ (٨٤:١٨).

ثم هنا اسباب ارضية من ذلك المثلث وأخرى سماوية اكثرها من الثالث ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى ابلغ الاسباب اسباب السماوات فاطلع الى آله موسى﴾ (٣٧:٤٠) وقد تأتى في مسرح التعجيز ﴿فليرتقوا فى الاسباب﴾ (١٠:٣٨) وهى طرق السماء بوسائلها الغيبية.

والسبب في الآية هو الممدود الذى يحاول ماذه ليقطع، قطعاً لما يمد به، أم قطعاً لمسافة سماوية فيه، فكل منهما قطع، وكلاهما مما لا يتأتى لناس عاديين غير مؤيدين بنصرة آلهية خاصة.

انه ليس حبل الخنق^١ اذ لا يُمدُّ الى السماء، وانما الى سقف ولا يسمى سماءً، ثم حبل الخنق لا يُقطع، بل يربط بشيءٍ عُلِّ ثم يعلَّق عليه لكي يخنق، مهما تصح عنايته ضمن المعنى الصالح فيعنى القطع قطع نفسه بخنقه.

انما هو سبب ممدود من الأرض الى السماء قصداً لعملية في أمر سماوى، قطعاً لرزق آت منها، ﴿ف﴾ في السماء رزقكم وما توعدون ﴿﴾ رزق الآخرة والاولى، ام قطعاً لتلك المسافة الممدودة بسبب حتى يرقى ماؤه الى السماء ليقطع، ثم هو بذلك الكيد يذهب ما يغیظ، حيث أغاظته النصره الآلهية سلباً او ايجاباً، قطعاً لسلبها حتى توجب ام لإيجابها حتى تسلب.

وهناك في الآية محاور ثلاثة: ظن فمدّ وغیظ، والظن كما يلوح هو الظن السوء بالله بإحالة نصرته في الدنيا والآخرة، والمدّ كوسيلة مقترحة تعجيزية تثبیتاً لإحالة، واذهاباً لذلك الغیظ.

فهنا احتمالان اثنان في مرجع الضمير الغائب لـ ﴿لن﴾ ينصره ﴿انه﴾ ﴿من﴾ المذكورة قبله نصاً، ام هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجو الآيه يناسبهما كليهما.

فالذى ﴿يعبد الله على حرف..﴾ فان اصابته فتنة انقلب على وجهه... يدعو من دون الله ﴿انه﴾ يبلغ به انقلابه على وجهه لحدّ الظن ان ناصره غير الله فـ ﴿لن﴾ ينصره الله في الدنيا والآخرة ﴿و﴾ كما اختلج في بعض الخواطر الضعيفة كأن الله لا ينصر المؤمن المؤمن لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك حينما اصابته فتنة فانقلب على وجهه آيساً

١. تفسير البرهان ٣: ٧٩ محمد بن العباس بنسب متصل عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حدثني ابي عن ابيه عن ابي جعفر (عليه السلام) ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذات يوم ان ربي وعدني نصرته وان يمدني بملائكته وانه ناصرى بهم وبعلي خاصة من بين اهلى فاشتد ذلك علي القوم ان خص علينا بالنصرة واغاظهم ذلك فانزل الله الآية قال: ليضع حبلًا في عنقه الي سماء بيته يمده حتي يخنق فيموت هل يذهبن كيده ما يغیظ.

فى الضر من عون الله، فاقدأ كل نافذة مضيئة، وكل نسمة رحيمة بهيئة من روح الله، فيستبد به الضيق والضعف ويستطيره إلى اياس مطلق عن رحمة الله، فيؤمر حينئذٍ تعجيزاً ﴿فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع﴾ مسافة بينه وبينها كيداً لإيجاب النصر له، فيزول بذلك غيظه ﴿هل يذهبن كيده ما يغيط﴾ به ومنه من عدم النصر؟! وليعرف هؤلاء الأغفال ان ليست النصره الإلهية الا بيد الله، وهو ناصرٌ من نصره و تارك من تركه.

ثم المشركون الذين كانوا يظنون ان الله لا ينصر محمداً فى الدنيا والآخرة فى مسرح الجو المكى، حيث كان فى أضييق الضيق، قياساً لغائب الآخرة إلى حاضر دنياه فى مكة، وسناداً إلى ان من آمن ابتلى، اذاً فهناك ضابطة لهم - هابطة - ﴿ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة﴾ كما ﴿كان يظن﴾ تشير بمضيئة البعيد الى ذلك الظن البعيد البعيد، ثم رأوه بعد الهجرة منصوراً معزراً - والسورة مدنية - اخذتهم الغيظة الخائفة لما لمسوا الواقع المدنى خلاف ظنهم المحيل لنصرته، فهنا الله يحملهم كيداً لقطع تلك النصره العظيمه كما هو دأبهم الدائب، ومن قبل حاوله فرعون واضرا به ﴿لعلى ابليغ الاسباب. اسباب السماوات فاطلع الى آله موسى﴾.

﴿فليمدد بسبب الى السماء﴾ فان رسول السماء منتصر من سماء الربوبية، بجند من السماء ووحى من السماء ورزق من السماء ﴿ثم ليقطع﴾ هذه النصره عن الرسول، ام ﴿ثم ليقطع﴾ تلك المسافة الى الملا الاعلى، ولكى يقطع هناك سبب النصره الإلهية لرسول السماء.^١

﴿فلينظر﴾ اذاً ﴿يذهبن كيده﴾ هذا المستحيل ﴿ما يغيط﴾ من تلك النصره الإلهية؟!

١. الدر المنثور ٤: ٣٤٧ - اخرج ابن ابى حاتم عن ابن زيد فى الآية قال: من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه فان أصله فى السماء ثم ليقطع اى عن النبى الذى يأتيه من الله ان قدر.

إذا ف ﴿١٦﴾ لن ينصره الله ﴿١٧﴾ تعم الرسول المظنون فيه، والظان، كلاً لحده، ولفظ الآية
تحتملها، والآيات السابقة عليها ثلاثهما، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه الى احسن
الوجوه، وهما من ذلك الاحسن، استنباطاً - دون أى تحميل من نفس الآية بوجهها،
مهما كان خنقه من الصالح ضمن المعنيين، فالقطع هنا قطع نفسه بخنقه.^١
﴿١٨﴾ وكذلك ﴿١٩﴾ العظيم العظيم، البعيد المدى، العميق المعنى ﴿٢٠﴾ انزلناه ﴿٢١﴾ القرآن
﴿٢٢﴾ آيات بينات ﴿٢٣﴾ لمن يتبين و يتحرى عن الهدى، دون المتجرء عليها ﴿٢٤﴾ وان الله
يهدى من يريد ﴿٢٥﴾ الهدى، فيريد الله له الهدى، دون فوضى في ارادته الهدى، فانها ارادة
ربانية لمن يريد الهدى، فلا تفيد ارادة الهدى للمهتدى ما لم تؤيد بارادة الله، ولا يريد
الله الهدى الا لمن يريدھا.

١. الدر المنثور ٤: ٣٤٦ - اخرج بعدة طرق عن ابن عباس في الآية قال: من كان يظن ان لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب، قال فليربط حبلاً الى السماء قال: الي سماء بيته السقف ثم ليقطع، قال: ثم يخنق به حتى يموت.

٣٠

يوم الفصل

❖ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)** أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلبِاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)

❖ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧:٢٢)** فرق ست متفارقين في العقيدة، سادستهم ❖ الذين اشركوا ❖ مما يملح ان الخمس الاخرى غير مشركين تماما، فقد ينجون اذا كانوا صالحين أيا كانوا من الخمس، وكما تسانده: ❖ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ❖ (٢:٦٢) ومثلها (٥:٦٨) حيث حلقت الأجر على المؤمنين منهم وسواهم، اذا فليسوا هم من المشركين.

وهنا ❖ الله يصل بينهم ❖ لأن فيهم مشركين ❖ والذين اشركوا ❖ فصلاً في الجزاء كفصلهم في عقائدهم. ❖ ان الله على كل شيء شهيد ❖ لا يعزب عن علمه شيء فانه عليهم بذات الصدور.

فـ ﴿الذين آمنوا﴾ هم المؤمنون بهذه الرسالة الجديدة المسمّون بالمسلمين،
 ﴿والذين هادوا﴾ هم اتباع التوراة ﴿والنصارى﴾ اتباع الانجيل، فامّا ﴿الصائبين﴾
 هادوا ﴿هم اتباع التوراة﴾ والنصارى ﴿اتباع الانجيل﴾، فامّا ﴿الصائبين﴾
 والمجوس ﴿فما الصابئون﴾ - خلاف ما قيل - من عبدة الكواكب اذ قوبلوا كما
 المجوس بـ ﴿الذين اشركوا﴾ فليسوا هم - لاقّل تقدير- ممن محض الشرك محضاً
 مهما انحرفوا عن حق التوحيد كفريق من اليهود والنصارى و فريق امن المسلمين،
 فعلمهم قوم بين اهل الكتابين كما تلمح له توسطهم بينهما في الذكر، صبأوا من الدين
 الكتابي الى شىء من غير الكتابي مع الحفاظ على عقيدة التوحيد كما ذكرناهم في آية
 البقرة.

والمجوس هم الزرادشت و كتابهم المقدس ﴿اوستا﴾ وهم يقدسون النار دون ان
 يعبدوها كأصنام، ومهما يذكر في كتابهم اهورا مزدا واهر من كمبدئين للخير والشر
 ولكنهم يُنهبون كل شىء الى اهورا موجد الكل، اذاً فليسوا من الوثنيين الممحصّين
 الشرك، وكما يلمح له مقابلتهم كالصائبين بالذين اشركوا.
 والذين اشركوا هم الذين محضوا الشرك محضاً، تاركين عبادة الله الى عبادة
 الاصنام والاوثنان.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
 الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨:٢٢)

﴿الم تر﴾ خطاب لكل راءٍ مهما اختلفت درجات الرؤية باختلافهم فيها، والمرئى
 لهم كلهم، بامعان النظر ولمعان الفكر ﴿ان الله يسجد له﴾ لا سواه، فهو مسجود الكل
 على الاطلاق في ذوات اكونهم، خاضعين غايته ونهايته أمام مشيئته دون امكانية
 التخلف ولا قيد شعرة، من عقلاء كـ ﴿من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً
 وظلالهم﴾ (١٥:١٣) افليس يجدر بالانسان وهو افضل الكائنات كوناً وكياناً ان
 يجاوبهما في ذلك السجود العام طوعاً كسجدته كرهاً، وايه مهانة اردل واذل ان يترك

هذا الانسان السجود المختار لربه فيهين الله كما أهان هو نفسه: ﴿ومن يهين الله فما له من مكرم﴾ دون الله ﴿ان الله يفعل ما يريد﴾.

فهذه الآية توبيخه قارعة على تاركى السجود لله لو انهم اتنبهوا عن غفوتهم، ومن الواجب ان تسجد عند قراءتها او استماعها، وكما مضت احاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين سئل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) افضل سورة الحج على سائر القرآن بسجديتين؟ قال: نعم فمن لم يسجدهما فلا يقرءهما^١ و هكذا كل سورة فيها وجوب السجدة إلا الفاتحة لأنها ام القرآن.

ثم الارادة و المشيئة من صفات الافعال فمن زعم ان الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد^٢ (٢) حيث الافعال على اية حال حادثة كسائر الحادثات، ثم وليست مشئة الله تابعة لمشيئة خلقه أيأ كانوا^٢.

وقد يتساءل ان كثيراً من الناس لما يعرفوا معنى سجود الكائنات فضلاً عن واقعه، فكيف يتساءلون ﴿ألم تر﴾ كأنهم يرون سجودها رأى العين ام رأى العلم؟ والجواب ان النظرة المجردة الفاحصة عن حالة الكائنات ككل تجاه ارادة الله، يريهم كلهم انها خاضعة لارادة واحدة، فلو كانت هنالك كثرة لفسدت بمختلف الارادات، فتلك الوحدة الكونية بنضدها ونسجها بمسير ومصير واحد، تدلنا على كمال خضوعها دون تلت وتخلف عن ارادة الله الواحد القهار، فهو هو المسجود لاسواه، فحرى ان لا يُعبد إلا اياه.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (١٩:٢٢)

١. الدر المنثور ٤: ٣٤٢ وفي نقل آخر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلت علي القرآن بسجديتين، وفي ثالث عن علي و ابي الدرداء انهما سجدا في الحج سجديتين.

٢. نورالثقلين ٣: ٤٧٦ عن التوحيد للصدوق وبإسناده الي سليمان بن جعفر الجعفي قال قال الرضا (عليه السلام): ...

﴿اختصموا﴾ هنا دليل ان ﴿خصمان﴾ لاتعنى شخصين اثنين، وانما جمعين، ثم ﴿فالذين كفروا﴾ تأييد ثان لهذه الجمعية وان الاولين هم الذين آمنوا، وتقول الروايات انها نزلت في جمعي البدر، ثلاثة مؤمنون يقودهم علي (عليه السلام) وآخرون كافرون، وقد قال علي (عليه السلام): انا اول من يجثوا في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة^١.

١. الدر المنثور ٤: ٣٤٨ - اخرج سعيد بن منصور وابن ابي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابي ذر انه كان يقسم قسما ان هذه الآية: هذا خصمان.. نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث وعلي بن ابي طالب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة قال علي (عليه السلام) أنا... وفيه - اخرج ابن ابي حاتم عن ابي العالية - قال لما التقوا يوم بدر قال لهم عتبة بن ربيعة لا تقتلوا هذا الرجل فانه ان يكن صادقاً فانتم اسعد الناس بصدقه وان يكن كاذباً فانتم احق من حقن دمه، فقال ابو جهل بن هشام لقد امتلأت رعباً، فقال عتبة ستعلم أننا الجبان المفسد لقومه، قال فيروز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فنادوا النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) واصحابه فقالوا: ابعث لنا اكفاءنا نقاتلهم فوثب غلما من الانصار من بني الخزرج فقال لهم رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) اجلسوا قوموا يا بني هاشم فقام حمزة بن عبدالمطلب وعلي بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث فيبرزوا لهم فقال عتبة تكلموا نعرفكم ان تكونوا اكفاء قاتلناكم، قال حمزة انا حمزة بن عبدالمطلب انا اسد الله واسد رسوله فقال عتبة كفاء كريم فقال علي (عليه السلام) انا علي بن ابي طالب فقال كفؤ كريم فقال عبيدة انا عبيدة بن الحارث فقال عتبة كفؤ كريم فاخذ حمزة شيبة بن ربيعة علي بن ابي طالب عتبة بن ربيعة واخذ عبيدة الوليد، فاما حمزة فاجاز علي شيبة واما علي فاختعلفا ضربتين فأقام هؤلاء وقتل هؤلاء فنادي مناد النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) قتلنا في الجنة وقتلكم في النار فانزل الله ﴿هذان خصمان...﴾.

ولان اختصام فريقين لا يختص بمورد خاص فلتعن الآية كلَّ اختصام في الرب،
 بي البدرين ام اهل الكتاب والمؤمنين^١ أم اهل الجنة والنار اجمعين^٢ مهما كانوا في
 الظاهر الحال في المسلمين كبنى أمية، واهلالحق من امة محمد (صلى الله عليه وآله
 وسلم)^٣ وقد فصل الله بين الفريقين، المشركين وسواهم، والمؤمنين وسواهم في آيات
 سالفه، اذاً فهما ❀ خصمان اختصموا في ربهم ❀ ككل دونما اختصاص.
 والمختصمون في الله هم بين محق ومبطل ولا ثالث لهما، اذاً فـ ❀ هذان
 خصمان..❀ على طول خط الزمن الرسالي، وكافة الاختصامات راجعة الى ربوبيته
 تعالى.

❀ فالذين كفروا❀ بالحق لما جاءهم كفراً عانداً عامداً مقصراً ❀ قطعت لهم ثياب
 من نار❀ تشتمل عليهم اشتمال الملابس على الأبدان، حتى لا يسلم منها عضو من
 أعضائهم، ولا يغيب عنها شيء من أجسادهم، وعلها هي ❀ سرايلهم من قطران❀ إذا

١. المصدر - اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن
 ابي حاتم عن قتادة قال: اختصم المسلمون وأهل
 الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا
 قبل كتابكم وزجن أولي بالله منكم، وقال المسلمون:
 إن كتابنا يقضى على الكتب كلها ونبينا خاتم
 الأنبياء فنحن أولي بالله منكم، فأفلج الله أهل الاسلام
 علي من ناواهم، فانزل الله هذه الآية.
 ٢. المصدر - اخرج ابن جرير عن عكرمة في الآية قال:
 هما اهل الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقني
 الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته.
 ٣. نورالثقلين ٣: ٤٧٦ عن الخصال عن النضر بن مالك
 قال قلت للحسين بن علي (عليهما السلام) يا ابا
 عبداله حدثني عن قوله تعالى «هذان خصمان...» فقال:
 نحن وبنو امية اختصمنا في الله تعالى، قلنا صدق الله
 وقالوا كذب الله فنحن الخصمان يوم القيامة، وعن
 الكافي بسند متصل عن ابي جعفر (عليه السلام)
 «فالذين كفروا» بولاية علي (عليه السلام) «قطعت لهم
 ثياب من نار».
 ذلك وإن كانت الجملة منكرة لا تأتي وصفاً إلا منكرة،
 فان الواقعة أيضاً ليست معرفة حيث اللام فيها ليست
 تعريفاً وإنما هي موصول، كما يقال: الذي يقع،
 تري الجملة هذه معرفة أم نكرة؟

ليسوها واشتعلت النار فيها صارت كأنها ثياب من نار لاحاطتها بهم، واشتمالها عليهم، ولا فحسب بل ❀ يصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم ❀ مادة حارة حارقة لباساً فوق اللباس، كدثار فوق الشعار ونار فوق نار، اضافةً إلى ذواتهم النارية حيث ❀ اولئك هم وقود النار ❀ فهم إذاً محشورون في ثالوث النار ❀ جهنم يصلونها وبئس القرار ❀.

❀ يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ❀ (٢١:٢٢)
والصَّهْرُ هو الإذابة، فذلك الحميم المصبوب من فوق رؤوسهم يذيب ما في بطونهم في أمعاء وأحشاء، ويذيب الجلود نضجاً: ❀ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها... ❀

والمقامع هي المداقُّ والعُمْدُ، حيث تضرب على رؤوسهم بما يصبُّ، و يصبُّ بما تُضْرَبُ، جمعاً بين جموع العذاب.
ففي هذه الضَّفَّة الكافرة ثياب من نار تُقَطَّعُ وَ تُفْصَلُ، وحميم و مقامع تصبُّ و تُضْرَبُ عَذَاباً دَائِباً لَا حَوْلَ عَنْهُ:
❀ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرْيِقِ ❀ (٢٢:٢٢)

ارادة للخروج تُشْرِفُهُمْ على واقع الخروج، ثم اعادة فيها قطعاً لأمل كأنه واقع عذاباً فوق العذاب.

و ❀ كلما ❀ هنا تحلَّق على كل زمن العذاب دون كل الزمن حتى يدل على لا نهائية في العذاب، فالخروج عن العذاب ما دام استحقاق العذاب للأبدية فيه ممنوع، و لا ينافيه فناء النار بمن في النار ليس خروجاً عن النار و هي باقية.

فهرست مطالب

٥.....	بين النفوت والاماتة والتوفى
٥.....	فوارق.....
٩.....	النوم توفاً.....
٩.....	برزخاً بين اليقظه والموت.....
١٤.....	الله.....
١٤.....	هو يتوفى الانفس.....
١٤.....	وملك الموت بأعوانه.....
١٤.....	هم عماله.....
٢٥.....	التوفى.....
٢٥.....	فقط.....
٢٥.....	لايعنى الفوت بموت وسواه.....
٣١.....	الموت نسبياً لا الفوت المطلق.....
٣٦.....	كل من عليها فات.....
٣٦.....	فى مثلث الزمان.....
٣٦.....	قبل الآن و الآن و بعد الآن.....
٤٤.....	قوله هريء فى انحصار الحياء بالدنيا.....
٤٤.....	و.....
٤٤.....	قول فضل فى لقاءات الله.....
٧٠.....	قوله ثالثة للدهريين.....
٧٤.....	ايام الله.....

- ٧٨..... الحياء البرزخية للذين قتلوا في سبيل
- ٩١..... الحياء البرزخية
- ٩١..... للذين قتلوا في سبيل الله
- ١٠٥..... الحياء البرزخية
- ١٠٥..... لكافة الاموات
- ١١١..... الحياء البرزخية لكافة الاموات
- ١٣٠..... الحياء البرزخية لكافة المكلفين
- ١٣٨..... جنه برزخية لاهل الجنة
- ١٤٨..... حياة برزخية
- ١٤٨..... لأهل الجنة والنار
- ١٤٧..... حياة برزخية للغرقى الفرعونى فى اليم
- ١٧١..... حياة برزخية لاهل النار
- ١٧٣..... حياة برزخية لأهل النار
- ١٨٨..... حياة برزخية لاهل النار
- ١٩٣..... حياة برزخية لاهل النار
- ١٩٤..... البرزخ مرقد وغرفة نوم
- ٢٠١..... حول اليوم الآخروا باشرطه وكل حساباته
- ٢٠١..... القيامة قيامات
- ٢٠١..... سورة القيامة - مكية - وآياتها اربعون
- ٢٠٩..... القيامة يوم عظيم
- ٢٠٩..... يقوم خير الناس لرب العالمين
- ٢٠٩..... سورة المصطفين - مكية - وآياتها ست وثلاثون
- ٢٣٤..... القيامة طامة كبرى

- ٢٤٦ يوم ترحف الراجفة.....
- ٢٤٦ هل يدبّر الامر إلا الله؟.....
- ٢٥١ القيامة الطارق.....
- ٢٥٨ يوم نسير الجبال.....
- ٢٦٦ فى القيامة.....
- ٢٦٦ ان عذاب ربك لواقع.....
- ٢٨٤ القيامة غاشية.....
- ٢٨٤ ﴿سورة الغاشية - مكية - وآياتها ست و عشرون﴾.....
- ٢٩٢ انشقاق الكائنات.....
- ٢٩٢ فى القيامة.....
- ٣٠٨ القيامة هى القارعة.....
- ٣٠٨ ﴿سورة القارعة - مكية - وآياتها عشر﴾.....
- ٣١٤ لترون الجحيم.....
- ٣١٤ ﴿سورة التكاثر - مكية - وآياتها ثمان﴾.....
- ٣٢٠ انفطار الكائنات.....
- ٣٢٠ فى القيامة.....
- ٣٢٠ ﴿سورة الانفطار - وآياتها تسعة عشر﴾.....
- ٣٣٠ يوم الفرار.....
- ٣٣٠ القيامة صاخة.....
- ٣٣٤ القيامة مكورة مكدره.....
- ٣٣٤ ﴿سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون﴾.....
- ٣٥٤ القيامة حاقة قارعة.....

- ٣٥٤ سورة الحاقَّة - مكيَّة - وآياتها اثنتان وخمسون ﴿٣٥٤﴾
- ٣٦٧ القيامة واقعة
- ٣٦٧ خافسة رافعة
- ٣٨٧ القيامة
- ٣٨٧ تأتي بدخان مبين
- ٤٠٢ محاجة اهل النار
- ٤٠٢ فى دار القرار
- ٤١٤ انما هى زجرة واحدة
- ٤٥٤ للمحسنين
- ٤٥٤ الحسنى و زيادة
- ٤٦٧ وقوف
- ٤٦٧ فى اليوم الآخر عند الرب
- ٤٧٢ بروز الجميع الله
- ٤٧٢ يوم الله
- ٤٩٤ ان زلزلة الساعة شىء عظيم
- ٤٩٤ سورة الحج
- ٥١٨ يوم الفصل

